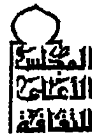
المشروع القومى للترجمة

جاك لاكان

وإغــواء التحليــل النفســى

إعــداد وترجمــة

عبد المقصود عبد الكريم



١٩٩٩

إشـــارة

يتضـمن هذا الكتـــاب سـبعـــــة فصـول وسـردا تاريخيـــا بأهـم الأحــــداث فى حيـــاة جـاك لاكـان وقصة قصيرة لإدجـــار ألان بـــو هى قصة 'الرسالة المسروقة 'The Purloined Letter' . وقد ترجم السرد التاريخى بأهم الأحداث فى حياة جاك لاكان عن :

Dylan Evans, *An Introductory Dictionary of Lacanian Psychoanalysis*, Routledge, 1996 ،XIX-XXII

وترجمتْ قصةُ الرسالة المسروقة عن مختارات لإدجار ألان بو بعنوان :

Edgar Allan Poe, Prose and Poetry; Moscow, Raduga Publishers, 1983

وترجمتْ ثلاثةُ فصول عن :

Johan Forrester: *The Seductions of Psychoanalysis*, Freud, Lacan and Derrida; Cambridge University Press; 1990

وهذه الفصول هى السادس والسابع والثامن من الكتاب الأصلى وتقع فى الصفحات من ١٠٢ إلى ٢١٨ وتقع هوامشها فى الصفحات من ٣٣٤ إلى ٣٧٠ .

(١) الفصل السادس (وهو الفصل الأول من هذه الترجمة) عنوانه الأصلى :

In place of an Introduction: *The Seminar of Jacques Lacan. Books I and II*

(٢) الفصل السابع (وهو الفصل الثالث من هذه الترجمة) عنوانه الأصلى :

What the psychoanalyst does with words: Austin, Lacan and the speech acts of psychoanalysis

(٣) الفصل الثامن (وهو الفصل السادس من هذه الترجمة) عنوانه الأصلى :

Dead on time: Lacan's theory of temporality

وترجمت ثلاثة فصول أخرى عن :

Malcolm Bowie: *Freud, Proust and Lacan: Theory as fiction*; Cambridge University Press, 1987

وهى الفصل الرابع والفصل الخامس والخاتمة وتقع فى الصفحات من ٩٩ إلى ١٧٨ والهوامش من ١٩٨ إلى ٢١٣

(١) الفصل الرابع (وهو الفصل الثانى من هذه الترجمة) عنوانه الأصلى : Lacan

(٢) الفصل الخامس (وهو الفصل الرابع من هذه الترجمة) عنوانه الأصلى:

Lacan and Literature

(٣) الخاتمة Epilogue (وهى الفصل السابع والأخير من هذه الترجمة) .

وترجم فصل عن :

Shoshana Felman, *Jacques Lacan and the Aventure of Insight: Psychoanalysis in Contemporary Culture* (Cambridge, Mass., 1987), pp. 27-32، 39-51. Reprinted in K.M. Newton, *Theory into Practice* (Macmillan, 1992), pp.174-191.

وهو الفصل الخامس من هذه الترجمة وعنوانه الأصلى :

The Case of Poe: Applications/Implications of Psychoanalysis.

كرونولوجيا
سرد تاريخى بأهم الأحداث فى حياة
جاك لاكان

دالان إفانز

عن :

Dylan Evans, *An Introductory Dictionary of Lacanian Psychoanaly-sis*, Routledge, 1996 .XIX-XXII

نورد فيما يلى كرونولوجيا ببعض الأحداث الرئيسية فى حياة لاكان . وقد تم تصنيف هذه الكرونولوجيا على أساس المعلومات التى قدمها بويى Bowie (١٩٩١ : ٢٠٤-٢١٣) ، وماسى Macey (١٩٨٨ : الفصل السابع) ، ومن قبل الجميع ، رودينسكو Roudinesco (١٩٨٦ ، ١٩٩٣) . وننصح المهتمين بمعرفة المزيد من المعلومات التفصيلية بالرجوع إلى تلك المصادر الثلاثة، وأيضا إلى فورستر Forrester (١٩٩٠ : الفصل السادس) ، وميلر Miller (١٩٨١) ، وتوركل Turkle (١٩٧٨) . ولمزيد من الكتابات السردية انظر Clément (١٩٨١) وشينيدرمان Schneiderman (١٩٨٣) .

١٩٠١: ميلاد جاك ماريه إميل لاكان فى ١٣ أبريل فى باريس ، وهو الطفل الأول لألفرد لاكان وإميلى بودرى .

١٩٠٣: ميلاد مادلين ، أخت لاكان (٢٥ ديسمبر) .

١٩٠٨: ميلاد مارك فرانسوا ، أخو لاكان (٢٥ ديسمبر) .

١٩١٠: يؤسس فرويد الرابطة الدولية للتحليل النفسى (IPA) .

١٩١٩: ينهى لاكان المرحلة الثانوية فى Collége Stanislas .

١٩٢١: يُسرَّح لاكان من الخدمة العسكرية بسبب بنيته الضعيفة . وفى السنوات التالية يدرس الطب فى باريس .

١٩٢٦: ظهور أول عمل مشترك للاكان فى Revue Neurologique . وتأسيس جمعية باريس للتحليل النفسى (SPP) .

١٩٢٧: يبدأ لاكان التدريب الإكلينيكى فى الطب النفسى .

١٩٢٨: يدرس لاكان تحت إشراف Gaëtan Gatian de Clérambaut بالمستشفى الملحق بمديرية الشرطة وكان مستشفى خاصا بالمرضى المختلين عقليا .

١٩٢٩: يرتبط أخو لاكان ، مارك فرانسوا ، بالبنديكتيين Benedictines [أتباع القديس بنديكت (٤٨٠-٥٥٠) ، ناسك عاش فى إيطاليا ، وأسس قاعدة رهبانية – المترجم] .

١٩٣٠: ينشر لاكان أول مقال بمفرده فى Annales Médico-Psychologiques .

١٩٣١: يتزايد اهتمام لاكان بالسريالية ويلتقى بسلفادور دالى .

١٩٣٢: ينشر لاكان أطروحة الدكتوراه (**عن ذهان البارانويا وعلاقته بالشخصية**) ويرسل نسخة إلى فرويد . ويعبِّر فرويد فى بطاقة بريدية عن امتنانه باستلامها .

١٩٣٣: ينشر لاكان مقالين فى المجلة السريالية Minotaure ويبدأ الكسندر كوجيف Alexander Kojeve محاضراته عن كتاب هيجل فينومينولوجيا الروح فى Ecole des Hautes Etudes . ويحضر لاكان هذه المحاضرات بانتظام فى السنوات التالية .

١٩٣٤: ينضم لاكان ، وكان خاضعا بالفعل للتحليل بواسطة رودلف لوينشتاين Rudolph Loenstein ، إلى جمعية باريس للتحليل النفسى كعضو مرشح . يتزوج من مارى لويس بلونديه فى يناير ، وقد أنجبت طفلتهما الأولى ، كارولين ، فى الشهر نفسه .

١٩٣٥: يتم تعيين مارك فرانسوا لاكان قسيسا .

١٩٣٦: يقدم لاكان بحثه عن مرحلة المرآة إلى المؤتمر الرابع عشر للرابطة الدولية للتحليل النفسى المنعقد فى Marienbad فى الثالث من أغسطس . يبدأ ممارسة التحليل النفسى .

١٩٣٨: يحصل لاكان على العضوية الكاملة فى جمعية باريس للتحليل النفسى ، وينشر مقاله عن الأسرة فى دائرة المعارف الفرنسية Encyclopédie Française . وبعد استيلاء هتلر على النمسا ، يغادر فرويد فيينا ليستقر فى لندن ؛ وفى الطريق إلى لندن يمر بباريس ، ويقرر لاكان ألا يحضر الاجتماع الصغير الذى عقد على شرف فرويد .

١٩٣٩: يولد ثيبو ، الطفل الثانى للاكان ومارى لويس ، فى أغسطس . فى الثالث والعشرين من سبتمبر يموت فرويد فى لندن عن ثلاثة وثمانين عاما . وبعد غزو هتلر لفرنسا يتوقف نشاط جمعية باريس للتحليل النفسى . وأثناء الحرب يعمل لاكان فى مستشفى عسكرى فى باريس .

١٩٤٠: ميلاد سيبل ، الطفل الثالث للاكان ومارى لويس ، فى أغسطس .

١٩٤١: تنجب سلفيا باتيه ، زوجة جورج باتيه ، الطفلة Judith . ومع أنها ابنة لاكان إلا أنها تحمل لقب باتيه لأن لاكان كان لا يزال زوجا لمارى لويس . تطلب مارى لويس الطلاق .

١٩٤٥: بعد تحرير فرنسا ، تستأنف جمعية باريس للتحليل النفسى اجتماعاتها من جديد . ويسافر لاكان إلى إنجلترا ويقضى خمسة أسابيع فى دراسة وضع الطب النفسى فى سنوات الحرب إعلان انفصاله رسميا عن مارى لويس .

١٩٤٧: ينشر لاكان تقريرا عن زيارته لإنجلترا .

١٩٤٩: يقدم لاكان بحثا آخر عن مرحلة المرآة إلى المؤتمر السادس عشر للرابطة الدولية للتحليل النفسى فى زيورخ فى السابع عشر من يوليو .

١٩٥١: يبدأ لاكان سيميناره الأسبوعى فى شقة سلفيا باتيه فى ٣ شارع *ليل* . وفى ذلك الوقت يصبح لاكان نائبا لرئيس جمعية باريس للتحليل النفسى . ونتيجة لممارسات لاكان فى الجلسات مختلفة المدة ، تطلب منه لجنة التعليم فى جمعية باريس للتحليل النفسى تنظيم ممارساته . ويعدُ لاكان بتنفيذ ذلك ، لكنه يستمر فى تغيير الوقت الذى تستغرقه الجلسات.

١٩٥٣: يتزوج لاكان من سلفيا باتيه ويصبح رئيس جمعية باريس للتحليل النفسى . وفى يونيو يستقيل دانيل لاجاش وجوليت فافز بوتنيه وفرانسوا دولتو من جمعية باريس للتحليل النفسى SPP ليؤسسوا الجمعية الفرنسية للتحليل النفسى SFP . وبعد ذلك مباشرة ، يستقيل لاكان من SPP وينضم إلى SFP . وفى الثامن من يوليو يفتتح لاكان لقاء تدشين SFP ، حيث يلقى محاضرة عن 'الرمزى والخيالى والواقعى' . تصله رسالة تخبره بتعليق عضويته فى الرابطة الدولية للتحليل النفسى IPA نتيجة استقالته من SPP وفى سبتمبر يحضر لاكان المؤتمر السادس عشر للمحللين النفسيين الناطقين باللغات اللاتينية فى روما ؛ كان البحث الذى كتبه لهذه المناسبة ('وظيفة الكلام واللغة ومجالهما فى *التحليل النفسى*') أطول من أن يُقرأ ومن ثم فقد

تم توزيعه على المشاركين بدلا من قراءته . وفى نوفمبر يبدأ لاكان أول سيمينار عام فى مستشفى سانت آن . ويصبح هذا السيمينار الذى يستمر على مدى سبعة وعشرين عاما ، يصبح على الفور المنبر الرئيسى لنشاط لاكان التعليمى .

١٩٥٤: ترفض الرابطة الدولية للتحليل النفسى الطلب الذى تقدمت به الجمعية الفرنسية للتحليل النفسى SFP بالانتساب إليها . ويصرح هانز هارتمان فى رسالة إلى دانيل لاجاش أن وجود لاكان فى SFP هو السبب الأساسى وراء هذا الرفض .

١٩٥٦: تجدد الجمعية الفرنسية طلب الانتساب للرابطة الدولية ، ويتم رفض الطلب مرة أخرى، ومرة أخرى يبدو أن لاكان كان يمثل نقطة الضعف الأساسية .

١٩٥٩: مرة أخرى تجدد الجمعية الفرنسية طلب الانتساب للرابطة الدولية . وفى هذه المرة تشكل الرابطة الدولية لجنةً لدراسة طلب الجمعية الفرنسية .

١٩٦١: تصل لجنة الرابطة الدولية إلى باريس لمقابلة أعضاء الجمعية الفرنسية وتكتب تقريرا . وعلى أساس هذا التقرير ، ترفض الرابطة الدولية الطلب الذى تقدمت به الجمعية الفرنسية بالانتساب إلى عضويتها ، وتقرر بدلا من ذلك أن دراسة وضع المجموعة يحتاج إلى مزيد من الفحص .

١٩٦٣: تواصل لجنة الرابطة الدولية عقد المزيد من اللقاءات مع أعضاء الجمعية الفرنسية وتكتب تقريرا آخر توصى فيه بالموافقة على انضمام الجمعية الفرنسية كعضو بشرط استبعاد لاكان ومحلِّلِيْن آخرين من قائمة المحللين الذين يقومون بالتدريب . ويشترط التقرير أيضا منع نشاط لاكان فى التدريب إلى الأبد ، ومنع المحللين الذين لازالوا تحت التمرين من حضور سيميناره . وفيما بعد سيصف لاكان هذا الاستبعاد بأنه نوع من 'الحرمان الكنسى excommunication'. ومن ثم يستقيل لاكان من الجمعية الفرنسية .

١٩٦٤: فى يناير ينقل لاكان سيميناره العام إلى Ecole Normale Supérieure . وفى يونيه يؤسس منظمته الخاصة Ecole Freudienne de Paris (EFP)

١٩٦٥: حل الجمعية الفرنسية للتحليل النفسى SFP .

١٩٦٦ : نشر مختارات من أبحاث لاكان بعنوان **كتابات** *Écrits* . ويقدم لاكان بحثا لمؤتمر فى جامعة جونز هوبكنز ، بلتيمور .

١٩٦٧ : يقترح لاكان أن تتبنى EFP إجراء جديدا يدعى ' the pass ' ، يمنح بواسطته شهادة للأعضاء فى نهاية تحليلهم .

١٩٦٨ : يعبر لاكان عن تعاطفه مع احتجاجات الطلبة فى مايو . يفتتح أتباع لاكان قسما لعلم النفس فى جامعة Vincennes (Paris VIII) ويفتتح أبوابه فى ديسمبر وسط استمرار مظاهرات الطلبة .

١٩٦٩ : ينتقل سيميناره العام إلى Faculté de Droit

١٩٧٣ : نشر نسخة من سيمينار لاكان لعام ١٩٦٤ (المفاهيم الأربعة الرئيسية فى التحليل النفسى *The Four Fundamental Concepts of Psychoanal-ysis*) وقد صدرت عن Éditions du Seuil وهى أول ما نشر من سيمينار لاكان .

١٩٧٥ : يقوم لاكان بزيارة للولايات المتحدة الأمريكية ويحاضر فى جامعة ييل Yale University ومعهد ماشوسيتز للتكنولوجيا Massachusetts Insti-tute of Technology ويقابل ناحوم تشومسكى .

١٩٨٠ : بعد مناقشات داخلية حادة فى EFP ، يحلها لاكان ، وينشئ بدلا منها Cause the Freudienne . ويحضر مؤتمرا دوليا للمحللين اللاكانيين فى Caracas .

١٩٨١ : حل the Cause Freudienne وحل مكانها the Ecole de la Cause Freudienne . وفاة لاكان فى باريس فى التاسع من سبتمبر عن ثمانين عاما .

الفصل الأول

بدلا من المقدمة

جون فورستر

العنوان الأصلى :

In place of an introduction : *The Seminar of Jacques Lacan. Books I and II*

وهو الفصل السادس من :

Johan Forrester: *The Seductions of Psychoanalysis*, Freud, Lacan and Derrida; Cambridge University Press ; 1990

المتن من ص ١٠٢ إلى ص ١٤٠ ، الهوامش من ص ٣٣٤ إلى ص ٣٤٠

I

فى ١٦ يونيو من عام ١٩٥٣ ، انسحبت مجموعة من المحللين والمحللين الذين كانوا لايزالون تحت التمرين من جمعية باريس للتحليل النفسى Société Psychanalytique de Paris (SPP) بعد خلاف حول قضيتين أساسيتين . تتعلق القضية الأولى بإنشاء معهد جديد للتحليل النفسى وبنظامه ، وهو معهد كان يعد لتمرين المحللين ، وقد صار حقيقة واقعية بعد سنوات من الجهود التى بذلتها الجمعية . وتتعلق القضية الثانية ببعض الشكاوى من الممارسات الفاشية للجمعية ومن بنية الجمعية. وتفاقمت الأمور حين استلم جاك لاكان-وكان آنذاك رئيس الجمعية ، مع أنه كان عضوا فى الحزب المعادى للفاشية - اقتراعا بسحب الثقة واضطر إلى الاستقالة . ثم دعى للانضمام إلى الانفصاليين الذين أنشئوا فى الحال جمعية جديدة : الجمعية الفرنسية للتحليل النفسى Société Française de Psychanalyse (SFP) . واستهلت الجمعية أعمالها فى الثامن عشر من يوليو عام ١٩٥٣ بمحاضرة للاكان ، كان عنوانها «الرمزى والخيالى والواقعى» . وفى سبتمبر من العام نفسه ، عقدت الجمعية (SFP) مؤتمرا فى روما قدم فيه لاكان بحثا بعنوان « تقرير (أو خطاب) روما Rapport (or Discours) de Rome » وقد نشر بعد ذلك تحت عنوان 'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما فى التحليل النفسى' فى العدد الأول من مجلة **التحليل النفسى** التى أصدرتها الجمعية . وصار بحثه بمثابة المنفستو الفكرى والإلهام العملى لعدد كبير من أعضاء الجمعية الجديدة وكان أحد العوامل المؤثرة فى خلق مناخ من النشاط والتضامن الأخوى والزهو بالعمل المشترك الذى ميز الجمعية منذ نشأتها .

وفى نوفمبر ١٩٥٣ بدأ التعليم فى الجمعية الجديدة واتخذ ثلاثة أشكال مختلفة : أولا ، ألقت جوليت بوتونى Juliette Favez-Boutonier عددا من المحاضرات فى الفصل الدراسى الأول عن 'عناصر النظرية التحليلية' ، وألقى دانيل لاجاش Daniel Lagache مجموعة من المحاضرات فى الفصل الدراسى الثانى عن 'مبادئ الشفاء التحليلى ونظرياته' : ثانيا ، أشرف جاك لاكان فى أيام الجمعة على «الفحص

الإكلينيكى للمرضى» ؛ ثالثا ، أشرف جاك لاكان على **سيمينار النصوص** Séminaire de textes فى أيام الأربعاء . وهو السيمينار المقصود حين يشار إلى "**سيمينار جاك لاكان**" . ودار موضوع **سيمينار النصوص** فى ١٩٥٣ - ١٩٥٤ حول «تقنية التحليل النفسى» . وقد طبعت النسخة الأولى من هذا السيمينار فى فرنسا فى عام ١٩٧٥ ، وقام بإعداد النص جاك ألن ميلر بتوجيه وإرشاد من لاكان . وكان إعداده جزءا من رهان بين ميلر ولاكان ، وكان الأخير يعتقد أن إعداد نسخةٍ على نحو ملائم أمرٌ مستحيل .

وكان لاكان قبل ذلك يقوم بتدريس نظرية التحليل النفسى والتعليق على عدد من النصوص فى جمعية باريس للتحليل النفسى (SPP) لعدة سنوات . وكان فى أوائل الخمسينيات قد اكتسب شهرة كشخص له وضعه النظرى المميز ، وآراؤه المهمة عن التقنية ، وميله إلى التدريس . وقد رسخت شهرة سيميناره الأسبوعى رسوخا تاما فى الدوائر التحليلية .[١] وفى الواقع ، كانت آراؤه عن تدريس التحليل - الإشراف على الحالات ، والأسلوب البيوجرافى للمقررات النظرية ومحتواها-من مصادر الصراع مع ساشا نشت Sacha Nacht وكانت صديقته الحميمة ذات يوم، وهو صراع وسم تأسيس المعهد . ولكن لاكان كان معلِّما مشهورا قبل ذلك ، حين كان يحاضر فى السوربون فى الثلاثينيات فى قاعات مكتظة بالجمهور .[٢] ويمكن معرفة الأهمية التى كان يُعلِّقها على التدريس من رسالة طويلةٍ كتبها إلى محلِّله السابق رودلف لوينشتاين Rudolph Loewenstein ، بعد أسابيع قليلة من الانفصال :[٣]

أعترف ، فى هذه الرسالة ، أننى كنت أتصل بك لتخفف عنى بعض ما كان يمثل كابوسا بالنسبة لى ، لم أكن فى الحقيقة أستطيع أن أتحمل تلك الشهور القليلة إلا بمواصلة سيمينار النصوص والإشراف عليه ، بدون توقف ، مع المشاعر المروِّعة التى كانت تعتمل فى نفسى ، أو ، على ما أعتقد ، بدون إلهامه أو طبيعته المتأرجحة على أية حال . على العكس ، كان لهذا العام خصوبة خاصة ، وأظن أننى حققت تقدما حقيقيا فى نظرية عصاب الوسواس القهرى وفى تقنياته الخاصة . نعم ، لقد عشتُ بفضل الجهد الذى بذلته أحيانا فى حالة من اليأس الحقيقى .

II

ولد جاك لاكان فى باريس فى ١٣ إبريل من عام ١٩٠١ ، لأم تدعى إميلى بودرى Emilée Baudry وأب يدعى ألفـرد لاكـان Alfred Lacan .[٤] تعلم على أيدى اليسوعيين ، وتدرّب كطبيب ثم كطبيب نفسيٍّ . وقدّم أولى رسائله العلمية فى عام ١٩٢٦ ، ثم قدم أطروحة الدكتوراه (١٩٣٢) عن ذهان البارانويا وعلاقته بالشخصية . وكان معلماه الأكاديميان فى الطب النفسى - إن كان لابد للمرء من معلمين - هما هنرى كلود Henri Claude وجيتان دى كليرامبو Gaëtan Gation de Cléram-bault . كان الأول ذرائعياً يسمح للأطباء النفسيين الفرنسيين الذين اهتموا فى البداية بفرويد بحرية اختيار أفكار جديدة واستخدامها فى وقت كانت «النزعة الجنسية الشاملة pansexualism ، تلك النزعة 'الألمانية' تقابل من معظم المتخصصين فى الطب باستجابة شيفونية تحمل عداء أخلاقيا . واشتهر الثانى بابتكار تصنيف «التلقائية الذهنية» وبخبرته اللسانية ومعرفته الموسوعية بتاريخ الملابس .

ومهما يكنْ فقد استقلَّ لاكان عن معلمَيْه وارتبط بجماعة **تطور الطب النفسى** *L'Evolution Psychiatrique* التى جلبتْ إلى فرنسا الأفكار الفرويدية وانفتحتْ أيضا على المقاربة «الوظيفية» للتطوريين الإنجليز (جون هولنجز جاكسون John Hughlings Jackson وهنرى هدْ Henry Head) كما انفتحت على المدرسة الظواهرية التى تطورت فى زيورخ وألمانيا فى العشرينيات وصارت فى طليعة الطب النفسى فى الثلاثينيات (كارل ياسبرز ، وبوجين مينكوفسكى Eugen Minkowski ، ولوديج بنسفانجر Ludwig Binswanger) .

ومنذ البداية ، كان لاكان عضواً فى الدوائر السريالية التى التفّتْ حول أندريه بريتون ، كان يكتب الشعر ، ويدعو الأصدقاء إلى عنابر مستشفى سانت آن Sainte - Anne ، حيث زخرفوا الحوائط ومارسوا بعض التجارب فى الكتابة التلقائية . ومع أنه كتب مقطوعتين للمجلة السريالية Le Minotaure فى عام ١٩٣٣ - كانت إحداهما عن البارانويا وقد ظهرت فى انسجام تام مع إحدى لوحات سلفادور دالى إلا أن من الواضح أنه قطع روابطه بتلك الجماعات .

فى عام ١٩٣٦ قدم لاكان النسخة الأولى من بحثه عن مرحلة المرآة فى المؤتمر الدولى للتحليل النفسى الذى عقد فى مارينباد Marienbad .[٥] ويعطى مقالٌ كتبه **لدائرة المعارف الفرنسية** *Encyclopédie française* فى عام ١٩٣٨ بعنوان "الأسرة La Famille" وبحثٌ كتبه فى عام ١٩٦٣ بعنوان «وراء مبدأ الواقع» (نشر ضمن **كتابات** فى عام ١٩٦٦) ، فكرة عن كثافة التصورية التى كان قد أتقنها حول مفهوم مرحلة المرآة : إن دراما الطفل أمام المرآة تجمع بين العناصر الأساسية فى مفهوم فرويد عن النرجسية وصراع الموت بين السيد والعبد فى الجدل الهيجلى– وهى موضوعات تبقى بارزة فى معالجة **السيمينار الأول** لمرحلة المرآة . وفى هذه المقالات التى كتبها فى الثلاثينيات : ولاء فريد لفرويد ؛ ارتياب لا يلين بكل الأشكال الفكرية الشائعة فى عصره (بما فى ذلك الأفكار «الإنسانية» الجديدة المرتبطة بالظواهرية ؛ وقد قارنها مبكرا فى عام ١٩٣٣ ، فى مراجعة لكتاب كلاسيكى من تأليف مينكوفسكى عن باثولوجيا العصر ، بفلسفة هايدجر الأكثر دقة وتخصصا) ؛ وربما أهم من هذا كله ، النزعة الهيجلية الجديدة التى استوعبها من المحاضرات التى ألقاها الكسندر كوجييف بين عامى ١٩٣٣ و ١٩٣٩ . وفى الحقيقة ، إن من يبحث عن مقدمة للعالم الفلسفى الذى عاش فيه لاكان فلن يجد أفضل من قراءة 'بدلا من المقدمة' فى بداية كتاب الكسندر كوجييف **مدخل لقراءة هيجل** (١٩٤٧) .

ومع نهاية الحرب ، قام لاكان برحلة إلى إنجلترا بحثا عن مناخ أخلاقى اكتسب قوته من حرب انقضَتْ فى الدفاع والكفاح وليس فى الاستسلام والخداع : كان إحساسه بالحرية كبيرا خارج فرنسا وتواصل هذا الإحساس فى الحماس الذى قابل به العمل التحليلى للجماعتين اللتين أنشأهما ويلفرد بيون Wilfred Bion وجون ركمان John Rickman .[٦] وكان لاكان يرى ، فى وقت ما ، أن جماعة بيون تمثل الطريق الصحيح لمستقبل التحليل النفسى . وربما كان وراء هذا التقارب أفكار لاكان الجديدة التى عبر عنها فى بحثين كتبهما فى عام ١٩٤٥ (قطع بهما سبع سنوات من الصمت الذى فرضه على نفسه) ، وكان أحدهما عن منطق الجماعات ووظيفة الزمن ، والآخر عن منطق الارتياب والبارانويا .[٧] ومن المؤكد أن النتائج العملية للبحث الأول

كانت بالغة الأهمية حيث بدأ لاكان ، نتيجة لمنطق مناقشته لطبيعة علاقة الزمن بالفعل والتردد ، يعدل فى الزمن الذى تستغرقه جلساته التحليلية. وكان هذا التعديل فى الوقت الذى يدفع المريض مقابلا له أساس النقد المستمر والمدمر لممارساته ، بداية من عام ١٩٥٢ (حين وافق على أن يتوقف الأعضاء الآخرين فى جمعية باريس للتحليل النفسى (SPP) عن تطبيق تجاربه فى جلسات مختلفة الطول) ، واستمر الوضع على ما كان عليه فى الستينيات حين اتُّهِم لاكان بعدم التكيف مع **شفرة الممارسة** الجديدة التى قدمتها الرابطة الدولية للتحليل النفسى (I PA) ، وتضمن للمريض أن يكون الوقت الذى تستغرقه الجلسة ثابتا . وفى السنوات التالية ، بقى الاختلاف فى طول زمن الجلسة ومازال السمة المميزة للتحليل اللاكانى . وكانت هذه القضية الواضحة والمعلنة وراء قرار 'عزل' لاكان من الرابطة الدولية للتحليل النفسى فى عام ١٩٦٣ .(٨)

اتخذ نقادُ لاكان ، فى الرابطة الدولية للتحليل النفسى ، من ممارسته الإكلينيكية علامةً لقياس كفاءته **كمدرب** فى مجال التحليل (لم يتساءل أحد مطلقا عن حقه فى أن يكون محللا) . وكانوا أكثر حذراً أمام كتاباته ، لدرجة اللامبالاة ، وربما كان علينا أن نقول لدرجة التجاهل التام .

كان سيمينار لاكان الأسبوعى سرَّ شهرته . وبحلول منتصف الخمسينيات كانت نسخة لاكان عن التحليل النفسى هى النسخة التى يعتدُّ بها فى فرنسا ، كما يتضح ذلك من كتابات ميشيل فوكو (٩) وبول ريكور .(١٠) ولم يكن السيمينار مجرد البؤرة الأساسية لدارسى التحليل والمحللين الشباب فى الجمعية الفرنسية للتحليل النفسى SFP ، ولكنه أصبح مركز الجاذبية لعدد من المفكرين من ذوى الاهتمامات المختلفة —من بينهم لويس ألتوسير Louis Althusser ، وفيليب سولير Philippe Sollers وجوليا كرستيفا Julia Kristeva . وفى عام ١٩٦٣ اضطر لاكان تحت ضغط الأزمة المتعلقة بوضعه فى الجمعية الفرنسية للتحليل النفسى إلى وقف نشاط السيمينار فى مستشفى سانت آن ، ولكنه بدأ نشاطه بعد شهرين فى إيكول نورمال Ecole Normale ، أمام خمسمائة مستمع . وبحلول منتصف الستينيات كان السيمينار يعقد فى كلية الحقوق أمام ما يربو على ألف شخص . وصارت الزيارة المنتظمة لسيمينار لاكان جزءا أساسيا من **الحياة العامة** *vie mondaine* فى باريس .

ومهما يكن فقد تحركت مبادئ لاكان أمام أتباعه دائما ، ليس لمجرد أن تسبق كلاب ديانا ، كما صورها ،[١١] ولكن نتيجة التذبذب الجدلي فى أفكاره ، أيضا . كان لاكان معلما فى المقام الأول ثم يأتى بعد ذلك دوره كمنظر . وإذا كان ينزع إلى التلميح نزوعا ذاتيا حين تأتى الفرصة مباشرة فى الجلسة الأسبوعية حيث كانت ترد بدون إعداد ، فقد مارس هذا التلميح أضعافا مضاعفة فى كتاباته . انبثقتْ كل هذه الكتابات تقريبا عن جلسات السيمينار ، وعن المحاضرات التى كان يدعى لإلقائها ، وعن المؤتمرات ، ولكنها كانت تُنقَّح بعد ذلك وتُكثَّف تكثيفا شديدا أثناء الكتابة ، وتتضاعف الإشارات ويزداد التعقيد التركيبى والغموض . كان لاكان سيد الحوار-وقد صرح بأنه الإنجاز الجوهرى للمحلل . إنه ، كمحاور بارع ، لم يستعد خطواته إطلاقا ليكرر نفسه ، مثلما يشعر المدرس بالاضطرار إلى ذلك ، ولكنه كان يستعيد خطواته ليرى طريقه بصورة أوضح . إن لاكان المدون فى السيمينار أقرب ما يكون إلى ساحر الكلمة التى وجد فرويد نفسه يضعها ،[١٢] وتبرزه الكتابات اللاكانية أحيانا باعتباره قبلانيا cabalist [القبلانية cabala: فلسفة دينية سرية ، عند أحبار اليهود وبعض نصارى العصر الوسيط ، مبنية على تفسير الكتاب المقدس تفسيرا صوفيا - المترجم ، عن المورد] وخيميائيا alchemist [الخيميائى أو المشتغل بالكيمياء القديمة التى كانت غايتها تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب - المترجم].

يشير لاكان بكثرة إلى المحاضرات التى افترض فرويد أنه يجب تدريسها فى أى معهد لتدريب المحللين النفسيين فى المستقبل : دروس فى تاريخ الأدب وفقه اللغة وتاريخ الأديان والميثولوجيا .[١٣] وقد وضع لاكان مفهوم فرويد للتدريب التحليلى ، المضاد للطب على نحو صريح ، فى مواجهة التأكيدات النشتية Nachtian [نسبة إلى ساشا نشت ، وقد ورد ذكرها فى الصفحات السابقة - المترجم] السائدة فى عصره ، فى العبارة التى يصدر بها تقرير روما : 'بيولوجيا أعصاب الإنسان' ، وهو المفهوم الذى تأسس عليه المعهد الفرنسى الجديد فى عام ١٩٥٣ وفجر الانقسام فى جمعية باريس للتحليل النفسى (SPP). وقد سعى سيمينار لاكان ، إضافة إلى تأثيره على برامج التدريب فى الجمعية الفرنسية للتحليل النفسى (SFP)، إلى وضع هذا المفهوم

الفرويدى موضع التنفيذ . ومن ثم ، وُجِّهت الدعواتُ إلى ضيوف من بينهم أشهر الفلاسفة والأنثروبولوجيين واللسانين الفرنسيين من خارج الجمعية للحديث فى الموضوع العام 'التحليل النفسى والعلوم الإنسانية' وقد ضم **السيمينار الثانى** هذه الأحاديث التى دارت فى ١٩٥٤ – ١٩٥٥ . والتزم لاكان فى السيمينار بالإبقاء على التحليل النفسى مفتوحا أمام التأثيرات الجديدة وتحديات المفاهيم ، سواء كان مصدرها العلوم الدقيقة exact sciences، أو الفلسفة ، أو التراث الثقافى المتميز من كتابات الشعراء أو الأخلاقيين أو الصوفية . وهنا يكمن السر فى تفرد لاكان كمحلل : كان أول محلل منذ فرويد يحشد مصادر الثقافة كلها لإنارة بيته التحليلى .

إن أى مطلع على لاكان يدرك السرعة التى كان يغير بها نظرياته . جاء السيمينار فى السبعينيات مختلفا تمام الاختلاف عما كان عليه السيمينار فى الستينيات وأكثر بعدا عن لغة السيمينار فى الخمسينيات . إلا أن كل سيمينار يتكون من مجموعة من الموضوعات يعود إليها لاكان على مدار السنين . ولم يتغير الإطار الأساسى للسيمينار . أولا ، كانت نصوص فرويد أو مفاهيمه الموضوع الحقيقى لاهتمام الجماعة – مع أن المقاربة كانت تتم باستمرار من زاوية غير متوقعة (وهكذا يتم فى **السيمينار الأول** شرح الأسئلة المتعلقة بالتقنية كجزء من تعليق مسهب على نظرية النرجسية ؛ ويتم فى **السيمينار الثانى** تناول مسألة الأنا بقراءة **المشروع** [مشروع سيكولوجيا علمية – المترجم] و **وراء مبدأ اللذة لفرويد**) . ثانيا ، نجد أن مستوى الإبانة قد تحقق بإيضاحات لاكان النظرية إذا قيس هذا المستوى بمدى انجذاب الدارسين والحواريين إلى دروسه (هكذا لا يسلِّم لاكان فى **السيمينار الأول** بصحة مرحلة المرآة إلا ليتمكن من انتقاد الإفراط فى استخدامها خاصة على أيدى الدارسين الذين فتنتهم دروسه ؛ ورسخ فى **السيمينار الثانى** جدل الأنا والآخر رسوخا يكفى لتقديم الجدل الجديد عن الذات و**الآخر** *Other*) . أخيرا ، رجع لاكان باستمرار إلى مجموعة ثابتة نسبيا من نقاط التثليث أو المسائل الثقافية والتصورية دائمة العطاء : الذات الديكارتية ومنهج الشك ؛ أهمية الحقيقة والكذب والخداع بالنسبة للمحلل ؛ التأثير الضار للفكرة التحليلية المثالية عن 'أنا قوية' ؛ علاقة التحليل النفسى بالتراث

الفلسفى ، سواء أكان كلاسيكيا (الفلسفة القديمة وفلسفة القرن الثامن عشر) ، أم أخلاقيا (لا روشفوكو La Rochefoucaul بلتزار جرسيان Baltasar Gracián وفردريك نيتشه) ، أم منطقيا (راسل وفيتجشتاين Wittgenstein وتارسكى Tarski؛ بالإضافة إلى عدد آخر من النقاط المرجعية الثابتة . ويحتوى كل سيمينار ، بالطبع ، على دليل أمام أسماعنا ، إذا جاز التعبير ، عن قوة اللغة : تأثيرها على كلام المحلل ، وعلى التباس الرمز وتألقه الباهر ، وعلى منطق الحوار .

وكان "تقرير روما" بداية كتابات لاكان التى وضعت اللغة والكلام فى مركز اهتمامات المحلل النفسى ؛ وكان نثره الرائع احتفاء بهذا التوجه الجديد .[١٤] وثمة مقولتان ، أو صيغتان ، يقدمان فهما واضحا لمشروع لاكان : 'يبنى اللاشعورى كلغة' ؛ 'اللاشعورى خطاب الآخر'. ويمكن تمييز عدد من المستويات المختلفة فى هذا المشروع . المستوى الأول ، الكلام مادة العمل فى التحليل النفسى : الكلام هو ما يتيح صياغة مفاهيم العمليات التى اكتشفها فرويد فى الحلم وزلات اللسان والنكات . وبحلول عام ١٩٥٥ ، كان لاكان قد برهن ، مقتفيا خطوات ياكبسون ، على أن التكثيف والإزاحة عند فرويد بديلان لعمليتى الاستعارة والكناية وهما عمليتان مؤثرتان فى اللغة .

المستوى الثانى ، يدلُّ اكتشاف فرويد لرمزية الأعراض ('رموز تتعلق بالذاكرة') ، **وتمثيلها** لأفكار وذكريات مكبوتة ، على أن الأعراض (ومن ثم ، اللاشعورى) تبنى لغويا . ويوجد مفتاح معناها ، كما يوافق المحللون جميعا ، فى عملية الإحالة transference وهى عملية يُترجِم فيها خطابُ المريض ببطء الأعراضَ والخوافاتِ وأنماطَ السلوك وسمات الشخصية، يترجمها إلى كلام يوجه إلى المحلِّل ويورطه . وهكذا ينظر إلى المحلل بوصفه الشاهد على بوح المريض أو بوصفه الآخر الذى استُحضِر إلى الوجود بواسطة اللغة . إن ما يقوله المحلِّل فى الرد ، بقدر ما يكون اكتشافا موفقا أو غير متوقع ويكون له **تأثير** على المحلِّل ويستحوذ عليه (يجلب الضحك أو الدموع ، يجافى أو يواسى) ، يمثل معنى اللاشعورى : اللاشعورى هو خطاب الآخر.

أكد لاكان ، باستخدام نظرية لغوية انبثقتْ جزئيا من أعمال هيجل[١٥] وهايدجر ، بالإضافة إلى بنيوية فرديناند دى سوسير و رومان ياكبسون و كلود ليفى

شتراوس ، على بنية العناصر اللغوية التى تحدد المادة التى يقدمها المرضى للتحليل . ويجب رؤية التفسير والتحليل فى تأثيرهما المتزامن فى العناصر اللغوية التى تميز كل مريض – وبتعبير آخر ، فى العناصر اللغوية التى تُفقَد وتُشوَّه وتُبدَّل فى عملية بناء الأعراض من ناحية ، وذاتية المريض كمتحدث من الناحية الأخرى .

ومهما يكن الأمر فقد شكك لاكان فى توازى نسقى الدال والمدلول اللذين يكونان اللغة فى رأى سوسير . وأكد ، بدلا من ذلك ، على أسبقية الدال فى تحديد المعنى (قد يؤدى اللعب بالكلمات إلى بناء عرض محتمل ؛ مثلا ، يتم التعبير عن بغض رتمان Ratman لرجل أمريكى فى سلوك قهرى يهدف إلى إنقاص الوزن بالمعادلة : دك Dick (اسم الرجل) = دك dick (بدين بالألمانية) . ومع أنه ركز على السمات الأساسية للنسق اللغوى ، إلا أن تأكيده عليها كان أقل من تأكيده على العلاقة **الديناميكية** بين الذات والكلام الصادر عنها . وقد ميز بداية من نظريته عن مرحلة المرآة ومفهوم الخيالى الملازم لها ، ميز بين **الأنا** (وحدة بناء خيالية) **والذات** ، التى ترتبط بعلاقة معقدة مع الأنا و الآخر other (النظير الخيالى للأنا) **والآخر** Other : **مبدأ** الآخرية otherness الذى يفترضه سلفا أىٌّ نشاط كلامى . وهذه الأخيرة ، أى كلمة "**الآخر** الكبيرة" ، تحمل الشفرة اللغوية وتكفل المعنى ، وهى الطرف الثالث فى أية علاقة ثنائية : سواء أكانت تحليلا أم عشقا . وهذا **الآخر** يكفل كلام الذات ، حتى لو كان الكلام يهدف أساسا إلى الكذب على الآخر . إلا أنه يشوه ويبدل فى بنيـة فنتازية ، تسود فيها الأنا وعلاقتها (الفنتازية) بموضوعاتها . ومن ثم تكون علاقة الذات **بالآخر** هى خط اللاشعورى الرئيسى الذى يسعى التحليل إلى تنقية الطريق أمامه . إلا أننا نلاحظ أن مفهوم الآخر لا يُذكَر ، صراحة على الأقل ، فى **السيمينار الأول** ، ولم يظهر إلا فى **السيمينار الثانى** .

مضى تطور هذه النظريات خطوة خطوة مع 'عودة' لاكان ، العودة الشهيرة "إلى فرويد". كان المحللون جميعا يقرءون فرويد ويناقشونه ويستشهدون به ، إلا أن لاكان أضفى على هذه القراءة خاصية جديدة تماما .[١٦] وبينما كان عدد كبير من المحللين ، خاصة الذين تدربوا فى بريطانيا وأمريكا ، يستشهدون بفرويد وكأنه سلطة علمية

توصلت إلى نتائج علينا أن نبنى عليها مستوى آخر من النظريات ، أو مستوى آخر من الحقائق الدقيقة ، اقتنع لاكان بأن التحليل النفسى لا يمكن أن يبتدع من جديد ، كلما عقد المحلِّل والمحلَّل اتفاقيةً بينهما ، إلا بتكرار **الأعمال** الافتتاحية المدونة فى كتابات فرويد وإعادة فحصها . إن قراءة فرويد تتوقف على نظرية العلاقة التحليلية ، أى على التحليل النفسى ؛ إنها لا تماثل قراءة الطبيعة . وبدلا من قراءة فرويد بطريقة العالِم بيَّن لاكان الطريقة التى على المحلل النفسى أن يقرأ بها فرويد ، إنها الطريقة التى يقرأ بها الناقد الأدبى شكسبير أو يقرأ الفيلسوف بها أفلاطون . لا يمكن اقتلاع جملة من سياقها ؛ إنها تكتسب المعنى من السياق . لا يمكن قراءة بحث بدون التحقق من المشكلة التصورية الأكثر شمولا، أو من الصعوبة العملية ، التى يمثل إجابة لها . وكان يسأل دائما : ما تأثير التحليل النفسى فى هذا النص ؟ ومن ثم يتضح ، بتضفير نظريات لاكان الخاصة فى كل خطوة مع قراءات فرويد، كيف كان لاكان يقدم الجديد فى مسائل موجودة فى أعمال فرويد مقتفيا الطريق التى سبق أن وطأها فرويد . وهكذا ، ترتبط مرحلة المرآة ارتباطا وثيقا بمفهوم النرجسية عند فرويد وبمفهوم أن الأنا والحب كليهما نرجسيان بصورة أساسية . أو ، لنأخذ مثالا آخر لهذا التضفير ، لقد أكد لاكان على مفهوم *Nachträglichkeit* (الفعل المؤجل) ، والعلة الاسترجاعية الحقيقية للاشعورى ، والنتيجة الأساسية لمجموعة الدوال التى تصنعه . ويقرأ ، بالمثل ، ما كتبه فرويد عن أصل المجتمع والقانون فى **الطوطم والتابو** كأسطورة تؤكد على الوظيفة الجوهرية للأب فى تكوين ذات الإنسان . وبالمقارنة مع أصحاب النظريات التحليلية الحديثة التى تؤكد على المرحلة التى تسبق بروز علاقة الأم بالطفل (قبل الأوديبية ، قبل الجنسية) ، يؤكد لاكان على مركزية تاريخ العقدة الأوديبية الثلاثية بالنسبة للذات ، حيث تكون وظيفة الأب جوهرية وأسطورية : جوهرية حيث أن الأب يمثل القانون ، قانون اللغة (الخالى من المعنى) فى المقام الأخير ، ويقدم المصطلح الثالث أو الوظيفة الوسيطة التى تتيح للطفل العثور على مكان فى النظام الرمزى (اللغة) والهروب من الزقاق المسدود ، زقاق الافتتان بصورة مرحلة المرآة (الآخر) ، التى تدرك فى الفنتازيا كافتتانٍ بالأم ؛ وأسطورية ، لأن وظيفة الأب مجازية تماما-إنه ليس أبا حقيقيا (من

لحم ودم) أو أبا خياليا (مع أن هذه الصورة الأخيرة تتشكل فى الفنتازيا على هيئة قوة عقابية مثالية) ولكنه **اسم الأب** Name of the Father ، مع اسمه يتحدد مكان الطفل فى العالم الاجتماعى ، ويتاح له أن يصبح كائنا له جنس عبر الوظيفة القضيبية (أى علامة الاختلاف الجنسى) التى يشير إليها اسم الأب .

وهكذا تكون كتابات لاكان عن دخول الطفل إلى **الرمزى** بواسطة الوظيفة الأسطورية للأب نسخة منقحة عن عقدة أوديب فى كتابات فرويد . إن عقدة أوديب تبين كيف يصبح للأطفال جنسٌ (عبر عدد من الاستجابات للحرمان من القضيب) وكيف يصبحون بشرا (بالهروب من أمٍّ مرحلة المرآة ، التى يجعل عدم اكتمالها إحساس الطفل بالنقص إحساسا فظيعا ، إلى **الرمزى** ، حيث يكتسب النقص بعدا رمزيا عبر تولد الرغبة) .ويواصل لاكان بثلاثية المفاهيم التى تناسب كل مجال (الحاجة / الواقعى ، الاحتياج / الخيالى ، الرغبة / الرمزى) ، الثلاثية التى تناولها بالتفصيل فى السيمينار فى أواخر الخمسينيات ، يواصل نقده لتلك النسخ بين نظرية التحليل النفسى التى تساوى بين مفهوم فرويد للدوافع والحاجة المحددة بيولوجيا ، مبرهنا على أن الواقع الحقيقى للفعل التحليلى هو عالم الرغبة ، الذى تخلقه اللغة محولة الحاجة إلى رغبة فى الاستجابة لاحتياجات الآخر (الأم) (m) other[١٧] للحب . إن الرغبة ، مثلما هو الحال بالنسبة للدافع الفرويدى ، لا يتم إشباعها أبدا ، وتتواجد دائما ، ويتم استبدالها وتحويلها باستمرار . إلا أن لاكان يعارض من ينكرون نظرية الدافع عند فرويد باسم (علاقات الموضوع) (مريورى بريرلى Marjorie Brierley ورونالد فيربرن Ronald Fairbrain والمدرسة البريطانية) كما يعارض من يقولون بتماثل الدافع والحاجة . وقد برهن لاكان فى الواقع على أن منظِّرى علاقات الموضوع أنكروا غالبا ما أطلقوا عليه نظرية الدافع لأنهم **افترضوا** بتهور أنها ساوت بين الدافع والحاجة . وكانت قراءات لاكان لفرويد تصويبا لهذه الفرضيات الفجة التى تفتقر إلى تفسير . ويحتوى **السيمينار الأول والسيمينار الثانى** على معظم المناقشات التى تتناول هذا النقد المزدوج ، حيث قتل لاكان أبحاث هؤلاء وغيرهم من المنظرين التحليليين بحثا ليبرهن على أن نظرياتهم وممارستهم تؤدى إلى دروب مسدودة .

وبعد ذلك وابتداء من منتصف الستينيات ، ركزت نظريات لاكان على العلاقات بين الدال والذات **والآخر** و"**الموضوع الصغير** أ *objet petit a* " ، وهو مفهوم ارتبط بالآخر فى مرحلة المرآة من ناحية ، وارتبط ، من الناحية الأخرى ، بالموضوعات المفضلة فى الدوافع الفرويدية : الثدى ، البراز ، البول ، القضيب - وأضاف لاكان إليها الصوت والتحديق) . وانصبَّ اهتمامه على تحديد الخواص الأساسية فى الخطاب التحليلى - امتدادا لتأكيده على الكلام كوسطٍ تحليلى فريد فى تأثيره . وتزايد توغل الجانب اللغوى من تدريسه فى لغة الرياضيات ، بما فى ذلك تعريف خواص "الفضاءات" المتنوعة التى تفترضها نظرية التحليل النفسى (على سبيل المثال ، الخارج/الداخل ؛ الشعورى/اللاشعورى) : لكن السلاسل الدالة على الرغبات والاحتياجات لا ترتبط معا بواسطة الذات فى فضاء اللاشعورى فقط ، المميز عن الشعور والمتصل به (ومن ثم يمثل تمثيلا جيدا بسلسلة موبيوس Mobius strip) [شكل ثلاثى الأبعاد يمكن تكوينه من ورقة مستطيلة بعد طيها وتوصيل طرفيها - المترجم]، ولكنها ترتبط أيضا فى عقدة بروميو [Borromean knot: نسبة إلى عائلة بروميو ؛ مجموعة من ثلاثة دوائر مرتبطة مع بعضها بحيث تنفصل إذا قطعت أى منها - المترجم] وقد عزز الارتباط الوثيق بالرياضيات (دراسة الرموز ونظرية الأرقام) والفلسفة (نظرية المعرفة والمنطق) هجومه على "السيكولوجزم psychologism" [نظرية تستخدم المفاهيم السيكولوجية لتفسير الأحداث التاريخية - المترجم] .

وفى هذه المرحلة أصبح تفكير لاكان أكثر عرضة للترديد الببغاوى والمحاكاة الساخرة ، كما يتضح فى الكثير من كتابات تابعيه . وافترض ، مع تكاثر الخطابات اللاكانية داخل المدرسة الفرويدية Ecole Freudinne فى باريس (أسسها لاكان فى عام ١٩٦٤ ، حين تمزقت أوصال الجمعية الفرنسية للتحليل النفسى (SFP) فى محاولة للتوفيق بينه وبين الرابطة الدولية للتحليل النفسى (IPA) خارجها ، افترض نظرية من أربعة خطابات ، وهى نظرية غامرت بتوضيح الطريقة التى نشأت بها المحاكاة الساخرة والترديد الببغاوى ؛ وصارت خطابات الهستيرى ، وخطاب السيد مملة وسخيفة فى **الخطاب الأكاديمى** *discours universitaire* . وفى النهاية ، فى أواخر

السبعينيات وأوائل الثمانينيات ، ما عاد أحد يعرف بأى خطاب تحدث جاك لاكان نفسه : وكما قال أحيانا ، كان يقوم بالتحليل فى سيميناره وكان جمهوره محللين له .
وبعد الانهيار النهائى للمدرسة الفرويدية بتسعة عشر شهرا كتب رسالة إلى لوموند Le Monde افتتحها بالكلمات الآتية : 'أنا ، جاك لاكان ، وحيد كما كنت دائما...) ، ومات فى ٩ سبتمبر عام ١٩٨١ .

III

جاك لاكان
والتحليل فى اللغة الإنجليزية

يتطلب الأمر التعليق على علاقة لاكان بالتحليل فى اللغة الإنجليزية . ومن الشائع حتى الآن فى المناقشات التى تدور حول لاكان ألا يذكر اسمه إلا ليُرفَض بوصفه مهووسا ومشعوذا . وإذا وضعنا الاقتناع بهذه الفرضية فى الاعتبار ، فلا يمكن إلا نقول إن قراءته مستحيلة (ومن ثم فهو مشعوذ) ولا تكمن أهميته إلا فى خطورته ، بسبب وجود أتباعه المتملقين الذين ينشرون نظرياته الحمقاء ويشوهون فهم العامة لحقيقة التحليل النفسى . إن حقيقة أنه فرنسى ، وحقيقة أنه يكتب نثرا صعبا بأسلوب شديد الخصوصية ، تؤخذان كدليل قاطع وبديهى على عدم أهميته .

إن نقدا من هذا الطراز لا يحتاج ، عادة ، إلى رد . إنه نقد لا يليق إلا بالمؤرخين وعلماء الاجتماع ذوى النزعات الشيفونية المتحجرة . وبالإضافة إلى ذلك، يبدو واضحا أن المجلدين اللذين يضمان سيمينار لاكان وتطبع ترجمتهما الإنجليزية الآن فى مطبعة جامعة كمبردج يحملان رداً كافيا . إلا أنه يبقى ما يقال عن العلاقة بين لاكان ومدرسته – والمحللين الذين أثر فيهم – وسياق أولئك الذين يعملون فى اللغة الإنجليزية سواء أكان السياق تحليليا أم غير تحليلى .

«إننا ، فى فرنسا ، لاكانيون تماما ، بالضبط مثلما نحن فرويديون تماما» هذا ما قيل ، فى تقديم ندوة دولية عن التحليل النفسى ، على لسان جويس ماك دوجال Joyce Mac Dougall ، وهو محلل من الناطقين بالإنجليزية يقيم فى فرنسا . ورأى من هذا القبيل لا يمثل إعلانا عن الالتزام بالولاء ؛ إنه اعتراف بحقيقة أن أى محلل يعمل فى اللغة الفرنسية ، فى السياق الثقافى الفرنسى ، بتاريخه الفريد ، لا يمكن إلا أن يكون لاكانيا . حتى اللغة الفرنسية لاكانية .

افتح قاموسا فرنسيا معتمدا *Petit Robert* ، وهو قاموس بمثابة *Shorter Ox- ford English Dictionary* ، وافتحه على مادة *Symbolique* [الرمزى] ستجد تحت صيغة الاسم المذكر :

«Specialt. *Psychan.*"L'order des phénomènes auxquels la psychanalyse a à faire en tant qu'ils sont structurés comme un langage" (LACAN)" .

[**اختصاصى . تحليل نفسى** . "نظام الظواهر التى يتعامل معها التحليل النفعى طالما تبنى كلغة " (لاكان)"] . وستجد إشارات أخرى للاكان الذى يُقدَّم هنا ، وعليك أن تلاحظ ذلك ، كسلطة لغوية على نحو قاطع . ومن المستبعد أن يحارب محلل نفسى يقوم بتحليل الناس جميعا ضد ما تقبله اللغة .

والأهم من ذلك ، أنه بينما لا ينتمى كثير من المحللين وربما معظمهم إلى مدارس تعتنق نظريات لاكان صراحةً ، وبينما يودُّ كثير من المحللين الذين قضوا سنوات طويلة فى التدريب طبقا للخطوط اللاكانية أن يضعوا مسافةً كبيرة بينهم وبين الذين يعلنون أنهم لاكانيون ، مسافةً كتلك التى بينهم وبين معظم المحللين الأمريكيين المتعصبين ، إلا أن هؤلاء المحللين جميعا يودون شيئا ويفعلون شيئا آخر ، وفى الظروف المبشرة على نحو مناسب مازالوا يقدمون أنفسهم بوصفهم لاكانيين .

وهذه القدرة على الانشقاق والإنكار ليست جديدة على التحليل النفسى . وليس على المرء إلا أن يتأمل سلوك عدد كبير من المحللين البريطانيين فى عملية التفاهم الخاصة بانشقاق ميلانى كلاين/أنَّا فرويد فى الجمعية البريطانية منذ الأربعينيات – هناك، كان الجانبان كلاهما 'فرويديين' ، إلا أن النزاع المذهبى يظهر فى الوقت نفسه بصورة مطلقة أمام المشاركين ، ويبدو وكأنه نتيجة لفجوات لا يمكن تجاوزها . ولكن الأمر يختلف عما كان عليه الوضع فى حالة لاكان ، حيث لم ترغم ميلانى كلاين أو أنَّا فرويد على ترك الرابطة الدولية للتحليل النفسى – مع أن الإشاعات ، وليست الكتابات التاريخية الوافية ، تقول إن الأمور اقتربت من ذلك فى لحظة من اللحظات . إلا أن هذا ربما حدث فى ظروف تاريخية فريدة وخاصة حيث كانت جماعة راسخة ، تشكِّل العمود الفقرى لجمعية قومية وتمنحها شكلها المميز ، وتأتى جماعة من الخارج لتعيش تحت

السقف نفسه وتنازعها – يضاف إلى ذلك أن هذه الجماعة القادمة من الخارج تتمتع بخاصة فريدة تتمثل فى اسم أبى رائدتها . وفى مثل هذه الظروف ، كان من المستحيل استبعاد إحداهما من الرابطة الدولى للتحليل النفسى . وليس هذا هو الحال فى خلافات ومناوشات أقل شهرة . مَنْ يحظى الآن بأهمية أكبر فى نزاعات جمعيتى التحليل النفسى الأمريكيتين المرتبطتين باسمى ساندور رادو Sandor Rado وجوليس مازرمان Jules Massermann ؟

وطبقا لكل التعليقات ، لم يكن للانشقاق الأصلى فى الجمعية الفرنسية ، أى انشقاق عام ١٩٥٣ ، علاقةٌ كبيرة بشخصية لاكان أو بشخصه ، إلا أن بعض آرائه عن أسلوب معاهد التدريب على التحليل النفسى لعبت دورا مهما فى الصراع . إلا أن القضية انحسرت على نحو متزايد فى الفترة من عام ١٩٦١ إلى عام ١٩٦٤ فى مشكلة واحدة لا تقبل الحل : مسألة شخص لاكان . وأخيرا جاء الإنذار : لن يسمح للمحللين الفرنسيين فى الجمعية الفرنسية للتحليل النفسى بالانضمام إلى الرابطة الدولية للتحليل النفسى إلا إذا وافقوا على حذف اسم لاكان من قائمة المحللين القائمين بالتدريب . وكان البند الثالث عشر ، كما هو معروف ، يتطلب أن تقوم الجمعية الفرنسية للتحليل النفسى ببتر اسمى لاكان وفرانسوا دولتو Françoise Dolto من قائمة المحللين المدرِّبين . وقد عنَّ للمفاوضين وهم على درج الطائرة ، ربما كفكرة أخيرة ، أن يعودوا من ادينبرج إلى باريس ليكتبوا تقريرا عن نجاح المفاوضات . كان الأمر بمثابة غصة فى حلوق الكثير من المحللين الفرنسيين . هل يقومون ببتر اسم المحلل الذى قام بتحليل عدد كبير منهم ، وأشرف على تدريب عدد أكبر ، وكان سيميناره حجر الزاوية فى تعليمهم التحليلى ؟ وارتدى البعض ، فى الواقع ، قناع كاسيوس Cassius المعروض عليهم . ذهبَ لاكان ، محروما من الكنيسة ، كما قال ، وذهب معه احتمال بقاء الجمعية الفرنسية للتحليل النفسى على قيد الحياة ، وحينذاك ولد أول معهد للتحليل النفسى يرتكز على شخصية لاكان البارزة : المدرسة الفرويدية فى باريس .

ولمن يريد فهم ظاهرة لاكان التى استحوذت على قطاع كبير من الانتلجنسيا الفرنسية ، يوجد عملان مطبوعان بالإنجليزية : **سياسات التحليل النفسى** *Psychoan-*

alytic Politic من تأليف شيرى توركل Sherry Turkl وهو عمل طموح فى علم الاجتماع ، **وحياة جاك لاكان ومفاتيحه** *The life and legends of Jacque Lacan* من تأليف كاترين كليمن Cathérine Clément وهو عمل متجانس على نحو رائع ، حيث أنه جاء نتيجة لسنوات طويلة من الاطلاع على ظاهرة لاكان . فى أوائل الخمسينيات بدا كل شيء وكأنه زوبعة فى فنجان : فى عام ١٩٥٢ كان عدد الدارسين الذين يحضرون سيمينار لاكان خمسة وعشرين ، وكان فخورا بعدم تناقص العدد بمرور الوقت فى ذلك العام ؛ وكان عدد المحللين المسموح لهم بالمشاركة فى الاقتراعات الحاسمة التى أدت إلى انقسام ١٩٥٣ أقل من عشرين . وبعد ثلاثين عاما، حين مات لاكان ، خصصت الصحف الفرنسية اليومية تسع صفحات لتغطية الحدث . وبين هذين العهدين المختلفين ، قدم لاكان سيميناره . وساعد أيضا على تأسيس جمعية للتحليل النفسى كان لا يمكن أن تبقى على قيد الحياة سواء به أم بدونه ، وأسس أخرى وتقدم وحده بعزم ، ليحلها قبل وفاته بتسعة عشر شهرا . لكن تأثيره على قضايا التحليل النفسى كان منعدما من الناحية العملية خارج فرنسا طبقا للتقرير الرسمى للرابطة الدولية للتحليل النفسى . إلا أنه يحدث الآن ، فى بريطانيا وأمريكا وأستراليا وفى كل مكان من البلاد الناطقة بالإنجليزية ، ناهيك عن التأثيرات الأكبر والأسرع فى إيطاليا وأسبانيا وأمريكا الجنوبية، نمو متزايد لثقافة تحليلية تسيطر عليها الأفكار والشعارات اللاكانية ، لكنها ثقافة لا تساهم فى تأهيل المحلل النفسى لاعتراف الرابطة الدولية . اضطر لاكان إلى إقامة حانوته 'فى الخارج' . ويبقى أن على حركة التحليل النفسى الدولية أن تتصالح مع ذلك الاضطرار ونتائجه .

وإذا كانت هناك وسيلة واحدة ليفهم بها المحللون النفسيون لاكان ، فهى بالتأكيد نسخ الدروس التى قدمها للمحللين تحت التدريب فى كل عام منذ ١٩٥٣ . وهذا السيمينار مشغول باستمرار بأسئلة عن التقنية والمناهج ، وبإيضاح المجادلات النظرية المضطرمة يوميا بصورة مباشرة فى الجلسة التحليلية . وبالنسبة لغير المحللين ، ربما يقدم السيمينار شيئا يمكن أن يضاهى **محاضرات تمهيدية** لفرويد ، شيئا أيسر منالا، وأكثر جاذبية ، وأكثر إغواء ، حتى من كتاباته الأخرى ، إلا أنه شيء شديد الأصالة : المحلل النفسى فى محادثة ، حين يكون فى البيت ، أو حين يجب أن يكون فيه .

IV

سيمينار لاكان
الكتاب الأول • أبحاث فرويد في التقنية
١٩٥٣-١٩٥٤

أدار لاكان سيميناره كجزء أساسى من برنامج التدريب فى الجمعية الفرنسية للتحليل النفسى . وكان العنوان العام 'سيمينار وتعليق على نصوص فرويد' . ويعالج **السيمينار الأول** كتابات فرويد عن التقنية . إلا أن اهتمامه لا يقتصر على كتابات فرويد المعروفة للقراء فى الطبعة المحققة تحت ذلك العنوان (أى مجموعة الأبحاث التى يضمها المجلد الثانى عشر ، تحت العنوان العام ، 'أبحاث فى التقنية' ، بما فى ذلك أربعة أبحاث جُمِعتْ معا بعنوان 'وصايا فى تقنية التحليل النفسى') ، لكنه يتناول أعمال فرويد بصورة أوسع ، خاصة تلك الأبحاث التى تنتمى للفترة الانتقالية المهمة التى بدأت بمفهوم النرجسية . ويهتم **السيمينار الثانى** بموضوع الأنا فى نظرية فرويد والتقنية التحليلية .وتتم ترجمة **السيمينار الثالث** إلى الإنجليزية أيضا ، وهو يطور نظرية الأنا والخيالى والرمزى ، ويشرح ، فى إسهاب شديد ، حالة شريبر Schreber والنظريات التحليلية فى الذُّهان . وفى عام ١٩٨٦ طبع فى فرنسا سيمينار آخر ينتمى إلى الخمسينيات : **الكتاب السابع ، أخلاقيات التحليل النفسى ، ١٩٥٩ - ١٩٦٠** *Livre VII. L'Ethique de la Psychanalyse 1959-1960.* ، يهتم بأخلاقيات التحليل النفسى ، والمحلل ، ويبدأ بالتأمل فى الأخلاق النيقوماخية *Nicomachean ethics* لأرسطو ، **وأنتيجون** لسوفوكليس ، والماركيز دى ساد .

ومن المهم أن نؤكد على أن هذا السيمينار كان موجها إلى المحللين تحت التدريب . ومن هنا انبثقت البؤرتان اللتان اهتم بهما دائما : الأسئلة التقنية (ماذا يفعل المحلل ، ماذا على المحلل أن يفعل ، ماذا فعل المحللون - «ماذا نفعل حين نحلّل؟»)[١٨]

والاهتمام بالنظرية التحليلية المعاصرة ، بترابطها النظرى ونتائجها بالنسبة للأسئلة المتعلقة بالتقنية . وفى الخمسينيات ، كان لاكان يتوجه إلى محللى المدرسة البريطانية بصورة أساسية من بين المحللين النفسيين المعاصرين الذين توجه إليهم - قد تعامل مع البريطانيين باهتمام يربو بكثير (ودَرَسهم بصورة أكثر تعاطفا) عن اهتمامه بالأمريكيين . يحتوى **السيمينار الأول** على مناقشات مسهبة لأعمال أنَّا فرويد وميشيل بلنت وميلانى كلاين . وبالمثل ، يخضع موضوع علاقات الموضوع ، لمناقشات واسعة فى **السيمينار الثانى** ، وتفحص أعمال رونالد فربرين فحصا دقيقا . وفى الحقيقة ، كان لاكان يميل فى أعماله إلى وضع التحليل الأوربى فى مواجهة التحليل الأمريكى ، واقتصرت تعليقاته اللاذعة فى معظمها على المحللين الذين لجئوا إلى أمريكا مهاجرين ونسوا المعنى الحقيقى لاكتشاف فرويد وهم يكافحون حتى 'يتكيف' التحليل النفسى مع طرق غريبة على تقاليد الثقافة الأوربية .

فى سبتمبر ١٩٥٣ طرح لاكان فى 'تقرير روما' ثلاث مسائل تواجه التحليل النفسى المعاصر:(١٩)

(أ) وظيفة الخيالى ، وخاصة مسألة الفنتازيا ومكانتها الرمزية (وتصاغ هذه المسألة وكلاين فى الذاكرة) ؛

(ب) علاقات الموضوع الليبيدى (ومنظرو « علاقات الموضوع » فى الذاكرة) ؛

(ج) الإحالة العكسية counter transference [**الإحالة** transference : هى إسقاط مشاعر المريض وأفكاره على المعالج أو المحلِّل ، **والإحالة العكسية** : هى إسقاط مشاعر المعالج أو المحلل ، الشعورية واللاشعورية، وأفكاره على المريض ، والترجمة الدارجة لهذين المصطلحين هى الطرح والطرح العكسى أو التحويل والتحويل العكسى - المترجم] ومسألة تدريب المحلل (كان فى ذاكرة لاكان عدد من أبحاث بولا هيمن Paula Heimann وأنى رايش Annie Reich ومارجريت ليتل Margret Little- وقد نوقشت أعمال الأخير ببعض التفصيل فى **السيمينار الأول** - ونشرت تلك الأبحاث فى

مجلة التحليل النفسى الدولية فى عام ١٩٥٠ ، وساهمت ، بالإضافة إلى بحث فينيكوت Winnicott فى عام ١٩٤٧ وهو بحث مبشر نشر بعنوان "الكراهية فى الإحالة العكسية" ، فى وضع هذه المسألة على جدول أعمال المحللين جميعا) .

وكان من المتوقع أن يقدم سيمينار لاكان فى العام الذى تلا نشر **"تقرير روما"** هذه المسائل بدأب ، وبأشكال متنوعة .

وحتى يفهم المرء الطريقةِ التى تصور بها لاكان سيميناره ، فإن عليه أن يتعرف على الخريطة المعرفية التى تخططها أعمال لاكان أمام المستمع والقارئ ، وهى خريطة شديدة الخصوصية . ويوجد الكلام ، بالطبع ، فى القلب من تصوره . وينبثق اهتمامه باللغة من معرفته بأن الكلام هو الوسط الفريد للتحليل النفسى والأداة التى يمارس بها كل تأثيراته ، سواء أكانت مفيدة أم ضارة . إلا أن اللغة لم تكن أبدا تصورا واحدا : يتم تصورها بطرق مختلفة . ويطور لاكان فى السيمينار الأول عددا كبيرا من النقاط التى مسها فى "تقرير روما" ، الكلام كأساس للتبادل فى المجتمع الإنسانى (كلمة السر)، الحقيقة منبثقة من محور الكذب والخداع ، الالتباس الشامل فى الكلام التحليلى ، مما يتيح لشىء جديد أن يصبح شعوريا . ولكن كان هذا هو لاكان الذى لم يكن قد اهتم بعد بخلق تكامل بين النظرية التحليلية واللسانيات السوسيرية . هنا لا توجد مناقشات حول وظيفة الدال وتفوقه ؛ ويبرز مصطلح ***signifiant*** ، وثمة أسس قوية لترجمته ، كما يحدث أحيانا ، إلى 'signifying' وليس "الدال ***signifier***" . وحتى وقت متأخر ، حتى عام ١٩٥٥ أو عام ١٩٥٦ لم يكن لاكان قد بدأ فى استخدام المصطلحات بأسلوب سوسيرى [نسبة إلى سوسير- المترجم] مباشر . وتأتى الإشارة الأولى فى كتابات فى "الشىء الفرويدى" - وهو بحث كتب فى أواخر ١٩٥٥ و١٩٥٦ - والجزء الذى يتناول الدال والمدلول فى ذلك البحث من الأجزاء نقحت تنقيحا تاما بين ظهور البحث فى ١٩٥٦ وإعادة نشره فى **كتابات** .[٢٠] ويمكن للمرء ، فى الواقع ، أن يبرهن على نحو ملائم على أن استفادة لاكان من سوسير فى ذلك الوقت كانت تشير ببساطة إلى أن فرويد كان لسانيا أمام الأدب *avant la lettre* ، حيث

نصٌّ ، فى كتبه عن الأحلام وزلات اللسان والنكات ، على قوانين اللغة التى يخضع لها الحلم والعَرَض ، برغم استخدام بعض الحيل غير اللغوية . وربما بدأ **التقارب** بين نظرية الأحلام عند فرويد ومصطلحى 'الاستعارة' و'الكناية' فى ١٩٥٦ ، مع قراءة لاكان مناقشة ياكبسون لآليات الحلم عند فرويد وهى مناقشة موجزة نشرت فى ذلك العام .[٢١]

ولا يطور لاكان الفارق بين "الآخر other" و "**الآخر** Other " » إلا فى ثنايا السيمينار الثانى ، ويكتسب الموضوع أهمية كبيرة فى كل أعماله التى تلت ذلك ، ويميزها عن التراث الفينومينولوجى فى فرنسا بعد الحرب ، ذلك التراث الذى يمثله سارتر ومارلو بونتى خير تمثيل . إلا أنه من الواضح أن لاكان قد أشار فى "**تقرير روما**" إلى هذا الفرق التصورى الذى يغطيه وارتبط بتأكيده على اللغة ، وارتبط ارتباطا وثيقا باهتمامه بالوسط الذى يعمل فيه التحليل النفسى . وبنظرة حالية إلى الماضى نستطيع أن نرى أن مفهوم الكلام واللغة الذى اتضح هناك كان يحتاج إلى إنجاز هذا الفارق .

ارتبط تفكير لاكان فى اللغة ، دائما ، ارتباطا وثيقا بانعكاساتها على الذات وعلاقاتها بالموضوع أو "الآخر" – المتلقى . ومن قبل ، فى عام ١٩٥٤ ، فى بحث عن الزمنية temporality بعنوان «الزمن المنطقى وتأكيد اليقين المتوقع Le temps l'as-sertion de certitude anticipée'logique et» ، رسم لاكان فوارق قاطعة بين المفاهيم الثلاثة للذات ليصف المراحل الثلاث لجدل الذات . توجد ، أولا ، الذات المنطقية التى لا تحتاج إلى وجود الآخرين لتصدر حكمها : الذات العقلية ، 'ذات' 'من المعروف أن ... (أو بالتعبير الأكثر شيوعا فى الإنجليزية '...the 'it'' of 'it is known that) ، «التى يمكن أن تكون الرب ، أو الطاولة ، أو حوض الغسيل».[٢٢]

ثانيا ، ثمة ذوات بلا أسماء وهى ذوات العلاقات المتبادلة بين الذوات والعلاقات بين الأنداد ، ولا تعرف إلا بقدر ما تكون متبادلة بين ذات وأخرى ، وهى ذوات متكافئة مع الآخر عموما ، فى علاقة تبادلية لا تكون المعرفة الذاتية فيها ممكنة إلا من خلال الخاصية التى نحن بصددها فى الآخر (The 'on', or 'one') . ثالثا ، يكتسب ضمير المتكلم (Je) المتفرد ، ويميزه على نحو فريد الفعل الذى ينبثق فيه "ضمير المتكلم" the 'I' فى عملية اعتزال الآخرين أو الانفصال عنهم أو 'التطهر' منهم .

وفى ذلك الوقت ، رسم لاكان توازيا واضحا بين جدل الذات المنطقية كما أوجزنا هنا وتولد الذات السيكولوجية من اللاتحديد الذى يُدرَك بين المرء والآخر فى مرحلة المرآة . وفى هذه المرحلة ، فسر الحركة التى تسبب تشوش النفس self والآخر فى مرحلة المرآة ، بانبثاق الغيرة . وأعلن أيضا أن المناقشة فى بحثه تؤنث الشكل المنطقى الجوهرى (وليس الشكل الوجودى) للذات السيكولوجية .

وفى الأعمال التالية ، لم يكن من الممكن أن يرسم لاكان مثل هذا الفارق الحاد بين الذات السيكولوجية والذات المنطقية . ويمكن أن نقول إنه لم يهتم اهتماما خاصا بالذات السيكولوجية ، مع أنه وصف مرحلة المرآة مستخدما ، غالبا ، مصطلحات سيكولوجية باعتبارها تمثل طورا من أطوار تطور الذات السيكولوجية . ويمكن لنا أن نفهم ارتيابه فى قيمة دراسة الذات السيكولوجية حين نتأمل عباراته عن سيكولوجيا الأنا ، وهى على قدر كبير من الأهمية كجزء من نظرية التنقيح فى التحليل النفسى وقد هاجم فيها أعمال علماء نفس الأنا الأمريكيين وأعمال مجموعة أنَّا فرويد . ويصف فى **السيمينار الأول** الأنا السيكولوجية بأنها ذات وظيفة تكوينية، بينما الأنا التحليلية ذات وظيفة ديناميكية : 'تظهر الأنا [فى التحليل] كدفاع ، وكرفض .'[٢٣] ويبعد الاتجاه العام فى **السيمينار الأول** ، فى الواقع ، عن أن يكون تعليقا تطوريا على مرحلة المرآة – وعلينا أن نتذكر أن لاكان قدمها أول مرة فى عام ١٩٣٦ ، ثم ظهر بحثه الرئيسى عن مرحلة المرآة فى عام ١٩٤٩ _ ويتَّجهُ إلى دراسة المرحلة باعتبارها 'وظيفة نموذجية' : نموذجية لعلاقات الذات طالما كانت مرحلة المرآة هى **الصورة الأصلية** للأنا .[٢٤] وتنتقد مناقشاتُ لاكان فى هذا السيمينار استخدام التفسيرات التى تفترض أن مرحلة المرآة ، كمرحلة من مراحل التطور ، قريبة الشبه بالمراحل أو الأطوار التحليلية الأخرى ، كما تنتقد الفكرة التى ترى أنها تمثل امتدادا لتلك المراحل . ويشير فى انتقاد استخدام نموذج مرحلة التطور فى الطفولة، ويعزوه إلى فرينزى بقدر ما يعزوه إلى فرويد (ويجب ، بالتأكيد ، وضع اسم إبرهام مع اسم فرنيزى) ، يشير إلى :

ربما يكون من الأفضل ، فى الحقيقة ، ألا نشير هنا إلى المفاهيم التطورية الزائفة . ربما لا يكون المكان هنا مناسبا لطرح فكرة التطور الخصب . إن مسألة

توضيح الآليات البنيوية هى ، بالأحرى ، التى تؤثر فى خبرتنا التحليلية ، وهى مسألة تركّز على البالغين . وربما يتضح لنا ، بالاسترجاع ، ما يحدث فى الطفولة ، بطريقة افتراضية يمكن التحقق منها إلى حد ما...ما ألحَّ عليه فرويد دائما كان...الحماية مما يمكن اعتباره ، على كل المستويات ، مراحل مختلفة.(٢٥)

وفى الحقيقة علينا أن ننظر إلى القسم الأكبر من هذا السيمينار بوصفه إعادة تقييم 'لكل' الاستخدامات ، مهما تكن محدودة ومتنوعة فى الوقت نفسه ، الاستخدامات التى يمكن استنباطها من مرحلة المرآة .'(٢٦) وأحد تلك الاستخدامات هو توضيح أن واقع 'المراحل' الفمية والشرجية والجنسية هو 'واقع الصور الذهنية عن الجسد البشرى ، وواقع أنسنة العالم ، وإدراكه كصور ذهنية مرتبطة ببنية الجسد' .(٢٧)

كان بحث مرحلة المرآة جزءاً من محاولة بارعة ودءوبة للتعليق على علاقة الذات بالآخرين، وكان البحث الذى كتبه لاكان عن **"الزمن المنطقى"** جزءا آخر يساويه من حيث الأهمية وإن اختلفت طبيعة الإسهام . وفى ذلك البحث الذى يرجع إلى عام ١٩٤٥ ، يمكن أن نرى براعة مفهوم الذات فى علاقتها 'بالآخرين' : 'بالآخر' بوصفه مخاطبا أو محاورا فى عبارة علمية ؛ بالآخر بوصفه 'مكافئا موضوعيا' للذات ('qui doivent *"l'un l'autre se"* reconnaître') " ؛(٢٨) وكذلك بالآخر الذى ينفصل عنه 'ضمير المتكلم' . ويبشر تعقيد هذا البحث بانبثاق مفهوم **الآخر** Other فى فكر لاكان . وهذا الانبثاق لا ينشأ عن تطوير مرحلة المرآة ، ولكنه ينشأ ، بالأحرى عن اهتمام لاكان ، ذلك الاهتمام المتواصل باللغة . وعلينا هنا أن نفحص مجموعة من الاهتمامات اللغوية التى ينبثق عنها مفهوم **الآخر** Other .

إن الخداع هو الشغل الشاغل للتحليل النفسى الفرويدى . لكن التداخل بين الفلسفة والتحليل النفسى ، وهو تداخل طبيعى للغاية فى نظر لاكان وشديد الغرابة فى نظر مدارس التحليل الأخرى ، تداخل عظيم الأهمية هنا ، كما شهد على ذلك الوضع الحاسم الذى احتلته فينومينولوجيا الإيمان الردىء والخداع الذاتى ، فى نقد سارتر للتحليل النفسى فى **الوجود والعدم** وفى الكثير من المناقشات التى تفرعت عنه فى اللغة الإنجليزية .(٢٩) ويوافق بعض المحللين النفسيين الآخرين على أن موضوعات الخداع

الذاتي والصدق والكذب موضوعات عادية ، وعلى أنها جزء حتمي في ممارستهم العملية ، لكنهم لا يعطونها أهمية كبيرة على المستوى النظري .[٣٠] ومنذ البداية ينشغل لاكان في أعماله بالأهمية النظرية ويرتبط انشغاله بموضوعين : الأول ، حجم الخداع الذاتي في الأعمال النظرية للمحللين النفسيين ، خاصة في نظرية الأنا . وهذا الخداع الذاتي يؤثِّر في قلب الاكتشاف التحليلي ، أي أن الأنا ليست سيدة في بيتها . لكن المسألة تتجاوز ذلك ، ومن ثم يرى لاكان أن المحللين النفسيين المعاصرين مخدوعون بأوهام شكَّلتها وظيفةُ الأنا بطريقة شديدة الخصوصية : لا تخدعهم أنوات المرضى إلا بقدر ما تخدعهم أنواتهم . إن هؤلاء المحللين يقدمون أنا المحلل egos كنموذج للمريض ، كشيء يمكن أن يتقمصه المريض ليصلح بنيته الذاتية ، ويرى لاكان أن المحلل قد يكون في وضع الموت (وضع الأخرس – le mort [الميت] بالفرنسية – في الزفة) ، وضع السيد الميت في جدل السيد والعبد ، أو وضع الوسيط ، أو حتى الدبلوماسي ، في محادثة تشارك فيها عدة أطراف ، أو ببساطة وضع الشاهد على الحقيقة – لكنه بالتأكيد ليس في وضع قريب من وضع المثال ، أو وضع الأنا العليا .

وهكذا يكتشف لاكان مظهرا أساسيا من مظاهر الخداع الذاتي للأنا في تطور نظرية التحليل النفسي : إن الخداع الذاتي الذي يقع فيه المنظِّرون ، ويرتبط ارتباطا وثيقا بالأهمية التي يكتسبها التقمص في الممارسة التحليلية ، هو ما يسعى شعار 'العودة إلى فرويد' إلى دحضه . لكن هذا الشكل من أشكال الخداع يرتبط بموضوع أقدم : موضوع الأوهام التي تعزِّزُها الصورةُ الذهنية–الارتياب (الأفلاطوني) في المظاهر (بما في ذلك النوع الخاص من الوهم الذي تولده العدسات والمرايا ، وهو نوع يمكن أن يبرِّرَ نسبيًا موقف المعارضين لجاليليو حين رفضوا النظر من تليسكوبه ، لأنهم رأوا أن آلة من هذا النوع لا يمكن أن تولِّد إلا الوهم) . إننا نجد مناقشة مستمرة لعلم السلوك الحيواني ، متداخلة مع النموذج البصري ، ومؤسسة على أعمال تنبرجن Tinbergen ولورنز Lorenz ، وتستدعي أعمالهما لتأكيد الوظيفة الأساسية للصورة الذهنية في دورات السلوك ، وخاصة السلوك الجنسي . والمصطلحان الرئيسيان هنا هما 'الإغراء 'lure' و'الإغواء 'captation'.[٣١]

وربما يبدو الاعتماد على علم السلوك الحيوانى مثيرا للدهشة بالنظر إلى نقد لاكان للنزعة الطبيعية . ويرى البعض ، فى الواقع ، أن لاكان يعادى البيولوجيا عداء لا يلين . إلا أنه ، مع ذلك، لم يقترح أبدا أن علينا أن نهمل البيولوجيا أو نتجنبها ، أو نتعامل معها فى حذر ، لقد اعتقد اعتقادا حازما أن أولئك الذين يحاولون تأسيس تحليل نفسى على أسس بيولوجية مخطئون . إلا أن تناقضا حادا للغاية بينه وبين جون بولبى John Bowlby وأمثاله من الذين استخدموا ، فى الخمسينيات ، الأعمال الحديثة لعلماء السلوك الحيوانى ليستغنوا بها عن الهدروليات الحيوية bio-hydraulics فى نظرية الغرائز الفرويدية ، ومن المفترض أنها هيدروليات أسطورية لم تعد مقبولة . لقد تخلى بولبى عن الغرائز وتبنى بدلا منها مفاهيم الارتباط ، والمفاهيم الطبيعية التى لا تزول بصمتها فى حالات الفقد والانفصال . وهنا ثمة مفارقة فضولية ، إذا وضعنا فى الاعتبار ما كتبه لورنز وآخرون عن الاندفاع الفرويدى الأصيل فى أعمالهم ، حيث من المحتمل تماما أن بولبى كان يستعير مفاهيم علم السلوك الحيوانى وكانت فى الأصل تحليلية بصورة لا تقبل الشك قبل أن يتمَّ 'تطبيعها' ، وكان يعتقد أن هذه المفاهيم ترتكز بصورة أكثر رسوخا على الملاحظة الموضوعية للسلوك الحيوانى (حيث أنها مبنية على هذه الملاحظة) . وفى المقابل لم يولِ لاكان هذه المفاهيم أدنى اهتمام . وكان يرى أن السلوك الحيوانى يدلُّ على الوظيفة العامة للصورة الذهنية فى السلوك الجنسى–الوظيفة العامة للخداع والإزاحة . إن للحيوان والإنسان نزوعا طبيعيا مشتركا ، نزوعا للوقوع فى شرك الصورة : تتميز الحياة الجنسية ، فى الواقع ، تميزا فريدا بقوة الصورة الجذابة . وهو هنا يتناول موضوعا من الموضوعات الفرويدية الكلاسيكية : 'شذوذ' الحب الجنسى و'جنونه' (باستخدام مصطلحات فرويد) ، حيث الخداع هو القاعدة ، الشرط اللازم فى الواقع ، وليس الاستثناء :

... فى عالم الحيوان ، يسود الخيالى الدورة الكاملة للسلوك الجنسى...احتمالية الإزاحة ، البعد الوهمى الخيالى ، أساس لكل ما يتعلق بنظام السلوك الجنسى.(٣٢)

وكان لاكان قد أشار إشارةً ضمنية إلى مفارقات الصورة البصرية وأوهامها فى بحثه عن مرحلة المرآة .(٣٣) إلا أنه يوسع المناقشة ، فى السيمينار **الأول** ، ويربط أعماله

بالتشابه الذى رسمه فرويد بين إنتاج الظواهر النفسية وعمل المجهر أو التليسكوب . وفى تطور رائع للمناقشة ، يتحول لاكان من الصورة كما توجد فى أبحاث السلوك الحيوانى - كاريكاتير ، تخطيط لصورة - وانعكاس الصورة فى مرآة ، أو فى بحيرة ، إلى مخطط بصرى ، مخطط باقة الأزهار المقلوبة الذى ينتج عن مرآة كروية وأخرى مستوية وهذا كله ليس إلا أداة ، كالتليسكوب الذى اتخذه فرويد نموذجا للنفس ، لتوضيح طريقة إنتاج الصورة وخصائصها : الصور الواقعية والتقديرية . ويمكن فهم مرحلة المرآة كإشارة إلى حدث حقيقى ، إلى طفل يتأمل صورته . إن المخطط البصرى ، وهو فى ذلك كتليسكوب فرويد ، لا يمكن استخدامه كتمثيل لبنية حقيقية أو حتى كتابلوه شخصيات تتأمل كل منها الأخرى . الصورة الآن لا تخرج عن حدود البصريات ، ولا يمكن استخدامها فى التحليل النفسى إلا كنموذج ، وليس كوصف مقتضب .

ومن الواضح أن التحوُّل من مرحلة المرآة إلى المخطط البصرى كان يسير فى اتجاه واحد ، من التعليق التعاقبى إلى التعليق المنطقى أو البنيوى . ويمضى لاكان بعيدا حتى أنه يقول إن أهم ما يميز مرحلة المرآة هو اختفاؤها الفجائى فى اللحظة التى يتغلب فيها الرمزى على الوظائف القائمة التى كانت تؤدى حتى تلك اللحظة إلى التعرف على الرغبة فى الآخر . ويدرك لاكان بوضوح أهمية ما تتضمنه المناقشة المنطقية ، وليس التطورية ، ويؤكد على ضرورتها :

> إن هذه الأسبقية [أسبقية التعرف على الرغبة أولا فى الآخر بصورة أساسية] ليست تعاقبية ، لكنها منطقية ، ويقتصر دورنا هنا على الاستدلال . ولا يقلل هذا من كونها أساسية ، إنها تتيح لنا أن نميز مستويات الرمزى والخيالى والواقعى .(٣٤)

ويضيف ربط هذا المخطط البصرى بمناقشة فرويد فى بحثه عن النرجسية ، يضيف لهذه المناقشة صلابةً وقوة . ومن الطبيعى أن يكون لاكان قد اطَّلع على ما كتبه فرويد عن النرجسية لدعم نظريته عن مرحلة المرآة : إن تطلع نرسيس فى النهر ، متجاهلا صوت إيكو ، تمثيل أسطورى قريب الشبه مما كتبه لاكان عن تشكل الأنا . إلا أن ما كتبه فرويد لم يحسم الأمر بشأن قوة الارتباط ، الذى كان يتمناه ، بين

مفهوم النرجسية وأحد النماذج البصرية . ويستخدم لاكان النموذج البصرى لتوسيع ما كتبه فرويد عن مثال الأنا والأنا المثالية – وهما مفهومان يميز بينهما فى بحثه عن النرجسية ثم يتركهما جانبا وهو يواصل تطوير نظرية الأنا والأنا العليا فى العشرينيات.(٣٥) ويلتقط لاكان شذرات المفاهيم التى قدمها لاكان ويمفصلها مع المخطط البصرى ونظريته عن الخيالي ليبين كيف يمكن للنموذج البصرى أن يعلق على 'نقطة الالتحام' بين الخيالي والرمزى . ومرة أخرى ، يتوازى هذا الإنجاز مع إنجاز فرويد ، الذى يقودنا بحثه عن النرجسية إلى الأنا العليا ، تجسيد القانون والأخلاق – إنها منطقة تشبه ، إلى حد بعيد ، تلك التى يغطيها الرمزى عند لاكان . ويعود موضوع الصورة كوهم فى نظرية النرجسية بكامل قوته فى نظرية الحب (النرجسى واللاجنسى) ويعود وضعه الحاسم بوصفه **افتتانا** *verliebtheit* فى أبحاثه عن التقنية والإحالة . ومع دخول الحب كان لاكان على استعداد للانتقال إلى موضوع آخر رئيسى فى السيمينار : مناقشة ميشيل وأليس بلنت Alice Balint عن الحب **الأولى وتقنية التحليل النفسى** *Primary love and psycho-analytic technique* .

وتحمل مناقشة لاكان لكتاب بلنت نغمة متعاطفة وانتقادية فى الوقت ذاته . يعجب لاكان إعجابا عظيما بعمل بلنت مع المرضى (حتى أنه سيوضح بعد ذلك فى السيمينار فائدة مفاهيمه الخاصة – عن ميثاق الكلام ، والإعلان عن أن حقل التحليل النفسى هو حقل الكذب والخطأ – بحدث من أحداث بلنت الإكلينيكية) ، ويشرح لاكان نظرية بلنت ليوضح وجود انحراف تقني ومأزق نظرى . إن بلنت 'متورط فى علاقة ثنائية ، وينكر ذلك'(٣٦) (وهو تعبير أعلنه فلاديمير جرانوف Granoff Wladimir فى السيمينار ، ويرى لاكان أنه تعبير ملائم) . إن انتقاده للتحليل بالصورة التى يبدو عليها فى نموذج العلاقة الثنائية (الخيالية) يشمل كلاين Klein وبلنت . مع كلاين يلاحظ كيف أنها ، المحلِّلة ، تكفل إعادة تنظيم الرمزى بتقديم الكلمات ، التى ستشكل نواة عقدة أوديب ، إلى الطفل ، وتفشل فى تنظير هذه الحركة . ومع بلنت ، يدخل لاكان فى مناقشة طويلة عن ضرورة رؤية التحليل باعتباره 'علاقة متبادلة بين الذوات 'intersubjective (وهو مصطلح انتقده فى مناسبات أخرى ، كما رأينا ، مثلا ، فى بحث ' الزمن المنطقى'

باعتباره مضلِّلا ويفتقر إلى الدقة) : 'طالما بقينا فى سجل التحليل ، فسوف نضطر إلى إفساح المجال أمام علاقة تبادلية أصيلة بين الذوات .'[٣٧] إن لاكان ، وكأنه الثقل الموازى لبلنت ، يناقش جدل التحديق gaze، رؤية الآخر الذى يرانى ، كما افترضه سارتر فى **الوجود والعدم** . إن موضوع التحديق ، موضوع الذات باعتبارها 'عَيْنًا' ، كبير الأهمية فى نموذج المرآة الذى تطور عن مفهوم مرحلة المرآة ، وتطور بصورة أكبر فى السيمينار الحادى عشر . ويرى لاكان أن التحديق يشير إلى الطريقة التى بواسطتها تتضمن 'الطبولوجيا العينية للجسد' ،[٣٨] التى تحدد أشكال الخيالى ، تتضمن بُعْد الفضاء الخيالى الذى لا يقتصر على سطح الجسد أو فتحاته : إنه يتضمن إشارة إلى وجود الآخر فى الفضاء الخيالى . ولا يمكن لمفهوم تحليلى أن ينكر الإشارة الأساسية إلى الآخر إلا مفهوم يركِّز على الذات self ، أو على الأنا ، أو على 'الحب الأنانى' (بلنت) .

ومع أن مقاربة لاكان لأبحاث فرويد عن التقنية مقاربة ملتوية (لم يهتم أبدا بالتغلغل فى مجموعة 'أبحاث عن التقنية' بحثا بحثا) ، إلا أن موضوعا واحدا كبير الأهمية ينبثق منها ويمتد كخيط فى ثنايا السيمينار : ظاهرة الحب . ومن الطبيعى مع مناقشات كثيرة لظاهرة الافتتان (*verliebtheit* ، أو حالة الوقوع فى الحب) وجود إشارة أساسية إلى الإحالة transference وإلى وضع المحلل فيما يتعلق بها . ولا يوجد فى أى موضع ، بصورة أوضح ، ما إذا كانت إجابة مقنعة عن السؤال 'ماذا يفعل المحلل ؟' ، ستكون حاسمة لأسئلة التقنية . يوجد ، من ناحية ، موضوع الفتنة والتحديق ونظرية الاستعراض والمرآة . ويوجد ، من الناحية الأخرى ، نظرية الحب ، والرباط الرمزى ، وخصائص الحب الذى تحكمه قوانين العطاء (مما يجعل لاكان يعرِّف الحب ، بعد ذلك فى السيمينار ، بأنه عطاء ما لا يملكه المرء) . ويستنتج لاكان من هذا كله أن الإحالة ، رغم النظر إليها عادة باعتبارها عملية 'وهمية illusory 'تحدث فعليا على المستوى الرمزى .'[٣٩] وفى الجلسة قبل الأخيرة يربط موضوع الميثاق عند ليفى شتراوس وموس Mauss ، ميثاق التبادل والعطاء ، بنظرية الكلام والعلاقة بين الذات والآخر ، ويفترض أن البعد الحاسم للإحالة ، بعيدا عن الحب والكراهية المفترض أنهما جاهزان للعمل فى الإحالة التحليلية ، هو الولع بالتجاهل .

والتطوير الذى أنجزه لاكان ، بعد ذلك ، فى هذا الخط الفكرى تطوير واضح: 'مفهوم الذات التى يفترض أنها تعرف' ، وصراع الذات مع قضايا السيادة والمعرفة المتمثلتين فى احتياج المحلَّل إلى المحلِّل . إلا أن من المهم أن نرى أن هذه الفكرة ترتبط ، من ناحية ، بنظرية الإحالة باعتبارها ولعا *passion* ، وترتبط ، من الناحية الأخرى ، بموضوعات الحقيقة والكذب والخداع ، التى يكرِّس لها بعد ذلك أكثر الأحداث تألقا فى السيمينار . وإذا كان التجاهل والإخلاص ، كما أعلن البعض، يشكلان الوضعين الأساسيين للمحلل ، فإن لاكان كان يأمل فى إعادة توجيه النظرية التحليلية لا ليصنع منها صفات سيكولوجية المحلل ، ولكن ليضع مبادئ يؤسس عليها تقنيةً ونظريةً عن علاقة الذات بالمحلِّل ، والآخر other **والآخر** Other .

ويعود كل موضوع من هذه الموضوعات للظهور من جديد فى السيمينار التالى ، وتعاد صياغته دائما بمصطلحات مختلفة ، بحيث لا نستطيع غالبا ، إلا بعد عناء شديد ، أن نعرف أنه قد سبق تناوله ، وأنه المشهد التحليلى (واللاكانى) الذى نعرفه . وهذا الشكل من لولبة المفاهيم أو تنويمها طريقة فارقة يعيد بها لاكان إنتاج حركة الجلسات التحليلية التى تلتف على نفسها ، وتتكرر بطرق رائعة . تتأخر وتتقدم فى خطوط متعرجة ، فى حركة مماثلة لحركة حصان الشطرنج التى شبه فرويد حركة الخطاب بها ،[٤٠] أو فى حركة مماثلة لحركة الأرجوحة وهى الحركة التى يتناولها لاكان بالمناقشة فى **السيمينار الأول** . إنها عملية التغلغل : ليست تكرارا أو تقدما ، ولكنها عملية ضرورية بالتأكيد . وكأن على عبقرية لاكان أن تكرِّر مناقشاته النظرية وما كتبه عن التطبيق ، أو تكرر تفسيراته لأعمال فرويد ، فى سياقات مختلفة تماما ، بحيث تبدو الفكرة 'ذاتها' (فكرة الانعكاس فى المرآة ، أو مفهوم الميثاق الرمزى) بصورة جديدة وعلى أرضية مختلفة . 'إن الكلمة ليست الشىء، ولكنها ومضة ندرك الشىء فى ضوءها' (ديدرو) . وما نراه مع لاكان ، خلال ومضة الكلمة هو مشهد يتحول أحيانا بشكل فجائى ، وفى أحيان أخرى لا يتحول إلا تحولا طفيفا ، إلا أن المحصلة النهائية هى التغير المستمر . وبمرور الوقت تغيرتْ نظريات لاكان تغيرا جذريا ، حيث كان كل سيمينار يدفعه إلى التطوير والتأمل . لا توجد نظرية لاكانية ، ولكن كان هناك تعليمٌ

على نحو فريد وفارق . ومعظم هذا التعليم مجسدٌ فى السيمينار ومنها **سيمينار عن أبحاث فرويد فى التقنية** ، ودارت جلساته بين عام ١٩٥٣ وعام ١٩٥٤ ، وهو الأول ، ومدون بصورة كاملة نسبيا .

V

سيمينار جاك لاكان
الكتاب الثانى
الأنا فى نظرية فرويد وفى تقنية التحليل النفسى
١٩٥٤ - ١٩٥٥

"يمكن أن تكونوا لاكانيين ؛ مثلما أنا فرويدى"
جاك لاكان [٤١]

كان موضوع السنة الثانية من سيمينار لاكان التعليمى فى الجمعية الفرنسية للتحليل النفسى عن 'الأنا فى نظرية فرويد وفى تقنية التحليل النفسى' . وتمثل بعض الجلسات أساس المواد المنشورة التى كتبها لاكان بعد ذلك فى الخمسينيات ، خاصة "سيمينار عن **الرسالة المسروقة**" وهو سيمينار شهير ، نشر فى مجلة الجمعية الفرنسية للتحليل النفسى ، **التحليل النفسى** العددالثانى ١٩٥٦ *La Psychanalyse* 2 1956 . واستهلَّ به لاكان **كتابات** ، الكتاب المنشور فى عام ١٩٦٦ .

وبدايةً من هذا السيمينار فى أوائل الخمسينيات ، ركزت أعمال لاكان على التعليم . وكل ما كتبه لاكان هو بالأساس تقطير وخلاصة لمواد تم إنتاجها وتكرر ورودها فى سيميناره الأسبوعى – وقد نُقِّحتْ ، أحيانا ، عدة مرات بأشكال متنوعة . فى أوائل الخمسينيات كان سيمينار لاكان النقطة الوحيدة تقريبا للتعرُّف على تفكير لاكان : والآن ، وبعد وفاته بسنوات ، تقدِّم النسخُ المنشورة من هذا السيمينار أفضل وسيلة للتعرف على ذلك التفكير . إن الصعوبة التى تشتهر بها 'كتابات' لاكان ، وهو الاسم الذى أطلقه عليها حين جمع بعضها للنشر فى عام ١٩٦٦ ، تضعف تماما فى هذا التدوين للممارسات التعليمية . إن حقيقة عودته باستمرار إلى موضوعات معينة ، كما ذكرنا من قبل بإيجاز ، تتيح للقارئ رؤية المسألة ، المفهوم المطروح للمناقشة ، من زوايا مختلفة .

وأنوى هنا أن أقدِّم إلى من قد يقرأ **السيمينار الثانى** دليلا إلى نصٍّ يأخذ شكل الفسيفساء الباروكى أكثر مما يأخذ شكل التتابع الخطى . ويصفُ لاكان سيميناره بأنه 'بانوراما'، وكل ما أسعى إليه هو تدوين قائمة ببعض الموضوعات التى تحدد للقارئ عددا من المواضع التى يرى منها على الأقل مشهداً لبعض المعالم الرئيسية. وتبرز ثلاثة من هذه الموضوعات الرئيسية : الآلة ، **والآخر** Other ، والتكرار إذا نظرنا إلى سيمينار السنة كوحدة شاملة .

ونجد فى **السيمينار الثانى** المزيجَ نفسَه الذى يميز **السيمينار الأول** ، نجد مزيجا من التعليق النصىِّ ، والاستطراد ، والتماثل غير المتوقع ، والإشارة . وإن كان ثمة اختلاف فهو يتمثل فى أن درجة المناظرة الحيوية وإثارة الأسئلة من قبل المشاركين عن خطاب لاكان فى هذا السيمينار كانت أكثر حدة مما كان عليه الحال فى **السيمينار الأول** ، ويعرض السيمينار المزيجَ نفسَه غير المتوقع من الإشارات الأدبية ، والمناقشات الفلسفية ، من التاريخ التحليلى للحالات ، وتشريح المفاهيم . إلا أن النظرة النهائية ، بالرغم من ذلك ، تختلف .

بينما انصب اهتمام لاكان الأساسى فى **السيمينار الأول** على تطوير الأفكار التى وردت فى أعماله السابقة ، خاصة فى "**تقرير روما**" (نشر فى عام ١٩٥٣ بعنوان 'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما فى التحليل النفسى') وفى أبحاثه عن مرحلة المرآة ، فإن **السيمينار الثانى** يحتوى على موضوع جديد يمثل علامة فارقة : نظرية الآلة والتواصل والسبرنطيقا . وكانت ذروة سيمينار ذلك العام محاضرة ساهم بها لاكان فى سلسلة متوازية من المحاضرات عن 'التحليل النفسى والعلوم الإنسانية' ، نظمتها الجمعية الفرنسية للتحليل النفسى : وكانت المحاضرة بعنوان 'التحليل النفسى والسبرنطيقا أو عن طبيعة اللغة' وقد تأثرت ، فى الحقيقية ، دروس سيمينار تلك السنة تأثُّراً جوهريا بهذه السلسلة التى جرتْ متوازيةً مع السيمينار . إن موضوع الآلة والسبرنطيقا وموضوع العلوم الإنسانية (بتضافرهما فيما قدَّمَه لاكان) يقدمان لمحة عن تعليمه تنأى به عن أن يكون مجرد تعليق على نصوص فرويد . وبيَّن أنه (ذلك الذى لا يقتصر أبدا على التعليق المباشر)، يمضى باتجاه التأمل الواسع فى إبستمولوجيا التحليل النفسى

واختبار الأصالة الحقيقية فى أعمال فرويد . وكان يستهلُّ السيمينار ، غالبًا ، بإشارات إلى محاضرات الليلة السابقة وإلى المناقشات التى أثارتها-خاصة تلك المحاضرات التى ألقاها بنفنست Benvensite ، وهيبولت Hypolite ، وكوريه Koyre ، وليفى شتراوس ، وميرلو - بونتى Merleau - Ponty . ومن ثم ، يدرك القارئ أن النسخ الموجودة من **السيمينار الثانى** لا تسجل إلا جزءا من سلسلة مناقشات استمرت على مدار العام فى الجمعية الفرنسية للتحليل النفسى .

وما قد يثير دهشة قارئ **السيمينار الثانى** هو الاتجاه الذى يدرس منه لاكان موضوعه المفضَّل ، الأنا فى النظرية التحليلية والتقنية التحليلية . ولا توجد بالفعل إشارات إلى النصِّ الفرويدى الذى كان أساسيا فى المناقشات المماثلة التى دارت فى بريطانيا وأمريكا : نص فرويد عن **الأنا والهو** . ولا يناقش لاكان ، وهو أمر أكثر إثارة للدهشة ، بحث فرويد عن النرجسية ، وبحث لاكان المكمِّل له ، 'مرحلة المرآة'. ويفترض لاكان أن أعضاء السيمينار على اطِّلاعٍ بالعمل الذى اكتمل فى السنة السابقة ، فى **السيمينار الأول** ، حيث نوقش موضوع الأنا مناقشةً مستفيضةً مع نظرية الخيالى ومسائل التقنية التى أثارها التقمص والعلاقة الثنائية . وهناك ، ركَّز لاكان على نظرية مرحلة المرآة فى تشكُّل الأنا ، مكمِّلا ذلك 'بمخطط الباقة المقلوبة' الذى استخدمه كنموذج للعملية التحليلية . وفى **السيمينار الثانى** ينتقل لاكان من مقدمة النرجسية – التى كانت متزامنة مع كتابات فرويد عن التقنية – إلى الطوبوجرافيا الثانية فى العشرينيات . ويسلِّم لاكان بأن الأنا فى هذا النموذج الطوبوجرافى الثانى (**سيكولوجيا الجماعة وتحليل الأنا** (١٩٢١) ، **الأنا والهو** (١٩٢٣) تمثل تحولا فى نظرية فرويد ، تحولا جعله مفهومُ النرجسية ممكنا؛ ولكنه يرى أن مفتاح اختبار هذا التحول يكمن فى أول أعمال فرويد الرئيسية فى العشرينيات – **وراء مبدأ اللذة** (١٩٢٠) .

وينهمك لاكان انهماكا شديدا ممعنا فى الجذور المعرفية للتحليل النفسى وفى تفسيرها حتى يتمكن من فهم **وراء مبدأ اللذة** ، أصعب أعمال فرويد وأكثرها استعصاء على الفهم . وعموما، اقتصر مشروع لاكان فى التعليق على نصٍّ فرويد على تقديم قراءة واحدة له ضمن قراءات أخرى فى محاولة 'للتعبير عن الظروف التى جعلت ما

يقوله فرويد ممكنا' .[٤٢] وفى الواقع ، ثمة مناسبات عديدة كان لاكان يختم فيها مناقشاته بالقول : 'إذا كان اكتشاف فرويد لا يعنى ذلك ، فهو لا يعنى أى شىء' . ويتطلب الانهماك فى مثل هذا المشروع ، هذا المنهج فى القراءة ، خاصة حين يتناول كتابا مثل **وراء مبدأ اللذة** ، يتطلب عملا تمهيديا يوضح الخلفية على نحو يفوق المعتاد . كشذرة من التأمل الخالص ، يتواءم مع تفسير تأملى ويتطلب ، فى الحقيقة ، ذلك النوع من التفسير . [٤٣] ويدور فى هذا السيمينار جانبٌ كبير من المناقشات المنهجية والتاريخية والفلسفية : الفقرات المبكرة عن موضع اكتشاف فرويد من تاريخ الأنا منذ سقراط حتى الآن ، ويرى لاكان أن هناك علاقةً وطيدةً بين فرويد والتراث 'الأخلاقى' من لارشفوكو وبسكال إلى نيتشه ؛ الادعاء بأن تحول فرويد فى العشرينيات ، خاصة فى وراء مبدأ اللذة ، يرجع إلى إنقاذ التحليل النفسى من النوبان فى السيكولوجيا الأكاديمية ، وإنقاذه بالمثل من انعدام التأثير على المرضى أنفسهم الذين شفوا أولا بواسطته ، والذين ، بوجوده الحقيقى ، أصبحوا محصنين ضده . وكان هذا الموضوع الأخير ، وبقى ، موضوعا دائما فى أعمال لاكان [٤٤] الادعاء المتعلق 'بالانكماش العام فى التأثير العلاجى' [٤٥] بعد الحرب العالمية الأولى (واستمرَّ بعد الحرب العالمية الثانية) . ويشكل هذا الادعاء إحدى قواعد دعوته إلى ضرورة تنقيح أسس التحليل النفسى ، بالعودة إلى فرويد . ولكن يجب أن تكرر العودة إلى فرويد استراتيجية فرويد ، أى إعادة ابتكار التحليل النفسى حين يصبح مألوفا ويفقد غرابته : إن المرضى الذين يمكن أن يقدموا تفسيرا تحليليا لأنفسهم يعرضون 'الحيلة الأكثر إزعاجا التى يمكن لنا انتزاعها من كاهن الوحى' [٤٦] بحيث يحتفظ الكهنة بخطوة أمام المتضرعين .[٤٧]

يخصص لاكان الأجزاء الأساسية من السيمينار الثانى لمناقشة الوضع المعرفى للتحليل النفسى وعلاقته بالعلوم الدقيقة exact sciences ، وتبلغ الذروة حين قال فى محاضرته عن 'التحليل النفسى والسبرنطيقا' إن التحليل النفسى ينتمى إلى 'العلوم الحدسية' : تلك الفروع المعرفية التى تهتم 'بمغزى الفرصة'. [٤٨] ولا يتضح لنا تماما كيف اختار لاكان مصطلح 'الحدسى .'conjectural [٤٩] 'الحدسى' هنا يقابل 'الدقيق' مثلما 'المحتمل' يقابل 'الأكيد' وأيضا مثلما 'الرأى' يقابل 'المعرفة' .[٥٠] ولكن يتضح ، مع ذلك ، السياق الذى يقدم فيه لاكان هذا الادعاء: كادعاء ، أو أمل ، لصالح التحليل النفسى ، على التحليل النفسى ألا يضيع فى بحث يائس عن جدارته بالاحترام الذى

تتمتع به العلوم الدقيقة – جدارة بالاحترام تحتفظ بها نتيجة العَمَى الذى يقود الإبستمولوجيا إلى التغاضى عن علاقة الإنسان الحاسمة بالرمز ، الذى يحدد حدود العلوم "الدقيقة"و"الإنسانية" واحتمالات تلك العلوم .

إنها على أية حال الفرصة الأولى التى يستخدم فيها لاكان مفهوم العلوم الحدسية .(٥١) إلا أن الأرضية المؤثثة بمناقشات مستفيضة عن الآلة ، والواقع (يتساءل لاكان فى **السيمينار الثانى** : "لماذا لا تتكلم النباتات ؟" (٥٢)) ، السبرنطيقا ، والفرصة، وطبيعة الرياضيات ، تعطى انطباعا أقوى عن حدود العلوم الحدسية التى ينتمى إليها التحليل النفسى وطبيعة تلك العلوم . (ربما رأى آخرون ، أتوا بعد ذلك ، أن الحقل المعرفى المتميز هو ذلك الذى شغلته البنيوية ، لفترة قصيرة رائعة) .

وربما تكون نقطة البداية فى مناقشة لاكان للمسائل المتعلقة بعلاقة التحليل النفسى بتاريخ الفلسفة والفكر عموما ، وبمسائل الأهمية الحيوية لنظرية التحليل وتقنيته ، ربما تكون أطروحة بسيطة : إن البشر يشبهون الآلات أكثر مما يشبهون الحيوانات .(٥٣) تأتى العبارة بفرضيتين مثيرتين للخلاف إلى حد ما ، لكنهما مألوفتان تماما ، وتشيد شيئا جديدا تماما يعكس أزمتهما .

أولا ، هناك ثمار مادية القرنين السابع عشر والثامن عشر (من ديكارت فى **الإنسان** *L'Homme* إلى لاميتريه فى **الإنسان الآلى** *L'Homme machine*) : إن الحيوانات آلات بالمعنى الفج ، أى أنها مصنوعة وتؤدى وظائفها كما تؤدى أجزاء الآلة الأتوماتيكية والمحركات المائية وظائفها . وهناك ، بعد ذلك ، ثمار النزعة الطبيعية فى القرن التاسع عشر (داروين) : إن البشر حيوانات ، لأن أجسادهم تؤدّى الوظائف نفسها التى تؤديها الحيوانات وطبقا للقوانين ذاتها، والأهم ، أنهم يشاركون الحيوانات التاريخ نفسه . **ومن ثم** ، استنتج عدد كبير من المفكرين فى القرن العشرين أن البشر حيوانات وآلات فى الوقت ذاته . وهو استنتاج صائب . وتنسجم أطروحة لاكان انسجاما دقيقا مع الادعاءين فى الوقت ذاته إلا أنها تقدم لنا مهمةً أخرى على الفور ، مهمة نتجنبها عادة بالرضا الوسنان ، أو بالهلع القلق ، بها نقبل تطبيع البشر natulralization وميكنتهم mechanization أو نجابه ذلك الموقف : المهمة هى تحديد القرابة

والتشابهات الدقيقة فى هذين الادعاءين . وإذا وضعنا فى الاعتبار سياق التحليل النفسى فى منتصف القرن ، الذى بدا أنه لا يستطيع أن يتصور أن شيئا عدا البيولوجيا بإمكانه أن يقوم بدور الأمِّ أو المربية بالنسبة للتحليل النفسى الذى نبتَ ريشُه ، فإن نتائجه تكون ثورية : بدلا من أن تعد (أم أنه تهديد ؟) البيولوجيا الأم باستيعاب (أم أنه إنكار ؟) ابنها الطبيعى ، أى التحليل النفسى ، يجد الوليد نفسه فى حقل يخصه بالكامل ، إلا أن أحد الجيران المقربين على الأقل يتكلم لغته الخاصة ، ألا وهى لغة الرمز .

استخدم لاكان فى السيمينار **الأول** مناقشاتٍ وآراءً تفصيليةً تتعلّق بالسلوك الحيوانى لشرح نظريته عن الخيالى ، بدون المجازفة بالظهور بمظهر الاختزالى البيولوجى، وهى تهمةٌ كثيرا ما وجِّهَها إلى نظرائه فى التحليل النفسى . وفى السيمينار **الثانى** ، يوجد التحول إلى المصدر الآخر للإزعاج فى ميتاسيكولوجيا فرويد ، وتوجهها الميكانيكى ، ويحدث تطور غير متوقع . يرى كثيرون أنه كان من المتوقع أن يقف لاكان بتأكيده على اللغة والكلام ، وهو تأكيد متأثر بفلسفة هيجل وهايدجر ، أن يقف إلى جانب ذوى النزعة الإنسانية ، المعادين للنزعة البيولوجية، المدافعين عن تلقائية autonomy التحليل النفسى . إنه ، بالعكس ، معادٍ بعنف للنزعة الإنسانية (تقريبا بالصورة التى يرحب بها ميشيل فوكو بشبح 'موت الإنسان' فى الفصل الأخير من **نظام الأشياء** (*The order of things*) . ورفض أى دفاع عن تلقائية التحليل النفسى الذى أنكر ادعاءات الفروع المعرفية الأخرى عن صلتها الوثيقة بنظرياته وتطبيقاته . وأدرك لاكان أن مثل هذا الدفاع (المماثل 'لسياسة النعامة' التى يصفها كما اتضحت فى قصة بو **الرسالة المسروقة**) ، ارتبط غالبا بالإهمال المتعمد للفكر البيولوجى والفيزيائى .

إن آراء لاكان عن المنزلة الإبستمولوجية للتحليل النفسى أضفت عليه منزلة أرفع بكل معنى الكلمة : علاقة ديناميكية متكافئة بين التحليل النفسى والعلوم الأخرى ، العلوم الدقيقة . ويرى لاكان أن نظرية فرويد بمثابة ثورة كوبرنيكية ليس فقط بمعنى أنها غيرت وضع **الإنسان** فى 'الكون' بإزاحة مركز الإنسان بعيدا عن ذاته، ولكن أيضا بمعنى أنها أثرت تأثيرا أساسيا على معنى **الفيزياء** (ومن ثم على المفهوم الحقيقى

للكون) . إن الفيزياء ، وهى فى ذلك تشبه التحليل النفسى ، تنتج عن علاقة الإنسان بالرمز ، إلا أن الرمز الذى تنشغل به الفيزياء رمز رياضى ، 'حرف صغير مكتوب على السبورة' . وتضطر الذات فى الفيزياء ، إضافة إلى ذلك ، إلى تبنى موقف خاص إزاء الرمز : موقف الذات الموضوعية المحايدة ، وهو موقف قابل للتبادل مع أى ذات أخرى . ومن الناحية الأخرى ، كشف التحليل النفسى العلاقة غير المتوازنة بين الذات الجسدية الفانية والرمز . لنضرب مثلا ، استخدمه لاكان بصورة خاصة إلى حد بعيد : لكل منا علاقة برمز خالص سواء أكان اسم العائلة أم اللقب أم اسم الأب ، وهو رمز يحمل معه علاقة بميلادنا وببذور المستقبل (ومن ثم بموتنا الخاص) . أن اسم الأب يقدم هنا بُعْدًا أساسيا فى اللغة كلها : البقاء الشبيه ببقاء الصخور ، ذلك البقاء الذى تسعى اللغة إلى فرضه على عالم مشوّش سريع الزوال ، والحرية التى تمنحها سرعة زوال الكلام وتفككه للحيوان الذى يرفض ضغط الواقع المستمر وينغمس بدلا من ذلك فى خلق عالم احتمالى بديل لا يخضع لقوانين البيولوجيا المتعلقة بالحياة والموت .

للرمزِ نفسه ، وحدةِ اللغات الطبيعية ، خصائصُ تختلف تمام الاختلاف عن خصائص اللغات الاصطلاحية فى الرياضيات ، كما اتّضح ذلك فى وجود الأحلام (ومنهج فرويد فى تفسيرها) . إلا أن لاكان كان يتمنى تحديد طريقة لاصطياد ذات التحليل النفسى بين هاتين الوظيفتين للرمز : بين الرموز الطبيعية (ويتم اصطيادها فى الخيالى) وقوانين الرمزى :

> تنبثق الرموزُ الأولى ، الرموزُ الطبيعية ، من عدد من الصور السائدة–صور الجسد الآدمى ، صورِ عددٍ من الموضوعات الواضحة كالشمس والقمر ، وبعض الصور الأخرى . ومن هنا تكتسب اللغة الإنسانية قيمتها ومصادرها وذبذبتها العاطفية . هل هذا الخيالى متجانس مع الرمزى ؟ لا . وسيكون اختزاله إلى مجرد تأكيد على هذه الموضوعات الخيالية انحرافا عن معنى التحليل النفسى ... (٥٥)

الرمزى ، فى المقابل ، هو شكل اللغة ، الشكل النسقى الأساسى – وهو ما يدعوه لاكان "التوحيدى combinatorial' ، وهو لا يقل بدائية عن الرموز الطبيعية ، والأهم أنه يتشكّل من الوجود الحقيقى للرمز :

المعنى هو حقيقة أن الإنسان ليس سيد هذه اللغة البدائية الأولى . لقد تم إلقاؤه فيها...الإنسان ليس سيدا فى بيته . ثمة شيء يندمج فيه ، ويحكم بالفعل من خلال توافقاته..ينهمك الإنسان بكل وجوده فى موكب الأرقام، فى ترميز بدائى يختلف عن التمثيل الخيالى. وفى وسط ذلك ، علينا أن نتعرف على شيء ما فى الإنسان .(٥٦)

وبالتالى ، فإن الاكتشاف الجديد بشأن الموضوع الذى يمثله اكتشاف فرويد بالنسبة للاكان يتطلب حتما مراجعة مفهوم "موضوع العلم" (الموضوع التى يبدو أن وجود العلم ، كنسق للمعرفة ، يقترحه) ، حيث يعتمد العلم ، مثلما هو الحال فى التحليل النفسى ، فى تأثيره على الرمز .

إن لاكان ينفذ ، كلما تطرق إلى مناقشة العلوم الحدسية ، إلى تاريخ العلم وفلسفته :

... من المستحيل ألا نضع نظرية عامة للرمز ، محور التقسيم الجديد للعلوم حيث ستحتل علوم الإنسان مرة أخرى وضعها المركزى كعلوم للذاتية .(٥٧)

إنه يضع احتمالية العلوم الحدسية مع العلوم الدقيقة التى جعلت الطبيعة ، بدايةً من نيوتن ، بكماء وقابلة للقياس ، طبقا لقانون الرمز ، أى طبقا لقوانين الرياضيات : يذكِّر لاكان جمهوره بأن أنقى رمز متاح هو الحرف الصغير على السبورة ، بصرف النظر عما إذا كان رمز التكامل أو 'ط' [٢٢/٧ ، نسبة محيط الدائرة إلى قطرها – المترجم] أو رمز اللانهاية . إن العلوم التجريبية ترتكز على الرياضيات لتقدم للواقع ما يقبل القياس . إلا أن أية سلسلة من الحروف الصغيرة ، أو بصورة أوضح وأكثر إزعاجا لمن يجهل الرياضيات ، سلسلة من الأرقام الصغيرة ، مثل ١٠٠٠١٠٠٠١١١٠١ ، تتطلب ترتيبا وتتابعا لتكتسب وضعا ، ومن ثم يكون لها معنى . أى أنها تُدرَك باعتبارها تعمل وفقا لقاعدة–إنها تحتاج إلى تفسير . وهنا يردِّد لاكان ، بوعىٍ ، الانتقادات التى وجهها علماء الرياضيات البحتة من أمثال d'Alembert إلى نظرية الاحتمالات التى كانت جديدة فى القرن الثامن عشر . إن حقيقة أن القواعد ضرورية لتوليد الحقائق الرياضية ، وهى من ثم ضرورية لتفسير العالم القابل للقياس ، توضح

أيضا للاكان كيف يجعل مفهوم التكرار الفرويدى – الذى تتأسس عليه فى النهاية فكرة الإحالة بصورتها الحقيقة – شبيها بتأثير مجموعة الدوال التى تشكل اللاشعورى .

ومن ثم يرى لاكان أن مشروع فرويد فى السيكولوجيا العلمية هو المحاولة التحليلية الأولى لإخضاع ظواهر الوعى لقاعدة . ولكن ذلك لم يكتمل بالاختزال المزعوم إلى مادة وحركة ، وهو الاختزال الذى يمثل حلم القرن التاسع عشر بعالم الآلة ، عالم المحرك البخارى ، ولكنه يكتمل بالعودة إلى مفهوم أقدم للآلة ، مفهوم بسكال والاحتماليِّين فى القرن الثامن عشر ، وهو مفهوم يطابق أيضا ، على نحو فجائى ، فى عام ١٩٥٤ واليوم ، المفهوم السبرنطيقى والرياضى للآلة كنسقٍ محدود من التوجيهات لإنجاز عمليات بسيطة بالاعتماد على خواص الرموز التى تكوِّن "الداخل input ' .

وهكذا ، فإن مفهوم لاكان للتكرار فى التحليل النفسى يجعله بمعنى ما أكثر شبها بنظرية المعلومات وما يدعى الآن 'الذكاء الاصطناعى' ، أكثر من الشبه بينه وبين الخاصية شبه البيولوجية quasi-biological للكائنات الحية . ولم تكتمل الأعمال الأساسية لإعادة توجيه تاريخ العلم ، تلك التى يستلزمها تفسير من هذا النوع للتكرار وعلاقته بالعلوم بعد – الفرويدية ، لم تكتمل إلا فى السنوات العشر الأخيرة على أيدى المؤرخين المحترفين ، أثناء العمل فى تاريخ نظرية الاحتمالات والديناميكا الحرارية – مثلا ، فى كتاب إيان هكنج Ian Hacking **انبثاق الاحتمالية** *The emergence of probability* وهو عمل يمثل بداية لعهد جديد ، والتفسيرات الثورية لسيكولوجيا القرن الثامن عشر ورياضيات داستون Daston ولإحصاء بورتر Porter وآخرين .

ومع مثل هذه الإطلالة على خريطة العلوم ، لم يكن أمام لاكان إلا أن يتفاعل مع الحركة ذات القاعدة العريضة فى تاريخ الأفكار ، تلك الحركة المرتبطة بنظرية المعلومات وعلم السبرنطيقا (وهو الاسم الذى أطلقه واينر ، فى كتاب بهذا العنوان نشر فى عام ١٩٤٨) . إلا أنه ، فى أى استخدام لمفاهيم جديدة عن الرسالة message والاتصال والمعلومات ، ينبغى أن يُبقى النسقُ على الحساسية السائدة فى الفروق اللغوية الدقيقة وحدود المحادثة كما وضحها فرويد فى تاريخ الحالات وتحليل الأحلام ، وكانت السمة الخاصة بأسلوب لاكان ، وقد لاحظها واينر بصورة رائعة فى كتابه **استغلال البشر**

للبشر *The human use of human beings* (١٩٥٠) ، وكانت حاسمة بالنسبة للسبرنطيقا فى أطوارها الأولى . إن البراعة فى مناقشة الصدفة والرقم والعلامة هى السر وراء النجاح الكبير لتحليل لاكان لقصة إدجار آلان بو ، **الرسالة المسروقة** ، فى **السيمينار الثانى** ؛ بصورة جعلت من الممكن ابتكار مقاربة جديدة تماما لمفهوم التكرار الذى يتأسس عليه **وراء مبدأ اللذة** . إن التكرار ليس مجرد حقيقة إمبيريقية ، وليس مجرد شيئا اكتشفه المحلِّل النفسى وهو يلاحظ مرضى العصاب وهم يكررون صدماتهم المنسية ، ويكررون (فى الإحالة) علاقاتهم المنسية بآبائهم ؛ لكن التكرار قاعدة تفسيرية أساسية أيضا ، شبيهة بمفهومٍ كانطىٍّ يلائم التحليل النفسى . إنها قاعدة مرشدة ، حين يأتى المريض بفعل أو يتفوه بشىء غير مفهوم ، حيث يكون الفعل أو الكلام تكرارا لشىء لم يكتشف بعد . وقد صاغها فرويد فى جملة، ألحَّ كثيرا على المفارقة والعمق الأصليين فيها : 'قبل كل شىء، سوف **يبدأ** المريض علاجه بالتكرار...' .[٥٨] وحيث أن المحلِّل يتخذ **بالضرورة** وضع من لا يفهم (يأتى المريض ، يطلب من المحلل أن يفهمه ، ويخلق بالتالى حالة من عدم الفهم وهى حالة يتطلبها العمل التحليلى ليصبح ممكنا) ، فإن ما يتم البحث عنه دائما هو المشهد المجهول الذى يتكرر ، أو القاعدة التى تتوافق مع الفعل أو الكلام الذى تضطلع به خاصية التكرار بالنسبة للذات . يدخل المريض إلى عرين المحلل وفى يده مسجل صغير walkman – ماذا يتكرر هنا ؟

وحين افترض لاكان هذا المفهوم الجديد للتكرار كمقولةٍ يتأسس عليها الفهم التحليلى ، وهو يناقش قصة بو ، قدم فى الوقت ذاته قراءة أدبية لذلك النص القصير مازالت نموذجية وثورية فى تضمينها للنقد الأدبى سواء أكان تحليليا أم لم يكن .[٥٩] وقد درس لاكان هذه المسائل عن طريق 'الآلة' وهو طريق لا يبشر ظاهريا بالنجاح .

إن استخدام لاكان لمصطلح 'الآلة' ، المصطلح الذى يتحدث عنه فى معظم السيمينار الثانى كان سيتضح أكثر لو استخدم مصطلح "آلة تورنج" [كمبيوتر افتراضى له قدرة غير محدودة على تخزين المعلومات ؛ وتورنج Turing عالم رياضيات إنجليزى توفى عام ١٩٥٤ – المترجم] ، أو كان هذا المصطلح متاحا له . وقد عرف دينيت Dennett آلة تورنج بأنها 'ليست سوى نظام محدود من الإرشادات لإنجاز

عمليات بسيطة على مجموعات الرموز التى تشكل "الداخل" '. (٦٠) إلا أن بعض تأملات لاكان ما كان لها أن تكون حاثةً على هذا النحو إذا اقتصر مصطلح 'الآلة'على ذلك التعريف المعترف به فى الوقت الحالى . يربط لاكان بين آلتين، ويشركهما فى محادثة ، ليوضح أن على مفهوم الخيالى ، الذى يمثل الارتباط الأساسى بين الإنسان والصورة ، أن عليه أن يلتحم بعالم الآلات المتحدثة . وكان يأمل أيضا فى تحديد الصعوبات التاريخية فى تطور التفكير بشأن الآلة ، من ديكارت إلى هيجل ومن ثم إلى فرويد . وهكذا يتأرجح بين مناقشة الآلات وعلاقتها بالطاقة (كما هو الحال أيضا فى السبرنطيقا والأعمال المرتبطة بعامل الأنتروبيا وعلاقته بنظرية المعلومات) [الأنتروبيا entropy : عامل رياضى لقياس الطاقة غير المستفادة فى نظام ديناميكى حرارى – المترجم ، عن المورد] والآلات وعلاقتها 'بالتفكير' (كما فى حالة الأبحاث الكلاسيكية عن آلة تورنج التى أجراها تورنج ولوكاس Lucas وتشارش Church ، وغيرهم) : الآلة التى صارت ممكنة بفضل مناهج جودل Gödel فى الإثبات وما أضافه تورنج لهذه المناهج .(٦١)

ناقش لاكان ما يفترضه الآن أنصار الذكاء الاصطناعى : تدعم نظريةُ الآلة المجردة ، المؤسسة على مفهوم المعلومات ، وليس على مفهوم 'الميكانيكا' بالصورة التى كان عليها فى القرن الثامن عشر ، أو على مفهوم 'الكائن المتوحد 'unified organism فى العلوم فى القرن التاسع عشر ، تدعم تلك النظرية بوضوح نموذجا غير اختزالى ، مفعما بالقوة . وتقوم بذلك لأن رياضياتها ونماذجها تتعامل أساسا مع قوانين الرمز . وكان على لاكان أن يعود فى أعماله التالية إلى صف جودل فى هذا الحقل من حقول البحث ، وهو يناقش نظرية العدد وعلاقتها بمفهوم التقمص .(٦٢) ومع ذلك علَّق الجانب السبرنطيقى فيما بعد تعليقا مؤقتا فى السيمينار .

وقد قاده توضيح نتائج مقاربته الجديدة للآلة ولوازمها الفلسفية إلى التركيز على 'بيولوجيا' وراء مبدأ اللذة و نظرية الليبيدو عند فرويد .(٦٣) ويخلص إلى أن أيا منهما لا يمثل بيولوجيا حقيقية ، وإلى أنهما يشكلان "بيولوجيا" غير بيولوجية non-biological "biology" . ويخلص ، فى الحقيقة ، فى الجملة الختامية لسيمينار ذلك العام إلى 'أن

غريزة الموت ليست سوى قناع النظام الرمزى...النظام الرمزى لا كينونة له ويلحُّ فى الوقت ذاته على أن تكون له كينونة ، وهو ما فكر فيه فرويد حين تكلم عن غريزة الموت باعتبارها الغريزة الأساسية أكثر من سواها ...'[٦٤] إن استمرار المناقشة يربط مفهوم فرويد للتكرار بنظرية الآلة ، بتقديم تفسير جديد لعلم الطاقة :energetics [فرع من فروع الميكانيكا فى الطاقة وتحولاتها – المترجم ، عن المورد [فى القرنين التاسع عشر والعشرين ولنظرية المعلومات التى تعتبر متولدة عنه. وفقد هذا التفسير بعض خصوصيته منذ إعادة تفسير مفاهيم الفيزياء بصورة شاملة على أيدى كل من بريجوجاين Prigogine وستينجرز Stengers بوصفها تتمركز حول الديناميكا الحرارية ومنذ وصف الأنساق اللاعكسية . non-reversible[٦٥] وحتى يفهم لاكان كيف أساء فرويد بناء ظواهر برزت بواسطة الذات التى يتم تحليلها (وخاصة ظواهر التكرار ، وبصورة أكثر شمولا ، تلك الظواهر التى تجمعت تحت مفهوم 'دائرة الخطاب' الذى أدخله لاكان إلى السيمينار) فيما يبدو أنه تربة بيولوجية ، ليفهم ذلك يعود إلى النموذج الذى تأسس عليه **وراء مبدأ اللذة** : ميتا سيكولوجيا **المشروع** [**مشروع سيكولوجيا علمية** (١٨٩٤) *Project for a scientific psychology* – المترجم] والفصل السابع من **تفسير الأحلام** .

مع **المشروع** ، يكتشف لاكان الآلة من جديد ، الآلة التى 'دارت بنفسها تقريبا' بتعبير فرويد . ويرى لاكان بوضوح أن الآلة ليست غريبة على العلوم الإنسانية ، كما افترض ذلك المفكرون 'ذوو النزعة الإنسانية' . 'الآلة تجسيد لأكثر نشاطات الإنسان اديكالية .'[٦٦] وتمدُّ السبرنطيقا لاكان بالمواد اللازمة لتجسيد هذه الأطروحة . ويحدد ن ، واضعا فى الاعتبار ما قد ندعوه قراءة **مشروع** فرويد طبقا لنظرية المعلومات ، أن النسخة السيكولوجية لهذا النموذج وهى النسخ الموجودة فى **تفسير الأحلام** ، محاولة لاتخاذ خطوة أخرى إلى الأمام بإدخال بعد الزمنية (الذى تنشأ عنه كل نضاتها الداخلية) . وبعد ذلك ينكبُّ لاكان على دعواه (ذات التوجه السبرنطيقى) : ن اهتمام نظرية الأحلام لفرويد بسيكولوجية الحلم أقل من اهتمامها برسالة الحلم (ومن ثم 'الحالم') ؛ لقد اهتم فرويد بالرسالة **كما هى** ، بالرسالة كجزء من "خطاب متقطع ولكنه لحوح" . [٦٧]

إن الموضوع المتواتر فى هذا السيمينار وفى غيره هو مناقشة ما يعتقد أنه 'سيكولوجيا' متجانسة - حينا فى أعمال فرويد وحينا فى أعمال أولئك المحللين النفسيين الذين يعتبرون أنفسهم بناة سيكولوجيا-وهو فى الحقيقة أشبه ما يكون بوصف للعملية التحليلية ، للعلاقة بين المحلَّل والمحلِّل . وهكذا يبين لاكان كيف أن مفهوم فرويد للرقابة لا يشير إلى حدث سيكولوجى أو عملية سيكولوجية داخلية ، لكنه بالأحرى ذو علاقة بمفهوم المقاومة فى تفسير الأحلام والممارسات التحليلية إلا أنه يختلف عنه ، وهو أكثر شبها 'بقانون الخطاب' و'القانون' الذى ينصُّ على أن المرء لا يستطيع فهم القانون برمته . وتمتْ ، بالمثل ، مناقشةُ أن المقاومة ليست حالة سيكولوجية داخلية ،'تُعزَى'وكأنها قضية مسئولية (بصرف النظر عن إمكانية التسامح بشأنها) ، إلى المريض (أو ، بصورة لا تصدق ، إلى العَرَض) ، لكنها تتعلق بضغط المحلل وعمله . ('ثمة مقاومة واحدة فقط ، إنها مقاومة المحلِّل .'[٦٨]) وحين يتناول لاكان نظرية فيربرن عن الحافز المضاد Fairbairn's anti-drive theory ، وهى نسخة من التحليل النفسى عن علاقات الموضوع ، يتحد مفهوم 'الموضوع الباطنى the internal object'أو 'الموضوع المبطن the internalised object' مع تقنية تكون فيها أنا المحلِّل هى المقياس الوحيد لعالم المريض ، عالمه الخيالى ؛ وبالإضافة إلى ذلك ، يمثل مفهوم 'الأنا الملاحِظة' اسما آخر للمحلل الذى 'يراقب' المريض .[٦٩] وكل انتقاد من هذه الانتقادات يمثل هجوما على سيكولوجيا التحليل النفسى ، وهو انتقاد مرتبط بإصدار توصية لجعل نظرية التحليل النفسى أقوى ارتباطا بممارسة التحليل . 'بالمثل ، حين يتعلق الأمر بمرضانا ، من فضلك اهتم بالنصِّ أكثر مما تهتم بسيكولوجية المؤلف - وهذا هو التوجه التام لتعليمى .'[٧٠]

وحتى يرسم لاكان نسخة من هذا الإصدار ، فإنه ينكبُّ على نظرية فرويد عن الأحلام ، ليبين أن اهتمام فرويد بسيكولوجية الأحلام (بالرغم من كتابة فصل ختامى فى تفسير الأحلام بعنوان 'سيكولوجيا عمليات الحلم') كان أقل من اهتمامه بمعانيها ومناهج تفسيرها . أى أن اهتمام فرويد بخصوصيات النص كان يفوق اهتمامه بالعمليات الذهنية . وهنا ينهمك لاكان فى أحد استطراداته الظاهرية - فى عمل من الأعمال التى

تدل على **ألمعية غير متوقعة** ، تلك الأعمال التى تمثل سرَّ شهرته : إعادة النظر فى حلم حقنة إرما ، موضحا أن السؤال الذى طرحه فرويد على نفسه كان : 'ما معنى الحلم ؟'وعليه رد حلمه : 'معنى' . ويتم تخصيص جزء كبير مما تبقى من **السيمينار الثانى** لاستكشاف الرمزى واستكشاف مقدمة المصطلح الذى صار مصطلحا مركزيا فى جزء كبير من أعمال لاكان التالية : ألا وهو مصطلح **الآخر** the Other .

ويمضى لاكان ، بعد أن وضح أن ممارسة التحليل تتطلب معرفةً بأنَّ العلاقات موجودة 'منذ البداية' يمضى متعقبا خطى فرويد ، إلى أبعد 'من' ذلك . والسبيل الذى يسلكه إلى هذا 'الأبعد' هو طريق الرمزى : وعن طريق الآلة مثلما هو الحال فى معظم أجزاء هذا السيمينار . وخلال الاهتمام بلعبة زوجى أم فردى [جوز ولا فرد] - التى يرى لاكان أنها تعكس أكثر الآلات الحديثة بدائية ، وهى الآلة التى تعمل فى التدوين الثنائى ، أى الآلة الحاسبة الرقمية ، وتقدم اللعبة ذاتها توقعا لتحليل قصة بو ، حيث أنها مأخوذة عن تلك القصة – وفيه يوضح لاكان خطاب اللاشعورى وعلاقات الرمز والواقع . وهنا تبرز قيمة الرمزى : حيث نرى الذات مستقرة فى علاقة سلبية مع تلك الذوات الموجودة ضمن سلسلة الخطابات وتحتاج إلى استجابة تلك الذات (مثلا ، كانت الحكايات التى تحكيها عائلة فرويد تمثل عنصرا كبير الأهمية فى مفهومه عن عقدة أوديب [٧١]) . حيث يتحول لاكان بصورة متعرجة ، منتقلا إلى تحليل **الرسالة المسروقة** ، وكانت حقا اكتشافا ملائما بالنسبة له ، حيث أنها تكمل تكرار المشاهد المألوفة للمحلِّل بدقة رياضية لسلسلة تتحدد بواسطة بنية (القواعد التى يتم بواسطتها إنتاج السلسلة) ، وينبثق عنها شىء غير متوقع .[٧٢] وتقدم حركة الرسالة فى حكاية بو مجازا تصويريا للعملية التحليلية ، وتوضح أيضا أن البنية التى توضع فيها الرسالة هى التى تحدد تأثيرات المعنى واحتمالية الفهم بالنسبة للمشاركين فى نقل الرسالة . إن الرسالة هى وحدة آلة اللغة ، وأفعال المشاركين هى كلام هذه الرسالة ، هذه الآلة، والرسالة فى الحقيقة هى ما يحدثهم أو يخاطبهم . وعند هذه النقطة ، يقدِّم لاكان ، بواسطة مسألة علاقة الكلام باللغة وعلاقة اللعب play والألعاب games (*le jeu*) ، يقدِّم **الآخر** the Other ، ومعه التخطيط L (أو تخطيط على شكل حرف Z) ، وبه يواصل وصف

تقلبات عملية التحليل وعلاقتها بمفاهيمه عن الأنا والآخر other ، عن الذات والآخر Other ، والخيالى والرمزى والواقعى .

لا يمكن أن نُفْرِط هنا فى التأكيد على أهمية مفهوم **الآخر** فى فكر لاكان ؛ أو تعدد التكافؤ الأساسى لهذا المفهوم . حيث أن خلفيات مفهوم **الآخر** موضوع أكبر من أن نناقشه هنا بصورة كافية . ونكتفى هنا ببعض الإشارات الموجزة .

إن بُعد *الخداع* والكذب ، وهو موضوع حظى بقدر عظيم من الأهمية فى **السيمينار الأول** ويتكرر فى أعمال لاكان ويميزها ، يكفل هنا ضرورة وجود مفهوم **الآخر** . وتضطرنا حقيقة أن الذات قد تكذب ، تضطرنا إلى التفكير فى أن ثمة شيئا وراء تبادل العلاقات بين الذوات intersubjectivity .(٧٣) إنه يضع ، غالبا ، خبرة الخداع والكذب ، وهى خبرة مألوفة تماما فى الحياة اليومية ، ومألوفة أضعاف ذلك فى الحياة اليومية للتحليل النفسى ، يضعها جنبا إلى جنب مع أهمية تلك الخبرة فى تاريخ الفلسفة والعلم . وينكبُّ مرة أخرى على مناقشة موضوع الروح الحارسةdemon عند ديكارت (التى قد تخدعه وتجعله يصدق ما هو غير حقيقى) وضرورة الرب الذى ينطق بالحقيقة ويستحضره ديكارت ليضع عالم العلم على الأرض، وعلى مناقشة تكرار reprise أينشتاين ، وإشارته إلى رب العالِم ، وإلى أنه ليس خبيثا . ودخل واينر ، أيضا ، إلى المقاطعة ذاتها ، موضحا أن أينشتاين يفترض أن الرب لا يخدع وهو يلعب البوكر مع عالم الفيزياء – وقد استوعب لاكان فى شغف أعماله وأعمال غيره من السبرنطيقيين .(٧٤) لكن ما يمنح القوة لتأملات لاكان عن الخداع هو أن كذب المريض يخدع المحلل بقدر ما تخدعه حيلة الرب . وفى **السيمينار الثالث** ، يصوغ لاكان السبب وراء تقديم **الآخر** على النحو التالى :

> ولماذا بحرف A كبير [فى كلمة Autre ، بالفرنسية ، أى الآخر] ؟ إنه دون شك ، سبب مجنون ، مثلما هو جنون فى كل مرة نضطر إلى أن نأتى بعلامات مكملة لتلك العلامات التى تقدمها اللغة . السبب المجنون هنا هو التالى . أنتِ **زوجتى** – ومع ذلك ، ماذا تعرفين عن ذلك الشىء ؟ **أنتَ سيدى** – فى الواقع ، هل أنت على يقين من ذلك ؟ إن ما يخلق القيمة التى تؤسس تلك الكلمات هو هدف الرسالة ،

كما أن ما يَبْرُز من هذا الادعاء ، هو أن الآخر other يوجد باعتباره آخرOther مطلقا . ومطلق هنا ، بمعنى أننا نتعرف عليه لكننا لا نعرفه . وبالمثل ، إن الذى يشكِّل الادعاء ، فى النهاية ، هو أنك لا تعرف ما إن كان ادعاء أم لا . إن ذلك العنصر المجهول الذى يمثل تبدل الآخر هو بصورة جوهرية ما يميز علاقة الكلام على مستوى توجيه الكلام إلى الآخر .(٧٥)

وكما سبق أن ذكرتُ ، علينا ألا ننسى تأثير **نظرية اللعب** *The theory of games* لكلود شانون Claude Shannon وجون فون نيومان John von Neumann وأوسكار مورجنسترن Oskar Morgenstern ، وأعمال نوربرت واينر على فكر لاكان فى **السيمينار الثانى** ، ومن ثم على توليد مفهوم الآخر . وإذا كان مفهوم 'الآخر 'other' أو '**الآخر** 'Other' قد وجد صداه المباشر بعد الحرب فى اهتمام سارتر من جديد بمشكلة 'الآخر'، تلك المشكلة الكانطية ، فى **الوجود والعدم** (وأيضا ، بالمسألة الكانطية المرتبطة بالعلاقة بين الأنا المتعالية والأنا الإمبيريقية) ، إلا أن الهيكل التفصيلى لمفهوم لاكان يدين أكثر بتفسيراته **لفينومينولوجيا** هيجل ، مع سياق اللغة والاستبدال والبنية عند ليفى شتراوس وموس. ويأخذ لاكان من هيجل ، دون تعديل ، خاصية من جدل 'الروح الجميلة' ، خاصية التبادل بين الذوات ، تلك الخاصية الضرورية لكل الحالات الإنسانية ، المعرفية والوجدانية والأخلاقية . ومن هنا تأتى فكرة لاكان عن أن الرغبة الأساسية التى تبحث عن تعبير فى التحليل النفسى هى الرغبة فى التعرف . وأية رغبة فى التعرف تستدعى على نحو مباشر المفهوم الذى قد تكون عليه رغبة الآخر التى تقودها إلى التعرف على الذات . ومن ثم تأتى عبارة لاكان المشهورة 'الرغبة هى رغبة الآخر' . إنه يأخذ عن موس Mauss وليفى شتراوس فرضية أن علاقات الاستبدال ، بين النساء ، بين الكلمات ، بين 'هبات' موس – مع ما تجلبه من الإلزام المرآوى mirror-ing – أساسية فى العلاقات الاجتماعية التى يمارسها الإنسان . ووراء تلك العناصر ، توجد تأملات لاكان فى تحولات الكلام الخاصة ، والطرق الخاصة لمخاطبة الآخر ، وهى تأملات تتضمن وجود آخر Other وراء الآخر other : خاصةً ، حين أكذب على الآخر other ، أستدعى **الآخر** Other كمستودع للحقيقة التى أحجبها . وأيضا ، حين

أخاطب آخر بكلام بهدف توقيع ميثاق أو عقد – يكون المثالان المفضلان عند لاكان هما 'أنت زوجتي' ، و 'أنت سيدي' [٧٦] وبعيدا عن هذه الإشارات الثقافية ، يكون من الواضح أن تأملاتِ لاكان في تخوم نسخته الخاصة عن 'آخر' (بحرف o صغير) مرحلةِ المرآة ونتائجها وفي علاقة الخيالي بالرمزي ، تأملاتٌ عظيمة الأهمية . إنَّ تميُّز لاكان ، تميزه الكبير على سارتر وميرلو بونتي وعلى نظرائه الآخرين ، يكمن في التزامه بمواجهة خاصة تتعلق بممارسة خاصة : 'أي "آخر" يكون المحلِّل النفسي ؟' ، ' أية نظرية عن "الآخرية otherness" تلزم للتعليق على وجود الخطاب التحليلي وتوجيه فعل المحلل ؟' .

وما ينتقده لاكان في أعمال فيربيرن هو إهمال ما يدور بين الذوات ، وهو إهمال يبرز في إهمال بُعْد الكلام واللغة ، وهو ما فعله لاكان مع بلنت في العام السابق على ذلك العام . وليست الحاجة هي موضع الخلاف في التحليل ، كما ذكر ذلك عدد كبير من المحللين البريطانيين متصورين الحاجة طبقا لنموذج الحالات الفسيولوجية الحاسمة ، لكن الرغبة هي موضع الخلاف : الرغبة في التعرف . ومن ثم فإن الذات لا تواجه مجرد موضوع ؛ إن الخبرات التحليلية تشير كلها إلى أن العلاقة مع ذات أخرى هي لتي 'تضع' العلاقة بالموضوع في موضعها . إن علاقات الموضوع ثلاثية دائما (وربما قال آخرون إنها أوديبية) ، مثلما يصف فرويد النكات بأنها جميعا تشتمل على ثلاثة أشخاص : الراوي والمستمع ('الشخص الثالث في النكتة') ،[٧٧] والشخص الثاني الغائب هو موضوع النكتة .[٧٨]

وهذا هو التخطيط الذي يستخدمه لاكان لتحليل كوميديا **امفتريون** *Amphitryon* : 'في النهاية ، تكون دائما ، مسألة أنا وأنت والآخر.'[٧٩] إن الأنا في كل مسرحيات موليير وبلوتس تظهر في صورة هزلية أكثر قدرة على إثارة إيعاز الغريب وإثارة الرغبة في إلغاء الآخر : القرين . إلا أن تحليل لاكان يجدل المصير المخزي للأنا وقرينها (البعد الخيالي) ببحث عن بنية الزواج ومثاليتها : المرأة والزوج والرب (رب الرمزي) . وهنا يقترب السيمينار من النهاية ، بمحاضرة شاملة عن السبرنطيقا ، وجولة أخيرة عن المخطط L ، ويلخص فيها لاكان تمفصل النظرية والممارسة . ووعد أن يقوم في

العام التالى باستكشاف بنية البارانويا ونسق شريبر Schreber's system . وقد وفى بوعده فى **السيمينار الثالث** الذى خصصه **للذهان** *Les Psychoses* . إلا أن ثمة اتجاها قد يتم فيه تطوير الأبحاث عن الآلة فى **السيمينار الثانى** بصورة أكثر اكتمالا ، وإعادة اقتفاء الخطوات التى لم يحد عنها لاكان إطلاقا ، سواء أكان قد تأملها أم لا .

ومن المؤكد أن المناخ الفكرى فى عام ١٩٥٤ كان على وشك التحول الجذرى – وفى الواقع ، كان قد تحوَّل فى تلك اللحظة – بطريقة لم تخطر على بال لاكان : ثورة فى البيولوجيا ترتبط بحل شفرة الجينات الوراثية . كيف بدا له تنظيم البيولوجيا والتحليل النفسى من جديد ، خاصة إذا وضعنا فى الاعتبار أن البيولوجيا نفسها كانت تجسد الرمز وتشفيره فى اتحاد جديد ، يتكون من أربعة حروف [لعله يقصد كلمة gene – المترجم] ؟ ومن المؤكد أن البيولوجيا التى استخدمها أولئك المحللون الذين انتقدهم لاكان قد أزيحت جانبا منذ تلك اللحظة ، بحيث ربما كان لاكان ، فى إحلال اللسانيات مكان البيولوجيا والإلحاح الدال مكان وظيفة التكيف فى **السيمينار الثانى** ، قد انهمك فى هجوم وقائى غير ضرورى ، إذا وضعنا فى الاعتبار ما تستلزمه المفاهيم (دونكيرك Dunkirk العلمى أو حصان طروادة) التى تم فرضها على العلوم الإنسانية بمجرد أن تحولت البيولوجيا إلى بيولوجيا جزيئية molecular ، ومن ثم صارت القسم الأكثر سطوعا والأحدث والأفضل ذخيرة بين علوم الشفرات ، والقراءة والكتابة ، ونقل الرسائل . إننى أتخيل أن التشاؤم الحماسى للاكان وسخريته ربما كانا سيتأثران بمعرفة أن الأقدار الجنسية للرجال والنساء – مثلما هو الحال بالنسبة للحياة والموت – ترتبط الآن فى عصر الإيدز AIDS ، ارتباطا لا تنفصم عراه ، بكينونة مبهمة اسمها إنزيم المسخ العكسى .reverse transcriptase

هوامش الفصل الأول

كتب هذا المقال فى الأصل كمقدمة لترجمة السيمينار ، الكتاب الأول والكتاب الثانى ، وهى الترجمة التى قمت بها بالاشتراك مع سلفانا توماسيلى Sylvana Tomaseli ، ونشرتها مطبعة جامعة كمبردج فى بريطانيا العظمى ونورتون فى الولايات المتحدة فى عام ١٩٨٨ ؛ وللاطلاع على التفصيلات الكاملة ، راجع الببلوجرافيا . لقد أصر جاك ألن ميلر Jacques-Alain Miller ، محرر الطبعات الفرنسية الأصلية ، على ظهور الترجمة الإنجليزية للسيمينار بين يدى القارئ الإنجليزى بدون أية مقدمات ، كما هو الحال تماما فى الطبعات الفرنسية وفى الطبعات التى ظهرت بلغات أخرى . ومع ذلك كنت أرى ، ومازلت عند رأيى ، أن من الأفضل أن نكتب مثل هذه المقدمة لنصٍّ اشتهر مؤلفه فى البلاد الناطقة بالإنجليزية بأنه كاتب بالغ الصعوبة . وآمل أن تكون الإشارات التاريخية ، بصورة خاصة ، مفيدة للمتلقى غيرِ الملم بتاريخ صار قريبا من الأسطورة فى دوائر التحليل النفسي الفرنسية . وللاطلاع على تعليق واف على هذه الأحداث التاريخية ، راجع :

Roudinesco, *La Bataille de cent ans. Histoire de la psychanalyse en France Vol 2. 1925-1985.*

وكتاب ماسى Macey بعنوان *Lacan in context* ، وهو كتاب بالغ الأهمية ولكننى لم أتمكن من الاعتماد أو التعليق على أى منهما فى كتابة هذه المقدمة . وأود هنا أن أوجه الشكر لسلفانا توماسيلى وجاكلين روز Jacqueline Rose وسيباستن جاردنر Sebastian Gardnerعلى ما قدموه من نصائح وتعليقات على النسخ الأولى من هذا المقال .

I

١ – يشير لاكان ، فى الحقيقة ، إلى الجلسات التى عقدت قبل عام ١٩٥٣ فى السيمينار الأول وفى الجلسات التالية – خاصة إلى تحليله لولفمان Wolfman ورتمان Ratman (وقد أخذ جزءٌ منه الطريق إلى بحثه 'أسطورة الشخص العصابى 'The neurotic's individual myth ، محاضرة ألقاها عام ١٩٥٣ ونشرت عام ١٩٧٩ بالإنجليزية فى نسخة منقحة ، وهى ضمن البيلوجرافيا) ، وإلى مناقشة حالة دورا التى يمكن لنا أن نفترض أنها نقحت فى البحث الذى قدمه لاكان إلى مؤتمر المحللين النفسيين الناطقين باللاتينية فى عام ١٩٥١ بعنوان 'Intervention on the transference' ، وترجم فى :

Mitchell and Rose, eds , *Feminine sexsuality* pp.62-73.

٢ – بالاتصال الشخصى مع دكتور إليس هيلمان Dr Ilse Hellman

II

٣ – رسالة مؤرخة فى ١٤ يوليو ١٩٥٣ ، ونشرت فى *La Scission* Miller ,ed , ، ص١٣١

٤ – القسم التالى مشتق بصورة جزئية من مقالين لى سبق نشرهما ('اللسانى والذهانى The Linguistic and the psychotic' وجاك لاكان ' Lacan Jacques')

٥ – وضع بحث لاكان الأصلى بعنوان ' The looking-glass phase' ضمن قائمة الأبحاث التى تمت قراءتها فى المؤتمر . وهو معروف على نحو أفضل فى النسخة المؤرخة فى ١٩٤٩ والمنشورة فى كتابات ، وقد ترجمت إلى الإنجليزية ضمن المختارات بعنوان 'The mirror stage as formative of the function of the I'

٦ – راجع لاكان فى "La psychiatrie anglaise et la guerre'

٧ – راجع لاكـــان فى "Les temps logique et l'assertion de certitude anticipee" وفى 'Le nombre treize et la forme logique de la suspicion' ؛ وللاطلاع على مناقشة تفصيلية لهذين البحثين ، راجع الفصل الثامن ص ١٧٨ – ١٩٢ [من الأصل الإنجليزى للكتاب الذى أخذنا عنه هذا المقال ويمثل الفصل السادس من هذه الترجمة] .

٨ – نشرت وثائق هذا 'العزل' (كما دعاه لاكان ، فى الجلسة الافتتاحية للسيمينار الحادى عشر ، فى يناير ٤٦٩١) ؛ راجع Miller(ed.), L'Excommunication؛ وللاطلاع على تعليق شامل على هذه الأحداث ، راجع Roudinesco, *La Bataille* ، المجلد الثانى ، ومقالا مفيدا بعنوان Jacques Lacan curriculum vitae فى كتاب ماسى Lacan in contexts، ص ٢٣٦ – ٢٤٦ . ويمكن لنا أن نفهم، من الوثائق الأصلية ، بعض القضايا الخاصة بممارسات لاكان ودوره التعليمى ، تلك القضايا التى كانت وراء قرار الرابطة الدولية للتحليل النفسى باعتباره شخصا 'غير مرغوب فيه' : وكانت المناقشات التى قدمت للدفاع عن اختلاف زمن الجلسة بلا فائدة – لا أحد يستطيع أن 'يتوقع' الزمن الذى تستغرقه الجلسة ؛ وقيل ليتجنب لاكان الإحالة السلبية فإنه كان يلعب لعبة مدمرة مع تحليل الإحالة ، حتى أنه كان يتلاعب بها ؛ وقيل أيضا إن لاكان كان يرى أنه مصدر الثواب والعقاب ؛ وقيل إن تأثيره كان عظيما للغاية على ملابس تلاميذه ومعجمهم . واعترف أيضا تقرير اللجنة الاستشارية ، المكتوب فى عام ١٩٦٣ ، بأن ' لاكان هو مفسر التحليل النفسى للجماهير العريضة ' وأضاف التقرير 'ولكن كان على تلاميذه تنقيح ما يقوم به .'وهذه النقاط مأخوذة عما صار معروفا باسم وثيقة بيريه Perrier : تقرير 'compte-rendu' فرانسوا بيريه عن تقرير شفهى لبير توركيه Pierre Turquet

وتفترض فيه السرية ، وكان موجها إلى بعض المسئولين فى الجمعية الفرنسية للتحليل النفسى . وقد اعترض توركيه الذى اشترك مع اللجنة الاستشارية التى شكلتها الرابطة الدولية للتحليل النفسى لكتابة التقارير عن الجمعية الفرنسية للتحليل النفسى ونقل عنه أن هذا 'التقرير' لا يعكس إطلاقا 'المغزى الحقيقى' لتقرير اللجنة أو 'روح' ذلك التقرير . وظل التقرير بدون نشر ، ولم يكن متاحا للمناقشة . ويوجد المزيد من هذه المادة الموسعة عن هذه الأحداث ، وعن خبرات المحللين فى جلسات لاكان القصيرة ، يوجد فى Roudinesco, La Bataille de cent ans، المجلد الثانى وخاصة ص ٤٢٧ - ٤٣٤ . وللاطلاع على مناظرة جديدة بين اللاكانيين وغير اللاكانيين عن استخدام الجلسات مختلفة المدة ، راجع Etudes Freudinnes 25 April 1985

٩ - راجع فوكو ، "Introduction" to Binswanger, *Le Reve et l'existence* وهو أول أعماله المنشورة وهى مقدمة رائعة للترجمة الفرنسية لكتاب Traum und Existenz وهو من تأليف Ludwig Binswanger ، وفيها ينكب ميشيل فوكو على النسخة اللاكانية للنظرية التحليلية بجانب نسخة كلاين ، ويوضح أنه قلب اهتمامه الأساسى من أجل المقاربة الجديدة للتحليل النفسى التى كانت تتطور أسبوعيا فى مستشفى سانت آن ، راجع الفصل الثانى عشر ، ص ٢٨٩ - ٢٩٣ [من الأصل الإنجليزى للكتاب الذى أخذنا عنه هذا المقال] .

١٠ - راجع ريكور فى فرويد والفلسفة *Freud and philosophy* (١٩٦١) . وانهمك ريكور ، بعد ذلك فى الستينيات ، فى مناظرات لاذعة مع اللاكانيين ، كانت فى جزء منها عن دينه المفترض للاكان . وللاطلاع على تعليق محايد عن هذه المناظرات ، راجع Roudinesco ، مصدر سابق ، ص ٨٩٣ - ٤٠٥ .

١١ - راجع لاكان ، 'الشىء الفرويدى The Freudian Thing' ، (١٩٥٧) ، ص ٤٣٦ .

١٢ - راجع فرويد Psychial (or mental) treatment' [SE VII (1980a) pp. 283-302] ، للاطلاع على فقرة نالت حظها من الشهرة : 'سيكون من الصعب بلا شك على رجل الشارع أن يفهم كيف يمكن التخلص من الخلل الباثولوجى فى الجسم والعقل ببعض الكلمات "ليس إلا" . وسيشعر أننا نطالبه بالاعتقاد فى السحر . وهو فى ذلك لا يرتكب خطأ حقيقيا، لأن الكلمات التى نتداولها فى كلامنا اليومى ليست إلا نوعا من السحر المخفف. وسيكون علينا أن نتبع مسارا ملتويا لنشرح كيف يشرع العلم فى أن يعيد للكلمات جزءا على الأقل من قوتها السحرية التى كانت لها من قبل .'

١٣ - راجع فرويد ، The question of lay analysis GW XIV 281; Stud Erg 337; SE XX 246

١٤ – ثمة ترجمتان لهذا العمل ، 'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما فى التحليل النفسى ' : تلك التى قام بهـا ويلدن Wilden ، بعنوان The language of the self ، فى عـام ١٩٦٨ ، مع بعض الملاحظات الوافية وتعليق مسـهب على الموضـوعات التى تتناولها أعمال لاكان وتأثيراتها – ومازال من الواضح أن كتاب ويلدن يمثل أفضل المقدمات لأعمال لاكان ؛ والترجمة الثانية هى تلك التى قام بها ألن شيردن Alan Sheriden فى ترجمة كتابات .

١٥ – على سبيل المثال فى جملتين نوقشتا فى السيمينار الأول والسيمينار الثانى : 'المفهوم زمن الشىء' ؛ 'الكلمة قاتلة الشىء' .

١٦ – للاطلاع على نظرة حديثة ودقيقة لقراءة لاكان لأعمال فرويد ، راجع بويى Bowie فى كتابه *Freud, Proust and Lacan: Theory as a fiction* [وتوجد ترجمة لثلاثة فصول من الكتاب المشار إليه ضمن هذه الفصول التى نترجمها وسوف تتم الإشارة إليها فى مواضعها – المترجم] .

١٧ – إنها تورية مستحيلة فى الفرنسية ، ولكنها تتواءم تماما مع فكر لاكان ، وتتيح لنا أن نرى على نحو أوضح الجسر بين نسخة لاكان عن مرحلة المرآة ، التى تركز بوضوح على الآخر ، ومفهوم فينيكوت Winnicott ذلك المفهوم المعاصر للأم (خاصة لعينيها ، أو تحديقها) وهى تعكس صورة الأم (إلى الخلف) إلى ذاته .

III

عنوان هذا القسم من وضع المترجم .

IV

١٨ – راجع السيمينار الأول ص ١٠ ؛ والإشارات هنا إلى رقم الصفحات فى الطبعة الإنجليزية .

١٩ – راجع كتابات ٢٤٢ – ٣/٢٥

٢ – ظهر أول مرة فى Evolution Psychiatrique, 1956, pp. 225-252 ، إن مدى ما كان به لاكان من تنقيح لمقالاته منذ الخمسينيات حتى أخذت الشكل الذى تقرأ به فى كل مكان تقريبا والشكل الذى دونت عليه فى كتابات فى عام ١٩٦٦ ، هذا التنقيح لم يلاحظ فى الغالب ، ومن المؤكد أنه لم يدرس بالتفصيل . ومن الواضح أنه ذو أهمية كبيرة لمن يأمل فى فهم تطور فكر لاكان سنة بعد سنة .

٢ – راجع ، Two aspects of language and two types of aphasic disturbance in Jakobson and Halle, *Fundamentals of language*, p. ٩٠ .

٢٢ - راجع كتابات ٢٠٧ - ٢٠٨ . وراجع أيضا ١٧٨ - ١٩٢ [من الأصل الإنجليزى الذى ترجمنا عنه هذا المقال وهو الفصل السادس من هذه الترجمة - المترجم] ، وخاصة ص ٣٥٩ ، الهامش ٧٧

٢٣ - راجع السيمينار الأول ص ص ٥٢ - ٥٣

٢٤ - راجع السيمينار الأول ص ٧٤

٢٥ - راجع السيمينار الأول ص ص ١٢٧ - ١٢٨

٢٦ - راجع السيمينار الأول ص ١١٥

٢٧ - راجع السيمينار الأول ص ١٤١

٢٨ - راجع كتابات ٢٠٨

٢٩ - راجع الأبحاث المنشورة فى Wollheim and Hopkins, eds., *Philosophical essays on Freud* ، [خاصة بحث دونالد دافيدسون Donald Davidson]

٣٠ - الاستثناء فى هذا الجانب ، مثلما هو الحال فى جوانب أخرى عديدة ، هو Bion, *Attention and interpretation*, chapter II, Lies and thinker" ، ص ص ٩٧ - ١٠٥

٣١ - إن captation [الإغواء] ، وقد ترجم إلى captation ، مصطلح فارق يشير به لاكان إلى بعد الخداع والفتنة بواسطة الصورة . واعتقد عدد كبير أنه استخدم المصطلح بصورة مبتكرة وخاصة . ولكن هذا الاستخدام ربما نشأ استجابة النقد المتعاطف الذى كتبه Pichon ، فى ' M. Lacan devant la famille ، وأعيد نشره حديثا مع تعليق لرودينسكو ، بعنوان Monsieur Pichon devant la famille'.' ويشير Pichon فيما كتبه إلى مصطلح captatif الذى أدخله M. Codet إلى التحليل النفسى . واستخدمه بعد ذلك كل من Pichon و Laforgue و Codet . وينتقد Pichon لاكان لأنه لم يستخدم المصطلح ، حيث يعتقد أنه أكثر ملاءمة لوصف ما يركز عليه لاكان تركيزا هائلا فى مقاله 'الأسرة' 'La famille ، ألا وهو التقمص النرجسى . ويبدو ، ظاهريا ، أن لاكان تأثر بهذا التعنيف تأثرا عميقا ، ولكنه استمر فى استخدام 'captation كمصطلح خاص به .

٣٢ - راجع السيمينار الأول ص ١٣٨

٣٣ - للاطلاع على مناقشة رائعة عن هذه المفارقات ، التى كانت أعمال لاكان الحافز وراءها ، راجع Eco ، فى 'Mirrors'

٣٤ - راجع **السيمينار الأول** ١٧٠

٣٥ - راجع :

Laplanche and Pontalis, *The language of psychoanalysis*, entries on ideal ego/ego ideal

٣٦ - راجع **السيمينار الأول** ص ٢٠٥

٣٧ - المصدر السابق ص ٢١٧

٣٨ - المصدر السابق ص ٢٢٢

٣٩ - المصدر السابق ص ٢٣٠

٤٠ - راجع : *Studies on hysteria* GW I 298 , Stud Erg 82; SE II 289

V

٤١ - راجع :

Opening address to Caracas Conference, July 1980 , published in L'Ane, April - May, pp. 30-31

٤٢ - راجع **السيمينار الأول** ص ٣٢

٤٣ - منذ سيمينار لاكان فى ١٩٥٤ - ١٩٥٥ وجدت تفسيرات تأملية مماثلة ، تأسست بصورة واضحة على تحولات البحر ، وتنطلق من المنظور العام لأعماله ؛ وكانت تفسيرات دريدا أكثرها أهمية وأصالة ، تفسيراته فى "'Speculer-sur"Freud"

٤٤ - راجع **كتابات** ص ص ٤٦٢ - ٤٦٣

٤٥ - المصدر السابق ٢٤٢ / ٣٥

٤٦ - المصدر السابق ٤٦٣

٤٧ - فى **السيمينار الثانى** ، يصوغ لاكان بأسلوب ساخر إحدى النقاط المرتبطة بالموضوع إلى النحو التالى :

إن بارانويا ما بعد التحليل أبعد من أن تكون مشكلة أسطورية ... إنك لا تحتاج إلى محلل نفسى بارع ليجلبها ، يكفى أن تعتقد اعتقادا حماسيا فى التحليل النفسى . رأيت حالات بارانويا يمكن أن تعتبر بارانويا ما بعد التحليل ، ويمكن أن تعتبر حالات تلقائية . ويمكن للذات ، فى بيئة ملائمة ، حيث الانشغال بالحقائق السيكولوجية قوى للغاية ، يمكن لها أن تنجح بدون

شك ، بشرط وجود الرغبة ، فى تطويق نفسها بمشاكل زائفة ، وأن تجسدها فى لغة جاهزة - ألا وهى لغة التحليل النفسى التى يتحدث الجميع عنها . وعادة يستغرق الهذيان المزمن وقتا طويلا ليستفحل ، وعلى الذات أن تلقى فيه بالكثير - إنها ، عموما ، تغرس فيه ثلث حياتها ، ويجب أن أقول إن أدبيات التحليل النفسى تشكل ، إلى حد ما ، هذيانا جاهزا ، وليست رؤية نوات ترتديه جاهزا بالأمر النادر . وأسلوب المتعصبين الصامتين ، إذا جاز التعبير ، عن سر الخبرة التحليلية، ذلك السر الذى يفوق الوصف صورة واهية منه ، لكنه يتأسس على نحو متجانس مع ما أطلق عليه الآن بارانويا . **(السيمينار الثانى ، ٢٤٢)**

وربما نستنتج من ذلك أنه بقدر ما تصبح الثقافة مشربة بالتحليل النفسى لتتخذ الشكل البارانوى لنظام معرفى ، تكتسب تلك الثقافة مناعة خاصة ضد التأثيرات التحليلية للتحليل النفسى .

٤٨ - راجع **السيمينار الثانى** ، ٢٩٦

٤٩ - إلا أن الإشارة فى **السيمينار الثانى** إلى كوندرسيه Condorcet تبين أن المصدر ربما يرجع إلى القرن الثامن عشر . وكان ليفى شتراوس فى الوقت نفسه تقريبا ، كان يوضح الفرق بين التفسير 'الآلى' والتفسير 'الإحصائى' (راجع ليفى شتراوس الأنثربولوجيا البنيوية *Structural Anthropology*) ، لكن الفرق الذى كشف عنه لاكان كان أكثر راديكالية .

٥٠ - ربما يوجد المزيد من تطور أفكار لاكان فى السيمينار الحادى عشر ، فى مناقشة مبادئ أرسطو عن العلية causality وموضع البخت *tuché* كمفهوم علىّ يناسب القضايا الإنسانية ؛ راجع الفصل الثامن ، ص ٢٠٧ [من الأصل الإنجليزى للكتاب الذى ترجمنا عنه هذا الفصل وهو الفصل السادس من هذه الترجمة - المترجم] .

٥١ - راجع 'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما ، **كتابات** ٢٨٤ - ٩ / ٧٣ - ٧٧ ؛ ولم يكن الأخير - إن الإشارة تستمر فى السيمينار الحادى عشر .

٥٢ - راجع **السيمينار الثانى** ص ٢٣٤ .

٥٣ - المصدر السابق ص ص ٣١ - ٣٢ .

٥٤ - راجع 'سيمينار عن **الرسالة المسروقة**' ، ص ٤٤ ، و**السيمينار الثانى** ص ٢٠٣

٥٥ - راجع **السيمينار الثانى** ص ٣٠٦

٥٦ - المصدر السابق ص ٣٠٧

٥٧ - راجع 'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' ، **كتابات** ٢٨٥ / ٧٣

٥٨ - راجع فرويد ، Remembering, repeating and working-through (1914 g) SE XII 150 ، التأكيد فى الأصل ، راجع أيضا الفصل التاسع ص ١٤٢ [من الأصل الإنجليزى] .

٥٩ - إن كونها نموذجية لا ينفى ، فى رأيى ، أنها تهدمت وتقطعت بنقد دريدا 'Le facteur de la verite' ، كما يشير إلى ذلك مقال بربارا جونسون عن لاكان ودريدا : إن سلسلة القراءات تكرر أيضا الانتقال (الانتشار) الذى اهتم به كل من لاكان ودريدا . راجع جونسون 'The frame of reference: Poe, Lacan, Derrida' ، وراجع أيضا Felman فى 'To open the question' .

٦٠ - راجع Dennett " The abilities of men and machines" in Dennett, *Brain-storms*, p. 257

٦١ - للاطلاع على مقدمة تعالج هذه المنطقة ، راجع Hofstadter, *Godel, Escher, Bach,* وبوجه خاص الفصل السابع ؛ وراجع أيضا : Boden, *Artificial intelligence and natural man*

و Dennett The abilities of men and machines" in Dennett, *Brainstorms*

٦٢ - راجع لاكان :

Le Seminaire, Livre IX. L'Identification. 1961-62, Le Seminaire, Livre XIII. L'Objet de la psychanalyse. 1965-66, and La science et la verite" (1965). E. 861

٦٣ - راجع فرويد Introductory lectures (1916-17) SE XVI ، ص ص ٣٢٠ - ٣٥٧

٦٤ - راجع السيمينار الثانى ص ٣٢٦

٦٥ - راجع ، Prigogine and Stengers, *Order out of chaos* ؛ وللاطلاع على أول عنصر من عناصر إعادة التفسير بصورة شاملة ، راجع ،

Wiener, *The human use of human beings*

٦٦ - راجع السيمينار الثانى ص ٧٤

٦٧ - المصدر السابق ص ١٢٥

٦٨ - المصدر السابق ص ٢٢٨

٦٩ - المصدر السابق ص ٢٥٤

٧٠ – المصدر السابق ص ١٥٣

٧١ – راجع فورستر ، Language and the origin of psychoanalysis, pp. 84-96

٧٢ – احتوت أولى النسخ المنشورة من 'سيمينار عن الرسالة المسروقة' وهى النسخة المنشورة فى La Psychanalyse 2, 1956، احتوت على ملخص مكثف لبعض التيمات التى جعلت الرسالة المسروقة ملائمة تماما لأعمال السيمينار فى ذلك العام :إن تحليل تتابع الدوال (الحروف ، الأرقام) يوضح خواص التكرار والإبداع . وقد نشرت نسخة موسعة من البحث والتلخيص فى **كتابات** . ولسوء الحظ لم تترجم نسخة ١٩٦٦ فى *French Freud* number *of Yale French Studies* الصادرة فى عام ١٩٧٢ ، وهى الترجمة التى جعلت 'السيمينار' يقرأ فى بريطانيا وأمريكا خارج سياق مناقشة لاكان للتكرار ، ومناقشته للآلة والسبرنطيقا .

٧٣ – راجع السيمينار الثانى ص ص ٢٤٤ – ٢٤٥ .

٧٤ – راجع :

Wiener, *The human use of human beings* (1954, second edition), New York: Bantam, 1968, 33-4

وكان رأى لاكان بأن الكذب والخداع حاسمان فى التحليل النفسى وممارساته سابقا على التأثير السبرنطيقى، مثلا 'تبرز]اللغة [هذه الحقيقة ، من خلال كشف مسألة كيف أن ما يعبر عن كذبتها الخاصة يمكن أن ينتهى بصياغة حقيقتها العامة' (لاكان ، 'مقال حول أسباب الذهان' ، (١٩٤٦) ، **كتابات** ١٦٦

٧٥ – راجع **السيمينار الثالث** ص ٤٨ .

٧٦ – راجع الفصل السابع خاصة ص ١٥٣ وما بعدها [من الأصل الإنجليزى ، وهو الفصل الثالث من هذه الترجمة –المترجم] .

٧٧ – راجع فرويد : Jokes and their relation to the unconscious (1905c), GW VI 207; Stud IV 139; SE VIII 148 .

٧٨ – راجع المصدر السابق GW VI 207; Stud IV 170;SE VIII 181 . ' فى النكتة لا غنى عن الشخص الثالث لإكمال العملية التى تبعث اللذة ، ومن الناحية الأخرى يمكن أن يكون الشخص الثانى غائبا ...'

٧٩ – راجع **السيمينار الثانى** ص ٢٦٤

الفصل الثانى

لاكان
والعودة إلى فرويد

مالكولم بويى

العنوان الأصلى :

Lacan

وهو الفصل الرابع من :

Malcolm Bowie: *Freud, Proust and Lacan : Theory as fiction ;* Cambridge University Press, 1987; pp. 99-133 ; 198-204.

المتن من ص ٩٩ إلى ص ١٣٣ ، والهوامش من ص ١٩٨ إلى ص ٢٠٤

'إنه يفتقر تماما إلى وجود مستقر ، ويسرع فى زوال

سرمدى ...'

كيركيجارد : إما/أو

يُعَدُّ الفهم الدقيق لأرسطو ، باستثناء فهم الأنبياء ، أسمى ما يمكن أن يحققه المرء ؛[1] ستبدو كلمات ابن ميمون ، بما تبرزه ظاهريا من إعجاب سهل ، منفرةً لكثير من المعاصرين . وربما مازال التصور الرومانسى للعبقرية يجعلنا نتوقع أن تنبعث أفكار المفكر الأصيل على نحو رائع ومكتمل تمام الاكتمال من أعماقه ، أو من الطبيعة ، أو من حيث لا ندرى . نتوقع من المبدع الحقيقى أن يحقق كل شىء ، بينما تَعْثر العقول المحدودة على وظيفة حقيقية لها فى قراءة نصوص تنتمى للماضى وفى دراسة تلك النصوص بالتفصيل . وإذا سلمنا بهذه الفرضية فقد نرتبك إزاء بعض المفكرين الذين يقدِّمون أنفسهم كقراء ومفسرين لصروح فكرية موجودة ، مع وجود دليل قوى يجعلنا نعتقد فى أن هذا التفكير الذى تتم ممارسته فى ضوء السلف الجليل وفى ظلاله قد يكون على قدر عظيم من الأصالة والقوة . أفلوطين يقرأ أفلاطون ؛ ابن ميمون يقرأ أرسطو ؛ وابن رشد يقرأ الاثنين ؛ ماركس الشاب يقرأ هيجل . قد يتطلب تقييم الأصالة فى مثل هذه الحالات جهدا يفوق المعتاد : ربما نفهم إنجاز المفكر اللاحق فهما جيدا إذا كنا على استعداد للعودة إلى أعمال المفكر السابق واقتفاء كل ما أحدثته من تحولات وتحريفات خلاقة . إلا أن بحثا من هذا القبيل قد يكون ممتعا : إنه ينبهنا إلى طرق الأصالة التى تهملها الولاءات الحديثة بالإضافة إلى الدور الكبير الذى تلعبه إعادة التفكير وإعادة الكتابة حتى فى أعمال من تلك التى لا تعترف بأية أسلاف وتقدِّم نفسها بوصفها استثناء لكل القواعد إلا قواعدها الخاصة .

لاكان يقرأ فرويد . إن هذه الجملة أبسط وأهم ما يمكن أن يقال عنه . ولكن استكشافه لأعمال فرويد ، ذلك الاستكشاف الذى استغرق خمسين عاما ، يختلف عن تلك القراءات التى ذكرتُها من حيث النقاء الكامل لدوافعه . بينما بحث الآخرون لمقابلة مجموعة من الأفكار بمجموعة أخرى (يلتقى أرسطو فى أعمال ابن رشد بالفلسفة الإسلامية وفى أعمال ابن ميمون باليهودية الربانية) ، أو لتطوير تيار فكرى من

التيارات الأصلية لتفضيله على تيارات أخرى (يعكف أفلوطين على دراسة أفلاطون الميتافيزيقى والصوفى) ، يقول لاكان إن هدفه الرئيسى قراءة فرويد قراءة جيدة وفهمه بوضوح .

إن 'العودة إلى فرويد' ، التى يعلن إنها رسالته الشخصية وشعاره ، تتبع مسارين مختلفين . العملية الأولى ، وهى الأوضح ، استخراج أفكار فرويد من ركام الشروح والتفسيرات المبتذلة التى أهالها عليها الكُتّاب الذين جاءوا من بعده . وتشترك حركة التحليل النفسى الدولية فى المجادلات المتّقدة حول مسعى لاكان الرئيسى ؛ إن أولئك الذين تمثّل لهم مفاهيم فرويد مجرد سلعة-مثلا ، المتعالم الذى يؤلف الكتب الرخيصة أو المحافظ المتأنق - لا يستحقون حتى السخرية العابرة . إن معظم المحللين النفسيين المتأخرين ارتكبوا ما هو أسوأ من سوء فهم فرويد : فقدوا كل إحساس بأهمية أفكار فرويد وحيرتها وقدرتها الإبداعية حين صاغها للمرة الأولى . تعلموا تلك الأفكار وأعادوها كلها بصورة سطحية ، وأظهروا الولاء لها بسذاجة وخداع للذات يمثلان عائقا فى وجه الفحص العلمى للعمليات العقلية بدلا من دفعه إلى الأمام . إن إجراءات نشأة التحليل النفسى التى بحث عنها فرويد ليضمن استمرارية تعاليمه تنتج عنها غالبا آثار جانبية خطيرة : 'ألم ينتج عن هذه الأشكال شكلية متشائمة تثبط المبادرة بالمجازفة الحمقاء ، وتحول سلطة الرأى الذى نتعلمه إلى مبدأ التعقل الانقيادى حيث تتبلد مصداقية البحث قبل أن تضمحل فى النهاية ؟'[٢] (٢٣٩) . وكثيرا ما يعود التحليل النفسى فى كتابات لاكان إلى مصادره ، ويعيد فحص تصوراته ، وطقوسه ومؤسساته من نقطة الأفضلية التى يقدمها مكتشفوه فى حالتها الأصلية دون تصنيف .

أما العملية الثانية ، فهى أكثر تعقيدا وتُعرِّض لاكان لما هو أخطر من خلق أعداء له بين زملاء المهنة . إنه يصحح بعض المفاهيم الفرويدية بالرجوع إلى آخرين . والاكتشاف الذى يضعه لاكان فى المركز من إنجازات فرويد ، ويستخدمه فى تصحيح فرويد من الداخل كأداة أساسية للتصور ، هو اكتشاف اللاشعورى - اللاشعورى الذى يبدو كنسقٍ مستقل فى مقابل نسق 'ما قبل الشعورى - الشعورى

'preconscious-conscious (٣) فى ثانى نماذج فرويد الكبرى عن الجهاز النفسى . (فى الأول ، وهو عمل كتب فى عام ١٨٩٥ ونشر بعد وفاة فرويد بعنوان '**مشروع سيكولوجيا علمية**' (I, 283-397) ، وفيه يظهر المفهوم بصورة غامضة ؛ فى الثالث – الثلاثى الذى يشمل الهو والأنا والأنا العليا ، وقد نشر فى عام ١٩٢٣ ، (**الأنا والهو** *The Ego and the Id*, XIX, 3-66 ، حيث يكتسب المفهوم دورا جديدا ومعقدا : مرة أخرى تظهر خصائص اللاشعورى ، الخصائص الرئيسية فى أوصاف الهو ، وتُعزى بعض الأجزاء اللاشعورية إلى الأنا والأنا العليا ، أيضا .) وتسود هذه النسخة عن اللاشعورى فى فكر فرويد فى مرحلته الإبداعية العظيمة التى تمتد من **تفسير الأحلام** (١٩٠٠) إلى الأبحاث الميتاسيكولوجية فى عام ١٩١٥ . إنه مفهوم طوبوجرافى وديناميكى فى الوقت ذاته ، ويحتل ، فى بحثين عن 'الكبت' و'اللاشعورى' (XIV, 143-158, 161-215) ، مركز تعليقات فرويد الأكثر تعقيدا ، التعليقات التى تنصبُّ على الوظائف العقلية .

ويرى لاكان ، شأنه فى ذلك شأن عدد كبير من الكُتّاب ، أن بصيرة فرويد الأساسية لم تكن – لم تكن بكل وضوح–تكمن فى اكتشاف وجود اللاشعورى ، ولكن فى اكتشاف أنَّ له بنيةً ، وأن هذه البنية تؤثر بطرق لا حصر لها على أقوال البشر وأفعالهم ، وتكشف عن نفسها بهذا التأثير وتصبح قابلة للتحليل . إن اللاشعورى بالصورة التى يبدو عليها فى **تفسير الأحلام ، وسيكوباثولوجيا الحياة اليومية** (١٩٠١) ، **والنكات وعلاقتها باللاشعورى** (١٩٠٥) ، طَلِقٌ voluble ويفصح عن نفسه فى صور لا تنتهى .إنه يلحُّ علينا لنسمعه فى أحلامنا ، وفيما ننساه، وفيما نتذكره بصورة مشوَّهة ، وفى زلات اللسان أو القلم ، وفى النكات ، والرموز، وفى العادات اللفظية والجسدية . إن الطاقة النفسية التى تسبب الكبت وتحافظ على استمراره ، تواجهها وتتحداها طاقة أخرى تسعى ، بالخداع والحيلة عموما ، إلى دفع محتويات اللاشعورى المكبوتة إلى مجال ما قبل الشعورى–الشعورى . والجدل الدائم الذى ينتج عن هذا الصراع له سحره الخاص عند لاكان ، ويأتى استخدامه اللغة البلاغية فى أكثر الصور قوةً والتفافا حين يصور اللاشعورى متكلما رغم الكبت والرقابة . إنه يوسع ، مثلا ، فى الفقرة التالية أليجوريا أفلاطون عن الكهف ويعدِّلها:(٤)

إن الموضع الذى نسأل عنه هو مدخل الكهف الحقيقى فيما يتعلق بما هو معروف من أن أفلاطون يرشدنا إلى المخرج ، بينما يتخيل الناس أنهم يرون المحلل النفسى يتجول فى الداخل . لكن المسألة أبسط من ذلك ، لأنه مدخل لا تصل إليه إلا حين يغلقونه (إنه موضع لا يجتذب السياح على الإطلاق) ، لأن الوسيلة الوحيدة لمواربته هى أن تنادى من الداخل . (٥)

حين نصل إلى كهف اللاشعورى ، لا نصل أبدا إلا حين يُغلَق ؛ والطريقة الوحيدة للدخول تتمثل فى أن نكون بالداخل ؛ ولا يمكن أن يعرف بنيةَ اللاشعورى إلا من هو على استعداد للتسليم بقدرة اللاشعورى ، القدرة الهائلة على الإزاحة ، والإيمان بتلك القدرة . (٦)

ويشير لاكان ، فى محاولاته العديدة لإعادة تدريس التحليل النفسى واستثارة بصائره الخاصة ، إلى قدرة الكبت اللحوح كما تمارس فى كل من العملية التحليلية والاستنباط التجريدى من النظرية التحليلية . إن اكتشاف اللاشعورى نفسه معرض للكبت : يصاب اللاشعورى ، وهو يمثل ، طبقا للتعريفات الأصلية التى يتأسس عليها التحليل النفسى ، واقعَ الطاقة الغريزية النهمة وهو لا يعرف الاستقرار أو الاحتواء أو التحديد ، يصاب بالشلل ويتم تدجينه على أيدى دارسيه المحترفين . وتصبح قوة التبديد والافتراء ، تلك القوة الاستثنائية عملةً زائفةً ومعتادة فى لعبة التصور المعتادة .

لكن إفساد الرسالة اللاشعورية على أيدى المحللين بعد الفرويديين له ما يناظره فى أعمال فرويد . كان اكتشاف فرويد اكتشافا مفزعا ، ومن ثم دفعته رؤيته للعقل بوصفه منقسما انقساما ذاتيا self - divided ورؤيته للنمو الذى لا يمكن التحكم فيه ولخاصية الاصطياد الذاتى لجانبه اللاشعورى إلى البحث عن سلوى فى عالم وثير من التأمل الأسطورى والميتافيزيقى . ومع أن فرويد انحرف عن اكتشافه بطرق تجعل اكتشافه يتيح له أن يتنبأ ، إلا أن مغامرته الفكرية تعتبر نموذجية من حيث المخاطر التى تعرض لها : يقدمه لاكان بوصفه أكتيون [:Actaeon صياد فى الأساطير الإغريقية تحول إلى أيِّل وقتلته كلابه لأنه رأى أرتيمس إلهة الصيد وهى تغتسل ، راجع الفصل الأخير من هذا الكتاب – المترجم] الجديد ، أكتيون الذى تهاجمه أفكاره

وتفترسه لأنه كشف النقاب عن إلهة اللاشعورى (٤١٣ ، ٤٣٦) .[٧] إن الهدف الذى حدده لاكان لنفسه هو استمرار التفكير فى التفكير الفرويدى الهائل ، ولو كان بتقطيع الأوصال ، والسماح للتعاليم المكبوتة بأن تعود إلى التحليل النفسى عودتها المفكِّكة بحيث تتحقق ونمعن النظر فيها . ويمكن الآن أن نرى أبعاد المفارقة فى 'عودة' لاكان 'إلى فرويد' ، وما قد يستلزمه هذا الرأى ، وهو رأى ينمُّ عن إخلاص حقيقى ، من عصيان .

وحين يعيد لاكان التفكير فى نصوص فرويد 'من الداخل' ، يرفض إغواءات الموافقة الكاملة والمعارضة الكاملة فى اتساق متساوٍ . وتتضح بدايات هذا التوتر فى أول عمل كبير نشره لاكان : **عن ذهان البارانويا وعلاقته بالشخصية** *De la psychose paranoïaque dans ses rapports avec la personnalité* (١٩٣٢) . دخل لاكان التحليل النفسى مرورا بالطب والطب النفسى ، ويمثل هذا العمل ، وهو الأطروحة التى تقدم بها لنيل درجة الدكتوراه ، نقطة تحول حاسمة فى مسيرته الفكرية. إنه يُصَعِّد ، وهو يلاحظ كل التفاصيل الأكاديمية التى يتطلبها الشكل عادة ، يُصعِّد من هجومه العنيف على الكثير من نماذج التفسير السائدة فى التحليل النفسى . وقد أعاقتْ دراسةَ البارانويا قدرةُ الطب النفسى الراسخ على تقديس فرضيات لم تختبر إلا بصورة واهية وهزيلة ، وتحويلها إلى مبادئ . إن الذين يفسرون البارانويا بالرجوع إلى أساس عضوى مفترض لها ، أو إلى ميل وراثى ، أو إلى 'نوع من التكوين الجسدى' للمريض ، يلوذون بحيلة تفسيرية يستخدمونها دائما وتتيح لهم ألا يعترفوا بتعقد الذوات الإنسانية الفردية .

ويوفر التحليلُ النفسى للاكان آليةً دقيقة التناغم لإعادة النظر إلى المصاب بالبارانويا بوصفه **شخصا** . وقد توصف البارانويا ، بصورة لا تقلُّ فى أهميتها عن العصاب الذى تطورت حوله فى الأصل نظرية التحليل النفسى ، ويتم تحليلها تحليلا مترابطا بالرجوع إلى شخصية المصاب وإلى نشاطه الجنسى وخبرات طفولته وتطوره العاطفى وعلاقاته العائلية وقدراته العقلية وأمنياته الخاصة . وبمجرد تجميع هذه المادة وتنظيمها ، لا يمكن أن نجنى شيئا من وراء غرس المريض فى دراسة إكلينيكية

معدة سلفا سواء أكانت دراسة للنموذج typology أم كانت دراسة للشخصية characterology وبإلهام من التحليل النفسى ، يتمتع لاكان بالقدرة على تصور علم للشخصية تحتفظ فيه الذات بماضيها وأهدافها وذكائها الإبداعى . ولكن حتى حين يحرِّر لاكان هذا الدرس ويهلِّل "للعبقرية الفذة لأستاذ التحليل" (**عن ذهان البارانويا** *De la psychose paranoïaque* ، ٣٢٤) ، [٨] يؤكد حدود ما يدين به ويلفت الأنظار إلى التشويش confusion فى نظرية فرويد . ويعتمد لاكان ، بالإضافة إلى ذلك وبصورة متميزة مرة أخرى ، على أعمال مفكرين آخرين ، منها أعمال سبينوزا ووليم جيمس وبيرجسون وراسل ، ليبقى على نموذجه النظرى قابلا للاختراق من قبل أنساق التفكير الأخرى . وقد ابتكر أسلوبا فكريا مدهشا فى المناقشة المتقدة فى **عن ذهان البارانويا** وفى ترتيبها السلس ومفاهيم التصحيح المتبادل .

حين قرأ لاكان بحثه عن مفهوم "مرحلة المرآة" فى المؤتمر الدولى للتحليل النفسى الذى دارت أحداثه فى عام ١٩٣٦ فى مارينباد Marienbad – وقد دخل الحركة رسميا بهذا البحث – كان قد بدأ استكشاف طريقة فى التعبير بالكلمات ، وظلت هذه الطريقة طريقته المميزة . وجاءت معظم أعماله النظرية ، بعد ذلك التاريخ ، على هيئة أبحاث وتقارير فى المؤتمرات التى تخاطب المحترفين ؛ كانت ترتجل من مذكرات ثم تنقح للنشر ، وقد حررت فى طبعاتها التالية مصحوبة بالحواشى غالبا. وفى عام ١٩٦٦ ظهر عدد كبير من هذه الأبحاث فى **كتابات** وتحمل بعض الخصائص من كل من"التداعى الحر"، الذى يفرضه التحليل النفسى على المريض أثناء الكلام ، ومن "الانتباه المركز دائما"، الذى نتوقع من المحلل النفسى أن يتحلى به وهو يستمع إلى كلام المريض ؛ [٩] مما يعنى أن لاكان يقدم إلى القارئ عن قصد أفكاره الرئيسية ومواقفه الخلافية المهمة فى صورة رثة ragged وغير مترابطة desultory . ويأخذنا السيمينار الأسبوعى ، سواء المنشور منه أو ماهو قيد النشر ، السيمينار الذى عقده لاكان فى باريس على مدى ما يزيد عن عقدين ، إلى ما يفوق ذلك فى ورشته التأملية . [١٠] تقوم بعض أقسام **السيمينار** *Séminaire* بتوضيح الأفكار الرئيسية فى **كتابات** ، وتنقحها أقسام أخرى بإتقان ، وتبقى أقسام أخرى مجرد تسجيل لهمهمات موَّارة

يسقط العقل النقدى إزاءها فى الصمت ساخطا أو معجبا . يطمح نثر لاكان باستمرار فى الوصول إلى منزلة الكلام . وأهدافه واضحة من الكتابة بهذا الأسلوب : أن يتم الإحساس بطاقات اللاشعورى فى الإيقاع المتقلِّب فى الجمل التى يكتبها ، وإعاقة القارئ عن تشييد بنايات نظرية مبتسرة على النص وإرغامه على المشاركة الكاملة فى العمل الخلاق للغة .

وهذه السمة التى تميز كتابات لاكان تجعل تلخيص مساهماته فى المعجم التقنى للتحليل النفسى عملية بالغة الصعوبة . إننا لا نعثر ببساطة ، فى المصطلحات والمفاهيم التى توسع فيها أو أعاد صياغتها ، على مصطلحات فرويد ومفاهيمه فى شكل مستقر ومحدد . إن كل مصطلح ومفهوم من تلك المصطلحات والمفاهيم يعرِّف الآخر أثناء القيام بالعمل التحليلى ويتعرض لتغيرات حادة فى المضمون مع تبدل السياق الفكرى . إن لاكان بَنَّاء مفاهيم متحركة واهية الترابط ، بحيث يكون من الأفضل أن نسأل ، ونحن إزاء مصطلح معين ، 'ماذا يفعل' أو 'ما المسارات التى يتجول فيها ؟' بدل أن نسأل 'ماذا يعنى ؟' وبالإضافة إلى ذلك ، تعمل مفاهيم لاكان كلها ، بصرف النظر عما إذا كان الدور الذى تلعبه فى النماذج النفسية psychical models (أو 'topologies' كما يُطلِق عليها غالبا) دورا أساسيا أو ثانويا ، تعمل وكأنها أسلحة تتصارع : لا يكتمل تعليق عليها بدون أن يقول شيئا عن الطرق القابلة للتكيف مع الاحتياجات المتغيرة للمناقشة فى مهنة يتأصُّل فيها الشقاق .

تأمل ، مثلا ، مفهوم 'مرحلة المرآة' الذى أشرنا إليه من قبل . تقع هذه المرحلة من عمر الإنسان بين الشهر السادس والشهر الثامن عشر . وهى فترة يتمتع فيها ('الإنسان الصغير 'le petit homme) بالقدرة للمرة الأولى ، بالرغم من افتقاره للقدرة على السيطرة على نشاطات جسمه ، على أن يتخيل نفسه كيانا مترابطا يهيمن على نفسه . وتتعين له هذه الصورة حين يرى صورته فى المرآة :

يبدو أن هذه الفرضية المتهللة عن صورة الطفل المرآوية التى يراها فى مرحلة **الطفولة** *infans* ، ماتزال غارقة فى ضعف جهازه الحركى والاعتماد على من يرعاه ، وتعرض بصورة نموذجية المنشأ الرمزى الذى يترسب فيه 'ضمير

المتكلم' *I* فى شكل بدائى ، قبل أن يتشيأ فى جدل تقمص الآخر ، وقبل أن تعيد إليه اللغة ، عموما ، وظيفته كذات .[(١١)](٩٤)

إلا إن تلك اللحظة التى يحدث فيها التقمص الذاتى self-identification ، مهما تكن ، لحظة حاسمة ، ليس لأنها تمثل مرحلة على الطريق إلى 'البلوغ' أو 'النضوج الجنسى'– وتتعرض مثل هذه النماذج التطورية عن الذات الإنسانية المتبدلة لهجوم دائم من لاكان – ولكن لأنها تمثل نزوعا دائما لدى الفرد : نزوعا يقوده فى حياته إلى البحث عن اكتمال خيالى 'لأنا مثالية ideal ego ' وتعزيزها . إن الوحدة المبتكرة فى هذه اللحظات ، والأنا التى تمثل نتاجا للابتكارات المتتالية زائفتان ؛ إنهما محاولتان للالتفاف حول بعض العوامل التى لا مفر منها فى الحياة الإنسانية : العوَز والغياب والنقص . ويتضح ، حتى من السطور القليلة التى اقتبستها ولخصتها ، أن مفهوم لاكان عن مرحلة المرآة يتجاوز إلى حد بعيد تخوم سيكولوجيا الأطفال فى أكمل صوُرها . فى نهاية الفقرة تتشكل نظرية فى اللغة ونظرية فى الإدراك المتبادل بين الأشخاص interpersonal ؛ وينبثق نظام آخر من الخبرة فى مواجهة نظام التقمص الخيالى الذى تدشنه اللحظة 'المرآوية' ؛ وقد نلمح اعتراضا من اعتراضات لاكان الأثيرة ضد التحليل النفسى فى ممارساته التقليدية : إذا لم تكن الأنا سوى ترسب خيالى ، فياله من عبث أن يجند أنصار 'سيكولوجيا الأنا' أنفسهم لإنماء ذلك الوجود الشبحى وترسيخه .

إن كل الأنساق التصورية المعقدة تعمل ، بمعنى من المعانى ، وفقا لهذه الطريقة، حيث يساعد كل عنصر على التعريف بالعناصر الأخرى وتنشيطها . وحيث أن الذين يؤلفون هذه الأنساق يقومون بتقسيمها ، طبقا للأعراف المتبعة ، إلى وحدات فرعية يمكن اقتفاؤها منفصلة ، فإن عدم حدوث مثل هذا التقسيم يمثل فى رأى لاكان حيرة فكرية . يعمل كل مفهوم كنقطة عقدية nodal point فى شبكة من الاختيار والرفض ، ويُقَدَّم إلى القارئ فى لغة تبقى فيها المهمة العملية ، مهمة الاختيار والرفض ، تبقى ملموسة كاضطراب فى تركيب الجملة . وأعود الآن إلى سلسلة من البصائر والحدوس الأساسية عن بنية اللاشعورى ، البنية التى تتأسس عليها نظرية لاكان الكاملة عن

العملية النفسية . إن النحت والكتابة لا يفهمان فهما كاملا، طبقا لأشهر الطرق التى تمثل تفكيره ، ولا يمثلان أمام القضاء المسئول إلا حين نتأملهما فى سياق هذه النظرية .

يدمج فرويد فى تعليقه الأساسى على اللاشعورى سلسلة من النماذج الطوبوجرافية والديناميكية والاقتصادية . [١٣] ولم يكن اكتشافه من الاكتشافات التى يمكن إعلانها وتطويرها فى لغة نظرية أحادية معدة سلفا . وحين كان يسرد ، بعد سنوات طويلة من ممارسة التحليل والتأمل فيه ، خصائص اللاشعورى كنسقٍ ، فى بحث عن 'اللاشعورى' (١٩١٥) ، كان لا يزال يستخدم معجما تقنيا يساهم فيه مساهمة متميزة كل من البيولوجيا والميكانيكا والمنطق والدراسات اللغوية . وأعلن أن اللاشعورى يتمتع فى جوهره بمجموعة من الدوافع الغريزية تملك القدرة على التعايش بدون أن تتعارض أو تتبادل التأثير ؛ إنه لا يعرف الإنكار أو الشك أو أية درجة من درجات اليقين ؛ إنه يمثل واقع العملية الأولية ، التى تتنقل فيها الطاقة النفسية بحرية بين الأفكار بواسطة الإزاحة والتكثيف ؛[١٣] إنه سرمدى timeless ؛ لا يبالى بالواقع الخارجى ، ولكنه يبالى بتحقيق المتعة واجتناب ما يعكر الصفو (XIV, 186 -189) .

كان لاكان يرى بحدسه الرئيسى أن تعليق فرويد على اللاشعورى وعلاقته بنسق ما قبل الشعورى – الشعورى يمكن إعادة تنظيمه حول بعض المفاهيم اللسانية ليصبح أكثر إقناعا وأكثر مرونة . وقد ألمح فرويد نفسه إلى هذا التجديد ، وتكتسب أعماله عن 'حقائق اللغة' شهرة استثنائية فيما يتعلق بذلك الأمر . إنه يُبدى براعة ودقة فائقتين كناقدٍ نصىٍّ فى تحليل الحكايات اللفظية وهو تحليل قدَّم ، لتواريخ حالاته المرضية ولكتبه عن الأحلام وزلات اللسان والنكات ، الذخيرةَ الأساسية كدليل . وتمثل الوظائف التى تتطور فى اللغة الإنسانية موضوعا قريبا من نفسه بصورة خاصة . ويستشهد ، غالبا ، فى كتاباته السيكولوجية بالعلوم اللسانية لتقديم التناظرات والدليل الذى يعززها . ويرى لاكان أن موضوع عدم اعتماد فرويد بأية صورة على اللسانيات يمثل مسألة فرصة تاريخية (٤٤٦ – ٧ ، ٧٩٩) : كان سوسير وآخرون يضعون أسس هذا الفرع المعرفى حين كان فرويد يشيد نظريته ، ولا نتوقع منه أن تكون له القدرة

على الحصول على معرفة تفصيلية من علم متاخم له ولا يزال فى **طور النشأة** *in statu nascend* ، أو الحصول على استنتاجات مفيدة منه .

إن الدروس التى كانت مصادفة الميلاد سببا فى أن يكون فرويد غير قادر على تعلمها بينما يكون لاكان قادرا على ذلك هى فى الأساس تلك الدروس التى تهتم بالتحليل التزامنى synchronic لأنساق الدالة المعقدة . إن فقه اللغة المقارن ، وكان لا يزال ملك العلوم اللغوية فى السنوات التى كان يتشكل فيها عقل فرويد ، كان يفتقر إلى ما يعلمه لنا عن هذا التحليل ، بالإضافة إلى أنه كان فى بعض الأحيان يدفع السيكولوجى إلى الوقوع فى الخطأ . إن مراجعة فرويد فى عام ١٩١٠ لعمل كارل أبل Karl Abel ، مثلا ، وعنوانه *The Antithetical Meaning of Primary Words* (١٨٨٤) وهو عمل يعتمد على الحدس ولا يصح الآن عموما ، جعلته تلك المراجعة يوازى بين العقل الحالم ، الذى لا يعرف التناقضات ، وحالة اللغة الإنسانية الأولية التى افترضها أبل وتحمل فيها بعض الكلمات معانى متضادة فى وقت واحد (XI, 155-61) . (من المفترض أن الكلمة الإنجليزية القديمة *bat* ["جيد 'good] وكلمة badde ["ردىء 'bad] مشتقتان من جذر مشترك يعنى 'جيد – ردىء') . وكان عمل أبل بمثابة الدعامة الوحيدة التى بنى عليها رأيه بأن 'تكافؤ الأضداد سمة حفرية عامة فى تفكير الإنسان' (**تعليق موجز على التحليل النفسى** *A Short Account of Psychoanalysis* (١٩٣٤) ، XIX، ٣٠٦) . ويمكن لنا أن نقول إنه ، بعبارة أخرى أسس فنتازيا متميزة ومأمولة عن 'أصل الأشياء' على فقرة من فقه اللغة التلفيقى . (١٤)

وعلى الجانب الآخر ، تكبح اللسانيات هذا النوع من التأمل وتقترح نموذجا أكثر خصوصية للمقارنة بين اللغة والعقل . إنها بقدر ما تدرس أصغر الوحدات المتميزة التى تشكل اللغة وطرق استيعاب هذه الوحدات وتداخلها فى أنساق شاملة ، تقدم للجهاز النفسى psychical apparatus سلسلة من النماذج التى يمكن اختبارها . وبينما دفع فقه اللغة بفرويد إلى أرض مشاعٍ مليئة بالتقلبات ، استطاعت اللسانيات ، كما تناولها لاكان ، إعادة التحليل النفسى إلى المهام التى كان فرويد منوطا بها فى أفضل الأحوال : استنباط البنية النفسية والإفصاح المترابط عنها .

"يبنَى اللاشعورى كلغة" [L'inconscient est structuré comme un langage] بالفرنسية ، ونظرا للأهمية البالغة لهذه العبارة وللشهرة التى كانت من نصيبها ، نورد هنا ترجمتها الإنجليزية أيضا [the unconscious is structured like a lan- guage]. [١٥] تبين هذه العبارة ، وهى من أشهر ما نطق به لاكان ، أهمية ما يدين به للسانيات ؛ وتذكرنا ، بصياغتها فى صورة تشبيه ، بالمشاكل التى تُطرح على التحليل النفسى ويستعين فيها بالمفاهيم اللسانية . وهناك بعض الأسئلة التى نودُّ طرحها ، فى البداية ، على عبارة لاكان : إلى أى مدى يكون هذا النوع من التماثلات دقيقا ومفيدا ؟ هل للمصطلح الأول أسبقية منطقية على المصطلح الثانى ؟ وإذا عكسنا ترتيب المصطلحين ، هل يقال الشىء نفسه ، أم يقال شىء مختلف ولكنه على الدرجة نفسها من الأهمية ، أم يقال شىء أقل أهمية ؟ تأتى أعمال لاكان فى هذه المنطقة نتاجا لتخطيطات ذات اتجاهين – تأثير اللاشعورى على اللغة واللغة على اللاشعورى – وقد تم إنجازها فى تحدٍّ دائم لرغبة قارئه فى العثور على معالم ثابتة لن تتم إطلاقا الإجابة عنها فى الأسئلة السابقة . وكان نزوعه للتفكير فى هذه القضية الجوهرية ، فى الحقيقة ، لوضع منطق الأسئلة التى تثار على هذا النحو موضع التساؤل .

وعموما ، يمكن النظر إلى علاقة اللغة واللاشعورى بطريقتين . أولا ، من المحتمل أن تكون التوترات والصراعات التى تدور داخل النفس قد استطاعت أن تلعب فى البداية دورا فى تحديد لغة الإنسان : إن فكرة أن اللغة خُلِقَتْ فى الصورة الجزئية partial image للاشعورى ، الموجود من قبل ، تقدم على الأقل تفسيرا شِعْرِيًّا مغريا لمعنى التواشج 'الطبيعى' بين النسقين ، وهو معنى يقره دارسو اللاشعورى . ثانيا ، اللغة هى الأداة الوحيدة للتحليل النفسى : لا يتاح اللاشعورى ، سواء للمريض وهو يحكى أحلامه وخيالاته أو للمحلِّل وهو يدقِّق خطاب المريض ويفسره ، إلا فى صورة لغوية وسيطة . ولا يمكن لنا أن نتأمل حالة لاشعورية 'محضة pure' قبل – لغوية pre - linguistic ، أو السعى إلى وصف الطرق التى تؤثر بها أدوات اللغة الراصدة على المواد اللاشعورية المرصودة . وحيث أن اللغة هى ، أيضا ، وسيط هذه الفحوص الثانوية فإنها تكون قد 'خدعتنا' مرة بانكساراتها ، وسوف تخدعنا مرة أخرى بانحرافاتها .

يضيق لاكان ذرعا بالمقاربة الأولى ، ويميل إلى تفسير المسألة برمتها بالطريقة الثانية : **اللغة تخلق اللاشعورى** *language creates the unconscious* [التأكيد للمترجم] . ويرى أن التوسط اللغوى يمتد أبعد بكثير من الديالوج التحليلى . ويشير إلى أن الإنسان نفسه ينغرس ، وهو يكتسب اللغة ، فى نظام رمزى سابق الوجود ومن ثم تخضع رغبته للضغوط النسقية لذلك النظام : إن الإنسان يتيح للغة وهو يتبناها أن تؤثر على طاقاته الغريزية الحرة وأن تنظمها (٤٤٥) . إنه امتياز خاص بالإنسان ، مستخدم اللغة ، أن يبقى غافلا وهو يصنع الأشياء بالكلمات عن المدى الذى ساهمت ، ومازالت تساهم ، به الكلمات فى صناعته .

إن الأعمال التفصيلية عن المكونات البنيوية الأولية لكل من اللغة واللاشعورى تدعم مقارنة لاكان بينهما كنسقين كاملين وتدعم تعليقه على مختلف التبادلات المحتملة بينهما . يعتمد لاكان اعتمادا خاصا على تعريف سوسير للعلامة اللغوية linguistic sign وهو تعريف مزدوج الاسم binomial – الدال والمدلول وتجمع بينهما رابطة اعتباطية–ويعتمد أيضا على القطب الاستعارى والقطب الكنائى فى النظام اللفظى الذى افترضه رومان ياكبسون . [١٦] (سأتناول هذه المصطلحات بالشرح بعد لحظات) وهذه المفاهيم مفيدة لعدة أسباب : لأنها تناظر تناظرا تاما بعض الأزواج المتضادة antithetical pairs فى فكر فرويد ؛ ولأنها قابلة للاتحاد والتبديل فى التصويرات الجبرية الزائفة للعملية الذهنية التى فضلها لاكان باستمرار ؛ ولأن هناك قيدا صارما مفروضا على القيام بمقارنة على نطاق أوسع . ويتمثل القيد ببساطة فى أن ما يناظر الجملة ، أو البنية التركيبية عموما ، بالغ الضآلة فيما يقدمه فرويد عن اللاشعورى . [١٧] إن القدر الأكبر من الأصالة المدهشة التى يعزوها فرويد إلى اللاشعورى ينجم عن رفضه الولاء لأشكال التنظيم التراتبى hierarchical التى يقدمها التركيب اللغوى . ومن ثم قد يكون لنسقٍ لغةٍ معينةٍ، كما يتضح فى نحوها ، دورٌ ضئيل للغاية فى تعليقات التحليل النفسى على الوظائف الذهنية . واختار لاكان أن يؤسس نماذجه على بعض البنيات التحتية المزدوجة التى تتمتع بقدرة فائقة على الاتحاد المتجدد بدلا من الاعتماد على مجموعة من المقولات النحوية التى لا تقبل التكيف .

وقد حظى هذا الاستخدام لمبادئ سوسير فى التحليل النفسى بأول تعبير كامل عنه فى بحثين ، جاء البحث الأول بعنوان "**وظيفة الكلام واللغة ومجالهما فى التحليل النفسى** *"Fonction et champ de la parole et du langage en psychanalyse* (٢٣٧ – ٣٢٢) ، وكان البحث الثانى بعنوان '**تأثير الأدب فى اللاشعورى أو التبرير منذ فرويد** *L'instance de la lettre dans l'inconscient ou la raison depuis Freud*' (٤٩٣ – ٥٣٨) ، وقد نشر البحث الأول فى عام ١٩٥٣ ونشر الثانى فى عام ١٩٥٧ . [(١٨)] لكن لاكان لا يستدعى نظرية لغوية مستقرة إلى التحليل النفسى بهدف تنظيم مجموعة من التعاليم التى لا تزال جامحة : **إن تلاقى فرويد وسوسير يخلق إمكانية للتفكير فى كل منهما على ضوء الآخر** [التأكيد للمترجم] .

تمثل العلامة فى رأى سوسير صداما وارتباطا على نحو فجائى بين واقعين محددين ، كل منهما ، فى حد ذاته ، مائع وغير متميز : التفكير من ناحية والصور السمعية acoustic images من الناحية الأخرى . ولكن بمجرد ارتباط جزء من واقع التفكير (المدلول) بجزء من واقع الصوت (الدال) تنشأ بينهما علاقة حميمة إلى درجة اعتماد كل منهما على الآخر اعتمادا كاملا :

> مرة أخرى يمكن مقارنة اللغة بقطعة من الورق : وجهها التفكير وظهرها الصوت : لا يمكن أن نمزِّق الوجه بدون أن نمزق الظهر فى الوقت ذاته ، وبالمثل لا يمكن فى اللغة أن نعزل الصوت عن التفكير أو التفكير عن الصوت ؛ ولا يمكن أن يتم ذلك إلا بعملية تجريد تؤدى إلى خلق سيكولوجيا محضة أو فونولوجيا محضة .[(١٩)]

إن ما يتساءل عنه لاكان ، حتى حين يستعير المصطلحات السوسيرية [نسبة إلى سوسير] ، حالة التناسق والتوازن بين الدال والمدلول مثلما يصفها فى الفقرة السابقة . إنه يستخدم الصيغة S/s (الدال على المدلول signifier over signified) كشكل من أشكال التلخيص الشديد لنظرية سوسير ، وأيضا ، كوسيلة لتسليط الضوء على المشكلة المستعصية فيها : حالة المدلول ودوره الدقيق . وإلى هنا يعالج لاكان هذه القاعدة الحسابية S/s ، التى يبدو للوهلة الأولى أنها لا تعدو أن تكون عملية إجرائية

فى حساب التفاضل والتكامل من ابتكاره ، يعالجها وكأنها قصيدة عيانية وشعار شخصى . إن الخط الفاصل بين الرمزين يمثل أكثر من مجرد رمز : إنه تمثيل تصويرى لشقٍّ ضرورى بينهما ، شقٌّ لا يمكن إزالته . وبالمثل ، يمثِّل وضع المدلول أسفل الخط أكثر من مجرد مسألة خضوع للتقاليد الحسابية . إن المدلول ، فى تعليق لاكان ، 'ينزلق' ، فى الواقع ، 'أسفل' الدال وينجح فى مقاومة المحاولات التى تحاول تحديد وضعه وتثبيت حدوده . إننا نرى بأبصارنا تفوق الدال (الحرف الكبير ، البنط الرومانى ، الوضع الأعلى) على المدلول (الحرف الصغير ، البنط الإيطالى ، الوضع الأسفل) . والفكرة الرئيسية التى يثيرها لاكان فى المناقشة تتمثل فى أن البحث عن المدلول فى صورته 'المحضة '- وبتعبير آخر ، البحث عن بنيات التفكير الأصلية خارج الكلمات-بحث طائش ؛ إن اللغة لها دور تكوينى فى تفكير الإنسان ؛ وليس ثمة وجود 'لسيكولوجيا محضة' من النوع الذى استشهد به سوسير . إن السلسلة الدالة ذاتها هى موضوع الاهتمام الحقيقى عند المحلل النفسى واللسانى : والعلاقات التى يمكن ملاحظتها فى تلك السلسلة هى أوثق الشواهد على البنية النفسية وبنية الذات الإنسانية .

ويستطيع لاكان توظيف نواة تفكير سوسير ، بمجرد تصويرها على هذا النحو، كوسيلة لتنظيم نظرية التحليل النفسى وزعزعتها . ويبدو ، للوهلة الأولى ، وكأن مشروعه محدود بصورة خطيرة . حيث أن التمييز بين الدال والمدلول يكون ، طالما تعلق الأمر بمقابلة الظاهر بالمستتر ، قابلا للتكيف إلى أقصى الحدود مع بعض التمييزات المتنوعة التى قدمها فرويد نفسه وتناولها منفصلة ، وربما يكون من الممكن استيعابه ضمنها : على سبيل المثال ، تلك التمييزات بين الشعورى واللاشعورى ، بين صور الحلم و'أفكار الحلم المستترة' ، بين الأعراض العصابية والرغبات المكبوتة . ولم يكن لاكان ، وهو يقلِّص هذه الأزواج من المقولات المتضادة إلى شفرة تتكون من مصطلحين وتلائم كل الأغراض ، لم يكن شخصا كسولا ينسق تفكير فرويد بصورة غير مشروعة . إن إجراءات التحليل البنيوى التى يتبعها لفحص مجموعة من الدوال signifiers التى ترتبط بارتباطات متنوعة إجراءاتٌ صاغها فرويد فى تعليقاته على

عمل الحلم . يقدم فرويد ، مثلا ، فى الفقرة التالية من **النكات وعلاقتها باللاشعورى** *Jokes and their Relation to the Unconscious* ، وهو يلخص مفهوم الإزاحة displacement ، صورة واضحة للدال وهو يؤدى دوره :

> إن عمل الحلم...يضخم هذا الأسلوب من أساليب التعبير غير المباشر بما يتجاوز كل الروابط . ويكفى ، تحت ضغط الرقابة ، أن يعمل أى ارتباط بالتلميح كبديل ، لتحدث الإزاحة من أى عنصر إلى أى عنصر آخر . واستبدال التداعيات الداخلية (التشابه ، الارتباط السببى ... إلخ .) بما يعرف بالتداعيات الخارجية (التزامن ، التجاور ، التشابه فى الصوت) أمر لافت للنظر كخاصية تميز عمل الحلم بصورة خاصة . (VIII, 172)

ويبدو فرويد ، وهو يقوم بتحليل الحالات فى عدد لا يحصى من المواضع ، كراصد يبتهج بملاحظة اللاشعورى الذى يشبع رغباته بمعالجة بارعة للمواد الدخيلة التى لا يرغب فيها . والفرق بين ما يؤكد عليه فرويد وما يؤكد عليه لاكان يتمثل فى أن فرويد يقرُّ بقوةِ 'التداعيات الخارجية' ويرى أنها لا تُفهَم فهما كاملا إلا بالقياس إلى 'التداعيات الداخلية' التى تُقَنِّعُها أو تحل مكانها ؛ ويرى أن صور الحلم تحتاج إلى 'أفكار الحلم الكامنة' الحدسية حتى تتضح ؛ ويرى أن المدلول يغرى بالمطاردة حتى وهو ينأى عن المشهد . لكن لاكان يرى أن هذا التأرجح بين الدال والمدلول قد يحوِّل الأنظار بسهولة عن الأول إلى منطقة مائعة لفنتازيا تشبع الرغبة ؛ ويرى أن العلاقة بين الدوال أحد المصادر المهملة مع أنها تقدم للمحلل قدرا هائلا من المعلومات .

إن تأكيد لاكان على الدال وفصل المكونات البنيوية عن المكونات التأويلية فى نظرية فرويد يستلزم جولة إضافية فى مجال اللسانيات . ومرة أخرى يدين لاكان لياكبسون الذى رأى فى قطبى التنظيم اللفظى مفتاحا لنموذجى الارتباط فى السلسلة الدالة وهما نموذجان تحتيان ولا يمكن اختزالهما . ويرى ياكبسون أن القطبين ، الاستعارى والكنائى ، يتنافسان فى أية عملية رمزية ، وقد لفت الأنظار إلى التداخل المحتمل بين مقولاته والمقولات التى يستخدمها فرويد فى تحديد خصائص اللاشعورى . وقد تأسس كل من 'الإزاحة displacement' و'التكثيف condensation' على مبدأ

التماس contiguit ، إن أحدهما ينتمى إلى الكنائى metonymic وينتمى الآخر إلى المجاز المرسل synecdochic ؛ [٢٠] وتم تأسيس 'التقمص' و'الرمزية' على التشابه ، ومن ثم فهما استعاريان . [٢١] ولا يهتم لاكان أدنى اهتمام بما يقدمه مفهوم ياكبسون ، ويقدم زوجا من التكافؤات الأبسط والأبرع: التكثيف (*Verdichtung*) يناظر الاستعارة ، والإزاحة (*Verschiebung*) تناظر الكناية (٥١١) . إنها من المفاهيم الأساسية فى أعمال فرويد ؛ ويمكن بسهولة أن ينقلب تقمص فرويد ورمزيته إلى أى منهما .

لكن لاكان لا يقنع بترك الأمور على هذا النحو ، حيث يتم وضع كل مصطلح من المصطلحات اللسانية على خط مستقيم مع شكل من أشكال الوظائف الذهنية اللاشعورية . إن مصطلحات ياكبسون ، شأنها فى ذلك شأن مصطلحات سوسير ، فى حاجة إلى اختبار إضافى حتى يتم قبولها : إذا كان من الممكن بالنسبة لها أن تكون ما تصفه ، أى أن تصبح دوالٍّ بحكم خصائصها ، فعليها أن تبدو متعددة ، ومحددة بعوامل كثيرة ، [٢٢] وقابلة دائما لاستخدامات جديدة . وعند هذه النهاية ، وهى نهاية لبدء جديد مستمر ، يتم خلق زوج آخر من العلاقات المتقاطعة (٥١٧ – ١٨) : تتضمن الآلية النفسية التى تؤدى إلى ظهور الأعراض العصابية اقتران دالين – الرَّضّ الجنسى sexual trauma اللاشعورى والتغيرات التى تحدث فى الجسم أو الأفعال التى يقوم بها – وهى من ثم استعارية ؛ بينما تتضمن الرغبة اللاشعورية النهمة غير القابلة للتدمير ، تتضمن إزاحة دائمة من موضوع إلى موضوع ومن ثم فهى كنائية . (لا ينتج أى عرض عن توقف الوظيفة الكنائية ولكنه يؤدى إلى ظهور فتش fetish) .

إن مصطلحى 'الاستعارة' و'الكناية' يقدمان ، نتيجةً لهذا التعديل المزدوج فى قطبية ياكبسون، تقسيمات فرعية subdivisions واضحة ومفيدة لمفهوم الدال ، ويلعبان لعبة خاصة مبهمة الدلالة . وهى عملية مألوفة فى أعمال لاكان كلها . وتصبح الميتالغة metalanguage النظرية عند لاكان لغة نقية وبسيطة–مما يعنى أنها تصبح لغة مختلفة الخواص ومعقدة : 'لا توجد ميتالغة...لا توجد لغة يمكن أن تقول الحقيقة

عن الحقيقة ، 'حيث أن الحقيقة تتأسس على أساس أنها تتكلم فقط ولا تملك أية وسيلة أخرى' (٨٦٧ – ٦٨) .[٢٣]

أشرتُ من قبل إلى أن الشكل الحقيقى الذى تطرح فيه فرضية 'يُبْنى اللاشعورى كلغة' يلفت الأنظار إلى حدوده المحتملة كمبدأ نظرى . ولكن آن أن تتضح الوسائل التى يستخدمها لاكان ليتجنب هذه الحدود . وتتلاشى الأسبقية المنطقية أو التعاقبية chronological بين اللاشعورى واللغة بمجرد أن نتخيل 'نظاما رمزيا' يشملهما . ويحافظ لاكان بكل دقة ، بالاقتصار على **مبادئ** اللغة كما يصفها سوسير وياكبسون بدلا من استكشاف أشكال التنظيم التركيبية الأعلى ، على اتصاله بالمكونات الأساسية الفارقة فى كل الأنساق الرمزية . إن اللاشعورى ، بقدر ما نراه ونسمعه فى الكلام والأعراض والأحلام والإهمال أو الخطأ اللاإرادى ، تحكمه القواعد التى تحكم الأنساق الأخرى كلها : القواعد التى عبَّر عنها لاكان فى إيجاز 'بمنطق الدال logic of the Signifier' . إن لاكان ، بقدر ما يثق فى أنه توصَّل هنا إلى شىء أساسى وعام ، يلفت الأنظار إلى عنصر من عناصر الإسهاب فى جملة 'يبنى كلغة' : 'إن كلمة 'يبنى' وكلمة 'كلغة' تعنيان بالنسبة لى الشىء نفسه';[٢٤] '**لا توجد بنية بدون لغة' (التلفزيون ، ١٨)** .[٢٥] وفى مثل هذه المواضع يبدو اللاشعورى اللاكانى أبعد ما يكون عن سلفه الفرويدى الذى يحفِّزه ظاهريا . لم يكتفِ فرويد بالتمييز بين *Wortvorstellungen* (**'حضور الكلمة'**) و *Sachvorstellungen* (**'حضور الشىء'**) ولكنه صاغ اللاشعورى كحقل عمل يخص حضور الشىء منفصلا عن الكلمة المناظرة "The Unconscious" (1915), XIV, 201-2;) GW, X, 300 .[٢٦] ولا يكتفى لاكان ، فى تعريفاته للاشعورى ، بمنح الأسبقية لحضور الكلمة ولكنه يقدم تعريفاته الخاصة ، أحيانا ، باعتبارها تستبعد تعريفات فرويد وتحلُّ محلها : 'اللاشعورى ليس فرويديًا ؛ إنه لاكانى' .[٢٧]

إن الدور الخاص – ويُدعَى بأسماء متنوعة : أسبقية ، أولية ، أفضلية ، تفوقا ، إلحاحا ، سموًا – الذى يعزوه لاكان للدال فى الحياة النفسية تصاحبه عملية هائلة

لإعادة تعريف المصطلحات وحملة من المناظرات المستمرة . وأشير هنا إلى مصطلحى *sujet* ('الذات "subject") و *moi* ('الأنا "ego") . وبينما تمثل الأنا ، وقد لُمِحتْ فى مرحلة المرآة للمرة الأولى ، نتاجا عيانيا للتقمصات الخيالية المتعاقبة وقد علِقَتْ فى الذهن كقاعدة راسخة ، أو كقاعدة تسعى إلى الرسوخ، كقاعدة 'للهوية' الشخصية ، فإن الذات ليست شيئا على الإطلاق ، ولا يمكن القبض عليها إلا كمجموعة من التوترات ، أو التحولات ، أو الجيشان الجدلى فى عملية مستمرة ومقصودة باتجاه المستقبل . ويرى لاكان الأنا ، بوصفها نقطة التوتر فى طوبوجرافيا فرويد عن الهو – الأنا – الأنا العليا ، يراها مكوِّنا أساسيا فى نموذج جدلى حقيقى للذات الإنسانية . لكن الأنا، التى تُرى كنهاية فى ذاتها وكمقرٍّ للفردية ، مقرٌّ معرَّضٍ للتهديد ويحتاج دائما إلى التحصين ضد الغزوات العدائية من الهو والأنا العليا ، تعالج بازدراء: تتصرف هذه الأنا الراسخة الهادئة بغباء على أيدى 'مديرى الأرواح' والمهندسين الاجتماعيين . ومفهوم الذات هو الذى يحتل المركز فى تعليقات لاكان على الجهاز النفسى النشط ، وليس مفهوم الأنا . والذات لا تختفى فى يدى لاكان ، كما يحدث فى عبارة نمطية ، ولكنها تسلك مسارات متشعبة يحبكها ويعيد حبكها .

إن السلسلة الدالة تدعِّم قاعدة حركية الذات . ولا يقتصر دور الدال على تكوين الذات والسيطرة عليها فقط – يتكلم لاكان عن 'سيادة الدال فى الذات' (٢٠) وعن 'تفوق الدال على الذات' (٣٩) – ولكنه ، أيضا ، يحتاج إلى الذات احتياجا إيجابيا كمصطلح وسيط 'الدال هو الذى يعبر عن الذات لدال آخر' (٨١٩) . [٢٨] إن الذات والدال ، بعيدا عن كون الذات نتيجة ثانوية للدال أو ظاهرة مصاحبة له ، بينهما علاقة اعتماد متبادل ، حتى أن ما قد ينسب لأحدهما من الضرورى أن ينسب للآخر ، مع تعديل أو 'انحراف' مناسب . إن كلا منهما يتَّسم بالقدرة على الإزاحة البنيوية اللامحدودة ، وهى قدرة لها بالضرورة أسبقية على كل السمات الفطرية أو المكتسبة :

إن إزاحة الدال تحدد الذوات فى أفعالها ، فى قَدَرِها ، فى رفضها ، فى عماها ، فى نهايتها ، وفى مآلها ، فى مواهبها الفطرية وفى مكتسباتها الاجتماعية ،

بصرف النظر عن الشخصية أو الجنس و...كل ما يمكن اعتباره مادةً لعلم النفس ، الأدوات والأمتعة ، سيتبع طريق الدال شئنا أم أبينا .(٢٩)

تميل لغة علم النفس التقليدى ميلا راسخا إلى وصف العقل كما لو كان تجمعا ثابتا لعدد من الأشياء ، أو القوى ، أو الملكات ، وقد يبدو تصوير لاكان للذات قيد التكوين فى نظر من ترتبط توقعاتهم للترابط فى بناء النموذج النفسى ارتباطا شرطيا بتلك اللغة ، قد يبدو مهلهلا وتافها بصورة مستحيلة . ومما هو جدير بالملاحظة أن رأيه فى الذات بوصفها فارغة 'تماما' ومتقلبة وتفتقر إلى مركز ، يجب أن ينبثق هذا الرأى ، فى مروره من هدف تحليلى إلى آخر خلال لغة تتعرّى فيها بإلحاحٍ كل توقعات الترابط المنتظر ، مقْنعًا ودقيقًا .

ويدعو لاكان حقل الدال ، الذى يشهد الإعادة الأبدية لبناء الذات ، بالنظام **الرمزى** the Symbolic order . وهو النظام السائد فى ثلاثية **الرمزى – الخيالى – الواقعى** التى كان لها دور خلاق فى تفكير لاكان يقارن بدور ثلاثية **الهو – الأنا – الأنا العليا** فى المرحلة الأخيرة من فكر فرويد . (ومع أن أنظمة لاكان الثلاثة وأقسام فرويد الثلاثة تستخدم للقيام بالدور ذاته فى العمل التحليلى ، إلا أنه من المستحيل وضع مصطلح مقابل آخر بصورة قاطعة .) ومن الأفضل أن نفكر فى كل نظام من أنظمة لاكان كمركزِ جاذبيةٍ يتغير باستمرار فى مناقشاته بدلا من التفكير فيه كنظام ثابت ؛ ويمكن استخدامه فى كل لحظة لإعادة تعريف النظامَيْن الآخرَيْن . وقد اقترحتُ من قبل نوعا من التقابل بين **الرمزى والخيالى** فى التعليق على الذات والأنا . بينما يتميز أحدهما بالاختلاف والانفصال والإزاحة ، يبحث الآخر عن الهوية أو التشابه . ينمو **الخيالى** من خبرة الرضيع 'بالأنا المرآوية' ويمتد بعيدا إلى خبرة الراشد بالآخرين وبالعالم الخارجى : حيثما يوجد تقمص زائف – سواء أكان فى الذات أم كان بين الذات والآخر أم بين الذات وشىء من الأشياء – يسود **الخيالى** . ومع أن النظامين فارقان ومتضادان ، إلا أن الرمزى يقتحم **الخيالى** وينظمه ويوجهه ؛ تكشف السلسلةُ الدالةُ زيفَ استقرار **الخيالى** وتجبره على الحركة .

والواقعى هو النظام الأكثر إثارة للارتباك ، ويحظى فى **كتابات** باهتمام أقل بكثير مما يحظى به النظامان الآخران ؛ ويحتوى **سيمينار** لاكان على أكثر التعليقات

عليه اكتمالا وإثارة للتساؤل . ويمكن إدراك اتجاهين عامين متباعدَيْن ظاهريا فيما يقدمه لاكان عن هذا المفهوم . الأول يتمثل فى أن **الواقعى** هو ذلك الذى هناك ، هناك من قبل ، بعيدا عن متناول الذات ، سواء أكان موضوعا فيزيقيا أم كان صدمة جنسية ؛ وحين نظهر فى المشهد كنوات تكون قد لُعِبَتْ ألعابٌ معينة ، وتم الإلقاء بزهرَ النرد . وتكمن المسألة فى : "**إن الواقعى هو ذلك الذى يعود دائما إلى المكان نفسه**" (XI, 43)(٣٠) ولكن إدراك هذا الأمر لا يعنى إرغامنا على الإذعان فى صمت: 'ألا تشعر بوجود شىء ساخر أو مضحك فى حقيقة أن زهر النرد قد تم إلقاؤه بالفعل؟' (II, 256) (٣١) والطريق التى وراء هذا **الواقعى** 'المضحك' هى الطريق الإنسانية الفريدة التى يقدمها النظام الرمزى : وعلينا أن نوجه الشكر لهذا النظام الذى قد يسمح بإلقاء زهر النرد من جديد . ويتمثل الثانى فى أن **الواقعى** ، مع ذلك ، هو الهيولى الأصلية التى تعمل عليها اللغة : 'إن عالم الكلمات هو الذى يخلق عالم الأشياء – ويتم تشويش الأشياء **فورا** *hic et nunc* فى عملية التكوين' (٢٧٦) ؛(٣٢) إن **الواقعى** يكتسب بنيته بقدرة الإنسان على إطلاق اسم عليه . ولا يوجد بين هذه المفاهيم مفهوم أصيل بصورة خاصة ؛ إن اللغة العامة تلعب دورا بارزا فى تقديم كل مفهوم ؛ والتباعد بينهما ليس سوى تباعدٍ ظاهرى . إنها مفاهيم تؤكد حدود القدرة اللغوية : **الواقعى** هو ذلك الخارجى بصورة جذرية بالنسبة لسلسلة الدوال . والذات قد تَبْنى **الواقعى** – أو حتى 'تخلقه – لنفسها ، ولكنها لا تستطيع أن تطلق عليه اسما (II, 252) . إنه 'خارج' اللغة ، خارجها العضال العنيد ؛ الهدف المتقهقر بصورة غير محدودة ، الهدف الذى تميل السلسلة الدالة باتجاهه ؛ نقطة تلاشى **الرمزى والخيالى** . ونتيجة لهذا الرأى ، يقترب الواقعى فى فكر لاكان من معنى 'الفائق الوصف' أو 'المستحيل' . إن دوره فى الثلاثية كمصطلح أقل من دور المصطلحين الآخرين . ولكنه يعيد ، ببراعة ، تقديم المشاكل واللاتناسق فيما قد يصبح بسهولة ثنائية رائعة بين **الرمزى والخيالى** ، وتذكير الذات الكلية المأمولة عند لاكان بأن البناءين الرمزى والخيالى يحدثان فى عالم يفوقها .

إن تعليق لاكان على الذات بوصفها 'مهمَّشةً decentred' وجدلية قد تم تنقيحه بطرق عديدة وتم تحصينه نسقيًا من خطر التعزيز ، أو ما يبدو أنه تعزيز ، من

مجموعة من المفاهيم الثابتة الجاهزة للاستخدام باستمرار . وبالرغم من عدم توفر طريقة مضمونة أمام لاكان ، أو أى شخص آخر ، ليحول بين معتقد مبعثر بعناية وبين أن يصبح معتقداً مركزياً ، أو يحول بين المقاومة وبين انحرافها عن الانحراف الناشئ عن مقاومتها الخاصة ، إلا أن التدابير التى اتخذها أدت دورها ، عموما ، على نحو طيب . وبالنسبة للمرادفات المتقاربة التى يستخدمها فى رسم تطواف الذات ، تطوافها المتقطع (*refente, division, Spaltug, fading*, and so forth) فإنها تبقى نشطة بواسطة المصطلح السائد ذى المعانى المتعددة ، *L'Autre* ('**الآخر**') . يأبى مصطلح '**الآخر**' بإصرار ، أكثر مما يأبى أى مصطلح آخر من مصطلحات لاكان ، أن يقتصر دوره على تقديم معنى واحد ؛ ويقدم فى تجلياته كلها 'نقصا' أو 'فجوة' للعمليات التى تقوم بها الذات ، ويُفقِد الذاتَ قدرتَها على التفرد أو الاستبطان أو الإدراك أو الاكتمال أو التبادلية ؛ ويضمن عدم تدمير الرغبة بالحفاظ على أهدافها محلقةً تحليقاً أبدياً .

والآخر الأولىّ primal عند لاكان وفرويد هو الأب فى المثلث **الأوديبى** – الأب الذى يحرِّم زنا المحارم ويهدِّد بالإخصاء ويصبح ، بوضْعِ حظْرٍ مطلقٍ على رغبة الطفل فى أمه ، القوة المدشِّنة للقانون . لا يهتم لاكان بالأب الواقعى أو الأب الخيالى لشخص معين ولكنه يهتم بالأب الرمزى الذى يستهل اسمُه السلسلةَ الدالة ويسيِّرها : 'علينا أن نتعرف على دعامة الوظيفة الرمزية فى اسم **الأب** الذى تقمصتْ شخصيتُه صورةَ القانون منذ فجر التاريخ' (٢٧٨) .[٣٣] وتؤدى المواجهة الأصلية مع اسم **الأب** *nom-du-pere* المشرِّع ، والنقص الدائم ، ومن ثم عدم الإشباع الذى تتعرض له الذات ، إلى نمط معقد من العدوانية والخنوع المتعاقبين أو المتداخلين ، وهو نمط يميز الذات فى تعاملها مع الآخرين بصورة لا يمكن مَحْوُها . (مرة أخرى يستخدم لاكان جدلية السيد والعبد عند هيجل كنموذج لهذه العملية وهو نموذج قابل لإعادة البناء باستمرار .)[٣٤] وهذه المعاملات ، سواء أكانت فى صورة مواجهة يومية بين الناس أم كانت فى صورة ديالوج بين المريض والمحلِّل ، تمثل الاهتمام الرئيسى للاكان ، ويقوم بدقة فائقة بشرح دورها المحدِّد فى تكوين الذات .

إن الذات تتشكل ويعاد تشكيلها فى المواجهة مع **الآخر** :

إن استجابة الآخر هى ما أبحث عنه فى الكلام . وسؤالى هو ما يكوِّننى كذاتٍ. وحتى أتعرَّف على الآخر مرة أخرى ، فإننى لا أنطق بما كان إلا من زاوية ما سوف يكون . وحتى يتمكن من الرد أدعوه باسم قد يقبله وقد يرفضه .[٣٥] (٢٩٩)

حتى الرسالة التى تبثها الذات تستقبلها من **الآخر** .[٣٦] (٨٠٧)

ومن ثم يكون **الآخر** هو الموضع الذى يتكون فيه 'ضمير المتكلم' ''I'' الذى يكلمه بما يسمع . وما ينطق به المرء هو الرد ، الذى يقرر الآخر أن يسمعه سواء نطق به المرء أم لم ينطق .[٣٧] (٤٣١)

وتتميز العلاقة بين **الذات والآخر** بوجود الرغبة :

تعثر رغبة الإنسان على معناها فى رغبة الآخر ، ليس لأن الآخر يمسك بمفتاح الموضوع المرغوب ، ولكن لأن الموضوع الأول للرغبة يتمثل فى معرفة الآخر بها .[٣٨] (٢٦٨)

وهذا تبسيط شديد فى الحقيقة...حيث أن رغبة الآخر تكمن فى عثور رغبة المرء على شكل .[٣٩] (٨١٣)

إن رغبة المرء هى رغبة الآخر the desire of the Other حيث تمثل 'of' ما يسميه النحاة 'تحديد التابع' أى بوصف الآخر أنه الذى يرغب (وهذا يقدم النطاق الحقيقى للشهوة الإنسانية) .[٤٠] (٨١٤)

نلاحظ فى الإشارات وبينها الكثير من التناوب الدقيق فى المعنى : الآخر ، مثلا ، طرف فى ثنائية الذات - الآخر الجدلية ، ويمثل فى وقت آخر الموضع الحقيقى أو الحالة الحقيقية 'للآخرية 'otherness (*alterite, heteronomie*) هو مصطلح يحمل معنى المصطلحين . وتزيد الصورة تعقيدا حين يستخدم المصطلح نفسه للربط بين العالم الداخلى للشخص وعالمه مع الآخرين .

ويرى لاكان أن الاكتشاف الأساسى لفرويد يتمثل فى اكتشاف أن الإنسان يحمل الآخرية فى داخله . والانفصام بين نسق اللاشعورى ونسق ما قبل الشعورى -

الشعورى يجعل الإنسان وجهًا لوجهٍ أمام 'الهامشية الجذرية للمرء بالنسبة لنفسه' (٥٤٢) .[٤١] حين نرى اللاشعورى – السلسلة الدالة التى تمر خلالها الرغبات كلها – من نقطة التفضيل عما قبل الشعورى – الشعورى نراه فى مكان آخر ولغة أخرى : 'اللاشعورى خطاب **الآخر**' (٣٧٩) . [٤٢] والرسالة التى تمرُّ عبر الهوة بين الذات والآخر الخارجى تمر فى الداخل أيضا ، بالنسبة للفرد الأسمى ، وتتصبُّ العالم الاجتماعى فى عقل الفرد بواسطة اللغة : 'اللاشعورى خطاب الآخر الذى تُستَقبل فيه الذات ، فى شكل مقلوب يتلاءم مع الوعد ، رسالتها المنسية' (٤٩٣) .[٤٣] وأضاف لاكان فى مرحلة تالية من مراحل تفكيره مفهومين آخرين هما **الآخر الصغير** *petit autre* **والموضوع أ** *objet a* ، ويشار إليه أحيانا بالحرف *a* . ومع أن كلا من المفهومين يوفق فى نموذج لاكان النظْرى بين حركة الرغبة وتعدد موضوعاتها بصورة غير محدودة ، إلا أنهما يفترقان فى نقطة مهمة. بينما يحتل الآخر الصغير دورا وسطا بين الأنا والآخر وينتمى بالتالى إلى الواقع الخيالى للتقمص المرآوى ('الآخر ليس آخر على الإطلاق ، حيث أنه يقترن بالأنا اقترانا جوهريا'، ٢، ٣٧٠) ؛[٤٤] يمثل **الموضوع أ** موضوع الرغبة التى تُخْتَرَق وتُعَبًّأ بالنقص : إنه **اللاأدرى** *je ne sais quoi* بالإشارة إلى ما يوحى بالرغبة التى تتضح فى الإزاحة وعدم الاكتمال و'غير المرآوى': '**الموضوع أ** ليس كينونة على الإطلاق . الموضوع أ هو ما يفترضه الاحتياج بطريقة التفريغ ...' (XX, 114) . [٤٥] **والموضوع أ** فى عدد هائل من الأوصاف المتداخلة عند لاكان هو موضوع الرغبة وهو فى الطريق أيضا ليصبح سبب الرغبة وشرطها .

ربما يجد قارئ لاكان نفسه متحيرًا بشأن أوراق اعتماد مصطلح يتجول مشوَّشا بين المناقشات : ما هذا '**الآخر** Other' الذى يجب تبجيله بحرف كبير ، ويقبل التحول بحرية إلى هذه الدرجة ؟ كيف يظل المصطلح مفيدا كأداة إجرائية حين يمكن أن يُعرَّف بتعريفات متنوعة : أب ، موضع ، نقطة ، أى رفيق جدلى ، أفق داخل الذات ، أفق وراء الذات ، اللاشعورى ، لغة، الدال ؟ هل يمكن أن يكون الحرف الكبير مستخدما ليضفى هالة زائفة من السلطة على **خليط** *ominum gatherum* مشوَّش ؟

إن تهمة اللامسئولية الفكرية التى يبدو أن مثل هذه الأسئلة تثيرها ضد لاكان ، يمكن إسقاطها إذا نظرنا إلى تفكيره ككل ، وكنسق شامل يتكون من أجزاء تتبادل العمل فيما بينها .[٤٦] إن **اسم الأب** *nom - du - pere* ، الآخر الأصلى ، يضع فجوة بين الرغبة وموضوعها (أو موضوعاتها) ، الآخر الذى تُقيَّد به الذات ، وترتبط به ، على كل مستويات الخبرة طول الحياة . ومن المقدَّر أن يتكرر هذا التغريب البدائى بطبيعته الحقيقية ، ويتبدل تماما ؛ إنه مصدر اللغة وهو ، بالمثل ، مصدر الذات ، ويقدم شرطا جوهريا من شروط إنسانية الإنسان . ومثلما تتنقل هذه الآخرية بحرية بين كل الأماكن والأحداث الإنسانية، يتنقل مصطلح 'الآخر' ويتبدل فى نثر لاكان . ولا يودّ لاكان أن يعزو أية مسئولية لتعدُّد الدلالة فى مصطلحه ؛ ولا يمكن لشىء من الأشياء أن يطلب منه أن يكون مسئولا عن حقيقة من حقائق الحياة ...

ويتضح من كل ما قلتُ إلى أى مدى منح لاكان اللغة دورا مهمًا بصورة غير مسبوقة فى مجال البحث فى التحليل النفسى . لقد أكد فرويد فى كتاب صغير بعنوان *The Question of Lay Analysis* (١٩٢٦) أن 'كلية التحليل النفسى' فى المستقبل لن تكتفى بتدريس العلوم المألوفة فى كليات الطب ولكنها 'ستقوم بتدريس بعض الفروع المعرفية البعيدة عن الطب ولا تصادف الطبيب فى عمله : تاريخ الحضارة ، والميثولوجيا ، وسيكولوجيا الدين ، وعلم الأدب . وإذا لم يطَّلع المحلل اطِّلاعا واسعا على هذه المواد ، فلن يتمكن من فهم معظم المواد التى يتعامل معها' (XX, 246) . ويضيف لاكان اللسانيات إلى هذه القائمة ، بالإضافة إلى 'البلاغة ، والجدل بالمعنى التقنى لهذه الكلمة كما وردت فى طوبقيا *Topics* أرسطو ، وأعلى قمم استاطيقا اللغة : البويطيقا ، وتشمل تقنية النكتة ، تلك التقنية المهمَلة' (٢٨٨) .[٤٧] والمحلل الذى يحشد هذه الفروع المعرفية لخدمة عمله لا ينفصل عن تقاليد التفكير التحليلى ولكنه يعود إلى مصادره الخصبة . كان فرويد وتابعوه الأوائل يعرفون الأدب وعلوم اللغة ويتفاعلون معها تفاعلا نموذجيا .

ناقشنا ، من قبل ، ما يدين به لاكان للسانيات . ولكن ثمة ثلاثة أمور أخرى يدين بها ، فى هذا المجال ، وهى أمور جديرة بالذكر : البلاغة والأسلوبية ، والتأويل النقدى ، والإنتاج الأدبى عموما . وقد تركتْ هذه المجالات بصمتَها على أعمال لاكان ، مما

جعلها فى متناول اليد ومثيرة للمشاكل خاصة بالنسبة للمغامرين فى عالم الأدب ، وتقدِّم لنا سلسلة من المفاتيح الأساسية فى أية محاولة لفهم الدور التحفيزى الاستثنائى الذى طوره تفكيره فى "العلوم الإنسانية" فى فرنسا المعاصرة .

يلتزم لاكان ، فى إشاراته إلى الاستعارة والمجاز فى البلاغة الكلاسيكية ، بطريقة المقارنة التأملية التى يفضلها فرويد كثيرا . على سبيل المثال ، يناقش فرويد ، فى *The Claims of Psychoanalysis to Scientific Interest* ، ببعض الإسهاب الأحلام "كلغةٍ" ، وينتقل إلى تشابه آخر خصب ومتميز :

> إذا كنا نرى أن التصوير فى الأحلام يتم أساسا ، بالخيالات البصرية وليس بالكلمات ، تكون مقارنة الأحلام بنسقٍ من أنساق الكتابة مناسبةً أكثر من مقارنتها بلغةٍ . إن تفسير الأحلام ، فى الواقع ، يشبه تمام الشبه حلَّ الشفرة فى كتابة تصويرية قديمة كالكتابة الهيروغلفية المصرية . حيث توجد فى الحالتين بعض العناصر التى لا نسعى إلى تفسيرها (أو قراءتها ، حسب الحالة) ولكنها مصمَّمة فقط للقيام بوظيفتها بوصفها "محدِّدات" ، أى لترسيخ معنى عنصر آخر . إن غموض عناصر الأحلام له ما يوازيه فى أنساق الكتابة القديمة؛ وينطبق هذا أيضا على حذف العلاقات المختلفة التى يمكن فهمها من السياق فى الحالتين . وإذا لم يكن هذا المفهوم لطريقة التصوير فى الأحلام يُتَّبع حتى الآن، فإن ذلك يعود ، كما يمكن أن نفهم بسهولة ، إلى حقيقة أن المحللين النفسيين جهلة تماما بوضع المعرفة التى يبحث بها عالم اللغة مشكلة من قبيل تلك المشاكل التى تعرضها الأحلام (XIII, 177) .

إن العلاقة بين الأحلام والكتابة الهيروغلفية عند فرويد تشبه العلاقة بين آليات اللاشعورى والبلاغة عند لاكان :

> تتمثل الصورُ البلاغية فى الإطناب ، والتقديم والتأخير ، والحذف ، والإرجاء، والتوقع ، والضم ، والإنكار ، والاستطراد ، والسخرية (Quintilian's figure sententiarum) ؛ كما أن المجاز يتمثل فى الإثبات بالنفى ، والتلقيب ، والوصف البليغ ، وهى مصطلحات توحى بأنها مناسبة أكثر من سواها فى توصيف هذه

الآليات . هل يمكن لنا أن نراها مجرد صور بلاغية فى الكلام حين تكون الصور البلاغية هى المبدأ الفعال فى بلاغة الخطاب الذى يتفوه به المحلل بالفعل ؟(٤٨) (٥٢١)

توحى خصوبة هذه المقارنات – مع أنها تربو كثيرا على الاحتياجات الموضعية لأية مناقشة من مناقشات الكاتب – بفتنةٍ غير معلنة تعمل فى كل حالة . وقد يظنُّ المرء أن مصدر الفتنة عند فرويد ولاكان لا يكمن فى أن هذه المقارنات تقوم بدور المرشد ولكنه يكمن فى أن هذه المصطلحات تبدو شديدة التناقض بدرجة تجعل المقارنة بينها مستحيلة . إن الهيروغليفية والبلاغة تمثلان انتصار الفكر الدقيق والحيلة المتحضرة على مواد الخبرة الوحشية . ومن ثم كم يبدو اللاشعورى شديد الغرابة ، مع سهولة التفكير فيه كوحشٍ فوضوى ، سيكشف عن أنه يملك حيلا 'متحضرة' لعلاج بنياته. وخلف هذه الغرابة يبرز على الساحة علم جديد يتناول اللاشعورى .

يمنح لاكان فى كتاباته ، كما رأينا ، بعض المهام والامتيازات لمصطلحين بلاغيين هما الاستعارة والكناية . ومع أنه يستخدم عددا آخر من المصطلحات كما رأينا فى القائمة التى اقتبسناها من قبل ، إلا أنها حين تتَّحدُ فى الدرس الذى تقدمه تكون أهمَّ بكثير مما لو استُخدِمَتْ مفردةً كأدواتٍ تحليلية .(٤٩) ويكون المحلِّل الملمُّ بالبلاغة أقدر من زميله على ملاحظة كل انعطافات الاستخدام العادى التى تُشكِّل 'الأسلوب' وإلى تفرُّد خطاب المريض كفردٍ وإلى خصائص خطاب اللاشعورى الذى تتيح الكلمةُ المنطوقة للمحلِّل أن يعيد بناءه من جديد . والإغراء الدائم الذى تحمله مثل هذه المقارنات ، مقارنات كل من فرويد ولاكان ، ينشأ عن القدرات التعميمية والتخصيصية المتحدة التى تتمتع بها : إنها تدعم حقيقة عامة عن اللاشعورى – حقيقة أن له بنيةً أو أنه ، فى رأى لاكان ، بنيةٌ – وتتيح فى الوقت نفسه للدارس المطَّلع أن يركز تركيزا شديدا على طريقة معاناة بعض الأفراد .

وتتضح فى كتابات لاكان مهارته وبراعته كمفسِّر . ويتمثل تمكنه من الأفكار الفرويدية وقدرته على مناقشة المسائل ، على عدة مستويات ومن مختلف الجوانب ، فى قدر هائل من الشرح والتعليق على ما بين السطور : تنبثق فى تتابع سريع لمعانىَ

جـديدة لنصـوص فـرويد أثناء القـراءة ، وقـد نلمح ، فى تدفق الكلام الاعـتـراضى ، تحفظات مـهـمـةً حول بعض أفكار فرويد ، سـواء أكان ذلك فى شكلها الأصلى أم فى شكلها الاشـتقاقى ، سـواء أكانت كلمات مفـردة أم كـانت جملا تتمتع بالشـرعيـة . (افترض لاكان أن جمـهوره الأصلى ، سواء أكان من بين زملائه أم من بين تلاميذه ، على معرفة دقيقة بفرويد ؛ والقارئ العام الذى لم يتم إعداده بصـورة مناسبـة يحتاج إلى قـوى استثنائيـة من التـخيل أو خداع الذات ، ليتمكن من مـواصلة القـراءة فى **كتابات** – أو إلى افتراض أنه يستعين بهذه القوى .) وبرغم ذلك ثمة مواضع كثيرة فى **كتـابات** وفى **السـيـمـينار** يمكن قراءة نصـوصـهـا وإعـادة القـراءة دون أن تتـضـح إلا بصـورة ضئيلة . ومن بين هذه النصوص يبرهن نصّـان على قدرتهما على كشف هذا الأمر بصورة خاصة : جملة لفرويد وقصة قصيرة لإدجار ألان بو .

يتحدث فرويد فى آخر المحاضرة الثالثة من كتابه **محـاضرات تمهيدية جديدة** *New Introductory Lectures* عن العمل المتواصل للتحليل : 'حيث كـانت الهـو ، سـتكون الأنا . إنه دور الثـقـافـة – وهو لا يخـتلف عن تفـريغ المدخل السـابق لبـحـر الشـمـال Zuider Zee .(XXII, 80) وتظهـر الجـملة قبل الأخـيـرة وهـى فى الأصل [الألمانى]' 'Wo Es war, soll Ich werden على النحو التالى فى الترجمة الفرنسية "Le Moi doit déloge le Ca" [على الأنا أن تعـزل الهـو] . يرفض لاكـان هذه الجملة الفرنسية رفضا قاطعا لأنها تستبعد المستويات التى يحملها المعنى فى الأصل . تمثل جملة فرويد قولا من الأقوال المأثورة الجديرة بالفلاسفة قبل سقراط Presocratics (585, 801, XI, 45) . ويشير لاكان إلى أن فرويد ، على عكس المعتاد ، لا يستخدم الصيغتين "das Es" [الهو] و "das Ich" [الأنا] ، وهكذا تحول عاملان نفسيان ، بإسقاط أداة التعريف ، إلى مبدأين عامين ؛ الجملة أمرية أخلاقية ؛ اسماها ليسا متضادين تماما (٤١٧) ؛ وتحمل مفارقة مذهلة : 'حيث أن الجملة أمرية فهى تدفعنى إلى افتراض التعليل الخاص بى'(٨٦٥) .(٥١) ونقدّم هنا عددا من الصياغات الجديدة والترجمات 'المنقحة' :

Là où fut ça, il me faut advenir. (524)

Là où c'était, là comme sujet dois-je advenir. (864)

Là où c'était, peut-on dire, là où s'était, voudrions-nous faire qu'on entendit, c'est mon evoir que je vienne à être. (417-18)

Ici, dans le champ du rêve, tu es chez toi. (XI, 45)

Ainsi se ferme la voie imaginaire, par où je dois dans l'analyse advenir, là où s'était l'inconscient. (52) (819)

يؤكد لاكان فى كل هذه الصيغ الجديدة أن واقع الطاقة اللاشعورية ، بعيدا عن الحاجة إلى حراسة الأنا وسيطرتها المشددتين دائما ، سخى سخاء يفوق التوقع : إنه المكان الحقيقى للذات ، مستودع الحقيقة . إن 'ضمير المتكلم' لا يقيم هناك كقوة احتلال قسرية ولكن كقوة تهجر الزيف إراديا وتعود إلى موطنها ؛ ويصبح 'ضمير المتكلم' السخى ذاتًا بقدر عودته إلى اللاشعورى وتَبَنِّى بنياته الجمعية .

إذا تأملنا الجملة وحدها فى سياق محاضرة فرويد ، تبدو قراءة لاكان لها مستحيلة : إن حاجة الأنا إلى التفوق على الهو تمثل إحدى تيمات فرويد فى كتاباته الأولى ، وقد قدم لنا المترجم الفرنسى المخطئ جوهر الإشارة التى تلخص هذه التيمة ببراعة . ولكن ليس هناك ما يدعو إلى الاعتقاد بأن على هذه الإشارة أن تؤكد ، ببساطة ، ما قيل قبلها : أبدى فرويد دهشته وحزنه من ولعه مما اعتبره إلحاحا لا مبرر له على الكبت فى الأنا ، وبحث عن وسائل لإقناعها ، فى الممارسة العلاجية ، بإرخاء قبضتها التى تضغط على الهو ضغطا مدمرًا . ومن المحتمل أنه كان يتيح للتأكيد الأخلاقى السابق فى محاضرته أن يردد صدى هذه الشكوك .(٥٣) وما قام به لاكان بشأن هذه الجملة ، فى كل ما قال عن الصدى المأثور ، هو إزالة التباسها بطريقة مضادة لما قام به المترجم . وبرغم التغير فى التأكيد والتضمين من جملة لأخرى ، إلا أنه ردَّ على كل المعانى المحتملة بمعنى آخر يعتمد على التأكيد المتبادل . وقد انقلب تردد فرويد 'قبل السقراطى' بين أقداره البديلة بالنسبة للحياة النفسية إلى دفاع هادئ فى يدى لاكان : وكان أحد تلك الأقدار أفضل بصورة لا تنضب .

بينما تتردد جملة فرويد "Wo Es war, soll Ich werden" كلازمة فى كل أعمال لاكان اللاحقة ، إلا أن قصة بو **"الرسالة المسروقة"** تبرز بصورة أوضح : فى

بداية كتابات يشرح لاكان الحكاية بإسهاب بوصفها قصة خرافية عن العملية التحليلية والوظيفة التكوينية للدال . فى قصة بو وزير يدبر مؤامرة ويسرق الرسالة موضوع القصة وهى رسالة موجهة إلى 'شخصية مرموقة' (يُفْتَرَض أنها ملكة) ، وتحدث عملية السرقة فى وجود الملك والملكة . ترى الملكة كل شىء ، ولا يرى الملك أى شىء . تلتزم الملكة بالصمت أثناء حدوث السرقة : ونتأكد أنها متورطة . يتم تكليف رئيس الشرطة باسترداد الرسالة ، وتبوء مهمته بالفشل ، ويتشاور مع المخبر السرى دوبين Dupin . تكدح الشرطة فى البحث بحسن نية لكن المخبر السرى يبحث بدهاء شديد . بينما تفتش الشرطة جناح الوزير بوصةً بوصةً ولا تعثر على شىء ، يرى دوبين الذى يعرف حقيقة الوزير أن آمنَ وسيلةٍ لإخفاء الرسالة تركُها فى مكان ظاهر أمام الزائر ، ويجد الرسالة ويسرقها مرة أخرى . ولم تكشف القصة أبدا عن محتويات الرسالة .

يتضح ، حتى من هذا التلخيص المبسَّط ، جزء من إعجاب لاكان بالقصة . ليست الرسالة المسروقة سوى دال متنقل . تكتسب معانىَ مختلفة وهى تنتقل من يد إلى أخرى وتتحرك من نقطة إلى أخرى فى شبكة معقدة من مدارك البشر (يتحدث بو عن 'معرفة السارق بمعرفة المسروق بالسارق') ، وتتوسط أنواعا متباينة من علاقات القوى وتحدد الذوات فيما تفعله وتكونه :

> بُنيتْ هذه الحكاية بهذا الأسلوب لتبين أن الرسالة وتحولاتها تحكم مداخل الشخصيات وأدوارهم . إذا كانت 'فى شقاء' فسوف يتحملون الألم . وإذا قدر لهم أن يمروا تحت ظلالها ، فسوف يصبحون انعكاسا لها . وإذا أصبحت الرسالة–إبهام اللغة ، الإبهام الرائع – فى حوزتهم فسوف يصبحون فى حوزة معناها .[٥٤] (٣٠)

ويشكل عمل لاكان 'سيمينار عن "الرسالة المسروقة" ' La"Le séminaire sur Lettre volée"' والكثير من الوثائق المتعلقة به (٩ – ٦١) ، بالإضافة إلى النسخة المبكرة المنشورة فى السيمينار الثانى (١١ – ٤٤) ، إنجازا تأويليا لا يصدر إلا عن براعة نادرة . ولكن أليس تفسير لاكان تفسيرا إليجوريًا بالأساس ؟ ورغم كل شىء ، فقد تم استنباط الدال المتنقل ، الرسالة المسروقة وهى أيضا a *feuille volante*

('صحيفة طائرة fly sheet) ، بقراءة دقيقة واكتسب مدلولا ثابتا فى العملية : كُتِبَتْ قصة بو 'عن' تنقل الدال وهو ما 'تعنيه'.[٥٥] أليس من الغريب أن يكتب أليجوريا ، وهى ميتالغة رائعة *in excelesis* ، ويلقى الضوء عليها من يؤمن باستحالة وجود الميتالغة ؟ بلى ، إنه غريب ، وغير متسق ، ومخيب للآمال مثلما هو الحال فى الإلحاح المحدَّد ، إلحاح لاكان فى فهم جملة فرويد '...Wo Es war' ولكن هذا الأمر لا يصح إلا إذا اكتفينا بالنظر إلى الكشف التصويرى الواضح فى مناقشة لاكان . وإذا تأملنا البنية الدقيقة لكتاباته ، ولعبة الإبهام اللحوح التى تتخللها ، يتضح لنا أن نماذج التحليل النفسى الأساسية ، وعادة التفسير التحليلى ذاتها ، ربما تكون موضع شكٍّ من داخلها .

إن الدَّين العملى الذى يدين به لاكان للأدب والحالة 'الكتابية 'writerly الشعورية لكتاباته واضحان حتى للقارئ العابر . ويمنح المعجبون به ومنتقدوه هذه الكتابات ، وخاصةً الوجود الخصب للعب بالكلمات ، والمفارقة ، والفكر المنطقى المعاكس ، مكانا بارزا فى مناقشاتهم لمدى صلاحية تلك الأعمال سواء أكانوا معها أم ضدها . ومع أن تأكيدا من هذا القبيل مضلِّل بطرق عديدة ، وقد أدى إلى الوقوع فى بعض الأخطاء الخطيرة فى تصوير إنجاز لاكان ، إلا أنه ليس من الصعب أن نرى الأهمية النادرة ، الأهمية التى اكتسبتها فى نظرية العقل أسئلةٌ – مجرد أسئلة عن الأسلوب. وحيث أن الأدب لا يكتفى بالاعتراف بمصادره اللاشعورية أكثر مما تفعل الأشكال اللغوية الأخرى ، ولكنه يتمتع أيضا بغزارة الفهم الذى يمكن أن نتوصل إليه ، وهو بذلك يقدم للمحلل النفسى نموذجا من نماذج عمل اللاشعورى يعتبر سلسلة دالة لا تتوقف وتتضاعف ذاتيا .[٥٦] ويقوم الشعر خاصةً بهذا الدور بصورة نموذجية :

> ولكن على المرء أن يستمع إلى الشعر فقط..ليسمع التعدد الصوتى ، ويرى الخطاب برمته منظوما بطول المقاطع الشعرية فى القصيدة .
>
> وليس هناك فى الواقع سلسلة دالة ليس لها تمفصل كامل ،كما لو كانت كل وحدة من وحداتها تتصل بعلامة من علامات الترقيم ، مع سياقات مناسبة معلَّقة 'عموديا' ، إذا جاز التعبير ، من تلك النقطة .[٥٧] (٥٠٣)

ويبدو أن نظرية لاكان فى حاجة إلى نوع معين من التعبير الأدبى . إذا كان اللاشعورى 'يشبه الشعر' فى بنياته المحدَّدة بالعديد من العناصر والمتعددة الأصوات ، فإن الكاتب الذى يختار تناول اللاشعورى ، ويأمل فى اتباع قوانينه فى الكتابة ، سيحتاج بالضرورة إلى أن يصبح أكثر 'شبهًا بالشاعر' ليكون أقرب إلى جوهر ذاته . وسوف يوضح تداخل الدوال وترابطها معا فى السلسلة المكتوبة للقارئ ماهيةَ اللاشعورى – بتمثيل دوره بدلا من وصفه . وهنا يقدم لنا لاكان تعريفين يعتمد أحدهما على الآخر . يدعم الشعر واللاشعورى أحدهما الآخر دعما متبادلا : إذا أردت أن تفهم 'أ' ، افهم 'ب' أولا ؛ وإذا أردت أن تفهم 'ب' ، افهم 'أ' أولا . وفى هذه الحالة لا يطفو البناء التام للمفهوم بحرية ولكنه ينغرس بقوة فى نثر لاكان ، النثر الفاتن والمزهو : وهنا تتجسد النظريات وتتأكد التعريفات التوأمية عند لاكان فى **الكتابة** .

ويمثل نثر لاكان آلية دقيقة تضاعف الروابط بين الدوال وتلقى الضوء عليها . وتزخر لعبة الكلمات بقدر عظيم من العمل الفكرى وتقدم قدرا هائلا منه . ونورد هنا بعض الأمثلة مع تعليق موجز على ما يتضمنه كل مثال : '*la politique de l'au-truiche*' (١٥) : السياسة التى تنتمى فى الوقت نفسه إلى النعامة (*autruche*) وإلى الآخرين (*autrui*) وإلى النمسا (*Autriche*) البلد الذى ولد فيه التحليل النفسى ؛ *"fau filosophe"* (٢٣٣) : فيلسوف (*philosophe*) زائف (*faux*) يشق طريقه فى (se fau file) ؛ *"lettre-l'être-l'autre"* (٥٢٣) : تتضمن الرسالةُ الآخرَ فيما تتضمنه ؛ 'dansilé' (٨٠٧) : الكثافة التى ترقص ، 'فى الداخل'؛ 'A casser l'œuf se fail l'homme, mais assui *l'Hommelette*' (٨٤٥) : إنسان يأتى من انكسار بيضة ، هكذا يفعل الإنسان الصغير ، الإنسان المؤنث ، الإنسان الزاحف؛ 'La loi en effect commanderait-elle: Jouis, que le sujet ne pourrait répondre que par un J'ouïs' (٨٢١) : حين يتم الترتيب للمتعة أو الأورجازم ، لا يستطيع المرء أن يرد إلا بكلمة 'نعم' ؛ "*poubellication*" (XX ، ٢٩) : إن نشر أى شىء عمل طيب كإلقائه فى صندوق القمامة (*poubelle*) : '*amour*' (XX ، ٧٣) :

الحب الروح *(âme-amour)* . وبهذه الوسائل قد تنقلب اللغة على نفسها . ومثلما يبدع جويس كلمة 'tautaulogically' فى *Finnegans Wake* وهكذا يصبح كلمة 'حشويا' tautologically' ما تصفه ، يغرس لاكان بكتابة كلمة 'la langue' على النحو التالى 'lalangue' (**التلفزيون** ، ٢١ ، ٧٢ ؛ XX ، ١٢٦) كثيرا من حقائق اللغة فى الاسم الذى تحمله : إنها تكرارية ؛ وتتعلق باللسان (*langue* – وحين ننطقها تضرب ألسنتنا أحناكنا) ؛ وتميل إلى الموسيقى (تمثل *la* نغمة فى القرار صول – فا) ؛ ولها القدرة على الصدم أو إثارة الدهشة ('!Oh là là) (لاحظ أن الكلمة λαλαγεω اليونانية تعنى "يثرثر ، يلغو") . وحيثما تتصادم الكلمات وتنصهر بهذه الطريقة يسود جوٌّ من اللعب . ولكن قد يأتى أحيانا من الخلفية صوت مذهبى واضح : إذا كان الدال يلعب والمدلول 'ينزلق تحته' ، فإن اللاشعورى يتكلم باللسان الفطرى .

يتكلم لاكان بإطراء عن شخصية Humpty - Dumpty بوصفها 'سيدة الدال' (٢٩٣) ، (٥٨) وتبرهن حين تتناول الكلمات المنحوتة على أنها الوريث الكفؤ لبيضة كارول [Humpty - Dumpty شخصية من شخصيات كارول تشبه البيضة – المترجم] التى تتحدث بعدوانية . ولكنه يتكلمً أيضا بإطراء عن شهرته الخاصة باعتباره 'جنجورا' [لويس جنجورا : شاعر أسبانى (١٥٦١ – ١٦٢٧) يتميز شعره بالغموض والأسلوب المنمق – المترجم] التحليل النفسى (٤٦٧) ، والصورة الثانية عن نفسه – باعتباره مبتكر الأسلوب البويطيقى المعقد – موحية تماما كالصورة الأولى . لقد قدم لاكان تركيبات لغوية فرنسية طاردة وجديدة ، وقدم ، بالمثل ، سيمنطيقا جديدة . إنه يستمتع ، مثلا ، بالتباس حروف الجر ويلعب بقسوة على المعانى المختلفة للحرفين à و de . وقد رأيناه من قبل معجبا باستخدام *en passession de* بمعنى 'مملوك' و'مالك' فى الوقت ذاته .(٥٩) ويوجد ازدواج مماثل فى المعنى فى الجملة التالية : 'لأن الدال وحدةٌ فى التفرد الطبيعى ، فهو لا يغيب إلا بالرمز الطبيعى' (٢٤) .(٦٠) الدال رمز الغياب ويصير رمزا بالغياب . والوميض السريع للعلاقات البديلة يضبِّب

رؤية أى قارئ يبحث عن معنى أساسي وحيد فى فقرة تزخر بحروف الجر كالفقرة التالية :

La liberté de l'homme s'inscrit toute dans le triangle costituant de la renonciation qu'il impose au désir de l'autre par la menace de la mort pour la jouissance des fruits de son servage-du sacrifice consenti de sa vie pour les raisons qui donnent à la vie humaine sa mesure-et du vaincu frustrant de sa victoire le maître qu'il abandonne à son inhumaine solitude.[61] . (320)

[يتم نقش حرية الإنسان بالكامل فى المثلث الذى يكون نكران الذات الذى يفرضه [الإنسان] على رغبة الآخر بالتهديد بموت الاستمتاع بفاكهة العبودية – وقبول التضحية بحياته للأسباب التى تضفى على الحياة الإنسانية قيمتها – والنكران الانتحارى لقهر الرفيق ، بحرمان انتصاره من السيد الذى يتخلى عن عزلته اللإنسانية .[٦١]] (٣٢٠)

يمثل كل حرف من حروف الجر عقدة فى السلسلة الدالة ؛ إنها لحظات التحول من علاقة محتملة إلى أخرى – لحظات يصبح فيها التكثيف والإزاحة حدَثين نصيين ملموسين . ويتضمن أى تعليق كامل [٦٢] على السمات التركيبية أو غير التركيبية ، المميزة لأسلوب لاكان ، تعليقا على حرف *qui* المبهم ، اضطراب الترتيب التقليدى للكلمات ، المزج بين الفهم الحرفى والفهم الاستعارى ، الإسهاب ، الحذف ، المفاهيم التى يلمح إليها بدلا من التصريح بها ، شخصنة الأفكار التجريدية، تجريد الأشخاص، ترادف الكلمات المختلفة اختلافا تاما ، واكتساب المرادفات معانىَ مختلفةً اختلافا تاما..ويحافظ كل ذلك على المدلول كوجود يرفرف شاحبا خلف الدال الفتىّ .

ومن الواضح أن كاتبا يستخدم هذه الأدوات بهذا المعدل ويمثل هذا الاقتران الحميم لا يعدو فقط باتجاه خطر كتابة تفتقر إلى المعنى ولكنه يتخيل أيضا أن اللامعنى هدفٌ أدبى إيجابى . يرى لاكان أن السخرية والتضاد متأصلان فى اللغة ، وأن علم النفس ، طالما يدرس الخطاب ، هو 'مجال ما لا معنى له' (١٦٧) . [٦٣] وحين

تشخصن الحقيقة اللاكانية – حقيقة اللاشعورى – ويتاح لها أن تتحدث بصوتها الخاص ، كما فى محاضرة 'الشىء الفرويدى' La Chose Freudienne ، نصل إلى هذه النقطة:

أتجول فيما تعتبره أقل الحقائق جوهرية : فى الحلم ، فى طريق أكثر التصورات فتنة ، هراء النكتة الأكثر غرابة ، فى الصدفة ، ليس فى قانونها ولكن فى مصادفتها ، ولن أفعل أبدا أى شىء لأغير وجه العالم أكثر مما أفعل حين أمنحه بروفيل لأنف كليوباترا .(٦٤)

ومن المؤكد أن لاكان تأثر بالسريالية فى أواخر العشرينيات وأوائل الثلاثينيات : كان له أصدقاء بين السرياليين ؛ وساهم ببعض المقالات عن البارانويا فى مجلة *Minotaur* ، وتأثر بتجارب السرياليين فى الكتابة الآلية وتأكد من كل من كرفل Crevel وإيلوار Eluard وجوى بوسكيه Joë Bousquet من صحة رأيه عن القدرة الشعرية الكبيرة فى كتابات "أيميه Aimée" ، المريض الذى شكل تاريخه المرضى أساس بحثه عن البارانويا وهو البحث الذى تقدم به لنيل درجة الدكتوراه (١٦٨) . وفى **كتابات** إشارات وتلميحات لا تحصى إلى الحركة ولا شك أن الوافد الجديد إلى لاكان سوف يسمع الكثير من الملاحظات المألوفة يتردد صداها فى أعماله إذا كانت له خبرة بالكتابة السريالية ؛ وسيكون هذا القارئ على استعداد لفهم كيف يمكن التفكير فى هذا الكلام الخالى من المعنى بوصفه ثراءً للمعنى وليس غيابا له ومنحه دورا خاصا فى استكشاف حقائق اللاشعورى والإفصاح عنها .

ولكن لاكان تعلم فى شبابه كثيرا من الدروس غير تلك التى تعلمها من السرياليين ، وسعى فى السنوات التالية وراء اللاشعورى بإغواءات وحيل أبرع من إغواءاتهم وحيلهم . ويبدو الآن ذلك 'الكلام الخالى من المعنى' فى نص لاكان وكأنه مناخ ذكىٌّ من المعانى يعد ولا يفى ، ويبدو الآن وكأنه مقتحمٌ وحشىٌّ لعالم المناقشات العقلانية أو الإقناع الخطابى : تنتمى مسألة 'أنف كليوباترا' فى نهاية الفقرة التى قتبستها منذ قليل انتماء واضحا إلى النوع الثانى . والكلام الخالى من المعنى فى عالتين وسيلة للإثارة الفكرية بدلا من عرض البنية النفسية عرضا استاتيكيا أو عن

طريق **المدهش** السُّريالى . إن خطابه الخاص يذكرنا بأن مسئوليته تتمثل فى 'أن يقول شيئا آخر دائما' (٨٣٧) . [٦٥] ويرى لاكان أن من يتحدث ويرضى عن حديثه ليس مجرد إنسان مضلَّل : إنه إنسان مخطئ . وأية عبارة لا تثير تغيرا وغرابة فى ذاتها عبارة خاطئة . والحقيقة التى تسعى إلى انتزاع نفسها من عملية التناقض فى اللغة ليست إلا زيفا .

يالها من حيرة حين نقرأ للمرة الأولى أعمال هذا الموالى لفرويد الذى يعلن ولاءه صراحةً ونجدها لا تشبه أعمال الأستاذ فى أية خاصية أسلوبية ، أو فى طريقة التقديم ، أو فى التقاليد المنهجية . إن فرويد ، أينما يُذكَر ، وحتى حين يذكره الذين يرفضون أفكاره أو يودون وصفها وصفا قاسيا ، صبورٌ وصافى الذهن فيما يقدمه ، وقادرٌ على إضفاء القيمة المناسبة على آراء غير آرائه فى صياغة مناقشاته ، إنه دقيق فى تحديد مجالات التفكير التى لا تستطيع نظريته أن تساهم فيها الآن أو فى أى وقت آخر، لكن لاكان غضوب ، ومتعجرف ، ويحتقر الآراء المضادة ، ويفرط فى الحماس أحيانا ويجزم فى أسلوبه النثرى ويقتنع اقتناعا تاما بأن نظريته لا حدود لها فى أى مجال من المجالات .[٦٦] إن لاكان يفعل ما يفعله بطريقة تختلف اختلافا كبيرا عن طريقة فرويد لدرجة أنه يمكن بسهولة اعتبار مشروعه ، فى المواجهة الأولى ، عملا تخريبيا يبحث عن الشهرة على حساب الأسس الأصلية للتحليل النفسى . إن اختلافه عن فرويد ، خاصة فى الهزل الرفيع الذى يصبغ كثيرا من كتاباته ، يُنظَر إليه بطربٍ فى الكثير من الاستجابات العدائية التى يثيرها تفكيره . إلا أن هذه الاستجابات كتبها متفرجون لهم دوافع أخلاقية وقد حاولوا قراءة ما يكتبه لاكان وفشلوا ، أو أنهم ببساطة فشلوا فى قراءة أعماله . ولكن ليس كل منتقديه من هذا النوع ، فقد اتهمه ، مثلا ، بالغموض المتعمَّد مؤلفون نابغون لهم مكانتهم ولا يمكن تجاهلهم .

يكتب سيبستيانو تيمبانارو Sebastiano Timpanaro مثلا فى كتابه **الزلة الفرويدية** *The Freudian Slip* (١٩٧٤) وهو كتاب يقدم نقدا رائعا لكتاب فرويد **سيكوباثولوجيا الحياة اليومية** ، منطلقا من آراء تمزج بين الماركسية والنقد النصى :

يجب الاعتراف بصورة لا مفر منها بأن فى كتابات لاكان شعوذة واستعراضية تغطى على أية أفكار قابلة للفهم أو حتى للمناقشة : يبدو لى أنه لايوجد شىء

مهم وراء الستار الدخاني ؛ ومن الصعب التفكير في رائدٍ ، سواء أكان بنيويا أم لم يكن ، رائدٍ في مجال الالتقاء بين التحليل النفسي واللسانيات ، برهن في العديد من المواقف على أن معرفته بالأخيرة معرفة خاطئة ومشوشة .[٦٧]

تنمُّ ملاحظات تيمبانارو عن معرفة محدودة بلاكان وعن حكم مبتسر عليه . ولكن حقيقة أن هذه الملاحظات يمكن أن تصدر عن شخص يعرف أكثر ويحكم بشكل أفضل على قضايا أخرى سيجعلنا نتساءل بوضوح عما إذا كانت تمثل السطح الهجومي لحالة جوهرية من حالات الهجوم ضد لاكان . ومن الممكن ، رغم كل شيء ، أن النقاد من أمثال تيمبانارو يودون ، وقد كشفوا عن نواياهم تماما ، ألا يتركوا الهجوم في أحكامهم منقوصا .

أذكر الآن بعضا من أبسط العوامل التي قد يركز عليها نقدٌ موجه إلى لاكان ومن أقلها تخصصا . اتَّخذ لاكان في أعقاب فرويد احتياطاتٍ صارمةً للحيلولة بين أعماله والابتذال والسهولة ، وغالبا ما يبدو هذا الكفاح لإعاقة نقل أفكاره نقلا سطحيا وكأنه مجهود متعمدٌ لتأتي بصورة غير مفهومة .[٦٨] **ويبدو وكأنه يقول مثلما لا يمكن أن تصل إلى كهف اللاشعوري إلا بأن تكون داخله بالفعل ، كذلك لا يمكن أن تفهم أعمالي تدريجيا إلا بأن تكون قد فهمتها من قبل** [التأكيد للمترجم] . يقدم لنا لاكان مفهوما جديدا لكل من العلم والحقيقة ، وفي علم الكلام بين الذوات intersubjective الذي ينادي بأن على التحليل النفسي أن يلتزم به ، ويطالبنا بالتخلي عن الكثير من الإجراءات التي تبرهن على صحة العلم أو زيفه وهي إجراءات تقوم عليها تقليديا مصداقية التساؤل العلمي . إن حقيقة اللاشعوري هي الحقيقة الوحيدة الجديرة بهذا الاسم . إن اللاشعوري الذي يرغب ، واللغة التي هي بنيته ، جمعيًّان ، ومكونان من طبقات وملتفان ، ولا يقبلان التصنيف أو التوقف ؛ والمناقشات التي تعالج النهاية مناقشات زائفة . وفي هذا كله تكمن بدقة المفارقة في أن اللغة **كلها** ليست سوى إزاحة كنائية للرغبة . وليس هناك ، كما أكد لاكان كثيرا ، ميتالغة ، أو آخر بالنسبة للآخر ، أو حقيقة عن الحقيقة (٨١٣) . لماذا إذن يتم تفضيل لغة ذات تكافؤات متعددة بسخاء على لغات تعبر عن شيء واحد في كل مرة، أي على لغة المنطق ، أو تحليل

المفاهيم ، أو الوصف الإمبيريقى ، أو نظرية التحليل النفسى التقليدية ؟ هل يمكن ببساطة أن يرجع استخدام هذه اللغة ، التى تمنح أهدافا أكثر للرغبة التى تتضح فى الحركة داخلها ، إلى الاعتقاد بأنها تحافظ على اتصال أقرب وأقوى مع منبت الرغبة ؟ ولكن ذلك المنبت يوجد فى كل المواضع ولا مفر منه . وقد رأينا لاكان ذاته يشير إلى نسخة من المفارقة ذاتها فى شرحه لعبارة فرويد 'Wo Es war, soll Ich werden' : بأى حق ، وبأية غاية أخلاقية لأى رأى ، يمكن للمرء أن يدفع إنسانا بالضرورة وبلا كلل إلى أن يصبح ما هو عليه ؟ لماذا نقحم فى الحركة آلية دقيقة للإقناع حين يكون من المؤكد أنه لا يوجد من يقتنع ؟ يمكن أن نشعر ونحن نقرأ لاكان بميول شخصية تتخلل مناقشاته ، ميولٍ مهمة لم تُناقَشْ-وهى فى هذه الحالة ميول قوية تماثل الميل الذى جعل إنجلز فى *Anti - Dühring* يرى أن الحرية الحقيقية تكمن فى التعرف على الضرورة .

يثير أسلوب لاكان التوضيحى مجموعةً من الأسئلة المرتبطة به . وتنكر نظريته أى فارق بين الكتابة الوصفية والكتابة الإرشادية ، أو بين التحليل العملى للحالات واستنباط آراء نظرية مناسبة . ويعتمد اعتمادا كبيرا على الإقناع ببعض القواعد العامة المتكررة مدَّخِراً النقطَ الحاسمة من مبادئه . وتُستهَلُّ هذه الصيغ المأثورة ويتم تكرارها وتعديلها بدون أية برهان يدعمها . وقد تصاغ كأنها جيوب فجائية من الوضوح النسبى داخل التشوش المربك ، التشوش الناتج عن اللعب بالكلمات وعن الصور الشعرية ؛ وقد تظهر مع الهجمات العنيفة ضد المتهمين بتزييف الفكر التحليلى. (يرى لاكان أن كل القضايا قضايا مبدأ ، وأن كل التعارضات الموضعية تكشف عن قوى الظلام والنور فى صراعهما الجبار .) ويأتى ، بالطبع ، التدعيم البرهانى لهذه الجمل من مكان آخر ، والقارئ الذى يتمتع بالقدرة على التفكير فى عدة اتجاهات فى وقت واحد سيوائم بين هذه المواد بصورة أفضل من غيره . وقد ترضيه كل نبوءات الكاتب إرضاء تاما حين يتم تقديم أفكاره إلينا بهذا الشكل . ويمكن محاكاة العملية بصورة ساخرة على النحو التالى : 'إذا كان ما أقوله-عن اللغة واللاشعورى وإزاحة الرغبة والآخر ، صحيحا ، فعلى المرء أن يتوقع حشدَ نوعٍ معين

من الكتابة ؛ كتابتي موجودة وهي من النوع المتوقَّع ؛ ومن ثم يكون ما اقوله صحيحا' أو بأسلوب آخر : 'الحذف هو الطريقة التي تميز الوظيفة العقلية للاشعوري؛ ومن ثم فأنا أتَّبع قواعد اللاشعوري وأقول الحقيقة حين أحذف الأجزاء الأساسية من الدليل وأنا أعبِّر عن حالتي.' إن الاستدارة واستجداء الأسئلة لم يظهرا أبدا بمثل هذا العُرْي في فكر لاكان ، لكن المخاطر التي يثيرها فكره ظهرت بجلاء . إنه يختبر فكره باستمرار اختبارات من ابتكاره ؛ ويجتاز فكره هذه الاختبارات دائما . ومع أنه يستدعي إلى الذهن الكثير من أنساق المفاهيم المهمة وهو يعمل-أنساق افلاطون وهيجل وهايدجر على سبيل المثال - إلا أن هذه الأنساق لا تقدم أي نوع من الاختبار الخارجي لنسقه الخاص . ولكنها ، بالعكس ، تمدُّ ذلك النسق بمزيد من الارتياب الجدلي وبمزيد من الآخرية - مما يعني بالطبع أنها تمده بمزيد من الزخم والدعم. وحيث أن التناقض والسخرية متأصلان في اللغة ومن ثم تصبح اللغة كلها ناقدة لنفسها بمعنى ما ، فإن الاختبارات الخارجية لا ضرورة لها . وعلى أية حال ، يمثل الفشل في أحد الاختبارات اجتيازا له أيضا .

إن فنتازيا القدرة الكلية تُفقِد تأثير المساهمات الأساسية التي قدمها لاكان في التحليل النفسي ، مع أنها قد تجعل من الصعب على الكثير من القراء أن يعزلوها في البداية . إن حقيقة أن أعماله المنشورة تكتسي بمظهر صريح من التفاخر النرجسي ساعدتها على اكتساب هيبة هائلة في الثقافة الفرنسية المعاصرة . إنك حين تشترى **كتابات** لاكان تشترى حدثا وشارة . وحيث أن شعارات **كتابات** تمثل جزءا من لغو العاصمة ، فلستَ في حاجة إلى قراءة أية كلمة منه لتنتحل سحره . ومما لا شك فيه أن علماء اجتماع المعرفة في المستقبل سيدرسون الآليات التي جاءت بها 'لاكانية Lacanism' واهية ، تشبه the *'fofreudism'* التي يشوهها لاكان تشهويها شديدا (٥٢٧) ، لتبدو في الحياة الفكرية لمجتمع من المجتمعات أكبر من الأفكار والنصوص الأصلية .(٦٩)

إلا أنه يتضح في غضون ذلك أن أفكار لاكان ، حين توضع وتقيم في سياقها الحقيقي ، تكون قوية بما يكفي للإبقاء على التأليه الزائف الذي رفعها إليه رأي مطابق للموضة . لقد وُضِعَتْ لتعمل وتُخْتَبَر بصرامة في السياق التحليلي ، وهو سياق عملي

مشترك . وقد وسع بعض أتباع لاكان الذين يميلون إلى الاستقلال من أمثال جين لبلانش Jean Laplanche وبونتالى J.-B. Pontalis وسيرج لكلير Serge Leclaire ومود مانونى Maud Mannoni وأوكتاف مانونى Octave Mannoni مفاهيمه وعدلوها بدون أية محاولة لتقليد أسلوبه الأدبى ومن أعمالهم يتضح أن لاكان أنشأ تقليدا مترابطا ومستمرا فى البحث التحليلى .

لقد جعل لاكان من فرويد شخصا مفهوما للمرة الأولى فى فرنسا . وكان لالتفاته إلى حقائق اللغة كما تبدو فى فكر فرويد وإلى الطريقة التى يمكن بها استخدام اللسانيات البنيوية لإعادة تنظيم تعليقات التحليل النفسى على اللاشعورى ، كان لهذا الالتفات أصداء عديدة على المستوى التطبيقى والمستوى النظرى داخل مراكز الحركة فى فرنسا .[٧٠] وأذكر هنا اثنين من أكثرها تأثيرا . أولا ، تم استدعاء التحليل النفسى لإدراك مسئولياته الفكرية :

> إنه لن يدعم الأسس العلمية لنظريته أو تقنيته إلا بصياغة الأبعاد الأساسية لخبرته فى أسلوب مناسب ، خبرته التى تمثل مع النظرية التاريخية عن الرمز المنطقَ الموضوعى وزمنية الذات .[٧١]

وهذا النوع من الطموح ينأى بلاكان عن أولئك الأطباء النفسيين الراديكاليين المشهورين من أمثال لانج R.D. Laing وديفيد كوبر David Cooper وتوماس زاس Thomas Szas. إن الأفكار فى رأى أولئك الكتّاب لها مبرر محدد : إنها تستخدم أساسا كوسيلة لكشف المقدمات الخاطئة التى تتأسس عليها المفاهيم القمعية حول العقل والجنون ، ولا تساهم ، إذا كان لها أن تساهم ، إلا مساهمة واهية فى التعليقات الوصفية أو التحليلية على العملية النفسية . ومن الناحية الأخرى ، لا يمثل كشف المقدمات الخاطئة ، فى رأى لاكان ، سوى جزء من عملية مستمرة لبناء نموذج نفسى تلعب فيه الأفكار ، التى تتجمع من مختلف المصادر وتتحد بصورة غير مستقرة، دورا حيويا . ولاتزال محاولات صياغة هذه المناطق الخطرة من البحث من قبيل 'المنطق الموضوعى' و 'زمنية الذات' فى المراحل الأولى . ويتمثل دور لاكان ، معتمدا بصورة أساسية على اللسانيات والمنطق الشكلى والحساب أيضا ، فى اقتراح

طرق قد تصبح بها الصرامة الفكرية ممكنة فى فروع علم النفس حيث مازال الإبهام والغموض سائدين حتى الآن .

ثانيا ، فى محاولة لجذب الأنظار إلى الأهمية المركزية للتأمل اللسانى فى الذات الإنسانية ، أعاد لاكان صياغة أهداف التحليل النفسى بوصفه أسلوبا للعلاج وبوصفه خطابا أخلاقيا:'لايمكن أن يكون للتحليل غايةٌ إلا بالحلول فى كلام حقيقى والتحقق بواسطة ذات تاريخية فى علاقتها بالمستقبل' (٣٠٢) .[٧٢] و'الكلام الحقيقى' الذى يسعى التحليل النفسى إلى تعزيزه هو الكلام الذى تكون فيه الذات على اتصال تام باللغة البدائية ، لغة الرغبة التى نستمع إليها فى تعليق الذات على أحلامها وأعراضها . وهذا الكلام مستحيل إلا حين تكون الذات قادرة على الاعتراف بالنقص وعدم الاكتمال فى داخلها وهما حقيقتان واضحتان . إن النظام الرمزى يتأسس على هذه الحقائق ، والدخول فى هذا النظام يعنى القبول بأن قَدَرَ المرء كذاتٍ إزاحةٌ غير محدَّدة وموتٌ .[٧٣]

والبديل **الخيالى** مغوٍ ، ويبدو أنه يَعِدُ بسلسلة كاملة من الإنجازات : الهوية ، التكامل ، التناغم ، الهدوء ، النضج ، الفردية ، التبادلية..ويعالج لاكان **الخيالى** أحيانا، مع ما يرتبط به من أهداف تبدو جديرة بالتقدير ، باستهجان عابر : 'ابحثْ عن هذه الأشياء إذا كانت لديك الرغبة فى ذلك ، وإذا كنت على استعداد للتسليم بالتافه والكاذب ؛ لكن الحقيقة ، بالطبع ، فى مكان آخر' . ولكنه ، عموما ، يتناول العلاقة بين **الرمزى والخيالى** بمستوى أسمى من الأهمية والتعقيد وقد أعاد تعليقه على الجدل المستمر بينهما والمتأصل فى الحياة الإنسانية ، أعاد إلى التحليل النفسى كثيرا من الأصداء الأخلاقية الكئيبة التى نجدها فى كتابى فرويد **وراء مبدأ اللذة** و **قلق الحضارة** *Civilization and its discontents* ، وفى مقال من مقالاته الأخيرة عن 'تحليل المحدود واللامتناهى' (XXIII, 211-53) . وحتى هنا لا تتشابه نغمة لاكان مع نغمة فرويد تشابها تاما ، ولكنه رفض اللاستسلام إلى راحة التفاؤل أو التشاؤم وثبت فى وجه المشاكل العضال ، وكان الرفض والثبات على المستوى نفسه من السمو .

وقد أثر لاكان تأثيرا كبيرا خارج التحليل النفسى . ويكمن أحد الأسباب الأساسية وراء هذا التأثير فى ان كتاباته تسعى بوعى إلى نقد الخطاب والأيديولوجيا . أنه يمد المشتغلين فى المجالات الأخرى ببورتريه حذر للتفكير أثناء حدوثه ، ولعناصر فنتازيا اليوتوبيا والطفولة التى قد تجد طريقها حتى فى أبسط عمليات العقل وأنقاها . إن شعار 'يا بناة المفاهيم الخالدة ، احذروا' يمثل رسالة كتابات للذين يسمعون . لقد دفع لاكان التحليل النفسى إلى إدراك النزعات البلاغية بصورة لم يسبق لها مثيل مما جعله يكتسب بالنسبة لبعض المنظرين من ذوى القناعات الأخرى انعكاسية ذاتية رائعة .[٧٤]

كانت ثورة فرويد ، فى رأى لاكان ، 'غير ملموسة ولكنها كانت ثورة راديكالية' (٥٢٧) . [٧٥] وكانت ثورته من النوع نفسه . إنه يضع أمامنا ، وهو يكشف قوى الكبت التى تعمل فى أنساق التحليل النفسى ومؤسساته ويسمح للمكبوت بالعودة فى كتاباته ، رأيا أصيلا واستثنائيا عما قد يكون عليه التفكير . إنه قارئ لفرويد ، لكن إخلاصه لفرويد من نوع مختلف عن إخلاص أفلوطين لأفلاطون أو ابن ميمون لأرسطو . يقدم له فرويد ضمانا بأن التفكير كله 'تفكير آخر' : لا يوجد ثبات ، أو موضع للوقوف ، أو نسق أسمى . إن اللاشعورى الناطق يمثل نموذجا للحياة الفكرية . يكتب لاكان أعمالا تتم إزاحتها وتفكيكها أثناء إنتاجها بدل أن يبدع أثرا خالدا ويتركه للزمن أو التاريخ أو الآراء . والتفكير الذى يوضحه لنا تفكير يسكن الزمن ، ويبدو بوصفه عملية ، ويجد حقيقته فى رفض الاكتمال .

هوامش الفصل الثانى

١ - للاطلاع على ترجمة إنجليزية دقيقة للترجمة العبرية لرسالة ابن ميمون (إلى صموئيل بن تيبون) وهى مكتوبة بالعربية فى الأصل ، راجع مقدمة شلومو بنس للترجمة التى قام بها لكتاب **دليل المحتار** *The Guide of the Preplexed* .

٢ - وردت العبارة ب طالفرنسية فى المتن ويمثل الهامش ترجمة إنجليزية للعبارة ، وقد آثرت تدوين الترجمة العربية فى المتن بدون تدوين الأصل الفرنسى - إلا فى حالات الضرورة ، كأن يكون التعليق ، مثلا ، على السمات اللغوية للعبارة - وسأكتفى فيما يلى من الهوامش المماثلة بعبارة 'بالفرنسية فى المتن' [المترجم]

٣ - بوصفه اسما substantive، يدل [ما قبل الشعورى] على نسق للجهز النفسى يتميز تماما عن نسق اللاشعورى ، وبوصفه صفة adjective، يحدد عمليات نسق ما قبل الشعورى ويحدد محتوياته . وحيث أنها لا توجد دائما فى مجال الشعور ، تكون لاشعورية بالمعنى 'الوصفى' للمصطلح ، ولكنها تختلف عن محتويات نسق اللاشعورى من حيث أنها لاتزال تخضع لمبدأ فى متناول الشعور (مثلا ، المعرفة والذكريات التى ليست شعورية الآن)' (لبلانش و بونتالى ، لغة التحليل النفسى ، ٣٢٥) . وفى كثير من الأحيان يعتبر ما قبل الشعورى والشعورى نسقا واحدا متصلا ومتميزا تميزا تاما عن نسق اللاشعورى (راجع كتاب لبلانش و بونتالى وهو مرجع نفيس ظهر للمرة الأولى فى عام ١٩٦٧ بعنوان **معجم التحليل النفسى** *Vocabulaire de la psychanalyse* : والتعريفات التى نقتبسها هنا وفى الهوامش التالية نقدمها فى صورة موجزة .)

٤ - يشبه أفلاطون فى الكتاب السابع من **الجمهورية** الإنسان المخدوع بعالم الظواهر بسجين فى كهف تحت الأرض . ويرى أن محاولة السجين للهروب من الكهف تناظر بحث الإنسان عن التنوير والحكمة .

٥ - بالفرنسية فى المتن .

٦ - الإزاحة displacement: 'حقيقة أن تاكيد الفكرة أو اهتمامها أو كثافتها عرضة للانفصال عنها والانتقال إلى أفكار أخرى ، كانت قليلة الكثافة أصلا ولكنها تتصل بالفكرة الأولى بسلسلة من التداعيات' (لبلانش و بونتالى ، ١٢١) .

٧ - عن أكتيون لاكان Lacan's Actaeon، راجع ص.ص. ١٦٧ - ١٧٣ ، ١٧٨ [من الأصل الإنجليزى ، والفصل بعنوان لاكان والأدب وهو ضمن الفصول المترجمة فى هذا الكتاب] .

٨ - بالفرنسية فى المتن .

٩ - للاطلاع على بعض التعليقات الموجزة على هذه المفاهيم ، راجع لبلانش و بونتالى ، ١٦٩ - ١٧٠ ، ٤٣ - ٤٥ .

١٠ - يصف جاك ألن ميلر Jacques-Alain Miller فى *Entretien sur la Seminaire* ، مسئوليته كمحرر فى إعداد نسخ السيمينار للنشر ويعلق ببراعة على بعض الأمور الأخرى : المعانى التى ربما تؤدى إلى اعتباره 'مؤلفا مشاركا co-author' فى المجلدات المتتابعة ؛ العلاقة بين الغموض والوضوح فى كتابات لاكان وفى كلامه ؛ العلاقة بين كتابات و السيمينار كأدوات للتعبير عن نظرية لاكان التى تتحول تحولا ذاتيا باستمرار ؛ اللعب بين الطبيعة الارتجالية لنص لاكان 'الأصلى' المنطوق والنظرة المنطقية لعقل ميلر كمحرر ؛ وللاطلاع على محتويات كل مجلد من مجلدات السيمينار (سواء أكان منشورا أم لا) والتاريخ الكامل لنشر أعمال لاكان حتى الآن ، راجع : Joel Dor's *Bibliographie des travaux de Jacques Lacan* .

١١ - بالفرنسية فى المتن .

١٢ - للتمييز بين هذه النماذج الثلاثة ، راجع لبلانش و بونتالى ، ٤٤٩ - ٤٥٣ ؛ ١٢٦ ؛ ١٢٧ - ١٣٠ .

١٣ - التكثيف condensation: 'إحدى الوسائل الأساسية الفعالة فى العمليات اللاشعورية : تمثل الفكرة المفردة عددا من السلاسل المترابطة التى توضع فيها نقطة التقاطع' (لبلانش و بونتالى ، ٨٢) .

١٤ - للاطلاع على تعليق فرويد على أبل Abel بالتفصيل ، راجع إميل بنفنست Emile Benvensite فى قضايا اللسانيات العامة *Problemes de liguistic generale*, [I] , 75-87 . وقد برهن Giulio Lepschy بطريقة مقنعة فى "Freud, Abel et gli opposti" ، على أن 'سؤال أبل' معقد بصورة تفوق ما قد توحى به تلك الكتابات التى جاءت فى أعقاب بنفنست ، وقد جذب اعتناق لاكان وريكور وآخرين لنقد بنفنست الانظار بعيدا عن حقيقة أن أبل لم يكن أبدا صاحب التأملات الوحيد فى تاريخ فقة اللغة حول 'المعانى المتناقضة' لبعض الكلمات . وبرهان Lespschy لذى تتحدث عنه ملخص بالإنجليزية فى كتابه ' Linguistic Historiography' .

١٥ - بالفرنسية فى المتن .

١٦ - راجع Roman Jakobson and Merris Halle, Fundamentals of Language, 90-6

١٧ – يبدو لى أن هذه الجملة والجملتين التاليتين تسىء التعبير عن 'التحديد' المقصود فى السؤال . ومع أن ما يوجد من الأوصاف أو النماذج التركيبية الحقيقية قليل فى تعليقات لاكان الميتاسيكولوجية على اللاشعورى ، إلا أن بعض كتاباته الأخرى ـ وخاصة شروحة لمواد الحالات ـ تقترب مما يدعوه جون فورستر 'البنية الافتراضية للعصاب' . وللاطلاع على تحليل دقيق لهذه البنيات راجع جون فورستر فى كتابه الرائع **اللغة وأصول التحليل النفسى** *Language and the Origins of Psychoanalysis* (وخاصة ص ١٣١ – ١٦٥) .

١٨ – تمت ترجمة البحثين إلى الإنجليزية ، الأول بعنوان 'The function and field of speech and language in psychoanalysis' ، والثانى بعنوان 'The agency of the letter in the unconscios or reason since Freud' ، راجع المختار من كتابات *Ecrits. A Selection* .

١٩ – بالفرنسية فى المتن . عن محاضرات فى اللسانيات العامة *Cours de linguistique generale* ، ص . ,١٥٧

٢٠ – الكناية metonymy : 'صورة بلاغية يحل فيها مكان الشىء المقصود صفة من صفاته أو شىء يرتبط به'. المجاز المرسل synecdoche : 'صورة بلاغية يستخدم فيها مصلح أشمل للتعبير عن مصطلح أقل شمولا أو العكس ، من قبيل استخدام الكل للتعبير عن الجزء أو الجزء للتعبير عن الكل...إلخ '. راجع Shorter OED

٢١ – راجع Fundamentals of Language, 94-5

٢٢ – فرط التحديد [أو التحديد بعوامل عديدة] overdetermination : "حقيقة أن صياغات اللاشعورى (الأعراض ، الأحلام...إلخ.) قد تعزى إلى عدد كبير من العوامل المحدِّدة" .' (لبلانش و بونتالى ، ٢٩٢) .

٢٣ – بالفرنسية فى المتن .

٢٤ – راجع :

" Of Structure as an Inmixing of an Otherness Prerequisite to Any Subject Whatever", The Structuralist Controversy)ed. Macksey and Donato), 188.

وهو بحث كتب فى مزيج من الإنجليزية والفرنسية ونشر بالإنجليزية فى صياغة جديدة .

٢٥ - بالفرنسية فى المتن . وللاطلاع على نقد دقيق عن 'الإفراط اللغوى' فى البنيوية ودور لاكان فى تعزيز 'جنون عظمة megalomania الدال' انظر بيرى اندروسون فى *In the Tracks of Historical Materalism* ، [فى دروب المادية التاريخية] ٤٠ - ٥٥ وأكثر المحاولات جدية فى التحليل النفسى لكتابة تعليق فلسفى غير مبالغ فيه توجد فى تعليق بول ريكور بعنوان *De l'interpretation* [عن التأويل]

٢٦ - عن مفهوم حضور الكلمة *Wortvorstellung* ومفهوم حضور الأشياء *Sachvorstellung* (أو *Dingvorstellung*) راجع ملاحظة المحرر فى XIV ، ٢٠١ ، وراجع لبلانش و بونتالى، ٤٤٧ - ٤٤٩ . ومازال الشرح الأساسى لهذه المنطقة المهمة المليئة بالتعقيد والافتقار إلى اليقين الاصطلاحى فى ميتاسيكولوجيا فرويد هو شرح جين لبلانش و سيرج لكلير فى 'L'Inconscient. Un etude psychanalytique' (وقد ترجمه باتريك كوليمان إلى الإنجليزية فى French Freud ، ١١٨ - ١٧٥) .

٢٧ - اقتبسها أنتونى فيرجوت فى : *Interpreting Lacan* (ed. Smith and Kerrigan), 193 .

٢٨ - بالفرنسية فى المتن . وعن الميتافيزيقا التمركزة حول اللغة والديكارتية 'المعكوسة' فى العبارة الأخيرة من العبارات الثلاث ، راجع Antony Wilden, *System and Structure*, 460-1 .

٢٩ - بالفرنسية فى المتن .

٣٠ - بالفرنسية فى المتن .

٣١ - بالفرنسية فى المتن .

٣٢ - بالفرنسية فى المتن .

٣٣ - بالفرنسية فى المتن . وقد تمت إعادة طبع مقال لاكان عن الأسرة وهو مقال موسوعى يعارض النظرية البيولوجية عداء عنيفا (١٩٣٨) ، ويحتوى على أكثر تعليقاته اكتمالا عن القوة المحدِّدة التى تمارسها الأسرة على الفرد ، بالإضافة إلى تخطيط الكثير من المواقف النظرية التى لم تتطر إلا فى أواخر مسيرته ، وهو بعنوان : Les complexes familiaux dans la formation de l'individu, (1984) .

٣٤ - الوسيطان الرئيسيان بين لاكان وهيجل (مثلما هو الحال بالنسبة لعدد كبير من الأعضاء البارزين من جيله فى فرنسا) هما الكسندر كوجيف و جين هيبوليت ، المترجم الفرنسى لكتاب

هيجل *Phanomenologie des Geistes* . ويقدم الفصل الذى كتبه هيجل عن **السيد والعبد** كما ترجمه وشرحه كوجيف فى *Introduction a la lecture de Hegel* (١١ – ٣٤) ، خلفية أساسية لنغمة لاكان وأسلوبه الفلسفى فى الكثير من الشروح التى يقدمها عن '**الآخر**' (وهذه الفقرة تقع فى ص١١١ – ١١٩ من الترجمة الإنجليزية التى قام بها A.V. Miller لكتاب **الفينومنولوجيا**) وبعد عام ١٩٤٣ ، شجع كتاب سارتر ، الوجود والعدم ، من جديد النزعة الهيجلية فى فكر لاكان عن '**الآخر**' وعن '**السيد والعبد**' وبعض المفاهيم المرتبطة بهما (للاطلاع على عدد هائل من التوازيات الأخاذة ، راجع **الوجود والعدم** ، ٢٨٨ – ٣٦٤) .'ويعترف لاكان بأنه مدين لهيجل عن طريق كوجيف و هيبوليت فى '*Propos sur la causalite*' (١٧٢) . ولمزيد من الإشارات عن لاكان وهيجل ، راجع ١٤٦ – ١٤٩ ، ١٥٥ – ١٥٧ [من الأصل الإنجليزى – وهذه الصفحات ضمن الفصل المترجم هنا بعنوان 'لاكان والأدب'] .

٣٥ – بالفرنسية فى المتن .

٣٦ – بالفرنسية فى المتن .

٣٧ – بالفرنسية فى المتن .

٣٨ – بالفرنسية فى المتن .

٣٩ – بالفرنسية فى المتن .

٤٠ – بالفرنسية فى المتن .

٤١ – بالفرنسية فى المتن . وقد كتب فرويد نفسه كثيرا من العبارات الحادة فى هذا الموضوع . وقال فى عام ١٩١٧ ، إن مكتشفى التحليل النفسى ، المكتشفين الأساسيين 'يضيفون إلى عبارة **إن الأنا ليست سيدة فى بيتها الخاص**' (XVII ، ١٤٣) .

٤٢ – بالفرنسية فى المتن . وتظهرهذه العبارة بصور متنوعة فى **كتابات** .والمقال الذى اقتبست عنه هذه العبارة ليس ضمن الترجمة الإنجليزية المتداولة ، ولكن توجد نسخة تختلف عنه بعض الاختلاف فى ص . ١٧٢ **من المختار من كتابات** .

٤٣ – بالفرنسية فى المتن .

٤٤ – بالفرنسية فى المتن .

٤٥ – بالفرنسية فى المتن . ويعلق لاكان على الموضوع أ كنقطة اتصال بين الجسد وثياب اللغة skirts of language ، ولكنه لم يردد أبدا الوصف الشـهير الذى وصف به بوسيه جسد الإنسان بعد الموت : 'il devient un je ne sais quoi qui n'a plys de nom dans aucune langue' (*Oraisons funebres*, 173-4) . ولـلاطـيع علـى الإشارات إلى الموضوع أ فى كتابات راجع جاك ألن ميلر فى '-Index raisonne de co cepts majeurs'(٩٠٠) . ويقدم تعليق لاكان على ذلك المفهوم – فى 'Remarque sur le rapport de DanielLagache' (٦٨٢) – نقطة انطلاق مهمة لمزيد من الفحص ، وهذا ما تفعله إشارات من هذا القبيل فى المناقشة ومنها تلك التى توجد فى **أربعة مفاهيم أساسية فى التحليل النفسى** *Les quatre concepts fondamentaux de la psychanalyse* (XI, 95-6) (*Four Fyndamental cocepts*, 103-4)

٤٦ – توجد أكثر المحاولات طموحا فى النظر إلى أعمال لاكان بهذه الطريقة فى **لاكان والفلسفة** *Lacan et la philsophie* من تأليف ألين جورنفيه Alain Juranville ، وهو دليل أساسى عن الخلفية الفلسفية لكتابات لاكان وما تحتويه . وعن '**الآخر**' راجع خاصة ١٢٨ – ١٤ .

٤٧ – بالفرنسية فى المتن .

٤٨ – بالفرنسية فى المتن .

٤٩ – سوف أعود إلى موضوع لاكان والبلاغة فى ص.ص. ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٨ – ١٥٠ ، ١٥٩ – ١٦٢ [من الأصل الإنجليزى – والفصل بعنوان 'لاكان والأدب' ، وقد سبقت الإشارة إليه – المترجم] .

٥٠ – بالفرنسية فى المتن .

٥١ – بالفرنسية فى المتن .

٥٢ – بالفرنسية فى المتن . تمت ترجمة العبارة الأولى والثالثة والخامسة مرات ومرات وتوجد فى المختار من كتابات ص.ص. ١٧١ ، ١٢٩ ، ٣١٤ ، وترجمت الرابعة فى أربعة مفاهيم أساسية ص. ٤٤ . ويمكن ترجمة الثانية على النحو التالى : 'هناك حيث كانت ، وهناك على أن أصل كذات 'There where it was, there as subject must I arrive

٥٣ – يلفت ليونيل تريلنج Lionel Trilling الأنظار فى 'Freud : Within and Beyond Culture'- وهو مقال يشيد بالتأكيد المحافظ فى نقد فرويد للثقافة – إلى النغمة الختامية فى

محاضرة فرويد كنقطة محتملة لخلق التباس أخلاقى : 'إن الهدف من الجهد لذى يبذله هو خدمة الثقافة - إنه يتحدث عن عمل التحليل النفسى بوصفه 'تفريغ المدخل السابق لبحر الشمال' ، وحفر خندق ، وحيث كانت الهو يجب أن تكون الأنا . إلا أن موقفه المناوئ للثقافة بالغ القوة ، ونغمته شديدة فى الوقت نفسه' (Beyond Culture, 101) .

٥٤ - بالفرنسية فى المتن .

٥٥ - بدأ دريدا مناظرة رائعة (حين وجه هذا الاتهام إلى لاكان) فى "Le facteur de la verite" ، (La Carte Postale, 441-524) ، وراجع بشكل خاص بربارا جونسون فى 'The Frame of Reference: Poe, Lacan and Derrida' (The Critical Difference, 110-146) ومريان هوبسن فى -'Deconstruction, Empiricism and Postal Ser vice' (خاصة.ص ٣٠٢ - ٣٠٧) .

٥٦ - للاطلاع على المزيد من المناقشات التفصيلية للأدب كنموذج للاشعورى ، راجع ص.ص. ١٣٦ - ١٤٣ ، ١٥٨ - ١٥٩ [من الأصل الإنجليزى - 'لاكان والأدب' وهو الفصل الرابع من هذه الترجمة] .

٥٧ - بالفرنسية فى المتن . سوف أعود إلى هذه الفقرة فيما بعد ، ص. ١٥٨ [من الأصل الإنجليزى - 'لاكان والأدب'] .

٥٨ - بالفرنسية فى المتن .

٥٩ - انظر ص. ١٢٤ [من الأصل الإنجليزى - وتقع هذه الصفحة ضمن الفصل الحالى] .

٦٠ - بالفرنسية فى المتن .

٦١ - بالفرنسية فى المتن .

٦٢ - يوجد تعليق تمهيدى موجز ومفيد فى Geoges Mounin's *Introduction a la semiologie* ، ١٨١ - ١٨٨ .

٦٣ - بالفرنسية فى المتن .

٦٤ - بالفرنسية فى المتن .

٦٥ - بالفرنسية فى المتن . انظر أيضا ص. ١٥٠ والهامش ٢٧ ص. ٢٠٧ - ٢٠٨ '[لاكان والأدب'] .

٦٦ - يصف باتريك ماهونى Patrick Mahony الاختلافات الأساسية بيت أسلوب فرويد وأسلوب لاكان فى *Freud as a Writer* ، ٧٤ - ٧٧ .

٦٧ - راجع *The Freudian Slip* ، ص. ٥٨ .

٦٨ - وجد لاكان ، خاصة فى الولايات المتحدة ، عددا من القراء والشراح المخلصين الذين نجحوا فى الحفاظ على معنى ملموس لهذه 'اللاقابلية للقراءة' حتى وهم يشرحون تفاصيل نصوصه . ومن هذه الأعمال المهمة والمميزة :

Anthony Wilden, *The Language of thre Self* and Teffrey Mehlman, *A Structural Study of Autobiography* :

[وتأتى الصفحات من ٢٢٩ إلى ٢٣٨ بمثابة دليل للقارئ إلى عمل لاكان ,'Radiophonie' : [Scilicet, 2/3, 55-99

بالإضافة إلى :

John P. Muller and William J. Richardson, *Lacan and Language* and Jane Gallop, *Reading Lacan* :

وقد ظهر العملان الأخيران بعد ترجمة ألن شريدان Alan Sheridan للمختار من كتابات ، ويقدمان تعليقات مهمة على هذا العمل .

٦٩ - بدأت شيرى توركل Sherry Turkle بداية نشطة فى كتابها *Psychoanalytic Politics* (١٩٧٨) . ومن التعليقات الرائعة عن تأثير لاكان على الثقافة الفرنسية يبرز تعليق Catherine Clement's *Vies et legendes de Jacque Lacan* و تعليق Bernard Sichere's *Le moment Lacanien* ، والعملان نتيجة لوعيهما على المستوى النظرى بصورة لاكان **كأستاذ فى الفكر** له فتنته ولوعيهما بصورة التحول الفرنسى الحديث فى نظرية التحليل النفسى إلى الأهواء الشعبية .

٧٠ - إن معظم التعليقات المنشورة عن الأصداء المؤسسية institutional لم يكتبها أعضاء فى الجمعية الفرنسية للتحليل النفسى ولكن ، لسوء الحظ ، كتبها دارسون غير متخصصين وبعض كتّاب المذكرات . والاستثناء المهم هو العمل الذى كتبه مصطفى صفوان بعنوان *Jacque Lacan et la question de la formation des analystes* ، ويصور بوضوح الخلفية النظرية لعدد من تجديدات لاكان الأساسية فى تقنية التحليل النفسى . ولستُ أهلا لوصف إنجاز لاكان أو تقييمه كإكلينيكى وأدرك أن أية 'مقدمة عن لاكان' لا يمكن أن تكتمل بدون أن تضع هذه المنطقة من نشاطه المهنى فى الاعتبار . وتبدأ الأعمال التى تسعى إلى استكشاف مواد الحالات من منظور لاكانى بعمل ستوارت شينيدرمان Stuart

Rosine Lefort's وعــمل روزين لفــورت Schneiderman's *Returning to Freud*

Naissance de l'Autre

٧١ - بالفرنسية فى المتن .

٧٢ - بالفرنسية فى المتن .

٧٣ - يرى ستوارت شينيدررمان فى *Jacques Lacan. The Death of an Intelectual Hero* (وخاصة الورقة ٥٢) أن لاكان كان رائعا ، فى تقاليد التحليل النفسى التى كانت تهتم اهتماما بارزا بالجنس والعلاقات الجنسية ، نتيجة استعداده لمواجهة الموت وترميزه - فى كل من كتاباته النظرية وممارساته الإكلينيكية .

٧٤ - لايعنى هذا بالطبع أن بلاغة الحديث البلاغى عند لاكان ليست هى ذاتها فى حاجة ماسة إلى التحليل . إن بلاغة هذا الحديث تغير مجال التحليل النفسى بطرق جديدة مثيرة للخلاف . وربما نأمل فى أن يكتسب التحليل النفسى اللاكانى بعدا 'ميتا تاريخيًا' كما حدث مع هايد وايت ، الذى حلل فى عمله الرائع بعنوان *Metahistory* ما يطلق عليه القدرة 'قبل المجازية' للأساليب البلاغية فى تأريخ القرن التاسع عشر .

٧٥ - بالفرنسية فى المتن .

الفصل الثالث

المحلل النفسى والكلمات

جون فورستر

العنوان الأصلى :

WHAT THE PSYCHOANALYST DOES WITH WORDS: AUSTIN, LACAN AND SPEECH ACTS OF PSYCHOANALYSIS

[ماذا يفعل المحلل النفسى بالكلمات : أوستن ولاكان وأفعال الكلام في التحليل النفسى] .

وهو الفصل السابع من :

John Forrester: *The Seductions of Psychoanalysis*, Freud, Lacan and Derrida; Cambridge University Press, 1990 : pp. 141- 76 : 340 - 53

المتن من ص ١٤١ إلى ص ١٦٧ ، والهوامش من ص ٢٤٠ إلى ص ٢٥٢

سأبين أنه لا يوجد كلام بلا رد ، بافتراض
أن له مستمعا ، حتى لو لم يقابل إلا
بالصمت : وهذا هو لب وظيفته في التحليل
جاك لاكان(١)

لماذا تأثير اللغة أكبر ما يكون حين تقول
شيئا من خلال قول شيء آخر؟
جاك لاكان(٢)

إشارة استهلالية

إن المناقشة في هذا الفصل الطويل يمكن أن تكون واضحة وضوحا تاما . وسوف أبدأ بالإشارة إلى براعة المحلل في التعامل مع رسائل ذات تركيبة خاصة . مما يغرينا بالكشف عن بعض السمات الأساسية للتفسير التحليلي بأسلوب التحليل النحوي . إلا أنه يتضح أن هذه المسألة أقل فائدة من التركيز على أفكار أوستن ولاكان عن طبيعة الأفعال الكلامية . وهي أفكار متقاربة تقاربا مدهشا : التعبيرات الفعالة والكلام المؤسَّس . ولا تقتصر فائدتها على فهم **الفعل** المتوقع من الكلام عموما ، وتحول المريض الناشئ عن ذلك الفعل ، ولكنها تعطي أيضا فكرة أكثر إقناعا عن تفسير الإحالة . وهكذا **يبطل** *unod* المحلل التأثيرات اللاشعورية لأفعال الكلام الذي يستخدمه المريض أو **يُحيِّد** تلك التأثيرات، رغم أنفه ، بينما يفتح الطريق أمام الكلام المكتمل : الكلام الذي يحول transform المتكلم فى عملية القول ، العملية الأصيلة .

إننا نألف تماما رأي فيتجنشتاين الذي يقول إن الفلسفة تنشأ عن إساءة استخدام اللغة؛ وتنشأ المشاكل الفلسفية حين تكون اللغة في عطلة . [٣] إننا نحرر الفلسفة من نفسها باستبدال السؤال الفلسفي في سياق استخدام لغة تحل المشكلة ، وتخفيها ، بمجرد ترسيخ ذلك الاستخدام من جديد-الاستخدام الذي يحدد فيتجنشتاين موضعه في لعبة اللغة . ولهذا النشاط ما يماثله في التحليل النفسي بوضوح وليس ذلك بجديد : 'إن علاج الفيلسوف للسؤال يشبه علاج العلة.' [٤]

ونألف أيضا بصورة تفوق المعتاد فكرة أن المحلِّل اختصاصي في المسائل اللغوية، على المستويين النظري والعملي . وقد أمضي إلى أبعد من ذلك وأزعم أن أسئلة فيتجنشتاين الفلسفية عن اللغة جزء يومي ، إن لم يكن جزءا ممجَّدا ، من ممارسات المحلل أو ، على الأقل ، من ممارسات فرويد . ولنأخذ مثالا من تحليل رتمان Ratman . منذ سن صغيرة للغاية سيطر عليه هُذَاء [delusion : فكرة ضلالية لا تتناسب مع ثقافة الشخص أو معتقداته ويؤمن بها إيمانا لا يتزحزح رغم كل الدلائل التى تنفى صحتها-المترجم] فحواه أن والديه كانا على علم بأفكاره .

.. فى ذلك الوقت [وأنا في السادسة] اعتدتُ أن تراودني فكرةٌ مَرَضيةٌ ، فكرة أن والديَّ كانا على علم بأفكاري ؛ وفسرت ذلك لنفسي بأن افترضت أنني تفوهتُ بتلك الأفكار بصوت مسموع ، وبدون أن أسمع نفسي وأنا أتفوه بها. [٥]

وقد بدأ الجلسة السادسة من التحليل بتذكير فرويد بأنه عانى من هذا الاعتقاد المستمرِّ في أن والديه كانا على علم بأفكاره ، ثم حكى قصةً حدثتْ له حين كان في الثانية عشرة أحبَّ فتاة صغيرة ، لم تظهرْ له من الودِّ القدرَ الذي كان يصبو إليه .

ثم راودته فكرة أنها قد تتعاطف معه إذا وقع في محنة ؛ وكمثال لهذه المحنة سيطرتْ فكرةُ موت أبيه على عقله . وبقوة رفض الفكرة في الحال . وهو حتى الآن لا يقبل احتمال أن فكرة نشأت على هذا النحو يمكن أن تكون 'أمنية' ؛ وهى

بوضوح ليست سوى 'تسلسلٍ للأفكار' .

– سألته معترضا ، إن لم تكن أمنية ، لماذا ينكرها .

– رد بأن السبب يرجع فقط إلى محتوى الفكرة ، فكرة أن والده ربما مات .

– لاحظت أنه كان يتعامل مع العبارة كما لو كانت تتضمن الطعن في الذات الملكية *lèse-majesté* : بالطبع ، كان من المعروف تماما أنه يتساوى في العقاب من يقول 'الإمبراطور أحمق' مع من يُقنِّع الكلماتِ المحرَّمةَ بالقول 'إذا قال أي شخص ، إلخ ... فإنه سيضطرني إلى وضع ذلك في الحسبان .' وأضفت أنه كان من الممكن أن أغرس بسهولة الفكرة التي كان ينكرها إنكارا شديدا في سياق يستبعد أي احتمال للإنكار : مثلا ، 'إذا مات أبي ، فسوف أقتل نفسي على قبره .'

–ارتعد ، لكنه لم يتخل عن اعتراضه . ومن ثم توقفت فجأة عن المناقشة...[٦]

تشتمل الفقرة السابقة على عدد من النقاط المهمة . مثلا ، أود أن أشير ببساطة إلى أن فرويد يحاول إقناع مريضه بأن 'فكرته' كانت أمنية بالضرورة ، لأنه تفاعل معها كما لو كانت أمنية . وكانت وسيلة الإقناع توضيح أن عبارة 'أبي ميت' لا تشبه في وقعها عبارة 'أتمنى أن يكون أبي ميتا' . إن فرويد الذي نصادفه هنا كان في بيته بكل معنى الكلمة يطوِّع الاستخدامات المختلفة لعبارة 'إني أعتذر 'I apologise' كما نجدها في اللغة اليومية لأوستن فيلسوف أكسفورد ، أو كان يتأمل في الاستجابات المتنوعة المتاحة لعبارة 'كيف حالك How're you doing ' التي فحصها حديثا هارفي ساكس Harvey Sacks وهو أحد أتباع ما بعد الإثنوميثودولوجيا post-ethnomethodology .[٧]

إلا أن من الواضح أن هدف فرويد لم يكن يقتصر على الكشف عن الاضطرابات النحوية والفلسفية عند مريضه لمجرد الكشف عنها ،[٨] كما لو كان المكافئ الفييني عند نقطة التحول في القرن العشرين لكاتب العمود الإنجليزي في صحيفة من صحف الأحد .[٩] إنه يحاول اكتشاف السبب وراء إنكار عبارة 'إذا مات أبي...' بمثل هذه

القوة ، وطبيعة ارتباطها بخوف المريض المستمر من فكرة أن والديه كانا على علم بأفكاره . إن اكتشاف أن رتمان كان يعالج الفكرة كما لو كانت أمنية ليس إلا المرحلة الأولى في اكتشاف طبيعة الكارثة التي يفكر فيها رتمان إذا كان يتمنى ذلك .

تأكد فرويد أن رتمان أدخل ، بأسلوب استحواذي حقيقي ، جملة شرطية : 'ستكون عطوفة معي إذا مات أبي' ، ثم أنكر الجملة برمتها . وتركزت استجابات فرويد كلها على الجمل التي نطق بها رتمان واحتوت بنياتها المتنوعة على عبارة 'مات أبي' . تدخَّل فرويد لاستثارة مقدمة الأمنية ، وتوضيح علاقتها بالشخص الأول وربما حتى افتراضه لها : 'أتمنى أن يكون أبي ميتاً حتى تكون عطوفة معي .' وكان يريد أن يعرف أين يختبئ الشخص الأول في هذه الجملة ، وعلاقته بالشخصين الثاني والثالث. كانت الفكرة الأصلية قبل الشعورية preconscious : 'أتمنى أن تكون عطوفة معي.' وكان الإنكار الشديد مفتاحَ اللغز الذي دلَّ فرويد على اتجاه العنصر الذي يبدو أنه أدى إلى ذلك الإنكار :/أبي مات/ . وحتى يكشف بنية المقاومة ، 'حتى يجعل الصراع يتوغل في مجال النشاط العقلي الشعوري' ،[١٠] حدَّدَ نوعاً آخر من بنية الجمل الواضحة أمام الناطق الذي أعاقه الإنكار :

١- إذا/مات أبي/ ، ستكون عطوفة معي .

٢- إذا قال أى شخص/إن أبى ميت/ ، فسوف أضطر إلى أن أتبارى معه .

٣-إذا/مات أبى/ ، فسوف أنتحر .

حدد فرويد ، بإيضاح قواعد الاستطراد التي تحكم بنية الطعن في الذات الملكية ، كيف يمكن لمن يعاني من الأفكار الاستحواذية أن يمتص أولا 'ضمير المخاطَب you' للأنا العليا العقابية في صيغة محايدة 'إذا قال أي شخص...' ، 'إذا...' ، ومن ثم في نفسه his self ، بحيث يمكن أن تغطي الإشارات إلى 'ضمير المتكلم I و 'ياء المتكلم me' الوظائف التي يؤديها عادة «ضمير المخاطَب you » العقابى الذي يخاطبه الضمير conscience . [١١] إن معالجة فرويد لمختلف التكوينات المحتملة التي يمكن أن تنشأ عن هذا الإنكار توضح أنه كان يبحث عن سبيل إلى عالم المريض الذى يعاني من الأفكار الاستحواذية وهو عالم مغلق مليء بالأشباح ، [١٢] بمحاولة

مساعدته على النطق بعبارة تُفصِح بصــورة أوضــح عن وظـائف « ضمير المتكلم » و « ضمير المخاطَب » والصيغ المحايدة ؛ والجملة التي تأملها فرويد كانت « 'أتمنى لو كان أبي ميتا » .

يعتقد رتمان أنه يتكلم ولا يسمع نفسه . وقد نقول إن علاقة رتمان بالآخر الذي يسمع علاقة مضطربة . وبالفعل ، في سن السادسة ، كان 'ضمير المتكلم' بالنسبة لرتمان مغتربا في عملية الكلام على نحو يعوق احتمالية أن يقول للآخر شيئا جوهريا – ألا يعـرف [الآخـر] أفكاره بالفـعل ؟ [١٤] ويمكن ، بدايةً ، أن يأتي الوصف الفجُّ لحالته على النحو التالي : بمجرد غياب الآخر 'الحقيقي' ، يُنصِّب المتكلمُ مكانه آخرَ خيـاليا ، آخر ، على عكس الآخر الحقيقي ، تنفذ إليه كلمات المريض ، ولكنه يمثل أيضـا الأب الخيالي الذي سمع كل شيء : أنا علِّيا عامة ومؤثرة . وبهذه الطريقة قدم فوكو ، ربما مقتفيا خُطى لاكان ، [١٥] تأويلا لهذا التحليل في كتابه **العلة العقلية وعلم النفس** *Mental illness and psychology* ، وهو كتاب لم يقرأ إلا على نطاق ضيق : تنشأ العلة العقلية نتيجة للنكوص من الديالوج الواقعي إلى الحوار الخيالي .

ولا يمكن لنا أن نقيم واقعية الديالوج التحليلي إلا فى ظل مفهوم الإحالة . يبدو الأمر ، فى الإحالة ، وكأن شخصا ثانيا " ضمير المخاطَب "، يدخل بالفعل خطاب الجلسة ، خطابها المعلن . ثم يتخذ تحليل ضمائر المتكلم "I's" وضمائر المفرد الغائب "he''s" التى يستخدمها المريض بعدا إضافيا . وهذا حقيقي ومهم . ولكن قبل أن نشرع في مناقشة الإحالة ، يتضح أن تحليل ذلك 'الضمير' سيبدو وكأنه تحليل آخر لأدوات المحلِّل . ويذهب هذا الرأى إلى أن المحلل شخص يملأ الفراغ الذي تتركه الرقابة بحيث ينسج رواية مترابطة ، ويذهب إلى أنه شخص يوضح ما يكمن في المفاتيح الضمنية التي يتركها المريض ، بالإضافة إلى أنه يذهب إلى أنه شخص يركز انتباهه على الضمائر ، ضمائر المتكلم "I's" وضمائر المخاطب 'thou's' التى يستخدمها المريض . [١٦] وسأستنتج في النهاية أن هذا الرأى غير وافٍ ؛ وآمل الآن أن أتتبع هذه الفكرة إلى ما هو أبعد من ذلك .

إن عملية الكلام في التحليل ، وكما تشير الفقرة المقتبسة في تصدير هذا الفصل ،

تقتضي رداً ضمنيا ، طالما كان المحلّل يؤدي دور المستمع ، ومن الوظائف الرئيسية للمحلل توضيح الشخص الذي نتوقع منه الرد . وعلى المحلّل ألا يقصر انتباهه على ذات العبارة (أو على موضوعها) -'ضمير المتكلم' في 'أخاف أن يحدث شيء مروّع لوالدي وخطيبتي' ؛ وعليه أن ينتبه إلى 'ضمير المتكلم' الذي ينطق الجملة، إلى ذات المنطوق . [١٧] ويمكن لنا أن نقول إن وظيفة المحلّل لا تنحصر في الإصغاء (كما لو كان 'يسترقُّ السمع') ، ولكنها تنحصر في الاستماع-حيث أن عملية الاستماع (على العكس من الإصغاء) تورِّط المستمع فيما ينطقه المتكلم . إن المحلّل يقف في مرمى نيران المتكلم ، إذا جاز التعبير ، ويفترض أنه 'ضمير المتكلم' الذي يتضمن في كل مرة أن ذات المنطوق تندفع إلى الأمام سواء كمتكلمة أو كمتكلمة متوارية خلف ضمائر المتكلم (أو ضمائر المخاطَب) في العبارة .

لكن المحلّل يُخاطَب أيضا كآخر على مستوى العبارة - **تُقال** له أشياء ، يوصف بأنه دجّالٌ ومحتالٌ وطاغيةٌ وبأنه مزعجٌ ، إلى نهاية كل الصور التي تحتوي عليها جعبة مخيلة المريض . وستكون إحدى السمات الأساسية لتدخُّل المحلل هي توضيح الشخصية الحقيقية 'لضمير المخاطَب' الذي يتوجه إليه المريض ، وبواسطة الإسقاط الهندسي ، إذا جاز التعبير ، أو حتى التقمص الإسقاطي ، وتوضيح شخصية 'ضمير المتكلم' الملازم له والموجود أمامه-ملاحظا كيف يعثر الدجّالُ دائما على مغفلهِ الساذج ، والساديُّ على ماسوشيه ، والطاغيةُ على عبيده .

وقد لا يُعزى هذا إلا إلى التقنية التحليلية المألوفة للكشف عن تقمص الأنا. [١٨] إلا أن الانتباه إلى استخدام المرضى للضمائر قد تكون له مميزاته الخاصة . ويمكن لنا أن نقول إن انهماك فرويد في التحليل الدقيق للأكروبات اللغوية المتضمنة في الطعن في الذات الملكية لم يأتِ صدفةً-إن قواعد الرقابة في هذه الطريقة الملكية في الكبت تنطبق بصورة أوضح على أية صورة من صور الكلام المباشر . ويمكننا أن نحدد بزوغ الرواية السيكولوجية ، ذلك الجنس الأدبي الذي يحتفل بالذات الفردية ويستنطقها ، بوضعها على محور تلك الأشكال : رواية الرسائل ، القواعد التي تحكم تمثيل الديالوج، إلى آخره . كان فرويد بتقديم مقولة الطعن في الذات الملكية ، يستثير

علاقة معينة بين الذوات الناطقة . يطلب الملكُ المستبدُّ أن يخضع كل رعيته لرغبته . إذا سمح لواحد من الرعية أن يستشهد بآخر قال 'الإمبراطور أحمق' ، فسيتم خلق منزلة مميزة للذات ، وربما يكون لذلك أصداء على مستوى المطلق ؛ وستخلق احتمالية وجود جموع أخرى تقف بجانب ميدان العاهل ، حيث سيجبر ، بقاعدة تمييز ذات عن أخرى ، على الاعتراف باحتمالية أن يتحدثا [هو والذات الأخرى] معا . وهذه المنزلة – وأنا هنا أستخدم عن قصد المصطلح الذي استخدمه فرويد في **سيكولوجيا الجماعة وتحليل الأنا** *–Group psychology and the analysis of the ego* هي الأنا العليا ، العامل الذى يتيح احتمالية وجود الكلام غير المباشر: الضمير ، الذى يجعلنا نتوجه إلى الشخص الثاني الحميم ، ومن ثم تنشأ الوظيفة السردية المحايدة . [١٩] وبتعبير آخر ، يعزى تحريم الكلام غير المباشر إلى محاولة تحريم بعض العلاقات الخيالية بين الذوات ، مما يتطلب توجيه الكلام كله إلى الملك . ومن الضروري وجود بنية مماثلة لتوضيح بعض المفاهيم عن علاقة المرء بالرب : وبدون قانون التجديف ، لن يعرف الرب ما إذا كان الكلام موجها إليه أم لا .

ومع ذلك ، يتبنى المحلِّل النفسي صورة المرآة لتوضيح وضع الملك المستبد ، أي أن القاعدة الأساسية ترى فيه شخصا يمكن لنا أن نوجِّهَ إليه كلَّ أشكال الكلام ، أى أن المحلِّل ، بدايةً ، لا يعرف فرْقًا بين الكلام المباشر والكلام غير المباشر ؛ إذا قال امرؤ : " ثم قالت: "إن مفتاح شخصيتك يكمن فى حقيقة أنك تجيد الرقص" ، فقد يتجاهل المحلِّل علامات التنصيص تجاهلا تاما ، ويفهم العبارة باعتبارها صادرة عن 'الذات' نفسها–وهذا هو حالها حقا في تلك اللحظة نفسها . إن المحلل يسمع كل شيء كما لو كان موجها إليه مباشرة ، مثلما يفعل الملك تماما . إن هذا التعرف على القياس التحليلي التقريبى أو على شفرته يجعلنا نفهم بصورة أوضح قوانين اللاشعوري كما صاغها فرويد : فى اللاشعوري لا توجد افتراضات [٢٠] أو أزمنة نحوية tenses [٢١] ، لا يوجد إنكار[٢٢] أو استشهاد . توضع " إذ " و " لكن " و " كما لو " في الخطاب اليومي على محور مختلف عن محور بناء الجملة ، كما بيَّن فرويد ذلك بأسلوب يقيني ، في عبارة توضح أنه لم يكن بمنأى عن الفلسفة كما كان

يزعم أحيانا وأنه كان يدرك حقا تعقُّد الموضوع الذي كان يؤسسه تعليقه على اللاشعوري "حتى فينومينولوجيا الأفكار الاستحواذية لم تكن قد لفتت الأنظار بالقدر الكافي " [٢٢] إن المحلل ، من ناحية ، يتجاهل الإنكار ويعالج علامات التنصيص 'اللامرئية' في أسلوب الكلام غير المباشر كما لو كان الكلام مسموعا ؛ ولكن المحلل قد يحاول ، من الناحية الأخرى وكما رأينا ، أن يعيد بجدية علامات التنصيص أو الافتراضات التي سقطت في عملية الحلم إلى كلام المريض . إن المحلل يتجاهل تركيب الجمل حتى يسمع اللاشعوري ، ويعيد بناءه حتى يفهمه . إن تدخلات المحلل لها هذان الجانبان دائما : إنه ، من ناحية ، حر في تشويش الصورة الفنتازية لملك اللغة الذي يُعاقب بصورة عشوائية بصرف النظر عما يقال ، وبصرف النظر عن أسلوب صياغته . وهذا المحور الفنتازي هو العلاقة الخيالية 'لضمير المتكلم' مع الأب . ومن الناحية الأخرى ، يسعى كل تدخل إلى إتاحة احتمالية لوجود اكتشاف نفهم من خلاله ما يقال " لضمير المتكلم "–سواء أكان من لاشعوره أم كان من فم المحلل–من موضع الآخر ، من مصادر اللغة .

II

فى كتاب **اللغة وأصول التحليل النفسى** *Language and the origins of psychoanalysis*، ابتكرتُ تعبير الأسلوب 'الافتراضى' أو 'النحوي' للتحليل ، لأصف الانشغال بالنحو ، والتحولات الأساسية للافتراضات التي توجد في بحث فرويد عن حالة شريبر Schreber وفي نصوصه الأخرى . يبين فرويد في حالة شريبر أن الافتراض الأساسي للذهان الذي يعاني منه يكمن فى التحول المشوّه الذى طرأ على جملة : " أنا أحبه ." (٢٤) ومن الواضح أنها طريقة نصية ، إننا نرى غالبا أن فرويد يستخدم استعارات مستمدة من الكتب حين يتكلم عن نصِّ العُصَاب . ومن أبرز هذه الأمثلة ، في الحقيقة ، حين شبه الإحالة في التاريخ المرضي لحالة دورا ، بطبعة جديدة لنص قديم . (٢٥)

يمكن النظر إلى تلك العملية التي ناقشتُها كثيرا ، حيث تتم رؤية عمل المحلل باعتباره شكلا من أشكال تحليل الضمائر النحوية يقترن بتحليل تركيب الجمل ، أو باعتباره تأرجحا بين اختزال تركيب الجملة والتوسع في تركيب الجملة ، يمكن النظر إليها باعتبارها امتدادا لهذه الطريقة ، وتعميقا للتحليل الذي قدمته . إلا أن ثمة شيئا مضلِّلا في هذه النماذج التحليلية . ويوجد ، بالمثل ، شيءٌ مضلِّلٌ في بعض طرق قراءة أعمال لاكان وتفسيرها . اشتهر جاك لاكان بالتأكيد على أهمية اللغة بالنسبة للتحليل النفسي . ومن عباراته المشهورة نتوقف عند : "يبنى اللاشعوري كلغةٍ " أو " اللاشعوري خطاب الآخر . " وإذا توغلنا أبعد من ذلك في النظرية اللاكانية ، فسوف تواجهنا تعقيدات نظرية الدال . وقد صرنا بفضل بعض النصوص التفسيرية على اطِّلاع ، إلى حد ما ، على قراءته اللسانية لبعض المفاهيم التحليلية الأخرى ، كمقولة إن الكبت استعارة والرغبة كناية . (٢٦) وبرهن لاكان أحيانا على أنه كان يعود إلى فرويد ، مزوِّدا إياه بنسخة منهجية واضحة من اللسانيات-اللسانيات البنيوية عند سوسير وياكبسون-ليردَّ إلى فرويد ما كان فرويديا حقا . وبعد ذلك يأتي الدال وعلاقته

بالمدلول ونظرية المعنى الرمزي والواقعي . وقد حظيت هذه الجوانب من نظرية لاكان ببعض الاهتمام واكتسبت بعضا من سوء السمعة نتيجة الصعوبة الفائقة في كتابات لاكان وفي نظريته .[٢٧] وأعطت أيضا انطباعا–انطباعا نتيجة السمعة الأوسع التي اكتسبها لاكان في البلاد الناطقة بالإنجليزية في الدوائر غير التحليلية أكثر مما في الدوائر التحليلية أو العلاجية–بأن لاكان منظِّرٌ بالأساس وأن لكتاباته في معظمها نتائج غير مباشرة بالنسبة للممارسات الفعلية للتحليل النفسي . ونسعى في هذا الفصل إلى توضيح العكس–لم يكن اهتمام لاكان الرئيسي بنظرية التحليل النفسي كنسق معقد ، سواء أكان نسقا للأنا أم كان نسقا للدال ، ولكنه كان يرتكز بالأحرى على كيف يصبح المرء محلِّلاً .

ومن ثم ، قد أُسأَل : لماذا تنأى كتابات لاكان إلى هذا الحد عن معظم الكتابات التحليلية، حيث يتم تقسيم المرضى بين الأنا egos والهو ids، أو بين اللاشعوري unconsciouses والشعوري consciouses فى النظرية التحليلية الكلاسيكية (أو إلى مختلف أنفس selves تلك الأخيرة) ، أو هل موضوعات تاريخ الحالات الإكلينيكية تمثل حكايات عن الحياة والعلاج ؟

وتكمن الإجابة في إدراك لاكان أن الكلام هو مادة عمل المحلل وأن وظيفة المحلل أن يسمع ويتدخل . على المرء ، وهو يعلم المحللين ، أن يتعلم ، مثلما فعل لاكان منذ أواخر الأربعينيات في سيميناره الأسبوعي ، أن يتعلم **كيف** يسمع **وكيف** يتدخل : كيف يتفوه بالكلام المناسب في اللحظة المناسبة .وسوف تحاول مختلف نماذج المواجهة التحليلية تقديم فكرة عن كيفية تحقيق هذا الهدف . ومن الواضح أن معرفة ما يعتقد المحلل أنه مرجع التدخل ومعرفة لمن يُوجَّه التدخل من العوامل الحاسمة في اكتشاف المحلل للطريقة المناسبة للتدخل .

إن كلام الجلسة التحليلية هو ما تتجاهله قراءتي المنهجية لفرويد وما تتجاهله قراءات لاكان المفرطة في نظريتها . لقد اهتم لاكان ، وهو في ذلك لا يشبه المخلصين من أتباع سوسير، اهتم بالكلام (parole) واللغة (langue) على حد سواء .[٢٨] وسوف أبرهن الآن على أن مفهوم لاكان للكلام كما يوجد في '**تقرير روما**' وهو بحث واعد–عنوانه : 'وظيفة الكلام واللغة [*langage*] ومجالهما في التحليل النفسي'– وفي مواضع كثيرة من سيميناره يرتبط هذا المفهوم ارتباطا قويا بفكر هايدجر ، وهي

حقيقة ذكرها آخرون ، [٢٩] بالإضافة إلى أنه ذو صلة قوية بمفهوم أفعال الكلام كما صاغه أوستن فى الوقت نفسه تقريبا .[٣٠]

في "تقرير روما " فهم لاكان نقطة البداية المطلوبة في فكر المحلل في كلام الجلسة على النحو التالي :

حتى إذا لم يوصل الخطاب شيئا فإنه يمثل وجود التواصل ؛ وحتى لو أنكر الدليل ، فهو يؤكد أن الكلام يمثل الحقيقة ؛ وحتى لو كان بهدف الخداع ، فالخطاب يتأمل الصدق في العبارة . [٣١]

ثم نظم لاكان مناقشته لوظيفة الكلام في التحليل حول ما أطلق عليه المفارقات الثلاث في علاقة الكلام باللغة . [٣٢] وأولى هذه المفارقات حين 'قام' كلام الشخص 'بمحاولة للإعلان عن نفسه'–ذهان ما يطلق عليه لاكان تشيؤ objectification الذات فى لغة بدون جدل . [٣٣]

والمفارقة الثانية في العلاقة بين الكلام واللغة تتمثل في دراسة العُصاب ، الحقل المتميز للممارسات التحليلية ، حيث يتم انتزاع الكلام من الخطاب العياني الذي ينظم شعور الذات ، ويجد دعامته في الوظائف الطبيعية للذات أو في الصور الذهنية . إلا أن لاكان يؤكد أن هذا الكلام ، على العكس مما يحدث في الذهان ، 'يوظَّف توظيفا كاملا ، لأنه يتضمن خطاب الآخر وغموض شفرته'. ثالثا ، قد تفقد الذات معناها في تشيؤ objectifications الخطاب . 'وهنا تكمن أعمق أشكال اغتراب الذات في حضارتنا العلمية '.

إن مفهوم اضطراب الآخر هو السمة المشتركة للخصائص الثلاث التي تميز الاضطراب في علاقة الكلام باللغة . ومفهوم لاكان عن اللاشعوري هو بالضبط : اللاشعوري خطاب الآخر .[٣٤] ولكن لهذا المفهوم هنا معنى قريبا ملموسا – ثمة خطأ يحدث حين نخاطب الآخر . وهذه الاعتبارات – الوظيفة التواصلية للكلام ، بعض مفاهيم اللغة المقيدة بشدة ، وكون الخطاب غير مناسب ويخطئ الهدف – وهي اعتبارات نظرية أفعال الكلام أيضا ، كما تُستهَلُّ بسؤال أوستن **كيف تصنع أشياء بالكلمات** .

إن أعمال أوستن تمثل بداية لنقد تجسيد reification الخطاب الموجود في الكثير من نظريات اللغة المتأثرة بالوضعية المنطقية والأعمال الأولى لفيتجنشتاين ، التي يرى فيها أن اللغة وصفية ، في المقام الأول ، أو تجسيدية constative . وبهذا المعنى تشير مناقشته إلى ثالث اضطرابات اللغة والكلام عند لاكان : اغتراب الذات في العلم . يسعى أوستن إلى وضع حد للنزاعات المسيطرة على الادعاءات الوضعية التي تقصر تقسيم العبارات إلى عبارات صائبة وأخرى خاطئة . وبدلا من إدراك الكلام باعتباره عبارات نختبر صوابها أو خطأها ، بيَّن أوستن أن معظم الكلام ليس له علاقة بالصواب أو الخطأ .[٢٥] وكانت لمناقشاته أحيانا وظيفة حاسمة : كالوظيفة العلاجية التي يعزوها فيتجنستاين للفلسفة ، وظيفة تسعى إلى شفائنا من بعض العادات اللغوية الرديئة . وتحقق ذلك بفطنة مميزة .

اعتاد الفلاسفة ، بالطبع ، أن يتحدثوا كما لو كنا ، أنت أو أنا أو أي شخص، نستطيع إعلان أي شيء عن أي شيء وسوف يكون ذلك في موضعه الدقيق ، إلا أن ثمة سؤالا بسيطا : هل هو صواب أم خطأ ؟ وبجانب السؤال البسيط ، هل هو صواب أم خطا ، توجد بالتأكيد أسئلة من قبيل : هل هو في موضعه المناسب ؟ هل تستطيع أن تعبر عن أي شيء ؟ افترض مثلا أنك تقول لي "أشعر ببعض الفتور هذا الصباح ." حسن ، سوف أقول لك 'لستَ فاترا' ؛ وسوف تردُّ "أي هراء تقصد ، ألستُ فاترا ؟ " وسوف أقول " أوه لا شيء – لم أقل إلا أنك لستَ فاترا ، هل هذا صواب أم خطأ ؟ " وسوف ترد 'انتظر لحظة سواء أكان ذلك صوابا أم خطأ ، فإن السؤال هو ماذا كنتَ تقصد بالتعبير عن مشاعر شخص آخر ؟ قلتُ لك أشعر ببعض الفتور . ولستَ في وضع يجعلك تقول أو تعلن أنني لست كذلك ." وهذا يعني أنك لا تستطيع التعبير عن مشاعر الآخرين (إلا أنك تستطيع أن تخمن شيئا بشأن مشاعرهم إذا كنت ترغب في ذلك) ...[٢٧]

لكن أوستن طوَّر أيضا نظرية أصيلة عن الكيفية التي يعمل بها الكلام . وبدلا من العبارات التي تنقسم إلى صواب وخطأ ، برهن على أن معظم ما نتفوه به فعل ، إنه ينجز–ومن ثم أطلق على ما نتفوه به ' المنجِزات performatives.' واختار أمثلة

لتوضيح كيف تكون أفعال الكلام تعليمية : إن عبارة «أقبل I do» تمثل عملية الزواج حين تنطق في حفل الزواج ؛ وتمثل كلمة ' "Done!" "خلاصة لقبول الرهان ؛ وعبارة ، 'أسمي هذه السفينة مستر ستالين '– هي عملية تسمية للسفينة وليست وصفا لها . والوعد هو الفعل الأكثر نموذجية وبروزا–ليس الوعد تعبيرا عن العالم ، إن التفوه بالوعد هو بكل وضوح عملية الوعد نفسها .(٣٨)

وهكذا لا يمكن ترجمةُ مثل هذا الكلام أو نَسْخُه في شكل يجعله يبدو وكأنه وصف – لا توجد كلمات أخرى تؤدي الدور الذي تقوم به في مثل هذه الظروف . ولا يستطيع المرء أن يقول : 'أعلن أنني أقبل' ، أو 'أعتقد أنني على صواب في تسمية هذه السفينة مستر ستالين .' إن هذا الكلام ما عاد يشبه فعل الكلام الذي كان يسعى إلى نسخه ؛ إنه لا يعادل عملية الزواج أو التسمية–إنه الآن شاهد على فعل الكلام الذي يخطئ الهدف .

ويمكن القول عموما ، إن التوأم الذي كان ينتقده أوستن في هذه النظرية هو، أولا ، الفكرة الوضعية عن اللغة بوصفها متوقفة على تقريب هزيل للعبارات العلمية ، وثانيا ، مفهوم أن الكلام تمثيل للحالات النفسية الداخلية . وقد ساهم لاكان في هذا النقد المزدوج : وقد دمجهما معا ، في الحقيقة ، في نقده لمفهوم الحالات النفسية الداخلية ، المفهوم الذي ظهر في سيكولوجيا الأنا العلمية في أمريكا بعد الحرب ، الذي جسد الحركة الجدلية التي فجرها الديالوج التحليلي . وهكذا حين ينتقد أوستن الرأي القائل بأن عبارة «أقبل I do» حين تقال في حفل الزواج تمثل تقريرا عن الحالة الداخلية للذهن وهذا التقرير إما أن يكون صائبا أو خاطئا ، يعرف أن هذا الرأي تتبناه ، ضمنيا ،الوضعية الأخلاقية ، وهو رأي لا يمكن أن يقبل أن تكون اللغة كفيله الخاص . ويوضح أوستن ببراعته المعتادة كيف أن مثل هذا الرأي الروحاني اللاأخلاقي قد يتيح لشخص يتزوج أن يتخلص من عبء المضارة بأن يقول :"إن حالتي الروحية الداخلية لم تكن تمثل التأكيد الصادق الذي ربما يكون تفوهي بالكلمات جعلك تؤمن به "وقد بيّن أوستن منسجما في ذلك مع الفكر القانوني ، كما هو الحال غالبا ، بيّن الأسباب الكامنة وراء عدم كفاية هذا الدفاع . إن كلمتنا في

حفل الزواج ، وفي كل أفعال الكلام في الحقيقة ، هي الرباط الذي يربطنا .[٣٩] وهكذا ، تتفوق كلمتنا على كل التأملات حول الحالات الباطنية .

إن فلسفة أوستن القانونية عموما ، حيث تكون كلمتنا هي رباطنا وحيث تتطلب الحياة الاجتماعية نوعا من التوقع بأن ما نقوله إذا لم يكن يمثل الحقيقة كلها فإنه سيكون على الأقل شبيها بها ، تتناغم هذه الفلسفة مع سلوكية فيتجنشتاين (إن معنى الكلمة هو استخدامها) ، وهكذا تقترب من مفهوم التعاقد بين الأشخاص ، ومن الرأى شبه الديني عن تفوق الكلمة-ويكرر لاكان هذه الموضوعات وينقحها في مفهومه للخطاب التحليلي . يتحدث لاكان عن القانون الرمزي الذي تجسده اللغة ، وعن الدور الحقيقي للشهادة ، وعن الوظيفة الاجتماعية لكلمة السر . ولا توجد وظيفة من هذه الوظائف ضمن التعليقات البنيوية على اللغة وهى تعليقات تزعم أنها تحلل قوانين **اللغة** *langue* (على نحو يكفي غالبا لتبدو كما لو كانت **لغة** *langage*) : يشترك كل من أوستن ولاكان في إدراك إن التفوه الفردي باللغة ، أي **الكلام** *parole* ، ليس مجرد شواهد ، كما جعل سوسير البعض يعتقد في ذلك ، لكن الكلام يمثل القلب من دراسة اللغة . ويتضح أيضا أن لاكان وأوستن لم يختارا السير في المسار الذي اتبعه علماء اللغة الاجتماعيون بعد تشومسكي ، [٤٠] أو الاثنوميثودولوجيين ، [الإثنوميثودولوجيا ethnomethodology : فرع من علم الاجتماع يسعى لفهم الحس العام لبنية المجتمع وتنظيمه-المترجم]: ورفض كل من أوستن ولاكان اعتبار التعليق الوظيفي على التواصل مفهوما أساسيا يشبه المفهوم الكانتي بالنسبة لتحليل المنطوق .[٤١] إن لاكان ، المحلِّل النفسيّ ، لا يمكن أن يفترض في لحظة أن اللغة تنجح في التواصل ، مثلما قد يفترض ذلك أي تعليق وظيفي : [٤٢] إن الوجود الحقيقي للتحليل النفسي دليل دائم على فشل التواصل . إن تحليل أوستن ، ذلك التحليل البارع لا يدعنا ننسى أبدا أن أفعال الكلام تُخطئ الهدف ، وهي أفعال باطلة ومزعومة وجوفاء وزائفة وفارغة-وأن إساءة الفهم قاعدة بقدر ما هي استثناء ، والهدف في معظم الأحيان يتمثل في فحص قاعدة الفهم وتبسيطها . حين يتوغل شخص في طقوس احتفال الزواج ويكون قد تزوج من قبل ، نقول ، طبقا لمفاهيم أوستن ، إن الاحتفال فارغ أو

إنه بدون فعالية .

وهذا لا يعني بالطبع أن نقول إننا لن نفعل شيئا : سيتم فعل أشياء جمة- سنرتكب فعل المضارة بشغف أكبر-لكننا لن نرتكب الفعل المزعوم ، أي الزواج . لأنك برغم الاسم لا تتزوج مرتين حين تكون متزوجا من امرأتين في وقت واحد[من الواضح أن المسألة تتعلق بسياق اجتماعي وثقافي محدد-المترجم] . (باختصار ، إن جبر الزواج جبر **بولي** BOOLEAN [نظام جبري طوره عالم الرياضيات الإنجليزي جورج بول في القرن التاسع عشر وينسب إليه-المترجم] .) (٤٣)

ويتضح أن هذه التصويبات الخاطئة ، والاستخدامات الخاطئة ، والإنجازات الخاطئة ، والتنفيذ الخاطئ أبناء عمومة من الدرجة الأولى لمجموعة أخرى من الظواهر اللسانية عزلها فرويد وأعاد تعميدها : الأخطاء ، أخطاء التسمية ، نسيان المواضع ، أخطاء الطباعة ، أخطاء القراءة-أو ما يعرف بالزلاّت الفرويدية .

إن تركيز أوستن على المنجز غير الناجح ، وهو نتيجة طبيعية لرأيه بأن هذه المنطوقات أفعال acts، وهي من ثم ، شأنها في ذلك شأن كل الأفعال التقليدية ، معرضة للفشل ، هذا التركيز يمنعه من تبني مفهوم خادع عن الكلام يرى أنه ينجح دائما . ومثل كل ما يذيب الفوارق ، يبطل هذا التفسير الوظيفي دوره ، حيث أن مفهوم النجاح الحقيقي يتحطم إذا لم يكن هناك فشل .(٤٤) ولكنّ ثمة مفهوما آخر عن اللغة وهو مفهوم شائع للغاية يتعرى حين تسلب قوته ألا وهو أن المتكلم والمستمع في موضعين متماثلين . إذا كان التحدث يعمل ، بدلا من أن يكون التفوه نطقا لعبارة عن العالمَ تغرس في عقل الآخر أو تنقل إليه بعد ذلك ، فإن طرفا واحدا يستطيع أن ينجز هذا الدور- بصرف النظر عن الشق الذي يكون على الآخر أن يلعبه، ولن يكون [هو أو هي] أداة . إن بعض أفعال الكلام تُحِدُّ ، في الواقع ، من الحرية المفترضة للمستمع في عملية النطق بها : يحدد أوستن مفهوما لأفعال الكلام التعبيرية سمته البارزة هي قدرته على تحويل الآخر أثناء عملية النطق .(٤٥) إن نقد أوستن ، ذلك النقد المزدوج للعلم والميثولوجيا المرتبطين بالحالة العقلية الداخلية ، يستفيد مرة أخرى من هذا

الاستنتاج . إن قابلية أي موضوع معرفي محدَّد ، قابليته للإحلال المتبادل على نحو كامل تمثل أحد الأسس الابستمولوجية للمعاهد وللمناهج العلمية ؛ ويمثل الاحتياج المثالي الدقيق للتجارب القابلة للتكرار ، ومفهوم الوسط الديموقراطي للعلماء ، جزءا من الأداة التي تحقق هذا الشرط الإبستمولوجي . ويكشف تعليق أوستن عن أفعال الكلام مدى غرابة مثل هذا المفهوم عن الإنسان في الاستخدام اليومي للكلام . وتحتاج تأويلات الوضع التحليلي المرتبطة بهذا المثال العلمي عن التماثل ، تحتاج إلى مثال يصور تلك الحالات الذهنية الداخلية التي يتم تقليدها ، بطريقة شاحبة أو بغيرها من الطرق ، في عقل من يسمع المنطوق . وهو ، بالضبط ، مثال التحليل النفسي كتواصل بين أنا ego وأنا ego، أو بين اللاشعوري واللاشعوري–وهو المثال الذي هاجمه لاكان .(٤٦) وقد ركزت مقاربة لاكان لهذه المسألة على مستويات معينة من فعل الكلام حيث تسلك الضمائر النحوية سلوكا غامضاً بعض الشيء .(٤٧)

إن سلوك الضمائر ، ذلك السلوك الخاص الذي أكد عليه لاكان كان شيئا ما دعاه " الكلام المؤسِّس founding speech -' وهو كطراز بدائي شكل من أشكال تسمية الآخر وهو أيضا تحول للذات .(٤٨) إن الكلام المؤسِّس يحوِّل كلا من الطرفين في عملية القول .

> إن الشكل الذي تفصح به اللغة عن نفسها يحدد الذاتية...إنه ينتسب إلى خطاب الآخر . وحيث أنه على هذا النحو فإنه يتوارى في الوظيفة الأعلى للكلام ، وبقدر ما يورط الكلام مؤلفَه في محاصرة الشخص الذي يتم توجيه الكلام إليه بواقع جديد ، وعلى سبيل المثال ، حين تسم الذات نفسها بشارة الزوجية بعبارة "أنتِ زوجتي" . وهذا الشكل هو بالأحرى الشكل الجوهري الذي ينبثق عنه الكلام الإنساني كله وليس الشكل الذي يصل إليه .(٤٩)

ويلقي التعليق التالي الضوء على تلك الفقرة من "**تقرير روما**" للاكان ، وهو التعليق الذي كتبه مولر Muller وريتشاردسون Richardson :

> ما **الشكل** *la forme*، **الشكل الجوهري** *la forme essentielle* الذي يمثل القضية التي نحن بصددها ؟ يبدو أنه سيكون ، طبقا لأمثلة لاكان ، ضمير الشخص الثاني المفرد [أنتَ ، أنتِ] حيث يتطلب ذلك فتح مجال يتضمن الآخر

بأسلوب جذري بحيث تعني مخاطبة الآخر (ليس فقط بالتصريحات الجليلة) حصاره بواقع جديد ، بدور جديد ، دور المستجيب على الأقل .(٥٠)

يتم تحويل الآخر ؛ لكن الوجه الحاسم للكلام المؤسِّس في رأي لاكان هو أن الذات، أيضا ، يتم تحويلها . وتستدعي مثل هذه القضايا بالضرورة قضيةً أخرى ، تتعلق "بضمير المتكلم" : ""أنا زوجك" . وهذه المنطوقات بكل تأكيد أفعال تتم بواسطة الكلام بالمعنى الذي يقصده أوستن ، حتى لو لم تشتمل على أفعال نحوية منجِزة ؛ وهي في الواقع تتجاوز تلك الأفعال acts التي درسها على نحو أدق ، تتجاوزها في تضمينها **بالضرورة** لكل من الذات والآخر في الفعل act . (٥١)

وبالطبع ، لن يعتقد شخص سليم العقل أن السؤال عما إذا كنت أقول الحقيقة حين أقول: 'أحبك' يقتضي مني تأكيدا من نوع التأكيدات التي أقدمها حين يوجَّه إليَّ سؤال عن قولي "ستبقى هذه الصخور خضراء حتى عام ٢٠٠٠ " . إن إدراك هذا يؤكد وصف لاكان للتناقض بين الكلام واللغة :

> حين تصبح اللغة أكثر وظيفية ، تصبح غير ملائمة للكلام ، وحين تصبح أكثر خصوصية بالنسبة لنا ، تفقد وظيفتها كلغة .(٥٢)

يشير التحليل النفسي إلى تحول الذات . ويشير أحيانا إلى 'الكلام التام'–يناظر الكلام المؤسِّس في نصوص لاكان :

> إن الكلام التام full speech هو الكلام الذي يشير إلى الحقيقة ويشكلها بالصورة التي يرسخها الآخر في عقل شخص ما . الكلام التام هو الكلام المنجِز (qui fait acte) . ثم تصير الذات ذاتا أخرى غير التي كانت من قبل . ولذا لا يمكن تجاهل هذا البعد في الخبرة التحليلية .(٥٣)

يشير التحليل إلى تحول من هذا القبيل ، إلا أنه يقع فريسة للصورة الجانبية كنوع من المباريات ، كشكل من أشكال اللعب ، كتجربة ، أو **كتقليد** وهمي للواقع .(٥٤) إلا أن وسائله ، بصورة تنطوي على مفارقة ، هي وسائل غير الموثوق به وغير المسئول :

> إذا كان المنهج التحليلي يشير إلى تحقيق الكلام التام فإنه يبدأ على مسار يقود

> إلى اتجاه مضاد تماما ، طالما كان يرشد الشخص إلى تخطيط كلام يخلو بقدر الإمكان من أي احتمال للمسئولية ويحرره حتى من أي توقع لأن يكون موضع ثقة . إنه يدعوه إلى قول كل ما يرد إلى ذهنه . وهو بهذه الوسيلة الأصيلة يُيسِّر ، وهو أقل ما يمكن أن يقال ، العودة إلى المسار الذي يكون ، في الكلام ، تحت مستوى الإدراك ويخصُّ الطرف الثالث ، الموضوع.[٥٥]

يمكن توجيه الكلام إلى طرف ثالث ، إلى الموضوع ، أو يمكن له توضيح البعد الذي يحقق فيه المتكلم والمستمع الإدراك المتبادل الذي يمثل شرطا مسبقا للكلام نفسه ، أو يكونان مازالا في عملية تحقيق هذا الإدراك ، أو يفشلان في تحقيقه . إن عملية التسمية نموذج للشرط الضمني الذي يتحقق في عملية الكلام ذاتها . حين أقول «أسمِّي هذه السفينة سفينة التحليل النفسي الرائعة» فإن ذلك يتضمن أن هذا هو الاسم الذي تطلقه عليها **أنت** أيضا–وإذا لم تَدْعُها **أنت** به ، فإنني لا أكون قد سميتها . ولكن ليس عليَّ أن آخذ الإذن منك حين أطلق عليها ذلك الاسم ؛ ما أقوم به هو أن أتوقع موافقتك.[٥٦]

وبصورة عامة ، يمكن أن نقول إن المحور الذي تدور حوله وظيفتا الكلام اللتان نحن بصددهما هو «ضمير المخاطَب you» : كمخاطَب ، كمرآة 'لضمير المتكلم' ، كنقطة للتوقف المنتظم باتجاه الطرف الثالث ، الشخص الثالث ، موضوع الكلام–ما يتكلم عنه المرء.[٥٧] إنها حركة الكلام ، حركته المزدوجة التي يركز عليها لاكان هنا :

> تقدم الوظيفةُ الرمزية نفسَها كحركةٍ مزدوجة داخل الذات : يصنع الإنسان موضوعا للفعل الذي يقوم به ، وهو لا يفعل ذلك إلا ليعيد لهذا الفعل ، في الوقت المناسب ، موضعَه كفعل مؤسِّس.[٥٨]

إن ابتكار الموضوع ، أو الانتباه المناسب له ، يشغل الذات المتكلمة ، في معظم الأحيان ، لدرجة إقصاء الفعل المؤسس ، وهو الفعل الذي يتم خلاله تحول كل من المتكلم والمستمع .

وقد يظنُّ المرء ، من الأمثلة التي اختارها لاكان ، أننا في الكلام المؤسس نتعامل مع المصطلحات الثنائية كما حددها القاموس : السيد/التابع ، الزوج/الزوجة . ولكن

لاكان يقدم مثالا آخر في **السيمينار الثالث** يشير إلى أن تلك التأثيرات ، مع أن تلك الأمثلة تقدم أبرز الشواهد على تحوُّل الذات بسلطة الآخر ، لا تقتصر على تلك الثنائيات ، وأن للتفوه بجملة مؤسسة من هذا القبيل تأثيرات بالغة الدقة . ويقترح الجملتين التاليتين :

١-"أنتَ الذي تتبعني Tu es celui qui me suivras"

٢- "أنت الذي يتبعني Tu es celui qui me suivra"

تعتمد الجملة الأولى على بناء لا يتوفر في الإنجليزية (وهو باروكي ونادر في الفرنسية) : لا يتفق الفعل مع اسم الإشارة 'للشخص الثالث' المجهول في العبارة ، ولكنه يتفق مع ضمير المفرد للشخص الثاني في العبارة الأساسية main clause. وحتى يصف لاكان الجملة الثانية ، فإنه يستخدم المصطلح الذي استخدمه أوستن : مصطلح تجسيدي constative . تتحدث الجملة الثانية عن وضع مستقبلي لأمر من الأمور ، وتبدو وكأنها تصف هذا الوضع . 'أنت' من سوف يتبعني . ويكاد الأمر يبدو وكأن الشخص الأول كان يعطي وعدا بالنيابة عن الثاني ، وهكذا يتوقع قيام الشخص الثاني بهذا الأمر . إن التحدث عن وضع الأمور قناع لاغتصاب فعل الآخر مما يجعل فحوى التعبير يتحول بسهولة إلى اضطهاد : ذاك الشخص يتبعني . وتعني حقيقة أن الفعل يعود إلى الشخص الثالث ، تعني أن المسافة بين 'ضمير المخاطب Tu' الموجود والشخص (الثالث) التابع [للفعل] محذوفة ؛ ويتطلب هذا الحذف وجود 'ضمير المتكلم" المتضمَن في الجملة ليتبنى وضعا مناظرا .

تدلُّ الجملة الأولى ، التي تحتوي على 'تتبع' ، الفعل الذي يعود إلى الشخص الثاني على إيمان المتكلم بأن «المخاطَب Tu» سوف يتبعه ، بينما تنم الجملة الثانية عن يقين المتكلم بدلا من الثقة . وقد نقول إن 'ضمير المتكلم' متورط في دعوى خاصة ضد الآخر ، 'أنت' ، أو في احتياج إليه . ويبدو هذا بصورة أكثر وضوحا في المثال الآخر الذي يقدمه لاكان : «أنتِ المرأة التي لن تهجرني Tu es la femme qui ne m'abandonnera(s) pas» وحين يعود الفعل ، «تهجر abandonnera» إلى الشخص الثالث ، فإن التأكيد في " أنت المرأة التي لن تهجرني" يكاد يكون نوعا من

التهديد . ومع الفعل الذي يعود إلى الشخص الثاني ، يتم إعلان رغبة المتكلم ، رغبته في ألا يُهجَر ، إنه بدقة يعزو للآخر قدرا أكبر من الحرية .

يدعو لاكان هذه الوظيفة اللغوية «توسل invocation» بكل ما يحمله المصطلح من دلالات دينية . ويضيف :

> إن التوسـل ليس صيغة خـاملة . إنه الطـريقة التي آتـي بها إلى الوجـود *[je fais passer]* في إيمان الآخر الذي هو إيماني .(٥٩)

إنه ، بمصطلحات أوستن ، إيمان تعبيري a perlocutionary faith. ولكن لاكان يلمح إلى بُعْد العرف ، بعد التعاقد ، إلى ميثاق اللغة . لاشيء وراء الكلام الذي يؤسسه ؛ إلا أنه يبدو وكأنه يتأسس على ميثاق . وتجلب كل ممارسة للكلام معها احتمالية تحطيم الميثاق ، واحتمالية أن الآخر ينوي خداعي ، حتى وهو يقول الحقيقة. إن كلام أوستن واضح تماما فيما يتعلق بالأساس التعاقدي لأفعال الكلام ؛ ويتضمنه كلام سيرل Searle حين يشير إلى نظريات تقريرية للتواصل وإلى ضرورة مفهوم القاعدة لتحليل الأفعال الكلامية . (٦٠) وفيما يتعلق بذلك يمثل الوعد مثالا نموذجيا بالنسبة لسيرل وأوستن ولاكان :

> إن اللاشعوريَّ خطابُ الآخرِ Other، الذي تَستقبِلُ فيه الذات ، في شكل مقلوب يلائم الوعد ، رسالتَها الخاصة المفقودة .(٦١)

لماذا في شكل مقلوب ؟ إذا اعتبرنا الوعد تنظيما اجتماعيا للحاضر ، تنظيما لتأكيد يتعلق بالمستقبل ،(٦٢) فإن ما يبرز هو قلب لعلاقات المستقبل والحاضر . لنأخذ وعدا معروفا وأساسيا بكل ما تحمله الكلمة : " أعد بأن أدفع لحامله عند الطلب ما قيمته..." وإذا وُجِد أيُّ شخص في أي وقت في وضع يكون مضطرا فيه إلى هذا الطلب ، فإننا نعرف ، وكما يقال ، إن هذا الوعد لن يساوي قيمة الورقة التي كتب عليها . إن هذا الوعد المتعلق بالمستقبل فعلِ كلامي محض ، ولا يكفل علاقة التبادل المحض سوى واقع (مالي) ، بقدر انحراف الطلب إلى موضع آخر (عموما ، أو تعلقه بتنفيذ ما قدمه الوعد) ، في دائرة لا تنتهي تستمر بالوعد ويستمر بها . ووعد من هذا

القبيل ، وعلينا أن نصدقه حتى يعتبر نموذجا للوعود ، وهو الأكثر نموذجية بين كل الأفعال الكلامية ، يحدد كيف تكون عملية الكلام كفيله الخاص . ولا يمكن إلا لمخيلة البخيل ، جذر الواقعية الميتافيزيقية والواقعية الاجتماعية ، أن تتخيل أن قدرة البنك على أن 'يفي' بمثل هذا الوعد ستضعف إذا أصبح كل الذهب الذي في قبائه مُشِعًا . والثقة هنا نفسية في الواقع ، نتيجة اليقين بأن ذلك الوعد لن يتم التخلي عنه أبدا .(٦٤)

وقد عبر لاكان عن ذلك بأسلوب آخر ، وربما يكون أبسط :

إنك تعرف تلك الرسائل messages التي ترسلها الذات في شكل يبنيها ويضبطها نحويا ، بمجرد أن تصل من الآخر ، في صورة مقلوبة . حين تقول ذات لأخرى **أنتَ سيدي** أو **أنتِ زوجتي** ، فإن ذلك يعني العكس تماما . إنها تمرُّ عن طريق **الآخر** Other وعن طريق الأنا ego ، ثم تؤثر في الذات ، التي تُتَوَّج فجأة في وضع الزوجة أو التابع وهو وضع خطر ومثير للمشاكل .(٦٥)

إن الثقة ، الميثاق ، العقد الاجتماعي ، مؤسسة الزواج ، "الحقائق المؤسسية"(٦٦) – تجعل لاكان يستدعي إيماني باعتباري متكلما ، في علاقتي بهذا **الآخر** وهو ليس "سوى الكفيل **لحسن النية** التي تستدعى بالضرورة ، حتى بواسطة المخادع، بمجرد أن يصبح ميثاق الكلام ، وليس مسارات paths [*passes*] الصراع أو الرغبة ، هو موضوع المناقشة".(٦٧) ومن المؤكد أيضا أنه لا يتطابق مع نقد سارتر للتحليل النفسي ، وقد اطّلع عليه لاكان اطلاعا كافيا إلى أبعد الحدود ، وهو نقد موجه إلى عدم كفاية التفسير الذي قدمه التحليل النفسي لسوء النية–باعتباره مشروطا باعتراف الجميع بقراءته الميكانيكية للتحليل النفسي .(٦٨) وهنا ، مرة أخرى ، تتضمن ممارسة التحليل النفسي قلبا غريبا بالصورة التي وضحتُها من قبل ، نطلب من الذات في التحليل أن تتخلى عن أي عزم على الإخلاص ، وأن تتخلى عن كل كفاح من أجل الثقة .

في التحليل يبعد المرء عن ذهنه أي وسيلة للأمان في علاقة التحدث ، يتحاشى المرء الكياسة والاحترام والإحساس بالواجب تجاه الآخر . **التداعي الحر** *free association*، وياله من مصطلح شديد الفقر فيما يتعلق بتوضيح ما يتم تضمينه–إننا نحاول استبعاد وسائل الأمان في المحادثة مع الآخر . وبعد ذلك ،

تتحرك الذات في هذا العالم اللغوي الذي نورطها فيه .(٦٩)

إن القاعدة الأساسية تحضُّ على التصرف بدون مسئولية ، مع أنها لا تتطلب ذلك . إلا أنها في هذا " الكلام الحر " ، المتحرر من وسائله الآمنة ، تستبعد ، ربما بطريقة يمكن تأكيدها ، فقدان الذات لروابطها . وهكذا تتضح روابط الذات ، **نقط تماسكها** points de capitons : في الكلام الموثوق به الذي تقدمه للمحلل ويحتاج إليه . وإذا بدا أن الذي يعاني من الأفكار الاستحواذية يعتقد أن اللغة اكتُشفَتْ لتحول بينه وبين معرفة أي شيء ، حتى رغبته ، فإن الهستيري يجد في الكلام وسيلة فريدة لاختبار سذاجة الآخر ، وقاحته في الواقع ، واختبار تحديد ما إذا كان يمكنه أن يعثر على شخص يعطيه إجابة تختبر وجود حسن النية .(٧٠)

ما المصطلح الأكثر ملاءمة للاستخدام في هذه النقطة المفْصَليَّة ؟ يؤيد سيرل بقوة مصطلح 'الاقتراف commitment' ؛(٧١) ويستخدم لاكان ، غالبا ، الفعل '**يجند** engager.' إننا هنا نتعامل مع منطقة تتضمن روابط وارتباطات اجتماعية ، مع الأسمنت الحقيقي للاجتماعي والمؤسسي–مع **الرمزي** . ويوضح لاكان ذلك ببراعة فائقة فيما يتعلق بمريضة من مرضى بلنت لم تستطع الاستمرار في التحليل لأنها كانت تدرك ، وهي صائبة في ذلك ، أن الحديث المسئول سيكون مؤلما . وذات يوم، ثرثرت أثناء التحليل أكثر من المعتاد ، واكتشف المحلل ما كانت تتملص منه : التسليم بأن معها في حقيبتها رسالة ، مرجعا شخصيا يقول إنها شخصية جديرة بالثقة. وهو ما لا تستطيع أن تجاهر به . ويستمر التحليل من تلك اللحظة . ويكتب لاكان معلقا على ذلك :

وهكذا حتى لا تتورط ، وهي في عالم الراشدين ، حيث يمكن أن نقول إن المرء يجبر دائما على الكدح ، تثرثر بحيث لا تقول شيئا وبحيث تملأ الجلسات بكلام فارغ . ويمكن أن نتوقف لحظة للتفكير في حقيقة أن الطفل أيضا لديه ما يقوله . إن كلامه ليس فارغا . إنه مليء بالمعنى مثل كلام كل الراشدين . إنه مليء بالمعنى الذي يدهش الراشدين في الكثير من الأحيان–انظر ، **ياله من طفل رائع ، ذلك الصغير الحلو ! ألم تسمع ما قال في ذلك اليوم ؟** ... وربما يكون الكلام المدهش

الذي يتفوه به الطفل كلاما متعاليا transcendental، وحي من السماء ، جواب الإله الصـــغـــيـــر ، ومن الواضح أنه لا يورطه في أي شيء..في مـــوقف الإحالة...القضية هي قيمة الكلام ، ولم تعد تقاس بقدر ما يخلق من التباس أساسي ، ولكن بقدر ما يؤدي وظيفة الرمزي ، وظيفة الميثاق الذي يربط الذوات معا في فعل واحد .(٧٢)

وتتشعب هذه الشبكة من 'الكلام' في نص لاكان ، حتى نتمكن من رؤية تاريخ الذات ، تاريخها الكامل كسلالة من الاقترافات والمواثيق ، حيث تدخل الذات ، إلى حد بعيد وبدون أن تعرف كيف حدث ذلك :

ليس على كل ذات أن تدرك العالم ، وكأنه يحدث برمته علي المستوى الفكري ، ما عليها هو أن تعثر على طريقها فيه . وإذا كان التحليل النفسي يعني شيئا ، فهو يعني أنها تنهمك في شيء له علاقة باللغة لكنه لا يشبهها ، وعليها أن تعثر على طريقها فيه-إنه الخطاب العام. وغالبا ما أكدت أن الذات قبل ميلادها ، يُنظَر إليها ليس باعتبارها مرسلة ، ولكن باعتبارها أصغر جزء في الخطاب العياني . إنها برمتها تكمن في هذا الخطاب ، وإن شئتَ ، فهي رسالة .(٧٣)

ولا يستطيع المحلل أن يبقي على مثل هذا الوضع الأوليمبي في الصراع المباشر في الجلسة . لغط الخطاب العام – وانغماس الذات فيه ، بمعنى أن تكون فيه حاملة لرسائل أسلافها ، نتيجة 'لكل فسوق آبائنا وأجدادنا ، وغير ذلك من الحكايات المخزية التي منحت التحليل النفسي إثارته'(٧٤) -إن هذا كله يشبه تكسُّر أمواج البحر الذي نسمعه ونحن نواصل السير بطول الطرق الساحلية التي تشكل خطاب الذات التحليلية المتحدثة وحياتها اليومية . وسوف يضطر المحلل إلى التقاط صدى حياة أفسدها رباط الزواج المحطَّم في اللامبالاة التي تصل إليها الذات متأخرة حين تسنح لها الفرصة . وقد عرف فرويد ، بالطبع ، كيف يسمع هذا اللغط . وحتى في **دراسات عن الهستيريا** ، يمكن أن نقرأ ، بين السطور بصورة لا يمكن إنكارها ، وبدون جهد كبير ، كيف أن مس لوسي .Miss Lucy R المربية الي وقعتْ في حب مستخدمها الأرمل ، تَشكَّلَ عُصابُها نتيجة الوضع شديد الوطأة الذي وضعها فيه حفاظا على وعدها أو تحطيما

له ، ويمكن أن نسمع وراء ذلك لغط التقمص الشاق مع أمها :

ـ'هل كان هناك شيء خاص ، بعيدا عن ولع الأطفال بك ، وراء ارتباطك بهم ؟'

ـ'نعم . كانت أمهم قريبة لأمي من بعيد ، وقد وعدتها وهي على سرير الموت أنني سوف أكرِّسُ نفسي للأطفال بكل ما أملك من قوة ، ولن أتركهم وسأكون في مكان أمهم . وقد حطمتُ بهذا الإعلان ذلك الوعد ".(٧٥)

إن مقولة لاكان عن 'الكلام المؤسِّس' تمضي خطوة أبعد من وصف أوستن لأفعال الكلام عموما ، ولكنها خطوة في الاتجاه نفسه : إن الكلام المؤسس توسُّلٌ يتم فيه تعديل **ضمير المتكلم وضمير المخاطب** في الوقت ذاته . ويمكن أن ندرك المدى الذي تبعده هذه الخطوة عن أوستن بتأمل أحد أمثلة أوستن : حفل الزواج . إنه يقول كل شيء عن الزواج ، وعن احتمالية المضارة والظروف الاحتفالية التي تكفل إتمام الزواج—وكل هذا منيرٌ ومُلهٍ وعميقٌ . لكنه يستوعب سمة من أبرز سمات الزواج في مقولة عن العُرْف لم تختبر : إنك حقا تحتاج إلى شخصين يقول كل منهما «أَقْبَلُ I do» ليتم الزواج ، أو كما يقال ، لينعقد الزواج .

ومهما يكن ، فإننا ندرك هذه الفكرة عن العرف وكأن كل ما تحتاج إليه لتتم هو أن تقف كل ذات بمفردها في الوضع نفسه وجها لوجه مع القاعدة التي تحكمها ثم تتبع هذه القاعدة، وتمحو الاعتماد المتبادل على نحو خاص ، حيث لا يتبع الطرفان القاعدةَ نفسَها بصورة دقيقة . ومع ذلك ، يتزوج كل منهما الآخر ، ويرتبطان في مؤسسة الزواج . تخيل أن أحد الشخصين يقول «أقبل I do» بينما الطرف الآخر يفرُّ من المذبح في اللحظة الأخيرة . ما الوضع الذي تحتله 'أقبل I do ' الأولى حين تستعاد ؟ ومن الواضح أنها تستقبل الاعتراف كعهد مقدس من 'أقبل' الأخرى—وليس من الحالة الداخلية ، حالة الإخلاص أو العزم . إن "أقبل" الأولى تتضمن ، بتعبير آخر ، شيئا من قبيل بشرط أن 'تقبل أنت الآخر '. وبالطبع لا يمكن لأحد أن يقول ذلك – لأن هذا القول يغير من طبيعة الفعل الكلامي . تخيل أن الطرف الأول قال "أقبل بشرط أن تقبل" سوف تدبُّ الريبة بين الطرفين ، ويتم إيذاء بعض المشاعر العميقة .(٧٦)

إن الشاهد الخيالي يبين مدى قرب مثال أوستن ، المثال الأثير عن الزواج و

الرّهان والتسمية ، من النقطة الأثيرة عند لاكان : أعني الرابطة الحميمة المتبادلة بين "ضمير المتكلم" و"ضمير المخاطَب" في الكلام المؤسس .

III

إن الخطوة التالية التي أود أن أخطوها خطوة بسيطة ، لكنها أخطر خطوة ، إنها ستعود بنا إلى فرويد .[٧٧] وتتمثل في أن هذا الاستخدام البارز للضمائر ، تحول المتكلم والمستمع ، في الوضع التحليلي يُدْعَى "إحالة [أو طرحا أو تحويلا] transference" . والشيء الحاسم هو أن المحلل يتفاعل مع هذا الانبثاق للكلام المؤسس ، ومع هذه الضمائر المحوّلة ، على حد سواء بطريقة لافتة للنظر . والتحول ، في رأي لاكان ، يتم مباشرة من الكلام المؤسس إلى الإحالة . وكان يلمح إلى أن المحللين النفسيين كانوا (ومن المحتمل تماما أن يكونوا) وحدهم ذوي حساسية مفرطة لبُعْد الكلام المؤسس ، الذي تتحول فيه علاقة المتكلم والمستمع ، لأن ذلك هو ما تمثله الإحالة .

> إن الإحالة الفعالة التي نضعها في اعتبارنا هي بكل بساطة ، في جوهرها ، فعل الكلام . وفي كل مرة يتحدث فيها إنسان إلى إنسان بصورة مكتملة تدعو للثقة ، توجد ، بالمعنى الحقيقي، إحالة ، إحالة رمزية-شيء ما يتم ويبدِّل طبيعة الاثنين الحاضرين .[٧٨]

وأحد التعريفات المناسبة للإحالة ، رغم بساطته ، هو : الإحالة هي أية إشارة من المحلَّل إلى شخص المحلِّل ، أو إلى الموقف الحالي الذي يدور فيه الديالوج .[٧٩] ولنأخذ مثالا بسيطا : [٨٠] حين ذكر فرويد في كتاباته ، للمرة الأولى ، شيئا يسميه الإحالة .

> في مريضة من مرضاي يكمن أصل أحد الأعراض الهستيرية الخاصة في أمنية كانت تتمناها منذ سنوات طويلة واستقرّتْ في اللاشعوري ، كانت تتمنى أن يبادر الرجل الذي كانت تحدثه في ذلك الوقت بتقبيلها في جرأة . وذات مرة ، في نهاية إحدى الجلسات ، وردت إلى ذهنها فكرة مماثلة تتعلق بي . وأصيبتْ

بالهلع نتيجة لهذه الفكرة ، وقضت الليلة مؤرقة ، وفي الجلسة التالية، كانت غير متعاونة على الإطلاق مع أنها لم ترفض العلاج . وبعد أن اكتشفتُ العقبة وأزلتُها ، تقدم العمل معها بصورة ملحوظة ؛ يالها من أمنية أصابت المريضة بالرعب إلى هذا الحد ، أمنية ظهرت وكأنها تالية لحالتها المرضية وهي الأمنية التي تطلبها السياق المنطقي المباشر .(٨١)

يوجد ، دائما ، شيء موحش إلى حد ما في هذه الفقرة . يتجاهل فرويد ، في صمت، الوسيلةَ الدقيقة التي أزال بها العقبة ، ويأخذنا بعد ذلك إلى فخامة الخطابة 'يالها'-مع أن عليَّ أن أقول إنها إضافة إلى الترجمة الإنجليزية ، إضافة لا مبرر لها مع أنها لا تشذُّ عن النغمة الأصلية : ربما أضافها ستراشي Strachey ليؤكد شعور فرويد بالراحة بمجرد التغلب على تلك العقبة . ماذا كانت العقبة ؟

كانت المريضة تفكر : 'لماذا لا يبادر ويقبِّلني ؟' ثمة شيء فريد في هذا النوع من التفكير : هل تتحقق الأمنية بأن يبادر شخص آخر بتحقيقها ، ويكون بريئا من المسئولية ؟ وبتعبير آخر ، ألم يكن شقُّ المنجز إلى المنتصف ، بحيث يبدو الآخر كآلة أتوماتيكية عنيدة ، يعمل بمفهوم أوستن، ويعمل في الواقع منطلقا من أمنيات الآخر ؟ لأتركْ هذا السؤال جانبا : إن المفارقة متأصلة في المنطق الحقيقي للإغواء ، إنه اغتصاب (راجع الفصل الرابع [من الأصل الإنجليزي وهو بعنوان 'الاغتصاب والإغواء والتحليل النفسي' - المترجم]). إنه كالزواج تماما-إن لم يكن أكثر-لا يمكن أن تفعله وحدك .

ولكن لنعدْ مرة أخرى إلى العقبة وأمنية المريضة في قُبْلة . لاحظ أن ما يجعله فرويد يتذبذب في الأمنية هو "ضمير المفرد الغائب he"، مستعيرا دافعه من الحقيقة اللغوية التي ترى أن عملية التحدث هي التي تعطي هذا المحوِّل shifter مرجعيته . وهكذا ، تتمنى أن يعطيها 'هو' قبلة، وهذه الأمنية هي السر وراء عذابها في ليلتها المؤرقة . كيف تغلَّب فرويد على هذه العقبة ؟ من الواضح أنه قادها ، بصورة غير محددة ، إلى التصريح بأنها تمنتْ أن يقبلها ؛ وربما جعلها تنطق جملة من قبيل : "أريد منك أن تقبلني ." والأرجح أن فرويد ، ولأنه فرويد ، أعطاها محاضرة من

محاضراته البسيطة في السيكولوجيا (مثلما فعل مع رتمان ، في الجلسات التي ناقشناها في بداية هذا الفصل) ؛ لكن جوهر تلك المحاضرة لابد أن يكون شيئا على النحو التالي : لستُ 'أنا' من تتمنين تقبيله–ثمة خطأ في الضمير الذي تستخدمينه هنا . وينشأ الخطأ عن شيء لا تدركينه ، عن شيء لاشعوري–إن 'ضمير المتكلم' في جملتك لا يريد الاعتراف .(٨٢)

حدث شيء معقد ، وقع "خطأ" (لأنه ، رغم كل شيء ، من سيقول له إنه يشير حقا؟) مع الضميرين ، 'ضمير المتكلم' و'ضمير المخاطب'–أي مع ما يعزى إليه تأويل الإحالة . إن وراء ما يبدو أنه 'ضمير المخاطب' المحدد يوجد 'ضمير الغائب' غير المحدد ، ويحدده الخطاب باعتبار أنه 'ضمير المخاطب' ويوضحه المحلِّل بأنه 'ليس أنا' ثم يسمح لمشهد الذاكرة بالانبثاق : إن 'ضمير الغائب' يصبح ذلك الرجل الآخر ، باسمه ، باسمه الحقيقي ، وبوصفه . ويعبر فرويد عن هذا كله بوضوح وبراعة ، حين يلخص طبيعة العقبة على النحو التالي :

> إنها تكمن في حثِّ المريضة على التفوه ببعض المعلومات حين يبدو الأمر وكأن العلاقات الشخصية كانت موضع الاهتمام وحين كان الشخص الثالث يأخذ صورة الطبيب .(٨٣)

هنا يبدأ الشخص الثالث حياته التحليلية باعتباره شخصا ثالثا على المستوى النحوي . وعملية تصنيف ضمائر المتكلم 'I's وضمائر المخاطَب 'you's وضمائر المفرد الغائب 'he's هي عملية تحليل نحوي . إلا أنها أيضا عملية تصنيف لأفعال الكلام التي على علاقة بالموضوع . ولا يكتفي فرويد بتفكيك الضمائر التي تمت إزاحتها وإحالتها ؛ إنه يجدِّد بُعْد 'الأمنية' في الصورة المضطربة في ذهن المريضة عن الرجل الذي يقبلها . وعملية التجديد تلك هي التي تشير إلى أن التفسير يتضمن بُعْد القوة مرتبطا بأفعال الكلام .(٤٨) بينما كان فرويد يتأمل "فينومينولوجيا التفكير الاستحواذي" وهو تأمل ضروري لفهم مرضى الوسواس القهري وعلاجهم ، كتب:

> ...سيكون من الصواب أن نتكلم عن "تفكير المريض بالوسواس القهري" [بدلا من الكلام عن أفكار الوسواس القهري]، وأن نوضح أن البنيات الاستحواذية

يمكن أن تتماثل مع كل أنواع الأفعال النفسية . ويمكن أن تُصنَّف باعتبارها أمنياتٍ أو إغراءً أو اندفاعًا أو انعكاسات أو شكوكا أو أوامر أو نواهي . ويسعى المرضى عموما إلى تقليل الفوارق وإلى اعتبار ما يتبقى من هذه الأفعال النفسية بعد تجريدها من المؤشِّر العاطفي affective index 'أفكار الوسواس القهري'. وقدم مريضنا الحالي مثالا لهذا النوع من السلوك في إحدى الجلسات الأولى ، حين حاول تقليص الأمنية إلى مجرد شكل من أشكال 'تسلسل التفكير' .(٨٥)

ويمكن لنا أن نقول إن هذه الصياغة تتيح لنا أن نتعرف على البعد العاطفي ، وعلى بعد الطاقة ، أو ما يدعوه فرويد في هذه الفقرة *Affektindex* [المؤشر العاطفي] ،(٨٦) في العلاقات بين الطرفين . ويرجع ذلك إلى أن مقولة الكلام تغطي المجال نفسه الذي تغطيه مقولة العاطفة : مجال التمني والخوف والوعد والشعور باللذة والارتياب، إلى آخره . (٨٧)

وأودُّ الآن أن أنتقل إلى فقرة أخرى من تعليق فرويد على جلساته مع رتمان Ratman ، لأجمع كل هذه الموضوعات معا . والفقرة مقتبسة من الجلسة الثانية مع المريض . كان يحاول وصف الخبرة التي جعلته يبحث عن مساعدة فرويد . أثناء المناورات العسكرية ، التقى بكابتن كان مغرما بالوحشية غراما شديدا ، وحكى له قصةً عن شكل مروِّع للغاية من أشكال التعذيب المعتاد في الشرق :

هنا توقف المريض فجأة ، وغادر الأريكة . والتمس مني أن أعفيه من سرد التفاصيل . وطمأنتُه بأن أعلنت له أنني لا أستسيغ الوحشية ، ومن المؤكد أنني لا أرغب في تعذيبه ، ومن الطبيعي أنني لا أستطيع أن أعرِّضه لشيء يفوق قدرتي . وربما كان يبدو ، بالضبط ، وكأنه يطلب مني القمر . وكان التغلُّب على المقاومة هو قانون العلاج ، ولا يمكن الاستغناء عنه تحت أي اعتبار... واصلتُ القول إنني سأفعل كل ما أستطيع ، رغم كل شيء ، لأخمن المعنى الكامل لأية تلميحات قدمها لي . هل كان يفكر في الخازوق ؟-"لا ، ليس الأمر كذلك..."(٨٨)

وبعد أن حكى المريض قصته ، بما اعتبره فرويد نوعا من الشعور 'بالهلع من لذته الخاصة التي كان هو نفسه لا يدركها' ، واستمر في وصف حكاية مشوشة ومعقدة

عن دَيْن كان عليه أن يسدده، وكان قد طمرها في شبكة من التحريم والقهر وأنهى الحكاية في حالة تشوش تثير الهلع . وبعد أن حكى تلك القصة المشوشة ، تفاقم التشوش في ذهنه . ويكتب فرويد معلقا على ذلك :

> سأضيف فقط أن المريض في نهاية الجلسة الثانية تصرف وكأنه دائخ ومرتبك. وكرر مخاطبتي بكلمة 'كابتن' ، ربما لأنني أخبرته في بداية الجلسة إنني لست مغرما بالوحشية مثل الكابتن N، ولا أنوي تعذيبه بدون داعٍ.(٨٩)

ومن ثم نجد في هذه الجلسة الثانية مثالا واضحا وضوحا تاما عن الإحالة ، وقريبا تماما من صيغة 'الضمير pronoun' التي تناولتها في الجزء الأول من هذا الفصل : إن رتمان في نهاية الجلسة يخاطب فرويد بكلمة كابتن (أي أنه قال ما يعادل قوله 'أنت الكابتن') ، وهكذا يشير إلى تشوش نَسَقيٍّ systematic بين الشخص الثالث والمحلِّل (الشخص 'الثاني') . لكن النقطة الحقيقية في المحادثة ، النقطة التي أودُّ التقاطها، تقع في بداية الفقرة الأولى الطويلة التي اقتبستها : 'التمس مني أن أعفيه من سرد التفاصيل' . التمس المريض . إن هذا الفعل 'يلتمس' ، بكل دقة ، أحد الأفعال المنجزة عند أوستن . وتلك اللحظة هي أيضا اللحظة الأولى في العلاج التي خاطب فيها المريضُ فرويد خطابا مباشرا–أي مستخدما ضمير الشخص الثاني . ربما جاءتْ كلماته على النحو التالي: 'من فضلك اعفني من تقديم كل التفاصيل'–إنها عبارة تمثل شيئا بين الرجاء والأمر . وربما قال 'سيكون عليك أن تعفيني من أن أقدم لك التفاصيل .' والعبارة الألمانية التي يستخدمها فرويد هي "er bitter mich, ihm die Schilderungder Details zu erlassen," وإذا كنتُ مصيبا في افتراض أن معالجة الإحالة تكمن بكل دقة في الاستجابة التحليلية التي تميز المخاطبة بضمير الشخص الثاني ، والأهم في الاستجابة المميزة للمنجِز الذي يتم فيه تضمين هذا الشخص الثاني ، يكون من الممكن وصف النتيجة بأنها تأويل للإحالة : يوضح فرويد أنه لا يستسيغ الوحشية ، ولا يرغب في تعذيبه ، لكنه عاجز أمام قانون العلاج . ويُعزّى ذلك إلى انقسام في 'ضمير المخاطب' الذي خاطبه رتمان: من ناحية ، يوجد التعاطف ، ويتعلق بفرويد ، ويوجد في الناحية الأخرى خادم العقد

التحليلي وهو خادم عنيد وصلب ومجهول الاسم . والعقد هو ما اتفق عليه رتمان نفسه-إنّ" 'العهد" منجزٌ قوي ، مثل "الوعد" . (٩٠)

دعني أوضح نقطة من النقط التي ذكرتها هنا . إن هذا التعليق على تعذيب الفأر the rat من أشهر الفقرات ومن أكثرها إثارة للجدل في تاريخ حالات فرويد . إن تعذيب الفأر أعطى المريض لقبه التحليلي [the Ratman]، وليس هناك أدنى شك في أنه منح القوة الخالصة لخيلة المريض ، إن كانت إعادة انتشارها في المشهد المناخي في عام ١٩٨٤ مسألة يُعتدُّ بها . ولكن المحللين رأوا أن ما قام به فرويد كان محيِّرا إلى حد ما ، إن لم يكن مضلِّلاً على نحو صريح ، أو حتى جامحا . إنهم يتساءلون كيف يتدخَّل فرويد في لحظةٍ حاسمة من لحظات التحليل ؛ كيف يمكن لفرويد أن يسير فرحا إلى هذا الحد في مشهد خيالي سبق إعداده ، سيكون طرفا فعالا يشارك في السيناريو السادي الماسوشي sado-masochistic الذي أعده المريض ، وسيكون فرويد معذِّباً في هذا السيناريو بإرغام المريض على سرد القصة ، وسيصبح المريض معذِّباً هو الآخر بأن يبتلي فرويد بما سبق أن ابتلاه به الكابتن ذو الميول الوحشية ؟ لكنني أرى أن فرويد كان يعرف ما يقوم به معرفة كاملة ؛ لم يستجب لإغواء خيالي ، لإغواء جنسي سردي ، ولكنه كان يستجيب لبوح اللاشعوري ، لما يدعوه لاكان 'تشريع enactment واقع اللاشعوري' : الإحالة . استجاب فرويد للفعل المنجز وضمير الشخص الثاني المصاحب له . وكان يعرف أن على المحلل أن يعمل على ذاك النحو ، وعليه، على نحو خاص أن يحافظ على استمرار التحليل بهذا الأسلوب : بِحَثٍّ عُصَابِ الإحالة ، بِحَثٍّ إعادة تنظيم الخطاب العام حول شخصية المحلِّل . ولم يعرف ، بالطبع ، ما يتوقف عليه هذا الخطاب . لكنه، في الواقع ، بيَّن للمريض ببراعة مدى جهله بالمضمون الدقيق لهذا الخطاب : 'هل كان يفكر في الخازوق ؟-"لا، ليس الأمر كذلك ... تم ربط المجرم بإحكام..." في شرح المجرم ، وقد ساعدتُه حتى النهاية .'(٩١) حسن ، ربما كان فرويد جاهلا ، لكنه يعرف بالتأكيد الكلمة التي تطلق على الفتحة التي على الفئران أن تحفر الطريق إليها .

كان فرويد يعرف حين يقول إنه لا يستسيغ الوحشية ، وإنه كان عاجزا عن

إبطال العهد الذي قدمه الرتمان the Ratman، كان يعرف أنه سيلعب لعبة مدمرة مع 'ضمير المخاطب' المشار إليه في خطاب المريض . بدأ الرتمان الجلسة بالتوسل لفرويد ، وكأن المحلِّل شخص خارج الجلسة يستطيع إيقافها ، وكأنه شخص يتمتع بالقدرة على هزيمة الزمن وارتباطات الكلام : وقد أنهى الجلسة بمخاطبته بالكابتن الوحشي .(٩٢)

وسوف أوضح هنا أحد المفاهيم الخاطئة المحتملة توضيحا كاملا . يمكن للمرء أن يَرى (كما كان فرويد يميل إلى ذلك) أن الرتمان كان يرى أن المحلِّل يتقمص شخصية الكابتن لأن فرويد استخدم كلمتي 'وحشية' و 'تعذيب' . إن مجرد استدعاء هذين الدالين ، في هذه الحالة ، يشجع على الاعتقاد في فكرة التقمص ، حتى لو صدَّر فرويد كل كلمة بأداة نفي : **لا** استسيغ الوحشية ، لا أرغب في تعذيبك . وهذا التفسير الفرويدي البديل يتم ببساطة : إن اللاشعوري لا يعرف شيئا عن الإنكار ومن ثم يسمع الرتمان فرويد يقول : أنا وحشي ، أودّ أن أعذبك ، مثل الكابتن الوحشي تماما ، ومن هنا تأتي فكرة التقمص .

يبدو هذا التعليق معقولا ؛ وإحدى نتائجه المهمة هي رؤية تدخل فرويد باعتباره خطأً ، وباعتباره تدخلا مبالغا فيه .(٩٣) إلا أن هذا الاستنتاج مضلل حيث أنه يتجاهل حقيقة أن ما قاله فرويد كان إلى حدٍّ بعيد استجابةً مباشرة للحظة الإحالة الأصلية في الديالوج التحليلي–اللحظة التي **توسل** فيها المريض لفرويد .ولا يقتصر الأمر على ذلك فقط : إنه يفشل أيضا في فهم أن الاستجابة **المفرطة** التي قدمها فرويد للمريض كان لها ما يبررها . 'لا أستطيع أن أفعل أي شيء ، إنني عاجز ، لستُ كما تظن ، ولكنني سأفعل كل ما أستطيع لأساعدك ، بافتراض أن بعض الوسائل الهزيلة تحت تصرفي'–إن هذا 'الدور' (٩٤) الذي يلعبه فرويد يشير إلى أن فرويد رأى فرصته الملائمة وقام بالحركة المناسبة . وقد أتت الفرصة حين خاطبه المريض على نحو مباشر ، مستخدما ضمير الشخص الثاني . وكانت النتيجة هي قول الرتمان 'ألزمتني أمس بقول كل شيء–الآن أطلب منك أن تحلني من هذا العهد الذي قطعته على نفسي بأن أقول لك كل شيء'. وهكذا ، كان رد فرويد يعني : 'إن قدرة الآخر على سماع كل

شيء ، وهي شرط العلاج التحليلي ، لا يمكن إنكارها بأن أحلك من هذا العهد . إنني عاجز أمام هذه الوظيفة للأذن العامة التي ابتكرناها مع التزامك . فكر كيفما شئت في هذه الأذن العامة ، لكنني أؤكِّد لك أنني لا استسيغ الوحشية ؛ وقد وصلت الأمور إلى درجة أنني لم أعدْ أسمع صراخك -عليك أن تقول ما شئت لهذا الآخر- ومن الواضح تماما أن هذا الآخر other هو ما يدعوه لاكان **الآخر** Other. واستجاب الرتمان بطريقته الخاصة ، بمخاطبة هذا **الآخر** الذي يبدأ بحرف كبير باعتباره الكابتن .

ويمكن أن أوجز الأمر على النحو التالي : اقتفيْتُ سلسلة من أفعال الكلام ، التي تتنقل بينها العملية التحليلية : الأول ، العهد ؛ الثاني ، التوسل ؛ الثالث ، التنصل. وكل منها يعدل في العلاقة بين 'ضمير المتكلم' و'ضمير المخاطب' في الكلام المباشر-في المنطوق الذي يظهر فيه 'ضمير المتكلم' و'ضمير المخاطب' . ومن الخطأ ، وهو خطأ يقع فيه غالبا أحد كُتَّاب التحليل النفسي ، ويتمثل في النظر إلى الإحالة ، أو فنتازيا الإحالة ، باعتبارها تقريرا عن العالم الداخلي للمريض موضوعا أمام ملاحظ محايد .[٩٥] وهذا هو المفهوم التجسيدي للغة ، ويرى كل من لاكان وأوستن أنه قاصر على لعبة اللغة التي ابتكرها العلم الحديث (إن وجدتْ حقا ، وهو أمر يدعو للارتياب بدرجة كبيرة) . إن المحادثة التحليلية لها قوانين أخرى ، قواعد أخرى .[٩٦]

وآمل أن أكون قد وضحت أن المعالجة السهلة لأفعال الكلام المحرَّف ، وللكلام المؤسس الذي يقضي عطلته ، هي ما يفعله المحلل النفسي في التعامل مع الإحالة . وقد رأينا في البداية كيف ناقش فرويد بطلاقة طريقته بشأن مختلف الوظائف الكلامية المتعلقة بالأمنية والتفكير . ورأينا في مثال آخر من تاريخ الرتمان إدراكه الكامل للتضمين الخطير لاستجابته المتنصلة من مناشدة الرتمان له بتقديم العون. ثم وقعتْ بعد ذلك ، في تحليل الرتمان ، حادثةٌ أخرى على علاقة بالعهد الاستهلالي ، بالمنجز الاستهلالي الذي قدمه الرتمان لفرويد ؛ وفي الواقع ، يمكن أن تكون هذه الحادثة التي يمكن فيها ، أخيرا ، حل عقدة knot عُصاب المريض ، عقدة قصته ، كما يوضح لاكان في "Le mythe individuel du néverosé".[٩٧] وكانت هذه الحادثة

فنتازيا الإحالة حيث كان فرويد عطوفا ولم يكن المريض مستمرا معه إلا لأنه كان يريد أن يتزوج من ابنته . وقد تم تدوين التاريخ الكامل لأسرة المريض ، قصة عائلته ،في هذه الفنتازيا . وجاء الحل لفهم هذا التاريخ ، هذه القصة ، أثناء تأويل حلم ، رأى فيه بنت فرويد وفي وجهها قطعتان من الروث بدلا من العينين . ما معنى هذا الحلم ؟ لم يكن يرغب في الزواج من بنت فرويد من أجل **عينيها الجميلتين** *beaux yeux*، أو من أجل الحب ، ولكن من أجل المال ؟ المال .[98] حسن، هذا هو الجانب الآخر من العقد التحليلي . لقد اغتنى فرويد بكل تلك الفلورينات florins [عملة مستخدمة في فلورنسا وهولندا وإنجلترا–المترجم] ، تلك الفئران، التي كان المريض يقدمها له : حين سمع المريض مقدار ما يتقاضاه فرويد من أتعاب في الجلسة ، 'قال لنفسه' : 'كل هذه الفلورينات ، كل هذه الفئران' .[99] وهكذا يكرر الحلمُ ، في شكل عَرَضيٍّ sympto-matic مكثف ، أمنيةَ المريض بالتحرُّر من الالتزام باتباع قواعد العلاج : إذا تزوَّج من بنت فرويد ، يبطل العهد الذي قطعه على نفسه في لقائه الأول بفرويد ، باسترداد كل تلك الأموال التي دفعها، كما لو كان يلغي كلماته الخاصة . وبالنسبة للرتمان ، تود حقيقته ، كلامه المؤسس ، أن تقول لفرويد: 'أنت الرجل الذي يقدم أحبَّ شيء إلى نفسه ، ابنته ، لتنقذ نفسك مني وأنا أعذبك بفئراني .' ويود أن 'يسمع' هذه الرسالة المقلوبة ، هذا 'التفسير' في خطاب الآخر ، الذي ربما كان فرويد يقول له ، إن لم يكن قاله بالفعل : 'أنت الرجل الذي يقدم أحب شيء إلى نفسه ، خطيبته (وبالتالي الإمكانية الحقيقة لأن تكون له بنات [100])، لمجرد أن تستردَّ الأموال التي دفعتها لي .' ومن ثم يكون هناك ما يغرينا بأن نسأل : هل علينا أن نرسي كل أفعال الكلام ، الأفعال الأخرى المحرِّفة التي يبدأ بها العلاج عملية الدفع ، وقطع العهد ، والموافقة ؟ [101] هل 'ضمير المتكلم' و'ضمير المخاطب' في العقد التحليلي عنصران أساسيان ، هل هما الضميران المؤسسان للتحليل النفسي ؟

قلت في مكان ما أن على المحلل أن يدفع ليحافظ على وظيفته . يدفع بكلماته–تفسيراته . يدفع بشخصيته ، بمعنى أنه في الإحالة يكون متخلصا منها تماما . والتطور الكامل للتحليل المعاصر يمثل نوعا من إساءة الفهم لهذه النقطة ،

ولكن مهما يظن المرء ومهما يكن اللجوء إلى الإحالة المضادة مثيرا للذعر [١٠٢]، فإن عليه ،في الحقيقة، أن يسلك هذا المسار . وهو ليس الوحيد مع شخص في موضعه اقترف بحقه خطأ معينا .[١٠٣]

هوامش الفصل الثالث

١- راجع ، 'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' كتابات ٢٤٧/٤٠ .

٢- راجع ، السيمينار الثالث ٢٥٥ .

٣- راجع ، فيتجنشتاين ، *Philosophical investigations,38*

٤- المصدر السابق ، ٢٥٥ .

٥- راجع ، *Ratman* SE x 162

٦- راجع ، *Ratman* SE x 187-9

٧- راجع هارفي ساكس

Everyone has to lie', in B.G. Blount and Mary Sarches, *Sociocultural dimensions of language use*, New York: Academic Press, 1975 ,pp. 89-57

٨- لم يظن أن الحل الصحيح لهذا التشويش 'اللساني' يمثل في حد ذاته تقدما بالنسبة لعملية العلاج . إنه يلاحظ أن مريضه استجاب لإيضاحاته وتفسيراته بالتسليم 'بأن كل ذلك يبدو مقبولا تماما ، لكنه كان على الأقل لا يثق فيه بصورة طبيعية ' (SE x 181) .

٩- قارن ، Janik and Toulmin, *Wittgenstein's Vienna*، الذى يؤكد على أهمية Mauthner، الفيلسوف وكاتب المقال بالنسبة لنظريات فيتجنشتاين عن اللغة . وليس لنا أن ننسى أن الاهتمامات التي دفعت فرويد إلى كتابة سيكوباثولوجيا الحياة اليومية قد تناقش حقا في جريدة يومية–راجع Meringer, 'Wie man sich versprechen kann". وبالإضافة إلى ذلك كانت نصيحة لاكان التي قدمها للمحلل الشاب : 'حل الكلمات المتقاطعة' (كتابات، ٢٦٦/٥٦) .

١٠ - راجع ، *Ratman* SE x 181 n I

١١- وحتى نرى ذلك ، لاحظ أن جملة فرويد الثانية تتيح لنا إحلال 'أي شخص' مكان 'ضمير المتكلم' ، ومن ثم تصبح العبارة "إذا أنا I قلتُ / إن أبي مات / فإن «أنا I» سيضطرني me إلى التباري معه"– وهنا تنبثق بوضوح وظيفة 'ياء المتكلم «me»، الوظيفة العقابية (والمقسمة) .

١٢- ثمة عدد من الأوصاف الرائعة لهذا العالم ؛ ومن أكثرها أهمية سلسلة أبحاث Leclaire منذ الخمسينيات ، وأعيدت طباعتها فى *Demasquer le Reel* : وترجم منها فصلان ، -Je

rome, or in the life of the obsessional and Philo, or the obsessional and his desire in Schneiderman, *Returning to Freud, Clinical psychoanalysis in the school of Lacan*

١٣ – لم ينجح الرتمان في إقناع فرويد بهذه النقطة ؛ إلا أن ما تذكره بعد ذلك يبلغ ذروة الدهشة لأن أفكاره الخاصة تضمنت مقارنة موت أبيه بموت شخص آخر واكتشف أن اهتمامه بموت أبيه كان أقل مما كان يظن.

١٤ – يناقش لاكان بإسهاب أهمية هذه العبارة "(لا) يعرف أفكار المرء" في السيمينار **السادس** ٢٦٩– ٢٧٠ ، ويوضح أنه يتم اكتشاف أن الآخر (الأبوين) لا يعرف أفكارى حين يُقحَم في كينونتي ما لا يقال–حين يصبح المرء ذاتا تملك بُعْد اللاشعور . إن هذه العبارة ، 'يعرف أبواي أفكاري' ، تمثل تأسيسًا للكلام–يتم العثور على كل الأفكار في الآخر (خطاب الآخر) . ويكتب لاكان : 'ثم يدرك الطفل أن الراشد لا يعرف أفكاره–وهنا يكمن مسار الكبت' والكذب إحدى الوسائل الحاسمة للانتقال من 'يعرف أبواي أفكاري' إلى 'لا يعرف الآخر فيما أفكر' ؛ كما يكتب لاكان : 'إن الخطاب يتأمل الإخلاص في الدليل حتى لو كان الخداع قدره' (**كتابات** ٣٥١–٢/٤٣ ؛ الترجمة [إلى الإنجليزية] بتصرف) . راجع كتابي :

Lying on couch. Truth, lies and the epistemology of psychoanalysis

١٥– ثمة احتمال كبير أن تكون عبارة فوكو عن الإجراءات والنظريات التحليلية قد كتبت تحت تأثير لاكان ؛ قال فوكو في مقابلة جرت مباشرة بعد موت لاكان ، قال إن كتابات لاكان في الخمسينيات ساعدتني على التحرر من 'المفهوم التقليدي تماما عن الذات' ، المفهوم الذي اعتمدت عليه الفلسفة والعلوم الإنسانية ، وذلك بتوضيح أن 'استخدام "ضمير المتكلم" ، ذلك الاستخدام الذي يبدو بسيطا' يقنِّع حقيقة أن الذات ، في الواقع ، "شيء معقد وهش ، من الصعب أن نتكلم عنه ويدونها من المستحيل أن نتكلم" (Lacan, il liberatore della psicanalisi", p.1)

١٦– وتتضمن هذه الفكرة الشخصيات المختلفة التي تعود عليها الأفعال أو الضمائر ، من قبيل 'my' ، 'my father'، كما في الفقرة التي وردت عن الرتمان .

١٧ – راجع ، تودوروف في "Freud sur l'enonciation"

١٨ – قارن ذلك بما ورد في 'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' كتابات ٨٩/٣٠٢ : 'حتى نعرف كيف نرد على الذات في التحليل ، علينا في هذا الإجراء أن نتعرف أولا على كل ما تشغله أناها ، الأنا التي عرَّفها فرويد بأنها أنا مكونة من نواة فعلية verbal nucleus؛ ويتعبير آخر ، لنعرف عبر من ولمن تطرح الذات سؤالها .' وهذه الفقرة تمثل توضيحا للتقنية ، ذلك النصير الوفي لكل المدارس التحليلية ، لتحليل التقمص ، وتذكرنا في الوقت ذاته بأن ما يكون التقمص هو استبدال 'ضمير المخاطب' ب'ضمير المتكلم' وتؤكد هذه الفقرة أيضا أنه بمجرد أن نعرف المخاطَب (الموضوع الذي يخص الآخر) وبواسطة من (الآخر ، 'ضمير المخاطب')–الإجراء الذي ركزت عليه بمناقشة الضمائر–يكون المسار واضحا فيما يتعلق بأهم الوجوه : تحديد السؤال–أو ما أدعوه الفعل الكلامي–الذي يجسده العَرَض .

١٩–يصف لاكان خطاب الأنا العليا باعتبار أنه من الممكن إيجازه أساسا بالجملة التالية 'أنت ذلك You are that'، راجع السيمينار الثالث ٣١٢ ، ٣٢٢ .

٢٠– قارن بما ورد في **تفسير الأحلام** ، (1900 a) SE v 534-5 إذا كان أوتو Otto مسئولا عن مرض إرما Irma! " فأن الحلم يكبت صيغة التمني ويستبدل بها صيغة المضارع المباشر : 'نعم ، إن أوتو مسئول عن مرض إرما"...إن المضارع هو الزمن الذي تقدم فيه الأماني وفيه يتم إشباعها .' ، راجع أيضا ، 'On dreams (1900 a), SE v 647، للاطلاع على مبدأ أكثر روعة عن المبدأ العام .

٢١– بيَّن اللسانيون أنفسهم أن الأزمنة في اللغات الأوربية تعتمد اعتمادا كبيرا على ذات الناطق وليس على عدد من العلاقات الموضوعية بالتتابع الخارجي أو الموضوعي : يشير الاختلاف في استخدام الزمن بين اللغات المختلفة إلى ذلك الأمر (مثلا ، يستخدم زمن المستقبل في اللغة الفرنسية أقل بكثير مما يستخدم في الحالات المناظرة في اللغة الإنجليزية ؛ يستخدم زمن المضارع البسيط حين يتطلب الأمر استخدام المستقبل في الإنجليزية) .

٢٢–إنه ادعاء مشهور ، يتم التعبير عن المرء في 'اللاشعوري' ويتم مناقشته في 'النفي' . إن عملية النفي ترتبط بذات الناطق ومن النادر أن تكون مناظرة لعملية منطقية عن " not p" . ويناقش لاكان هذا الموضوع ببعض الإسهاب فيما يتعلق بأداة خاصة في الفرنسية *ne*، التي تبدو

زائدة على المستوى الدلالي ، بالإضافة إلى أن بعض استخداماتها لا يمكن تفسيرها على المستوى الدلالي : ' 'J'ai peur qu'il ne vinne'. وفي الإنجليزية يمكن أن نفهم بعض خواص النفي إذا تأملنا النفي المزدوج [نفي النفي] ، الذي يبدو أن النتيجة الأساسية له ترجع إلى التأكيد البسيط ، ولكن وظيفته الاستطرادية ليست كذلك على الإطلاق . قارن بين 'إنه ليس غير ذكي' و'إنه ذكي' . إن الاختلاف بين هاتين العبارتين يشير إلى وضع مختلف لـ'ضمير المتكلم' في هذا المنطوق ، حيث جملة نفي النفي تزيد من تركيز الاهتمام ، اهتمام الشخص ، على 'ضمير المتكلم' ، بدلا من التركيز على "ضمير الغائب" ، الذي يمثل ذات العبارة .

٢٣ - راجع ، *Ratman* SE x 222 ، وانظر أيضا ما يلي بعد ذلك للاطلاع على مناقشة أخرى لهذه الفقرة .

٢٤- راجع ، فورستر Language and the origins of psychoanalysis, pp.141-65

٢٥ - راجع ، *Dora* SE VII 116 ؛ وراجع فورستر ، المصدر السابق ، ص ١٦٢ .

٢٦ - انظر ، *Wilden, The Language of the self; Ragland-Sullivan, Jacques Lacan and the philosophy of psychoanalysis; and Benvenuto and Kennedy, The works of Jacques Lacan :* ويوجد تركيز مماثل في *Lacouse-Labarthe and Nancy, Le Titre de la lettre)Une lecture de Lacan)* وهو حاسم تماما بالنسبة لهذا الوجه من أعمال لاكان ، ولكنه على أية حال عمل تمهيدي .

٢٧- للاطلاع على نموذج لنقد الدال/المدلول في التحليل النفسي ، انظر Wollheim,*The cabinet of Dr. Lacan'*

٢٨- في الواقع ، من الصعب أن تكون كلمة *la langue* قد لعبت دورا في معجمه في الخمسينيات؛ وكان قد عنون تقرير روما ب"وظيفة الكلام واللغة *langage* [وليس *langue*] ومجالهما في التحليل النفسي" ؛ وكان تأكيده على *langage* يمثل تأكيدا على الوحدوي *combinatory*، على الأساس شبه الرياضي الذي قدمه ليفي شتراوس للعلوم الإنسانية (الأساس الذي قلل من شأنه فيما بعد في تنقيح بعض فقرات كتابات في عام ١٩٦٦، مثلا ، الفقرات الأربع في كتابات ص ٢٨٥) ، عن رياضيات الشفرة . وهكذا يكون التعارض بين اللغة *langage* والكلام ، تعارضا له دلالات تختلف تماما عن التعارض بين اللغة *langue* والكلام .

٢٩- انظر ، Benvenuto and Kennedy, *The Works of Jacques Lacan*, p. 85

٣٠ - هناك عملان آخران يلفتان الأنظار إلى أهمية الأفعال الكلامية بالنسبة للتحليل النفسي
Felman's virtuoso *Le Scandale du corps parlant and* Bellemin-*Noel*:
Psychanalyse et pragmatique' وهناك نقاط التقاء عديدة بين تعليق فيلمان وتعليقي :
استيعاب مزاج أوستن والتعرف على أهمية مفاهيمه؛ ونقطة البداية الأساسية تتمثل في رؤية الأفعال الكلامية والتحليل النفسي باعتبارهما زقاقين ليسا هما الهدف في مناظرات عن اللسانيات وفلسفة اللغة ؛ورؤية التقارب بين نظريات لاكان ونظريات أوستن؛والشعور بأن أعمال أوستن أسيء استخدامها غالبا، وأن معرفة قرابته بالتحليل النفسي توضح الأخير بالإضافة إلى أنها تجعلنا قادرين على أن نبقى مدركين للقوة المدمرة في أعمال أوستن (استبعاده لأية خلفية محكّمة بالنسبة للفعل كما لو كانت بعض الأفعال الكلامية تكتسب امتيازا خاصا بتكريسها للتعبير عن حقيقتها الخاصة وواقعها الخاص) . إن استخدامي لنظرية الأفعال الكلامية يختلف عن استخدامها لتلك النظرية في أنني مهتم اهتماما خاصا بتحديد خواص المحادثة في الجلسة التحليلية وتمييز أسلوب المحلّل في المحادثة .

يعتبر Bellemin-Noel أن النظرية اللاكانية في اللغة تمثل النموذج لتحليل لساني شكلي يحمل مخاطر السقوط في التبادلية التي يهاجمها بعنف ، ويعتبر أن النزعة الفتشية للدال في النظرية اللاكانية (في تاريخ وعمر محددين) هي بكل دقة النظرية الوضعية الشكلية التي ستساعد نظريةُ أفعال الكلام التحليلَ النفسيَّ على تجنبها . وبينما أوافق على الهجوم الذي يشنه في مناقشته ، فسوف يتضح أنني أرى نظرية لاكان عن الكلام واللغة أغنى بكثير من أن تكون نظرية قاصرة على الدال ؛ وبينما نصادق على مشروع *Bellemin* -Noel عموما ، إلا أنني أظن أنه قد أساء فهم موضوع النقد .

٣١- راجع "وظيفة الكلام واللغة ومجالهما" ، كتابات ٢٥١- ٤٣/٣٥٢ ؛ الترجمة [إلى الإنجليزية] بتصرف . وثمة نص شيق من نصوص فرويد يؤكد تماما على بعد التواصل ، حتى حين يبدو أنه لا يوجد أبدا موضوع للتواصل : "لنفترض ، من ثم ، أن شخصا-مريضا خاضعا للتحليل ن مثلا-يحكي لنا أحلامه . وسوف نفترض أنه بهذه الطريقة يجعلنا ضمن شبكة اتصالاته وقد قطع على نفسه عهدا بالبدء في العلاج التحليلي . وهو بالتأكيد اتصال تم بصورة

غير ملائمة ، حيث أن الأحلام في ذاتها ليست منطوقات اجتماعية ، بمعنى أنها ليست وسيلة لتقديم المعلومات . ونحن لا نفهم ، في الحقيقة ، ما كان الحالم يحاول قوله لنا ، وهو نفسه في ظلمة مماثلة ... إننا نفترض-بطريقة عشوائية تماما ، وعلينا أن نسلم بذلك-ونتبنى فرضية أنه حتى هذا الحلم غير المفهوم يجب أن يكون فعلا نفسيا صحيح تماما ، من حيث المعنى والقيمة ، ويمكن أن نستخدمه في التحليل كأي اتصال آخر . ونتيجة تجربتنا هي وحدها التي ستوضح ما إذا كنا على صواب أم لا . إذا نجحنا في تحويل الحلم إلى منطوق ذي قيمة من ذلك النوع ، فسوف نتوقع بوضوح أن نتعلم شيئا جديدا وأن نستقبل اتصالات من نوع لم نكن لنصل إليه إلا على هذا النحو...كيف نفترض تحويل الحلم إلى نوع من الاتصال العادي وكيف نفسر حقيقة أن بعض منطوقات المريض تأخذ شكلا غير مفهوم بالنسبة له ولنا ؟" (محاضرات تمهيدية جديدة في التحليل النفسي ، "المحاضرة رقم XXIX مراجعة لنظرية الأحلام" (1933 [1932]) ، 8-9 (SE, XXII .

٣٢- انظر **كتابات** ٢٧٩- ٦٨/٨٠ - ٧٠٠

٣٣- أرى سببا إضافيا وراء رؤية فرويد أن أسلوب التحول النحوي ملائم لتحليل ذهان شريبر : كما يتضح من بداية كتابه ، يتمنى شريبر ألا يُعرَف ؛ ويعبر ببساطة عن الطريقة التي يبدو بها العالم بالنسبة له ، ليتحرر من الاحتجاز القانوني .

٣٤- انظر ، في فقرات عديدة ، "وظيفة الكلام واللغة ومجالهما" **كتابات** ٢٦٥/٥٥-٦ ؛ وانظر أيضا السيمينار الأول ١٠٠/٨٥ .

٣٥- لنعد بذهننا إلى فقرة من تاريخ حالة الرتمان (*Ratman* SE XII 62 ff.) حيث يقابل فرويد بين "التفكير القهري" و "كل الأفعال النفسية" بمجرد عودة "المؤشر العاطفي" . وهذا التمييز يشبه تمام الشبه التمييز الذي يضعه أوستن بين بعض العبارات التي فحصها ببساطة على أساس ما إن كانت صوابا أم خطأ (وسوف تكون "الأفكار القهرية" التي يعاني منها مرضى فرويد) ، وتلك العبارات التي تعتبر أفعالا أكثر مما تعتبر أوصافا لأحوالنا (وتتضمن قائمة فرويد 'الأمنية ، الإغواء ، الاندفاع ، الانعكاس ، الشكوك ، الأوامر ، والنواهي') . ويعود فرويد في ، نهاية مناقشته النظرية للأفكار القهرية ، إلى هذا التمييز بين الأفكار والأفعال النفسية: 'إن عملية التفكير تكون استحواذية أو قهرية ، نتيجة لكبح...في الطرف الحركي للجهاز النفسي، إنها تبدأ

ببذل طاقة ... تدخر بشكل طبيعي من أجل الأفعال فقط ؛ أو بتعبير آخر ، إن التفكير الاستحواذي أو القهري تفكير تمثل وظيفته فعلا نكوصيا '. (SE X ٢٤٦) .

٣٦- إن كتاب فيلمن ، *Le scadale du corps parlant*، يقدم امتدادا رائعا لأهمية فطنة أوستن .

٣٧ - راجع أوستن : Performance utterances"(1956), in *Philosophical papers,* p.249 تستمر الفقرة في توضيح أن كل أنواع الخطاب ، وخاصة تلك التي تعلن أنها "علمية" ، مستهدفة هنا: "ما نحتاج إليه لحالة الشرح ، بالإضافة إلى الوصف والتقرير ، هو أن نبعد بها قليلا عن قاعدتها ، لندرك أنها أفعال كلامية بصورة لا تقل عن كل الأفعال الكلامية الأخرى التي نذكرها ونتحدث عنها باعتبارها منجِزة " (ص.ص. ٢٤٩- ٢٥٠) .وتعرف فيلمان أيضا أهمية هذه الفقرة (اقتبستها مرتين على الأقل في كتابها-انظر ,Le *Scandale du corps parlant* (p.20) .

٣٨- إن الوعد هو حجر الأساس في التقارب بين فيلمان ودون جوان موليير ونظرية أوستن عن المنجِزات : إن دون جوان مكرسة لفحص عملي لمعنى الوعود والطرق التي يمكن بها التملص منها ، وليس الوفاء بها : يمثل الوعد بالزواج خطوة أساسية في جدل الإغواء (يمكن قراءة هذه الإشارات في الفصل الرابع من هذا الكتاب [كتاب فوستر ، بالطبع] . (وتوضح فيلمان أيضا المنطق الزمني للوعد : 'يرتبط الوعد بزمنية السرعة والعجلة، بما دعاه لاكان-في سياق مختلف تماما- « وظيفة العجلة the function of haste» ، وينشأ عنه "تأكيد اليقينية المتوقعة" ' (*Le Scadale du corps parlant*, p.66) وانظر أيضا الفصل الثامن من هذا الكتاب [كتاب فوستر الذي ترجمنا عنه هذا الفصل] .

٣٩- إن هذا النوع من الأمثلة التي تميز بين أفعال الكلام الأصيلة والزائفة تخلق من المشاكل أكثر مما تحل .

٤٠ - يبدأ Bellemin-Noel مقاله عن نظرية الأفعال الكلامية والتحليل النفسي بملاحظة النقص الواضح في الاهتمام بدور التحليل النفسي 'في التطورات الحديثة في اللسانيات'- ويعني بذلك النحو التحويلي عند تشومسكي ونظرية الأفعال الكلامية (*pragmatique*- بالفرنسية) . وتؤكد فيلمان من جانبها على الطريقة التي بهـــا استعادت أعمال أوستن قوتها

وحيادها على أيدي الفلاسفة وعلماء اللغة (من أمثال جريس وسيرل وبنفنست وكاتز Grice, Searle, Benveniste and Katz).

٤١- تطلب النموذج الشائع للتواصل دائرة مغلقة بين المتحدث والمستمع ، ورسالة تمر خلال الشفرة اللغوية . ويتلاءم هذا النموذج بيسر تام مع التعليق الوظيفي الموجود في اللسانيات الاجتماعية : اللغة توصلّ دائما ، كما يقول هذا التعليق ، حتى حين يكون هناك أحمقان يقولان : 'كيف حالك' ، 'طيب ، يا رجل '.

٤٢ - كان يدرك ، في الحقيقة ، تطور نظرية المعلومات والاتصال (نوقشت بإسهاب في السيمينار الثاني) وتناول مفهوم الأوّليّ عن الإطناب لتوضيح الفرضية التالية التي بنى عليها مفهومه عن الكلام وعن التحليل النفسي : 'كلما أصبحت وظيفة اللغة أكثر حيادية وهي تقترب من المعلومات ، كلما زاد اتهام اللغة بأنها محملة بالإطناب ... وهذا الأمر دال تمامًا بالنسبة لنا ، حيث أن ما يمثل إطنابا فيما يتعلق بالمعلومات هو بكل دقة ما يعمل باعتباره رنينا في الكلام . حيث أن وظيفة اللغة تتمثل في الاستثارة وليس في توصيل المعلومة . إن ما أبحث عنه في الكلام هو استجابة الآخر ' ('وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' كتابات ١٩٩٢/٦٨) .

٤٣ - راجع أوستن ، *How to do things with words*, p.17.

٤٤- في *Le Moment Lacanien*, p 71، يدرك Sichere الالتقاء المهم بين مناقشة أوستن ولاكان في استخدامهما لحفل الزواج كنموذج للكلام ، ويهاجم عمل فيلمن المعنون *Le Scandale du corps parlant*، لأنها رأت أن مناقشتيهما متوازيتان .

٤٥- يؤكد Bellemin-Noel في ' *Psychanalyse et pragmatique*'، ص ٤١٤ ، على التضمين المتبادل للمتكلم والمستمع في الأفعال الكلامية . موضحا أهمية هذا التضمين في فهم المحادثة التحليلية.

٤٦- انظر ، 'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' كتابات ٨٤/٢٩٦ .وربما نتج خطأ عن التركيز المبالغ فيه على التقمص . إذا كان تحليل الإحالة يتشكل تماما وفقا لنموذج تحليل التقمص ، فلن يكون هناك نموذج آخر 'للكلام التام' من المحتمل أن ينقذ عملية 'التعرف' على واقع المحلّل . إن الاعتماد المقتصر تماما على منهج "الضمائر" الموضح أعلاه ربما يشجع على هذا الانشغال غير المجدي بواقع المحلّل.

٤٧- في هذه الأبحاث في الخمسينيات ، استخدم لاكان مفهوم 'المحوِّل' ، وأدخله في اللسانيات البنيوية في ذلك الوقت تقريبا ، بينما افترض Bar-Hillel مفهوما مماثلا تماما في عام ١٩٥٤ في الفلسفة الأنجلوسكسونية تحت اسم ؛ واستخدم هذا المفهوم الأخير بصورة أكبر في الانشغال الإثنوميثودولوجي بوجهة نظر المتحدث ، سواء أكان ملاحظا أم مشاركا أم ملاحظا ومشاركا؛ إن المحولات shifters تمثل أطرافا في الجمل تحتاج إلى تعريف بواسطة علاقتها بالمتحاورين ؛ وإلا فشلت في الدلالة على أي شيء (بصورة تكفي غالبا لاستثارة القلق). وتمثل الضمائر أطرافا مهمة في هذا المفهوم ، وهو ما تمثله أيضا بعض الظروف وبعض حروف الجر التي تحدد الزمان والمكان إلى آخره : غدا ن هنا ن الآن . وكان يعتقد ، بهذه الطريقة ، أنه قد تم الحفاظ على التفسير الضروري لذات تحدد الخطاب في العبارات المنطوقة ، بالطريقة نفسها التي حافظ بها أوستن على وضع الذات بملاحظة أن المنطوقات أفعال أكثر منها عبارات شبه علمية عن العالم . ومع أن لاكان ناقش هذه الوظيفة، وظيفة المحوِّل ، إلا أننا لا نستطيع المبالغة في تأكيد تأثيرها في أعماله : إنها تجعل لاكان يبدو ، بصورة تفوق الحقيقة ، وكأنه واحد من أتباع ياكبسون . وارتبط استخدام لاكان للمحول بمقدمته عن التمييز بين ذات ال*enonce* وذات ال *enonciation*. وسوف نعود إلى هذا التمييز .

٤٨ - ودعاه أيضا 'الكلام المنتخب' في السيمينار الثالث و 'الكلام المنذور' في السيمينار السادس؛ انظر الهامش ٨٥ .

٤٩- راجع ، 'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' كتابات ٢٩٨/٨٥ .

٥٠ - راجع Muller and Richardson, *Lacan and language: a reader's guide to ecrits*, pp.118-19

٥١- شيد أوستن ، في الحقيقة ، مفهوما يتضمن هذه السمة الخاصة : وهو ما دعاه perlocutionary force في منطوق يقيس تأثير الفعل الذي يفتقر إلى القدرة على التعبير ، تأثيره على الآخر ؛ حين أقول ، 'وثقتُ فيه' ، فإن تأثير الثقة يكون ضروريا للمنطوق ، بينما حين أقول ، 'وعدتُه' ، فإن المسألة برمتها تقع على المتكلم . ولكن أوستن لم يدخل في تفاصيل تتعلق بالتأثير الذي يربط بين هذه الشواهد من 'الكلام المؤسس' . إلا أنها أرق المنطوقات وأهمها .

٥٢ - راجع ، 'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' كتابات ٢٩٨/٨٥ .

٥٣- راجع **السيمينار الأول** ٧٠١/١٢٥ . ويحدد تأويل نظرية الكلام اللاكانية السبب وراء اختياري مصطلح أوستن المبتكر 'المنجز performative' لأترجم أفكار لاكان في هذا الجزء من النسخة الإنجليزية للسيمينار الأول .

٥٤- وحتى يواجه لاكان هذه النزعة لتفسير التحليل النفسي بوصفه تفسيرا غير مهم وغير حقيقي في الوقت ذاته ، أكد غالبا على ما أعلنه فرويد ('ملاحظات عن حب الإحالة SE XII 168 (1915a) من أن الحب الذي يحمل اسم حب الإحالة أصيل كأي حب آخر .

٥٥- راجع **السيمينار الأول** ١٠٨/١٢٦ .

٥٦- انظر السيمينار الأول ٩١٢/٣٤٤ ؛ و السيمينار الثاني ١٩٠-٢/١٦٩- ٧٠ . ومن المفيد في هذا السياق أن نضع في الاعتبار مرة أخرى التسمية الذاتية النموذجية التحليلية التي أطلقها أوديسيوس على نفسه "لا أحد no one » وهو ما فعله جرانوف في: *Filiations*, pp.84-109

٥٧- يتكلم لاكان عن وظيفتين مختلفتين لضمير الشخص الثاني ، tu: الأولى وظيفة الكلام المؤسس ، والثانية تحديد غير المحدد "لا أحد" (انظر السيمينار الثالث ٣١١) .

٥٨- راجع "وظيفة الكلام واللغة ومجالهما" كتابات ٧٣/٥٨٢ ؛ والترجمة بتصرف. وانظر أيضا السيمينار الأول ١٠٨/١٢٦ : 'تم دائما تمييز مستويين جرى فيهما تبادل الكلام الإنساني- مستوى التعرف recognition بقدر ما يربط الكلام بين الذوات في الميثاق الذي يحولهم ، ويرفعهم كذوات إنسانية تتواصل-[و] مستوى ال *communique* [وفيه] يتم التأكيد على الموضع الذي يعتبر خارجيا بالنسبة لعملية الكلام ، ويعبر عنه الكلام .'

ثمة مقابلة أكثر وضوحا بين المستوين في الكلام في السيمينار السادس ٢٧١ : 'إننا نميز بين مستويين . الأول فوري ، وهو مستوى النداء (خبز ! مساعدة !) : للحظة تماثل الذات حاجتها-وهذا هو المستوى الملح للاحتياج the quesitive *level of demand* الذي يراه المرء في البداية معبرا عنه في علاقة الطفل بأمه) . والآخر هو المستوى الانتخابي the *votive level* ، حيث يكون على الذات أن تعثر على نفسها بالكامل ، بصرف النظر عن الشكل اللغوي وهي تتطور في التحويل ، برفض عنصر الاحتياج الذي يميل للتعبير عن نفسه . وهذه الدرجة من الإفصاح هي ما نبحث عنه في التحليل .'

٥٩ - راجع السيمينار الثالث ٢٤٣ .

٦٠- راجع. Searle, *Speech acts: an essay in the philosophy of language*, p.7. ألا نعني بالعرف–فكرة أن هناك قاعدة غير منطوقة تحكم استخدام الكلمات ؟

٦١- راجع ، ' La psychanalyse et son enseignement'(1957)، E. ٩٢٤

٦٢- راجع ، Warnock, *The object of morality*, pp. ٦٩ ff.، حيث يضع في الاعتبار مفهوم أن الوعد يمثل شكلا من أشكال التنبؤ.

٦٣- راجع ، Bachelard, The *philosophy of no*, p. ١٨

٦٤- وبهذا المعنى لن يكون هناك معنى لوصفنا بنك انجلترا بالوفاء أو بعدم الوفاء ؛ انظر التمييز الذى يقدمه سيرل، *Speech acts*, p.62

٦٥- راجع ، **السيمينار الثاني** ٣٧١-٣٢٣/-٤ .

٦٦- راجع ، سيرل ، *Speech* acts, pp.50-53

٦٧- راجع ، " La psychanalyse et son enseignement"(1957), E. 454

٦٨- انظر ، *Being and nothing. A phenomenological essay on ontology*, pp.86-96 .

والعدد الهائل من المناقشات التي أثرى بها الأدبيات الفلسفية في الثقافة الأنجلو أمريكية ، خاصة المقالات المنشورة في :

Wollheim and Hopkins)eds.), *Philosophical essays on Freud*, and Sebastian Gardner, "Sartre's critique of Freud; irrationality and the philosophy of psychoanalysis"

٦٩- راجع **السيمينار الأول** ١٩٧/١٧٤- ٥٠

٧٠- تحدد إحدى الملاحظات التي لاحظها عن موضوع الكذب عند الهستيريين، وهي ملاحظة تشبه ملاحظات لويس كارول أن هذا هو الرأي الفرويدي الحقيقي عن الهستيري . 'يستدعي كذب الهستيريين إلى الذهن المفارقة القديمة ، مفارقة Cretan [إبيميندس Epimenides] : "إذا أكدت امرأة هستيرية أنها كذبت ، فقد يكون هذا التأكيد ، بكل دقة، مجرد كذبة أخرى ." Nunberg and Federn, eds., *Minutes of the Vienna Psychoanalytic Socie-*)'

.Scientific Meeting on 19 October 1910", P. 32) *ty; Vol. III*:*1910-1911*,

٧١ - راجع سيرل ، *Speech acts*، p.58: ' "أنا أعد" و"أنا بهذا أعد" ضمن أقوى القوى اللاتعبيرية التي تحدد حيل الاقتراف التي تقدمها اللغة الإنجليزية .'

٧٢ -راجع **السيمينار الأول** ٤٥٣-٥/٩٢٣- ٢٠٠

٧٣ - راجع **السيمينار الثاني** ٣٢٦-٧/٣٨٢- ٢٠

٧٤- راجع **السيمينار الثاني** ١٧٣/٣٢٣ .

٧٥ - راجع دراسات عن الهستيريا , *Studies on hysteria* (1895d), SE II115

٧٦- توجد بعض النقط المهمة المشتركة بين هذا المثال الخيالي ومقطوعة من الثرثرة التحليلية حول تدخل تحليلي لمثال لاكان . كان اشخص الذي نحن بصدده يعاني من صعوبة في قبول الزواج ، وقد قضى عدة جلسات يصارع شكوكه وأفكاره الثانوية . وذات يوم ، تمدد على الأريكة وقال لمحلله : " Donc, je me marie demain" [هكذا ، سأتزوج غدا .] ورد عليه لاكان متسائلا : "Avec qui?'" من مَن؟ إن قوة التأثير تعتمد جزئيا على حقيقة أن الفعل يتزوج marier يمكن أن يستخدم كفعل متعد وكفعل انعكاسي reflexive [الفعل الذي يكون مفعوله هو الفاعل نفسه] . وقد اختار المحلل أن يستخدمه كفعل انعكاسي ، وهكذا يؤكد على التغيير المتوقع في موقفه من الزواج دون أن يقوم بتحديد الطرف الذي كان سيشارك في تغيير هذه الحالة-ويمكن أن نفترض أنه كان يظن أن ذلك كان سيحدث بدون كلام . ويمكن رؤية تدخل لاكان بوصفه تحقيقا مهذبا ، إن لم يكن مدهشا ، وكأن الذات كانت تحاول التهرب من اقتراف الكلام المؤسس-وكأن استغراقه في 'أنا زوجكِ' جعله ينسى ما يلازمها بالضرورة 'أنتِ زوجتي .'

٧٧- قد يقول المرء إننا لم نتركه أبدا ؛ إن هذه الاعتبارات المتعلقة بالضمائر يمكن استبعادها تماما بملاحظة أن القاعدة الأساسية للتداعي، والتي تتمثل في 'قل كل ما يخطر على بالك' ، تحمل في ثناياها تأمين ضمني ، أو كفالة للتغافل الأساسي للمحلل عن الاسم: 'لا يهم ما تعتقده بشأني ، يمكن لك أن تقول لي أي شيء .' أي ، 'إنني لا أحد' (قارن هذا بما قاله أوديسيوس) .

٧٨ -راجع **السيمينار الأول** ١٢٧/١٠٩ . وقد نقح لاكان هذه الصياغة في **السيمينار الحادي عشر** ٢٣١/٦٤١: 'إن الإحالة تشريع enactment [*mise en act*] واقع اللاشعور .' ولا يجب

الخلط بين هذا 'التشريع 'enacting وبين ' 'acting out. ويلاحظ شنيدرمان (Rat Man, pp.15-16) بشكل مفيد : 'مهما تكن طبيعة الطقوس فإن الجلسة النفسية تبقى على الفرصة كإطار يتيح الإخراج المسرحي لما يمكن أن ندعوه اللاأحداث .إن المحلل يلزم مريضه مثلما يلزم نفسه بالحفاظ على هذا الإطار بقوة ليطمئن إلى أن ما يحدث في الجلسة يبقى في وظيفة عملية الكلام .' ويحاول هذا الفصل تجنب التضاد الضمني بين الكلام والفعل (ويعتبر شنيدرمان من أوائل من سلموا بأنه غير مقنع) ولكننا ندرك أن 'الأحداث' أو 'الأفعال الكلامية' التي تتم في الجلسة التحليلية تنزع منها خاصية 'الأحداث' أو 'الأفعال' . والطريقة الخاصة لتدخل المحلل هي التي تحقق هذه النهاية .

٧٩ – مع أن هذا التعريف تعريف إجرائي بسيط إلا أنه انتقد كثيرا ، ويقال إنه يقلل من أهمية واقع تفرد المحلل والتفاعل 'الصادق' أو 'الواقعي' معه . وأظن أنه نقد مؤسس على مفاهيم خاطئة ، وآمل أن أوضح ذلك في بقية هذا الفصل .

٨٠ – استخدمت هذا المثال في موضع آخر لغرض يختلف قليلا : انظر الفصل الثاني من هذا الكتاب [كتاب فورستر]، الذي يلمح أيضا لبعض المناقشات حول الأفعال الكلامية وهي مناقشات تطورت هنا تطورا أكثر اكتمالا ..

٨١ – راجع دراسات عن الهستريا ، *Studies on hysteria* (1895d), SE II 302-3

٨٢– تأخر فرويد في توضيح هذا الخط الفكري بصورة أكبر باستخدام مصطلحي Ich و Es، "I" و'it'، لمفهومين من مفاهيمه الرئيسية ('الأنا "ego' والهو -"id") توجد بعض التعقيدات في هذا التطور ؛ ولا أود أن أعطي انطباعا بأنني مع التعليق الساذج إلى حد ما ، التعليق الذي كتبه Bettelheim عن سيكولوجيا فرويد الإنسانية باعتبارها امتدادا لبراعته في اللغة الألمانية ، أو مع التعليقات التي تجعل الإشارة إلى نسقي " "das Ich"و das Es يتطابقان مع استخدامات الضميرين Ich وEs.

٨٣ – راجع دراسات عن الهستريا ص ٤٠٣ .

٨٤– إن النقد القاسي الذي وجهه سيرل لهذه النقطة مفيد ومهم : 'ومن ثم ليس لنا أن نفترض ، مهما توحي استعارة "القوة" ، أن الأفعال اللاتعبيرية المختلفة تضع النقط على سلسلة واحدة، وبالأحرى ثمة العديد من السلاسل المختلفة "للقوة اللاتعبيرية"' *(Speech acts*, p.70).

لفيلمان ، في *Le scadale du corps parlant*, pp.104 ff.، ملاحظات رائعة على أهمية 'القوة'، واهمية الطريقة التي تهرب بها قراء أوستن (بنفنسنت وآخرون) من قوة نظرية أوستن عن 'القوة اللاتعبيرية' .

٨٥ - راجع ، *Ratman* SE X 221-2

٨٦ - راجع ، *Ratman* Stud VII 83

٨٧ - في مقابل الوصف أو '- constating' مع أنه بمجرد أن نحاول 'تدوين' أو 'ملاحظة' أو 'رؤية' الأفعال اللامنجزة ، نرى كم هو من غير المحتمل أن نصرح بإمكانية أن يكون هناك فعل غير منجز تماما .

٨٨- راجع ، *Ratman* SE X 166.

٨٩ - المصدر السابق ص ١٦٩ .

٩٠- أقتبس هنا من السطر الاستهلالي للتعليق على الجلسة الأولى :

في اليوم التالي جعلته يقطع عهدا على نفسه بالخضوع لشرط وحيد من شروط العلاج-أعني أن يقول كل ما يخطر على باله...(SE X 951)

والنص الألماني مهم هنا

Nachdem ich ihn am nachsten Tage auf die einzige Bedingung der kur verpflichtet aalles zu sagen...(Stud VII 38)

ويمكن ترجمة هذه العبارة على النحو التالي :

في اليوم التالي ، قيدته بالشرط الوحيد للعلاج ، أن يقول كل شيء ...

استخدم Strachey في ترجمته صيغة تعبيرية . إلا أن فرويد لم يكن هو الذي قيد نفسه ، كما في جملة أوستن، 'كلمتنا هي رباطنا' ، مهما يكن العنوان الذي يقع تحته هذا التفوه . ما فعله فرويد كان لربط **شخص آخر** وليس نفسه-ويعتبر هذا من أغرب الظواهر اللغوية . لكنها ظاهرة تلقي الضوء على أحد الموضوعات التي لم أتناولها : إن 'ضمير المتكلم' و'ضمير المخاطب' تخلقهما الأفعال اللاتعبيرية والتعبيرية ، ويخلقهما الكلام المؤسس ، والعهد الاستهلالي ، الذي يخلق الوضع التحليلي ويستهل الديالوج التحليلي (بالطريقة التي تستهل

بها حركة P-K4 مباراة في الشطرنج) إن خاصة رابطة فرويد التي يمكن أن يوضحها الرتمان ، مستخدما التماثل مع الشطرنج ، بتخيل مباراة يبدأ فيها اللاعب الأول باللعب للشخص الآخر–وكأن فرويد حرك الحركة الأولى للقطع البيضاء ، وحول بعد ذلك الشطرنج واضعا القطع البيضاء أمام الشخص الآخر ، وقال : انظر ، لك ، الأفضلية ، إنك تلعب بالأبيض .

٩١ – راجع ، *Ratman* SE X ١٦٦.

٩٢ – ثمة تفسيرات أخرى كثيرة يمكن أن نقدمها لهذا الحدث . أذكر اثنين منها :

١– إن الرتمان يخاطب فرويد بأسلوب يلائم الخلط بينه وبين صديقه (الذي بالتأكيد لا يمثله فرويد ، بمعنى من المعاني) ، وينتهي بمخاطبته كما لو كان أباه . وبالطبع ، هذا هو بكل دقة ما يسعى التفسير إلى تحقيقه : رجّ التقمص ، والسماح له بالظهور ، بدل الاختباء بالتواطؤ الشعوري أو اللاشعوري بين المحلل والمريض–وهذا هو السبب في أن فرويد لا يستطيع أن يلعب دور الصديق .

٢–إن الرتمان ، خلال هذه المناورة ، يلعب دور الكابتن ، ويضطر فرويد إلى الخضوع لعذاب الإنصات لقصة عذاب الفأر . وفي هذا الخط الفكري ، تستثير البنية السردية اعتماد المنصت على السامع–إن الرتمان يعذب فرويد بعدم الانتهاء من سرد القصة ، بأن لا يحكي له الخلاصة .

٩٣– انظر ، The misalliance dimension in the case of the Rat Man"."Langs,

وانظر أيضا المناقشة المكثفة والممتعة عن 'أخطاء' التفسير عند فرويد في لاكان "وظيفة الكلام واللغة ومجالهما" *كتابات* ٢٠٢–٨٨/٣– ٩٠٠ .

٩٤– انظر التعليقات على 'القيام بدور' في الفصل الثالث ، من هذا الكتاب [كتاب فورستر]، ص ٥٨– ٦١ .

٩٥– ربما يبدو أن مثال المراقب الموضوعي لمحتويات العقل هو الموقف الذي أوصى به مرضاه بصياغة القاعدة الأساسية التي قدمها فرويد في "عن بداية العلاج" [(1913c), SE XII 135] :

'افعل كما لو كنت ، مثلا ، مسافرا وتجلس بجوار شباك عربة القطار تصف لشخص بداخل العربة تغير المشاهد التي تراها في الخارج .' دع جانبا الحقيقة الساخرة عن أن القلق من السفر بالقطار

من أوضح أعراض فرويد العصابية ، حتى حين تختبئ العلاقة التي تبدو موضوعية مع شريك السفر بمجرد أن نسأل :"مَنْ هذا الآخر ؟ وبأي نوع من الأوصاف يهتم ؟ هل يريد أن يسمع عن الحيوانات والنباتات التي تتغير من مكان إلى آخر ، أم عن ألوان السماء ، أم عن الجيولوجيا ؟" (إن الجيولوجيا ، في الحقيقة ، مثال غريب بعض الشيء ، مثال يذكره Glover في التعليق على هذه الفقرة من أعمال فرويد في عمله الرائع تقنية التحليل النفسي .) بطرح السؤال عما يريد الآخر أن يسمع ، ونستهل سؤال الإحالة–يتحول المرء من المشاهد التي يراها من النافذة ليلقي نظرة على رفيق السفر .

٩٦– قارن خطا مشابها في المناقشة فيما يتعلق بعلاقة الخطاب التحليلي بالآخرين–شرعيا ، طبيا ، سياسيا، إلى آخره–في الفصل الثاني من هذا الكتاب [بالطبع ، كتاب فورستر] .

٩٧ – راجع لاكان ، "Le mythe indviduel du névrosé"

٩٨– هناك حلم آخر من **جولات القوة** *tours de force* التفسيرية عند فرويد ، الحلم المركزي في 'عن الأحلام' دار أيضا حول السؤال 'من أجل الحب أم من أجل المال ؟'ركز أيضا في تعبير العينين الجميلتين *beaux yeux*؛ انظر3-671 , 7-655 , 50-649 , SE V 636-40 ومناقشة Anzieu المسهبة عن الحلم في Freud's self analysis, pp.531-49.

٩٩–راجع ، Ratman SE X 312 .

١٠٠ – واضعا في ذهنه أن خطيبته لم تكن قادرة على الإنجاب .

١٠١– يتناول عمل فرويد "عن بداية العلاج" المسائل التالية بصورة أساسية :

فترة المحاولة قبل أن تبدأ البداية ؛ الزمن ؛ المال ؛ تواصل القاعدة الرئيسية لتقنية التحليل النفسي والمسائل المرتبطة بذلك ؛ الموقف يتخذ باتجاه الإحالة ؛ التواصلات الأولى للمحلل .

١٠٢ – بالإنجليزية في الأصل .

١٠٣ – راجع السيمينار السابع ٣٣٧ .

الفصل الرابع

لاكان والأدب

مالكولم بويى

العنوان الأصلى :

Lacan and Literature

وهو الفصل الخامس من :

Malcolm Bowie, Froud, Proust and Lacan: *Theory as fiction*; Cambridge University Press, 1987.

المتن من ص ١٣٥ إلى ص ١٣٦ ، والهوامش من ص ٢٠٤ إلى ٢١١

vorrei e non vorrei

أودُّ ولا أود

Mozart and Da Ponte: *Don Giovanni*

فى أبحـاث لاكـان العلمـيـة تحـقق الأعمـال الأدبيـة – أعنى تلك الأعمـال التى يقتبسها ويحللها ويشيد بها– قناعات معقدة تشبه تلك التى حققتها فى أعمال فرويد . وتحقق ، بالطبع ، بعض المهام البسيطة أيضا : مثلما فعل فرويد ، يصور لاكان نفسه فى إشاراته إلى الأدب باعتباره شخصا يتمتع بمكانة تعليمية جليلة وطموح ثقافى كبير، ويستدعى إلى الذهن التراث الفنى عن الشاهد النبوى الأوربى من أجل حقائق السيكولوجيا الجديدة . لكن كلا منهما كان يتوق إلى الأدب بصورة مثيرة تجعله لا يستخدمه لمجرد التوثيق أو التوضيح . كان الأدب فى حقل العلم كما كان خارجه ؛ كانت الخبرة بالأدب دافعا إلى التنظير العلمى وهاجسا بما قد تكون عليه النظرية المترابطة ؛ ويبدو ، فى الحقيقة ، أن بعض الأعمال الأدبية ليست مجرد دعوة إلى نظريات العقل ولكنها نظريات العقل بالفعل . وبالرغم من تلك الدوافع المشتركة إلا أن كلا من فرويد ولاكان يتعامل مع المواد الأدبية بأسلوب مختلف ويتبنى مقولات نظرية مختلفة عن الطريقة التى يمكن بها لتلك المواد أن تساعد البحث العلمى أو تشكله. وبينما كان فرويد يرى ضرورة العثور على النموذج الأسمى لسيكولوجيا إكلينيكية خارج العلم ، فى التراجيديات الأوربية ، نرى أن النموذج الذى يستخدمه لاكان غالبا ، ويبـدو من تكرار التـقـدير له أنه يحـتل المكانة الأسـمى ، هو النص الأدبى ذاته ، باعتباره ملتبسا وجمعيًا plural بصورة لا تنضب .

كان لاكان ، فى تأكيده على الأدب كنصٍّ متعدد الدلالة ، صاخبا بينما فرويد يكاد يكون صامتا ، وسأبدأ مناقشة هذا التأكيد بتقديم تلخيص موجز لبعض الجوانب من تعليق فرويد، تلك الجوانب التى فضَّل لاكان ألا يتعقبها ، أو فضل أن يتعقبها

بأساليب ملتفة . لا يهتم فرويد فى اقتباساته العديدة من الشعر بالنسيج اللفظى للأبيات التى وقع عليها اختياره ، ولكنه يهتم بشكل الصياغة ككل ، أو بإيماءة العقل الذى تسعى إلى التعبير عنه ، أو بطرق التداعى ، فى تاريخ الحالات وتحليل الأحلام ، التى تعيد ربط الكلمات ، والعبارات التى تكونها ، بالحياة النفسية العامة للفرد . وفى تفسير الأحلام ، ذلك النص المحتشد بالإشارات إلى الشعر ، تياران قويان فى مناقشة فرويد يختزلان خصوصية اللغة الشعرية والثقافة التى يقدمها الشعر لمفسر الأحلام. وأول هذين التيارين تعليق فرويد على اللغة الطبيعية بوصفها لغة يتأصل فيها الالتباس :

> لا حاجة بنا للدهشة من الدور الذى تلعبه الكلمات فى تكوين الحلم ؛ وحيث أن الكلمات هى النقط العقدية [knotenpunkt(e)] للكثير من الأفكار ، فقد يعتبر الالتباس قدرها ، والعُصاب (مثل الأفكار الاستحواذية والرُّهاب) ، ليس أقل من الأحلام فى انتهاز المزايا التى تقدمها الكلمات فى التكثيف والتقنُّع. ومن السهل أن نوضح أن تشويه الأحلام يستفيد من إزاحة التعبير أيضا .
>
> (GW, II/III, 346 V, 340-41)

إن الشعر يذوب من المشهد بطريقتين مختلفتين ولكنهما ، هنا ، مرتبطتان ببعضهما . إن التباسه ، ونقطه العقدية ، وبنيته المحكمة ، ليست سوى شواهد موضعية عما تقدمه اللغة بصورة متأصلة عموما ؛ وبلا هوادة يستمر التكثيف والتقنع والإزاحة فى العقل اللاشعورى ، بصرف النظر عما تقدمه اللغة من تلميح وإغراء . لم يعد الشعر يتأثر باللغة بالضبط مثلما لم تعد اللغة ، بدورها ، تتأثر بآلية التفكير اللاشعورى التى تبدو خرساء wordless. وبالإضافة إلى ذلك لا تتحقق هذه الهزيمة التى يتعرض لها الشعر بمجرد تركيز الضوء على تلك الآليات العقلية التى تتفوق عليه عموما ، ولكنها تتحقق أيضا بتقديم نشاط الشاعر وتأثير ما يقدمه من أعمال على القراء فى صورة طيعة ومخففة على نحو كاريكاتورى . لقد ناقش فرويد فى الفقرة السابقة العمليات التحولية المميزة للأحلام وضرب بكتابة القصيدة مثلا على 'الأسلوب الانتقائى المحدَّد' الذى قد يؤثر به تفكير أى شخص على من يخلفونه :

إذا كان على القصيدة أن تلتزم بالقافية ، فإن البيت الثانى من الثنائية يُقَيَّد بشرطين : عليه أن يعبر عن المعنى المناسب ، وأن يكون التعبير عن ذلك المعنى متوافقا مع قافية البيت الأول. وليس هناك أدنى شك فى أن أفضل القصائد هى تلك التى لا نلحظ فيها تعمد البحث عن القافية ، وهى تلك التى تأتى فيها الفكرتان منذ البداية ، بالتأثير المتبادَل ، فى تعبير لفظى يسمح بانبثاق القافية بتعديل طفيف . (GW, II/III, 345-6;V, 340)

لماذا يبدو تكرار التعبير عن رأى 'كلاسيكى' مألوف عن التقفية معقولا على نحو يثير الفضول إلى هذه الدرجة ؟ اختار فرويد أن يقدم نشاط الشاعر بوصفه بحثا عن المعانى والقوافى 'المناسبة' واستبعد كل أثر لتعمد التقفية . إن الشاعر مقاول حليم مقتصد : مهمته تنظيم الالتباس وليس استثماره ؛ والحيلولة بين تلك النقط العقدية المفردة ، التى تمثل كلمات القافية ، واكتساب قيمة دلالية إضافية ؛ وترك الأفكار التى تؤثر على بعضها منذ البداية تأثيرا لطيفا متبادلا تستمتع بانسجام نهائى هادئ . والشاعر من هذا الطراز ليس لديه اهتمام خاص بالالتباس ويفتقر إلى أعمال الإثارة التخيلية ، ويترك المسرح خاليا لمن يستطيع التعامل ببراعة مع الالتباس ولمن يتمتع بالقدرة على الإثارة البارعة ليدخل من جديد : اللاشعورى ذاته . وهكذا تكون درامية فرويد فى تفسير الأحلام .

ويستمر التيار الثانى من التيارين اللذين ذكرتهما منذ لحظة ويكمل عملية تدجين الشعر. إن الأحلام التى يناقشها كتاب فرويد ، والتداعيات المصاحبة ، تتخللها–ودون أن يكون هناك أى مجال للدهشة–مادةٌ 'أدبية' : 'وفى ضوء الدور الذى تلعبه النكات والاقتباسات والأغانى والأمثال ، نجد أن مما يتفق مع توقعاتنا أن ذلك النوع من الأقنعة قد استخدم بمعدل هائل لتمثيل أفكار الحلم' (V, 354).[1] ولكن ليس هذا ، للأسف ، تفسيرا طبقيا ناشئا عن عادات الأحلام فى فيينا . وتقدم النتفُ النصيةُّ التى تتأرجح فى عقول نيام تلك المدينة من بين المتعلمين ، تقدم الفرص لعمل الحلم المبدِع دائما وهى فرص تتاح أيضا ، فى نمط معصوم يساوى بين الجميع ، لكل من يتمتع بالقدرة على فهم اللغة . وقد تقدم الكلمات المقتبسة ، ومن ثم أية كلمة مهما تكن

منزلتها فى تراتبية الثقافة ، جسورا أو تحولات (V, 341) فى تنظيم الأحلام ، ذلك التنظيم الداخلى المعقد . وتنتهى المرحلة الثالثة والأخيرة من تحليل فرويد لحلمه الخاص ' Non vixit ' لم يعش (V، ٤٢١-٤٢٥، ٤٨٠-٤٨٧، ٣١٥) باقتباس عن هانيه Heine من قصيدة ' Die Heimkehr' ('العودة إلى الوطن The Homecoming') :

فهمتنى نادرا

ونادرا فهمتك ، فى كل ما مضى

فقط حين نسقط فى البذاءة

يفهم كل منا الآخر .[٢]

ويخبرنا فرويد أنها كانت تشير إلى 'فنتازيا الطفولة التى اتضح أنها تمثل النقطة العقدية المتوسطة فى أفكار الحلم' (V, 513) . إن أبيات هانيه التهكمية المليئة بالحيل الصوتية ليست مرشحة بذاتها للمناقشة ، حيث لا يوجد لها دور 'عقدى' تؤديه : إنها جسر يعيدنا إلى الفطنة والتعقيد فيما يدعوه مرتين 'نموذجه الرفيع للحلم' *his schne(n) Traum* كما تذكر الطبعة المحققة (GW, II/III, 424, 484; V, 421,480) .[٣] إنها تنهى الخاتمة الطنانة بتفسير أتيحت له الفرصة من قبل أن يجعل الكتاب المقدس ، ويوليوس قيصر وهنرى الرابع لشكسبير ، واللص لشيللر ، وفاوست لجوته ، تشارك فى بعض الأدوار الثانوية المتنوعة .[٤] إن بعض الأحداث السعيدة فى التنشئة والتعليم جعلت من الممكن بالنسبة لفرويد أن يثرى أحلامه وتداعياتها بالأباطرة والأمراء وأبطال الأدب من قاطعى الطريق ، وليس هناك أى خطأ فى اللذة التى يشعر بها حين ينظر إليهم كرفاق . وبالرغم من نخبوية elitism الافتراضات الثقافية عند فرويد ، والحركة إلى أعلى التى من المتوقع أن يؤثر بها الأدب على نصه الخاص ، يُسمَع دائما صوتٌ ديموقراطى قوى فى تعليقاته على العقل الحالم : يستطيع عمل الحلم استهلاك أى شيء فى طريقه ، الشعر والثرثرة ، الصعاليك والملوك ؛ ويستطيع ملء الفجوات بأية 'نتف أو رقع' فى متناول اليد .[٥] واللاشعورى هو النموذج الذى يعمل فى مجتمع تتلاشى فيه الطبقات ولا يتمتع

الشعراء بأى امتياز فى ذلك . إلا أن الشعر لا يتعرض للإهانة حين يصبح غير ملموس فى سيكولوجيا اللاشعورى عند فرويد : إنه بالأحرى صنع ، بتعبير ليونل تريلنج Lionel Trilling ، 'جزءا فطريا من المكونات الحقيقية للعقل.'[٦] ولسنا فى حاجة إلى أن نتذكر أن نظريات فرويد العامة عن الأداء العقلى كان لها ، بالتركيز المستمر على إنتاج المعنى وتحولاته ، تأثير استثنائى مثير على دراسة الأشكال الشعرية .

يقتبس فرويد من هاملت الأبيات التالية ويطرى عليها : 'لا أجنُّ إلا والريح تتجه شمالا – شمالا – غربا ؛ حين تتجه جنوبا أعرف الصقر من المنشار' (V, 444).[٧] لماذا لا تكون أكثر الأحلام جنونا شبيهة إلى حد ما بالأمير ذاته فى جنونه الزائف ، وتكتفى بإخفاء معناها الحقيقى تحت 'عباءة من الفطنة والغموض' ؟ يعود بنا نصٌّ شكسبير ، كما هو الحال بالنسبة لنص هانيه والكثير من النصوص المقتبسة عن الآخرين فى تفسير الأحلام ، إلى الوراء ، إلى العالم الدلالى الثابت الذى قد يبدو للوهلة الأولى وكأن سطحه اللفظى المتقلّب volatile يسعى إلى التدمير . استمعْ بإمعان إلى الحديث الجنونى الذى نطق به هاملت تسمعْ صوتَ الحكمة الشاملة . وفى المقابل ، يطمح لاكان إلى الجنون مع هاملت وإلى أن يكون جمعيًا بوعى ككاتب ، سواء أكان ذلك بتقليد نصوص الأدب التى يقتبسها أم بالاستخفاف بها . وبينما يتحكم فرويد تحكما تاما فى القدرة النصية لاقتباساته ، يناضل لاكان لتحرير تلك القدرة من جديد ، استجابة لأكثر مبادئ التحليل النفسى صرامة . وحين يكتب لاكان فى أعقاب فرويد عن التباس اللغة الطبيعية ، وعن الكلمات بوصفها 'نقطا عقدية' ، تحتلُّ استعانته بالأدب فى واحدة من تلميحاته العديدة أو فى عدد منها موقعا بارزا ، وكان الأدب وحده كفيلا بتقديم الاكتمال والقيمة الضروريين لهذه المناقشة :

إن الكلمة ليست علامة ولكنها عقدة دالة . وحين أتفوّه بكلمة 'ستارة "rideau ، مثلا ، فإنها تدلُّ طبقا للعرف على موضوع قد يتنوع بطرق لا تحصى طبقا للغاية التى يدركها العامل أو التاجر أو النقّاش أو عالم النفس الجشتالتى ، فهى عمل ، أو قيمة تبادلية ، أو مشهدا ملونا ، أو بنية مكانية . بالإضافة إلى

أنها على مستوى الاستعارة ستارة من الأشجار ؛ وعلى مستوى الجناس خرير ماء [rides] وضحك [ris]، ويمكن لصديقى Leiris معالجة هذه الألعاب اللغوية الغامضة أفضل من معالجتى لها. وهى حدود واقعى المقدَّر لى ، أو شاشة تأملى فى الغرفة التى أنزل فيها مصادفة . وهى بمعجزةٍ فضاءٌ يطل على اللانهائى ، أو المجهول على العتبة ، أو على شخص وحيد فى الصباح . وهى بالأفكار الاستحواذية الحركةُ التى تدل على وجود أجريبين Agrippine فى مجلس الإمبراطور أو تحديق مدام دى كاستيل Mme de Chasteller ولوسيان لوين Lucien Leuwen يتراجع . وهى خطأٌ بولونيس Polonius الذى اصطدم به : 'فأر! فأر! فأر ضخم!' . وهى على مستوى الدهشة صرخة تعبِّر عن نفاد صبرى أو كلمة تعبر عن ضجرى فى فاصل من اللهو . ستارة! وهى أخيرا على مستوى المعنى صورة ذهنية لمعنى، يجب إزاحة النقاب عنه حتى نستطيع اكتشافه .[٨] (٦١٦-٦١٧)

وفى فقرة من 'مقال عن أسباب الذهان Props sur la causalité psychique" (١٩٦٤) ، يصل الهجوم العنيف على بعض النظريات العضوية عن الذُّهان إلى ذروته الأولى . وفى مواجهة الذين سعوا إلى تهميش العمليات العقلية 'للمجنون' ، والذين استخدموا بعض المفاهيم الهزيلة عن 'الحقيقة' لإدانة العقول الخاطئة ، عقول المجانين ، أكَّد لاكان من جديد على أهمية تلك العمليات كموضوع للبحث العلمى عموما—سواء أكانت عاقلة أم مجنونة ، طبيعيةً أم مرضيَّةً . والمسألة الحاسمة تتمثل فى أن أنصار النظريات العضوية يتجاهلون باختيارهم أن الجنون ، مهما تكن مصادره ، طريقة من طرق التعبير عن المعنى : 'إن ظاهرة الجنون لا تنفصل عن مشكلة الدلالة بالنسبة للكائن عموما ، أى عن اللغة بالنسبة للإنسان' (١٦٦) . ويرى لاكان أن أفضل ما يمكن أن يقوم به دارسو العقل الإنسانى ممن يسعون إلى السيطرة على 'مشكلة المعنى' هو التدريب على دراسة الأدب . لأن الأدب يعرض الوسط اللغوى الصعب الذى يتم فيه إنتاج المعنى ويصوره . وبينما يسعى الإكلينيكيون الذين يهاجمهم لاكان إلى تقويض الخطاب الذهانى بالتقليل من شأنه ، يسعى لاكان بالعودة إلى حقل

المعنى الأدبى الخصب ، إلى أن يعيد إلى هذا الخطاب التحديد المتعدد العوامل overdetermination كشرط لا مفر منه .

يبعث لاكان بولونيوس قرب نهاية الفقرة السابقة ، ولكنه كان فى البداية أمام هاملت الردىء بمزاجه الكئيب ، ودعابته اللفظية ، وفيض خُطْبته العنيفة [٩] والعقدة الدالة التى تحلها هذه الخطبة وتعيد عقدها – كلمة 'ستارة' – هى ، كما نتوقع ، مثال تم اختياره 'عشوائيا' وهو مثال معقد تعقيدا خاصا مما أتاح للاكان أن يتجول فى تداعيات سريعة بين الصناعة والتجارة والفن والجنس والسياسة والعلوم السيكولوجية .

يوجد 'الأدب' فى شكلين أساسيين . وهو فى الشكل الأول سجل للاستعارات والصور والتأثيرات اللغوية المبهمة [١٠] والمشاهد المؤثرة التى قد يعتمد عليها الكتّاب والمتحدثون إذا أرادوا . ومن بين هذه المواد تحظى المشاهد المؤثرة باهتمام خاص هنا–ليس لأن بعضها يتردد صداه مع كل من بريتانيكوس *Britannicus* ولوسيان لوين وهاملت ، فى تعقيدات العاطفة الجنسية والسياسية ، ولكن لأن بحث لاكان يقدم عموما بعض التلميحات الأخرى الحافزة حين يستدعى أبيات أجريبين ، تلك الأبيات الشهيرة :

كلا ، كلا ، ولى شباب نيرون ،

انتقلت إلى عبادة البلاط ،

حين اعتمد على فى إدارة الدولة

حين أمرت بانعقاد مجلس الشيوخ هنا ،

وحين تواريت خلف الستار ،

كانت الروح تقرر مصير الجسد الهائل [١١] (I, I)

يواصل لاكان لعبة البدائل التى نشأت عن كلمة 'ستارة "rideau"، ويعرض أول الشعارات الثلاثة لتدريب زائف للقوة السياسية ويتنبأ بذلك المفهوم الخاص بالمعنى الذى تنتهى به الفقرة السابقة بوصفه كشفا مستمرا [١٢] . لكن ممارسى الطب

النفسى والتحليل النفسى لهم ، مثلما يلحُّ لاكان على تذكيرنا فى هذا البحث وفى كتابات ، سياساتهم أيضا ، وأنماط الولاء المتغير ، وصراعاتهم على التركة ، ومكائدهم ، ونزاعاتهم ، وأحلافهم السرية . يقدم راسين فى إمبراطور روما Imperial Rome محترفى العلاج فى صورة ساخرة وجارحة . وبالمثل ، تضيف فنتازيا لاكان عن بولونيوس القاتل ، وأدائه المشحون لصرخة هاملت 'فأر، فأر!' بُعْدًا آخر للكوميديا السوداء من السياق السياسى المباشر للبحث ككل : وتمثل المناقشة فى معظمها هجوما ينصبُّ على مشاعر هنرى إى Henri Ey ، وهو معلم سابق للاكان ، وأستاذ بارع فى الطب النفسى الفرنسى ورجل له الكثير من الكلمات المؤثرة . وتقدم فقرة ستاندال التى يشير إليها لاكان ، بالإضافة إلى احتوائها على الستارة المطلوبة والشخصية السياسية الخفية (إن مدام دى كاستيل 'شديدة الحنق' ، كما قيل للوسيان المرتبك بعد صفحات قليلة) ، إشارة متطورة واضحة إلى أسلوب لاكان ، الأسلوب الأدبى والمهنى :

أغلقت السيدة الشابة نافذتها ونظرت نصف مختفية وراء ستارة من الموسلين المطرز على شباكها . ربما كانت فى الرابعة والعشرين أو الخامسة والعشرين من العمر . رأى لوسيان فى عينيها تعبيرا عن الوحدة ؛ هل كان تعبيرا عن السخرية والبغض ، أم أنها كانت مجرد شابة تنزع إلى رؤية الأشياء بهدف التسلية ؟ (١٣)

وقد استطاع المتلقى الأصلى 'لمقال حول أسباب الذُّهان' أن يطرح بيسر سؤال لوسيان عن أسلوب لاكان ، ذلك الأسلوب الغامض المثير للنقاش . لأنه كان أسلوبا لعب فيه الحنق والطيش وما يدعوه هو نفسه 'سخرية ، لا شك أنها محفوفة بالمخاطر' (١٦٠) (١٤) دورا بدا لعدد كبير من معاصريه أنه غير مناسب وغير مهنى .

يظهر عدد كبير من المؤلفين فى مواضع أخرى من بحث لاكان منهم فونتيه وفولبير وشيللر وموليير ومونتينى وأفلاطون . وكل منهم ، بمفرده ، يضاعف المعانى الموضعية فى خطاب لاكان ويمده بالعُقَد . ويتحرك موكبٌ من المؤلفين حركة سريعة فى النص ، وتنشأ بينهم فى حركتهم علاقات لا تاريخية ، تخلق فى المناقشة تيارات من

التداعى ، تيارات قوية ومتداخلة وجديرة بأن نتعلم منها . إن لعبة الربط بين مؤلفين سابقين وفقرات مقتبسة من نصوص قديمة ، تدل ، ضمن أشياء أخرى ، على مسئولية أخلاقية شاقة يفترضها المنظِّر التحليلى ويتحملها : صار وصيا على ما دعاه لاكان فيما بعد 'النظام الرمزى' وداعما للتعقيد والإدراك الذاتى الحرج فى علم سيكولوجى . وفى خدمة هذه الأهداف ، صار التراث الأدبى- واستمرٌ فى أبحاث لاكان فى الخمسينيات - مخزنا لا ينضب للنُّوَى النصية أو 'النقط العقدية' .

ذكرتُ فيما سبق أن هناك دورين للأدب . ويتمثل الدور الثانى فى أن كتابات لاكان تسعى إلى أن تصبح ما تشاهده ، وأن تنبثق مزهرةً وتأمَّل **زهور البلاغة** *Fleurs de rhétorique* عند الآخرين . ويركز هنا 'كتابيا' تركيزا استثنائيا على بعض الصور البلاغية فى تنظيم أفكاره قبل أن يبدأ فى استخدام المصطلحات التقنية الكلاسيكية بفترة طويلة فى تعليقاته على 'بلاغة اللاشعورى' وقبل أن يعلن أن كوينتليانوس Quintilian [ماركوس فابيوس كوينتليانوس : بلاغى رومانى عاش فى القرن الأول الميلادى وألف رسالة عن البلاغة - المترجم] سلفُه الفكرى وعرَّابُه . (١٥)
يبدع لاكان ضد المبادئ الفظة ، مبادئ الالتزام والتسلسل *enchaînement* ومن المتوقع أن ينظر إليها المنظِّر التحليلى نظرة عادية ، وكأنها لازمة استهلالية (C'est par ...C'est par) تنأى بنصه عن البعد الزمانى للمناقشة المترابطة . ولكنه لا يلغى إحدى النتائج المنطقية المتوقعة لمجرد أن يُضفى على نصه حركة خاصة تدفعه إلى الأمام . والتكرار الاستهلالى anaphora ، وهو أبسط الأنساق اللغوية وربما كان من أكثرها شيوعا ، يطور هنا جوهره الخاص وطاقته المنطقية المضادة ، بالإضافة إلى أنه يدفع القارئ برفق بعيدا عن افتتاحية الجملة إلى جوهر الافتراض . ويلعب لاكان بحرف الجر 'par' بأسلوب يشبه إلى حد ما أسلوب رامبو فى اللعب بحرف الجر'à' فى قصيدة "Dévotion' (... A ma sœur Ce soir à Circeto...A tout prix').
ومن الكلمات التى تعقب 'par' : مثال *exemple* وعرف *convention* واستعارة *métaphore* ونكتة *calembour* ومرسوم *décret* وفرصة *occasion* ومعجزة *miracle* ومخالطة *hantise* ونداء *interjection* وتخضع هذه الكلمات لسمة

تركيبية متكررة من النوع الذى يستخدم غالبا ليخلق مظهرا من مظاهر التكافؤ بين مصطلحات قد تبدو متباينة بدون ذلك . لكن الوثبات والانحرافات بين المقولات المنطقية تأتى فى هذه السلسلة مفاجئة بدرجة تجعل تركيب الجملة لا يستطيع أن يتحكم فيها بمفرده . ومرة أخرى تلفت عبارات لاكان الأنظار ، تلك العبارات المتضاربة ، إلى الأجزاء الأكثر ارتباطا بالعرف فى فرضياته . وهكذا يتماس هنا تماسا لحظيا ، فى اللعب بين الافتتاحيات ، النظام الاجتماعى والنظام الإلهى ('عرف'-'معجزة')، والبنيات اللغوية مع الأفعال الذهنية ('الاستعارة'-'السهو méprise') ، والفوضى مع الالتزام بالقانون ('نكتة'-'مرسوم') ، والإدراك المشتت مع الإفصاح الدقيق ('مخالطة'-'نداء') ، والضرورة مع الظروف ('مرسوم'-'صدفة') . وهنا تكتسب القدرة الدلالية لتلك العبارات الجاهزة ('صدفةً 'par occasion ، 'بمعجزةٍ 'par miracle) اندفاعا جديدا عن طريق العدوى . وباستخدام مصطلحات للتعبير عن تمييز مألوف فى علم البلاغة ، يمكن أن نصف هذه العملية-وكانت فى عام ١٩٤٦ جديدة على التحليل النفسى ، ولم تكن جديدة على الأدب – ونقول : صارت الأنساق اللغوية *schemata verborum*موضعا متميزا لصور الحكمة *figrae sententiarum*وقد تم تطويع النمط التركيبى الذى يهيئ القارئ لانبثاق فكرة جديدة بحيث يصبح جديرا بأن يكون منبعا للأفكار .

إن إطلاق لا كان لكلمة 'ستارة rideau" ينتهى بأسلوب واعٍ وبارع و[متعذر الفهم] *en abyme*: وهل هناك طريقة لإزالة هذا الكتالوج المكتظ بالستائر من المشهد أفضل من أن نسدل عليه...الستارة ؟ ويبدو أن مثل هذه التأثيرات 'الأدبية' التى تتراكم بكثافة تشغل ، بالإضافة إلى التلميح الذى ناقشته منذ برهة ، مناطق كاملة فى أعمال لاكان تحت كلمة الأدب تقدم لكل من يدرس تلك الأعمال إحساسا خاصا بالتميز المهنى إذا كان يتمتع بخلفية أدبية بالإضافة إلى الخلفية التحليلية أو الفلسفية . وسوف أبرهن على أن مبرر 'الأدب اللاكانى محدَّد بصرامة . وقبل ذلك سأقدم بإيجاز بعض الطرق الأخرى التى يطرى لاكان بها الأديب ويسعى إلى كسب إطرائه وتجعله و ، وهو يستنبط نظريته ، أنه يمجد التحليل النفسى والأدب تمجيدا مشتركا .

إن 'دارس الأدب' – لو سُمح لى باختصار العدد الهائل من المشتغلين بالدراسة النظامية للأدب – سيجد أنه فى حاجة إلى سنوات إذا اختار أن يقرأ كتابات قراءة دقيقة . وستكون هناك مهام عديدة أمام صائد المصادر ودارس أنساب الأفكار وعالم الأصالة الشرعى the forensic scientist of originality. وبالإضافة إلى العدد الهائل من أسلاف لاكان المشهورين ، يوجد عدد لا يحصى من اللاكانيين قبل لاكان – الكتّاب الذى توقعوا بطريقة من الطرق جانبا من جوانب النسق الذى قدمه . وربما نكتشف ، مثلا ' إذا تأملنا مرة أخرى 'مقال حول أسباب الذُهان' أن أحد الآراء الأساسية التى كافح لاكان من أجلها – الجنون متأصل فى تفكير الإنسان ، والعلماء العقلاء الذين ينكرون هذه الحقيقة يتصرفون بمعنى (آخر) 'بشكل جنونى'–عبَّر عنه باسكال بدقة لا مثيل لها فى أفكار *Pensées*: 'إن البشر مجانين بالضرورة بدرجة تجعلهم يدَّعون جنونا من نوع آخر ينفى عنهم الجنون .'[١٦] ويمكن ، أيضا ، العثور على مفهوم لاكان (وفرويد) عن الكلمة باعتبارها 'عقدة' دالة فى رسالة جرسيان Graciánالتى عنوانها **الدقة وفن الإبداع** *Agudeza y arte de ingenio* (١٦٤٨) : 'الكلمة تشبه الهيدرا الصاخبة لأنها، بالإضافة إلى دلالتها الخاصة والمباشرة ، ينبثق منها ، إذا قطعها المرء أو بعثرها ، معنى دقيقٌ واضح لكل مقطعٍ ، وتصورٌ لكل نبرة .'[١٧] ويظهر الكاتبان بالاسم فى بعض الأبحاث التالية : اقتبس لاكان **الفكرة** *pensée* ذاتها فى 'الوظيفة والمجال [وظيفة اللغة والكلام ومجالهما فى التحليل النفسى– المترجم] Fonction et champ" (٢٨٣) وأثنى على باسكال فى 'سؤال أولى عن علاج ناجع محتمل للذهان D'une question préliminaire à tout traitement possible de la psychose' (٥٧٦) لأنه عزل مفهوم 'الذهان الاجتماعى'. ويلخص حدثا من *El criticòn* (**الناقد** *The Critic*) فى 'دور التحليل النفسى فى علم الجريمة "Fonction de la psychanalyse en criminologie" (١٤٧) ، بينما رحَّب فى " الشىء الفرويدى 'La Chose freudienne' بجرسيان ولاروشفوكو ونيتشه وفرويد بوصفهم كيانا سماويا فى تراث الأخلاقيين الأوربيين (٤٠٧) .

لا نعــرف مقدار ما كان يدين بــه لاكان لجرسيان وباسكال فــى عام ١٩٤٦ ، ولا يوجد لدينا أساس معقول يمكن أن نعرف به تأثيرهما ، إن كان لهما تأثير ، على أبحاثه . وإجابة مثل تلك الأسئلة المفردة لا تُلقى ، بحال من الأحوال ، ضوءاً على أصول النظرية التحليلية ، أو على تماسكها ، أو على قدرتها التفسيرية . ولا يَعنى هذا أن دارسَ الأدب لا ينجزُ سوى المهام الحقيرة. وتأخذنا الأسئلة العامة عن العلاقة النصية بين المفكرين الأحدث وأسلافهم ، حتى لو تم التعبير عنها فى لغة التناقض الساذج بين التشابه العَرَضى والانتحال المتعمَّد ، يأخذنا إلى ما يمكن أن ندعوه دراما المديونية .the drama of indebtedness والتحليل النفسى بالطبع ، هو بكل دقة نظرية المديونية ، أو 'الإبطاء 'belatedness" – إنها حتى اليوم النظرية الوحيدة عن الذات التى تتمتع بالقدرة على التحليق – وهو فى الوقت نفسه ، فى تاريخه السياسى الخاص ، يؤدى تلك الدراما فى سلسلة من الأحداث الرهيبة . وتنتشر فى نص **كتابات** ، مثلما هو الحال فى نص تفسير الأحلام ، تساؤلات قلقة من قبيل 'كم عدد الأسلاف المسموح لى أن أنسب نفسى إليهم ؟' و'إلى أى حد يمكن أن أوفر لهم وجودا طيبا ؟' عدد هائل (أو بصورة رائعــة) وتصبح قصتى مجرد حكاية قديمــة . أو عدد ضئيل وهنا تبدو القضايا المثارة وكأنها لا تتمتع بقداسة القِدَم بحيث تكون جديرة بأن ننظر إليها باهتمام كبير . إن دارس الأدب ، كما توضِّح أعمال هارولد بلوم ، فى إسهاب رائع ، فى وضع يجعله يستطيع تحديد صوت منافسى فرويد تحت الكتالوج السخى لمبادئ الأحلام ، المبادئ القديمة والحديثة ، التى يستهلُّ بها تفسير الأحلام ، وفهم الآلام الخاصة لمفكر يأمل فى أن يصبح نقطة الالتقاء بين أفكار فرويد وسوسير وهيجل ، ويأمل مع ذلك أن يبقى حـرا إلى الأبـد وينأى بنفسه عن وصمة الاشتقاقية أو الانتقائية .

وثمة مهمة أخرى طويلة الأمد تنتظر دارس الأدب الذى يتمتع بالكفاءة كمؤرِّخ للفكر ويتمتع بالمهارة فى تحليل النصوص تحليلا نقديا . وهذه المهمة ، التى لم تقع حتى الآن عموما إلا فى أيد تفتقر إلى المهارة ، تتمثل فى وصف أسلوب لاكان النثرى وتحليل ذلك الأسلوب . وقد نُظِر غالبا إلى أسلوبه ، 'المثير للوهلة الأولى' بالنسبة لمعظم القراء ، طبقا لرأى جورج مونى Georges Mounin [١٨] ، باعتباره إساءة لبعض

مبادئ اللياقة فى العلوم الإنسانية ، المبادئ غير المدونة ، وتم تكريس معظم المناقشات ، التى دارت حول كتابات لاكان ويُفترَض أنها أسلوبية ، لتعزيز تلك المبادئ ضد أى هجوم آخر . غير أن انعدام اللياقة indecorousness من منظور لاكان له أسلاف ويصبح قابلا للتحليل بمجرد إدراكه من المنظور الذى يقدِّمه تاريخ النثر الأوربى . ومازال اللاتناسق والغموض والغرور فى كتابات لاكان يصدم بقوة بعض المعلقين الذين بحثوا فيها وفشلوا فى العثور على *النثرية اللطيفة التى اعتادوا* عليها فى الدوريات العالمية للتحليل النفسى ، وتبدو فى الحقيقة وكأنها ناجية من العلم المفقود ، عالم التأنق الغزير . وتحتوى الفقرة التالية من 'تدمير الذات وجدل الرغبة فى اللاشعورى الفرويدى Subversion du sujet et dialetique du désir dans l'inconscient freudien' (١٩٦٠) على صورة دقيقة لعبارة فرويد 'حيث كانت الهو ، تكون الأنا 'Wo Es war, soll Ich werden': (١٩)

بيانٌ يتّهم نفسه ، عبارةٌ تتبرأ من نفسها ، جهلٌ يبدِّد نفسَه ، فرصةٌ تضيِّع نفسها، ماذا يتبقى هنا سوى الآثار اللازمة لهجر الكينونة ؟

يقدم لنا حلم يصفه فرويد فى 'تأملات فى مبدأى الوظيفة العقلية " Formulations on the Two Principles of Mental Functioning"، بكل الشفقة التى يمكن أن تستثيرها صورة أب ميت يعود شبحا محاصرا ، كما يبدو فى الجملة التالية : 'لم يكن يعرف أنه ميت .'

تناولت من قبل الذريعة التى تقدمها هذه الجملة لتوضيح علاقة الذات بالدال . وهى علاقة تتجسد فى بيا (*énonciation*) يهتز بالتردد الذى يرتد إليه من عبارته (*énoncé*) الخاصة .

إذا كانت صورة الأب الميت لا تنجو إلا لأن أحدا لم يخبره بالحقيقة التى لا يدركها ، إذن ماذا يمكن أن نقول عن ضمير المتكلم الذى يعتمد عليه هذا الناجى ؟

لم يكن يعرف...أكثر وكان عليه أن يعرف . أوه ! نأمل ألا يحدث هذا أبدا! بدل أن أعرِّفه ، أموت . وهكذا أكون هناك ، هناك حيث كان : من عرف ، إذن، أننى كنتُ ميتا ؟

كينونة اللاكينونة ، أى كيف آتى كذات إلى المشهد ، مقترنا بالتشوش الهائل لناجٍ حقيقى ، تشوش ينتهى بمعرفة الذات ، وخطابٌ يعزز فيه الموتُ وجودَه .[٢٠] (٨٠١-٨٠٢)

إن عبارة 'حيث كانت الهو...' يتم تخصيبها هنا بالتهجين بفرضية 'مات أبوه حقا ، ودون أن يعرف' فى مقال فرويد 'تأملات فى مبدأى الوظيفة العقلية' (١٩١١) (XII, 22) ،[٢١] وتكتسب الأشكال الهجينية المنبثقة عنها بعض الآثار الهيجلية المكملة .

وقد يبدو فى البداية أنه يمكن أن تتحقق صفقة آمنة على أساس هذه الفقرات بمجرد فحص 'المصادر' الفرويدية والهيجلية ، وخاصة إذا كان البحث ، عموما ، يطور مفهوما عن رغبة تدمج اشتهاء Begierde هيجل ورغبة *Wunsch* فرويد وتضعهما فى المواجهة . وبينما يقتبس لاكان من فرويد بدقة ، فإن **فينومينولوجيا** هيجل يؤثر تأثيرا خفيا ومستمرا على نصه . ويمكن أن ننظر ، مثلا ن إلى جملته الأخيرة-'خطاب يعزز فيه الموت وجوده' - باعتبارها تذكيرا قويا بالفينومينولوجيا . تذكرنا بكلام هيجل عن الموت ، كما فى الفقرة التالية :

إن حياة الروح ليست الحياة التى تجفل من الموت وتحافظ على نفسها بعيدا عن الدمار ، ولكنها بالأحرى الحياة التى تتحمله وتبقى فيه . إنها لا تكتسب حقيقتها إلا حين تجد نفسها فى التمزُّق التام .[٢٢]

وتذكرنا بكلام هيجل عن حتمية القوة العامة فى اللغة الإنسانية :

إنهم يعنون 'هذه' الورقة الصغيرة التى أكتب-أو بالأحرى التى كتبتُ - عليها 'هذه' ؛ لكن ما يعنونه غير ما يقولونه . إذا أرادوا بالفعل أن يقولوا 'هذه' الورقة الصغيرة التى يعنونها ، إذا أرادوا أن يقولوها ، يكون الأمر مستحيلا ، لأن هذه الحسية التى يعنونها لا يمكن الوصول إليها باللغة ، اللغة التى تنتمى إلى الشعور ، أى إلى ذلك العالم الأصيل .[٢٣]

وقد كُثِّفتْ واكتسبتْ طرازا جديدا فى التصوير اللاكانى المميز للذات الإنسانية المنقسمة : الذات ('أشبهُ ذاتا') التى هى أثر من آثار اللغة ، أو حدث فيها ، وهى بتلك

الصفة تشبه شبح الموت بقدر ما تشبه 'الروح' فى تعليق هيجل . ويتم استدعاء هيجل بصورة رائعة لتذكير التحليل النفسى بدقة اكتشافاته التراجيدية الأولى وكثافتها .

إن لاكان ، بالتناوب ، سيدُ خادمين وخادمُ سيدين فى الديالوج الذى يرسِّخه بين فرويد وهيجل . ويمكن النظر عموما إلى إلحاحه فى اللعب على 'ضمير المتكلم Je " فى الفقرة باعتباره مراوغة بين الأنا الفرويدية ('Das Ich') و 'أنا 'Ich' الناطقة التى يصور بها هيجل غالبا أوصاف الوعى الذاتى . وهنا تبدو الأنا الفرويدية فى دورها المألوف كخصم مجادل : الأنا ميتة وتأبى الاعتراف بموتها ؛ ويجب إقناعها بموتها ('que Je meure') وبالتفكير الضلالى الذى ازدهرتْ عليه ؛ وربما لا يتم بعثها إلا بشروط الإذعان ، تلك الشروط المحفوفة بالمخاطر .(٢٤) وفى عملية الإقناع تصبح الأداة المتحركة جدليا ، أى 'الأنا Ich " الهيجلية حليفة لاكان ضد الأنا الخاملة والمغتربة فى تراث التحليل النفسى . ويرى هيجل أن 'ضمير المتكلم ' الناطق لا يستطيع الهروب من قَدَر 'قطعة الورق' المنطوقة :

يُسمَع 'ضمير المتكلم' الذى يعبر عن نفسه أو يُدْرَك ؛ إنها عدوى مر منها مباشرة إلى الانسجام مع أولئك الذين يمثل وجودا حقيقيا بالنسبة لهم ، وهو وعى ذاتى عام . إن إدراكه أو الاستماع إليه يعنى أن وجوده الحقيقى يضمحلُّ؛ يردُّ أو آخريته its otherness إلى ذاتها ؛ وهذا هو وجوده الحقيقى : أى بوصفه الآن وعيا ذاتيا ، وبوصفه وجودا حقيقيا ، إنه ليس وجودا حقيقيا، ولكنه يصبح وجودا حقيقيا فى هذا التلاشى

['und eben diB ist sein Daseyn, als selbsbewuBtes Jetzt, wie es da ist, nicht da zu seyn, und durch diB Verschwinden da zu sryn'] (٢٥)

وقد نظنُّ أن الجدل بين التلاشى والظهور مرة أخرى ، وبين الوجود الحقيقىّ والوجود الزائف ، فى مثل هذه الفقرات أثَّر على لاكان ليس فقط لأنه كان يتماس معه فلسفيا ولكن لأنه ، أيضا ، حُفِظ فى أنماط تركيبية 'جدلية' لاذعة . وقد يبدو باقتفاء ما خلفته صدمات الإنجاز الأسلوبى لهيجل فى كتابات لاكان ، أننا نقبض بقوة على هذه الفقرة من 'تدمير الذات' . لنتأمل ، مثلا ن كلمات هيجل الختامية ، والنصُّ الأصلى الذى اقتُبِستْ عنه أيضا . إن مراحل الجدل التى قُسِّمتْ بسهولة بين جمل منفصلة ،

فى موضع آخر من الفينومينولوجيا ، تُقدَّم هنا ، غالبا ، كأعضاء فى فرضية واحدة معقدة ، أعضاء يعتمدون على بعض بشكل متبادَل . وبمجرد قراءة الجملة ، تستعير ، على الأقل ، الأمورُ التى قد يُظَنُّ أنها تقتصر على التبادل-بصرف النظر عن وجودها أو عدم وجودها ، حضورها أو غيابها-من نحوها مظهرا من مظاهر ضرورة التبادل . وهنا لا تقدم البنية التركيبية دفاعا منطقيا ولكنها تقدم دفاعا دراميا عن عملية المناقشة التى يقوم بها الجدلى . ويوجد تكيف مماثل بين المناقشة وتركيب الجملة فى سؤال لاكان 'ماذا يتبقى هنا سوى الآثار اللازمة لهجر الكينونة؟' وبالطبع ، ليس علينا إلا أن ننظر إلى الكلام اليومى لنجد أمثلة تركيبية شبيهة تؤدى بعض أغراض الإقناع من ذلك النوع . ويزخر الأدب الخيالى بجمل ، كما هو الحال بالنسبة لجمل لاكان ، يستحيل فيها الفصل بين الحى والميت :

دائما ، فى كل ساعة ، هكذا بلا انقطاع
على حياتى أن تنتهى ، وتبدأ
فى هذا الموت العائش سُدًى .[٢٦] (Scéve: Délie, 267)

عالمُ موتٍ ، باللعنة
خلق الربُّ الشرَّ ، لأن الشر حسن بمفرده
حيث تموت الحياة كلها ، يعيش الموت ، وتنسل الطبيعة
ضالة كل الأشياء المهولة والمذهلة . (ميلتون : الفردوس المفقود، II, 622-25)

كانت البسمة على فمك أَمْوَتَ شىءٍ
حية بما يكفى لأن يكون لها القدرة على الموت . (هاردى ، 'أنغام محايدة')

إلا أنه بالرغم من حقيقة أن مثل هذه التأثيرات التركيبية – التى أتاحت للاكينونة أن تضع بصماتٍ متنوعةً على الكينونة لتُرى وتُسمع فى الخطاب – كانت متوفرة أمام

لاكان بدون اللجوء إلى هيجل ، إلا أن الدرس الأسلوبى فى **الفينومينولوجيا** كان شيقا للغاية . كان ، هنا ، كتابا صوَّر الموت الحى والحياة الميتة كموضوعين أصيلين بالنسبة للوعى الإنسانى ، وكان تركيب الجملة يمثل فنًّا تصويريا متحركا لشعور يمكن القبض عليه بسهولة ؛ إنه كتاب لم ينأ بنفسه عن الغموض والتعويذ فى السعى وراء أهدافه الفلسفية ؛ وقد بدا وكأنه يتنبأ فى وضوح استثنائى بدرس أساسى من دروس التحليل النفسى : إن الحس الإنسانى بالنفس تلفيق مضطرب نشأ تحت ضغط الآخرين والآخرية التى لا يمكن اقتلاعها ، أى أنه نشأ تحت ضغط الشفرة الاجتماعية والعرف المجسَّد .

إلى أين يأخذنا هيجل ، كمصدر للمفاهيم أو كتأثير أسلوبى ، فى فهم كيفية قراءة **كتابات** ؟ أظنُّه يأخذنا إلى أبعد مدى-بشرط أن نتأمَّل مقاومة لاكان بصورة متوازية مع حماسه . يستخدم لاكان مجموعة من الحيل البلاغية لعزل 'تأثير هيجل' فى كتاباته وكسر ذلك التأثير والتبرؤ من اللولبية الجدلية العليا التى تقترب بها الروح ، فى الفينومينولوجيا ، من واقع المعرفة المطلقة .(٢٧) وتتضمن الفقرة التى ناقشتها أقوالا مأثورة وشبه توراتية بينها القليل من الروابط السببية الواهية . إن الحذف والإضافة واللعب بالكلمات والمفارقة والالتباس تجعل الأنظار تركز على كل فقرة من هذه الفقرات كوحدة مفردة ، وحدة معنى ، وقد تخلق بعض الكلمات المتكررة (أو أشباهها ومرادفاتها) نمطا مضطربا من الروابط الجانبية بين الوحدات : سقوط الكينونة *choir de l'être*- فقيد *défunt*- موت *mort*- ليتنى أموت *que Je meure*– كنتُ ميتا *J'étais mort*- الموت *la mort* ... إلخ . وتضيف علامات التعجب وعلامات الاستفهام والتركيب غير المتسق للجمل و'الأسئلة' التى تصدر عن عوامل ذهنية مجسدة ولا تنتهى بعلامات الاستفهام تضيف تشويشا فى سير المناقشة – وفى الحركة إلى أعلى وهى حركة محبطة تماما ؛ وتظهر العبارات المأثورة ظهورا مفاجئا وتبدو وكأنها بدون دافع . وتستخدم هنا بعض الحيل ، أعنى تلك الحيل التى نتوقع ألا يكون لها أكثر من وظيفة توضيحية طارئة فى الخطاب النظرى ، تُستخدَم بكثافة لدرجة أنها تسود افتتاحية النصِّ وتعرِّض عملية السعى وراء المعنى لمنعطفات ومعوقات لا تنتهى . وهذه الحيل هى الأدوات المتاحة أمامنا لمواكبة التفكير فى غياب

المناقشة المدعمة والجمل المنمقة المسهبة فى الأسلوب الهيجلى (أو فى أى أسلوب آخر) . يجرى تفكيرنا على نحو متقطع ، فى وسط لفظى مشوش وثاقب وحافل بالحكم . وربما يوصف نثر من هذا القبيل بأنه 'باروكى 'baroque'- ويبدو مصطلح 'الباروكى' ، بتعريف أدق بكثير مما يستخدمه المعلقون على أعمال لاكان ، أولئك المعلقون الذين يكثرون من استخدامه ، يبدو جديرا بالاهتمام .

تحدث موريس كرول Morris Croll ، فى مقاله الريادى الرائع عن 'الأسلوب الباروكى فى النثر Baroque Style in Prose' ، تحدَّث ، بتمجيد له ما يبرره ، عن حركة جديدة فى النثر الأدبى فى أوربا ، ويرى أن تلك الحركة بلغت ذروتها حوالى عام ١٦٣٠:

> ازدرتْ [تلك الحركة] الرضا والدماثة والوفرة والخواء والسهولة ، وتعرضت أحيانا لتأثير التحريف والالتباس حتى تتجنب تلك الصفات ، التى لم تكن ترى أنها تمثل أخطاء بشكل دائم . وفضلت تلك الأشكال التى تعبِّر عن طاقة العقل وجهده فى السعى إلى الحقيقة على الأشكال التى تعبر عن الإحساس القانع بامتلاك المتعة ، ولم يحدث ذلك بدون رماد وبدون حرارة . وباختصار ، صار موضوع الفنِّ هو تحركات الأرواح لا سكونها .(٢٨)

ومن الفقرات التى اختيرت لتوضيح 'الأسلوب المقتضب curt style أو stile coupé "، كتب كرول :

> إنهم لا يتحركون حركة منطقية . يقولون فى النهاية ما كانوا عليه فى البداية. إن تطورهم كله باتجاه تحقق خيالى أكثر حيوية ؛ استعارة تدور ، إذا جاز التعبيرً ، لتعرض مختلف جوانبها ؛ تبرق أضواء سلسلة من الاستعارات؛ أو تكشف حلقة من 'النقط' طاقة الاستيعاب الفردى فى عقل الكاتب .(٢٩)

ومع أنه ليس من الدقة أن نتكلم عن "استيعاب فردى" يشق طريقه فى الفقرات الأخيرة التى اقتبستها من لاكان ، إلا أن الملاحظات الاستعارية الثاقبة لكرول عن الاهتمام 'بالنقطة' والاستعارة اللتين تميزان بصورة واضحة طبيعة التفكير فى الكتابة 'الباروكية' التى تشجع لاكان على الإنجاز . إنه يتخلى عن لغة اليقين الهادئ التى

يختارها غالبا زملاؤه ومعاصروه فى التحليل النفسى ليكتبوا بها (حتى حين يعبرون عن شكوكهم) ويستخدم بدلا منها لغةً تنزع للشكّ ، لغةً ساخطةً وخطرة . إنَّ كتاباته لا يدفعها أىُّ حافزٍ إلى الصعوبة وعدم الترابط ، ولكن يدفعها حافزٌ، صار أمرا أخلاقيا ، إلى أن تكون مدهشة .(٣٠)

وإذا نظرنا إلى الكتّاب الباروكيين الذين ذكرهم لاكان بالاسم كأسلاف له ، فسوف نجد أن حماسه لجرسيان يماثل حماسه لجونجورا ويعادله إلى حد ما : إن تقاليد الكونسبتزمو *conceptismo* والكلترنيزمو *culternismo* التى تصادمت بقوة هائلة فى أسبانيا فى أوائل القرن السابع عشر ، تتصادم من جديد فى كتابات لاكان.(٣١) ويرجع تقدير لاكان لتقاليد الاتجاهين إلى الصعوبة التى يحضان عليها وإلى عدائهما الواضح لرذيلة التفكير فى 'الحس السليم' . وتتأرجح الصعوبة فى يدى لاكان بين تركيب الجملة والصوت ، بين المجاز والنسق ، بين فكر مصاب بالغرور ونسيج لفظى يحتشد بالتلميح . إنه ينتمى بالمزاج إلى سنيكا حين يتعامل مع تركيب الجملة ، ويتحول إلى جملة شيشرون حين تتطلبها الوصية التى تقول 'قلْ دائما شيئا آخر' (٨٣٧) .(٣٢) ولا ينبغى لنا أن نبالغ فى التركيز على هذه المقارنات ، خاصا حين تضخم تقمص لاكان نفسه لعباقرة أوربا الراحلين تضخيما سطحيا ، لم تمسَسْه سخريته الشاملة . وكتابات لاكان ليست جيدة فى كل الأحيان حتى بمعاييره الخاصة غير المعتادة . إن وسائلة المتأنقة تتأثر أحيانا بمجلات الأدب المدرسية وبتصوراته عن مجتمع طُلَّابى مجادل ؛ وتقترب توريته ومواربته من التفاهة أحيانا . يطل كوينتليانوس عبر الزمن ، ونصادفه فى كتابات فى عدد من القوائم الحماسية لصوره البلاغية ، وربما يأمل فى تحذير لاكان بقائمة من الرذائل التى قد تختفى فى تلك الحيل : ويمكن مقابلة كل من *accismus* ، والكناية *metonymy* ، والاستعارة المدهشة *catachre sis*، والتهكم *antiphrasis* ، والمجاز المرسل *hypallage* ، والإثبات بالنفى *litotes* عند لاكان (٤٦٦) ، بعد تأمل كتاباته ، بالمصطلحات التالية :

anoiconometon, cacosyntheto, cumulatio, nugatio, periergia, scurra.(٣٣)

وأقل ما يمكن أن يضطلع به دارس الأدب الذى كنتُ أعدٌ له برنامجا هو تحليل الطرق التى تضل بها كتابات لاكان ، وتسىء إلى أفكاره ، وتفشل فى الوصول إلى المفهوم التحليلى المعقد الذى تطرحه تعاليمه عن الحقيقة *vérite*. [٣٤] ولكن المهمة الأكبر التى تقع على عاتق هذا الدارس ، وخاصة إذا كان أسلوبيا ، هى تحديد نوع الكتابة التى يكتبها لاكان والقيام بتحليل تفصيلى لعمليات صناعة المعنى . ولا يمكن لهذا التحليل بمفرده أن يقدم وسيلة لاختبار الترابط فى نظرية لاكان . لكن فهم تلك العمليات - والقدرة على إدراك الفرق بين أساليب المناقشة المترابطة منطقيا والمضادة ببراعة للترابط المنطقى - مطلبٌ أساسىٌ لكل من يريد ابتكار مجال لوضع اختبارات مناسبة لتلك النظرية .

وربما نظنُّ أن عملا من هذا القبيل يقدِّم لدارس الأدب ذروة الأدوار التى يمكن أن يقوم بها فى ميدان التحليل النفسى . ولكن ربما كان لاكان أكثر إغواء . وربما نرى أفكاره عن الأدب والمشتغلين به فى أكثر أشكالها خداعا فى الفقرة التالية من 'الوظيفة والمجال' وقد نوقشت كثيرا وتنعم الآن بما يشبه الاعتراف :

اللاشعورى هو ذلك الفصل من تاريخى الذى يتميز بالبياض أو الاستغراق فى الزيف: إنه الفصل الخاضع للرقابة . ولكن من الممكن إعادة اكتشاف الحقيقة ؛ إلا أن قدرها ينتقص عادة فى مكان آخر . وبالتحديد :

- فى الآثار : هذا جسدى . أى النواة الهستيرية للعصاب ، تلك النواة التى تكشف فيها الأعراضُ الهستيرية بنيةَ اللغة ، وتحل شفرتها كنقش يمكن تحطيمه بمجرد اكتشافه دون خسارة تذكر ؛

- فى الوثائق الأرشيفية : إنها ذكريات طفولتى ، مستغلقة كتلك الوثائق حين لا أعرف مصدرها ؛

- فى التطور الدلالى : إنه يناظر عائلة الكلمات وقبول المعجم الخاص بى ، كما أنه يناظر أسلوبى فى الحياة ويناظر شخصيتى ؛

- فى التراث ، أيضا ، وحتى فى الخرافات التى تحمل تاريخى بشكل بطولىٍّ ؛

– وأخيرا فى البقايا التى تبقى عليها التشوهات اللازمة لربط الفصل الزائف بالفصول المحيطة به ، وسوف يرسخ تأويلى معناها من جديد .[٣٥]
(٢٥٩)

وقد يبدو أسلوب لاكان هنا ، للوهلة الأولى ، تعليميا ساذجا ، وكأن السؤال هو 'أين اللاشعورى وأين أعثر عليه ؟' تأخر طويلا بصورة تبعث على الغيظ ، ويمكن الإجابة عليه من الآن بمجموعة من الفرضيات المذهبية البسيطة . لكن الفقرة فى الحقيقة تمثل تلخيصا بارعا لبعض الاستعارات الفرويدية الأساسية عن اللاشعورى ، وقد أُنجِزتْ بطريقة تجعل لاكان قادرا على إبراز تردد متواتر فى تفكير فرويد . وقد شكل كل من نظامى الاستعارة ، النظامين اللذين يضعهما لاكان مقابل بعضهما ، تقريبا ، أى النظام 'الحفرى' والنظام 'الدلالى' ، مظهرا دقيقا نضج مبكرا فى كتابات فرويد السابقة على كتاباته فى التحليل النفسى وقد اعتمد عليها وعدَّلها فى مسار تنظيره .[٣٦]

تحدَّث فرويد كثيرا عن بعض النشاطات الذهنية كالإدراك والكبت والتذكر مستخدما مصطلحات تميزه ككاتب . ويمكن تصوير الانتقال من نظام أو مستوى نفسى إلى آخر بسهولة باعتباره عمليات تنتج بواسطة خواص الكتابة–الترجمة ، النسخ ، الطبع ، إعادة الطبع ، تدوين اسم الناشر ، إعادة الصياغة–ويسود الاعتقاد بأن المعانى التى تحملها هذه الخواص معرضة للتشويه أثناء عملية النقل . وبينما كانت المستويات النفسية 'الأدنى' تتمتع بقدرة كبيرة على التذكر بدرجات متنوعة ، كان المستوى الأعلى ، الوعى ذاته ، سطحا للكتابة لا يمكن أن تتشكل عليه أية آثار دائمة (XIX, 230) . وقد قدم علم الحفريات بعض الآثار الراسخة والقوية كنظام بديل للمعنى إلى جانب تلك الرسائل وضدها ، الرسائل المكتوبة والقابلة للنسخ من جديد بصورة لا تنتهى : برغم أخطار الدفن والحفر ، إلا أن ما وُضِع فى العقل ذات يوم مازال موجودا ويمكن استعادته سليما . والفن الكتابى الوحيد الذى احتفظ بقدرته ضمن هذا البعد الحفرى كان فن شامبليون ورفاقه من محللى الشفرة – الذين يكتشفون كل المعانى أو كل الأنظمة المنتجة للمعنى من المواد المتبقية .[٣٧] وتبدو

مناورةً لاكان فى هذه الفقرة ، إذا تأملنا تلك الخلفية الفرويدية ، واضحةً بما يكفى . وحيث أنه أعاد تفسير موضوعات فرويد الحفرية ، 'آثاره' ، بوصفها كائنات لغوية متحركة – بالصورة التى قد نتوقعها–فإن أعمال التفسير التى تتحرك بالقدر نفسه يمكن أن تتلاعب بها بلا حدود . ألا نشهد أحد تصويبات فرويد التى تمت على يدى فرويد وقد صار لاكان خبيرا بارعا فيها ؟ ألا يتم الكلام عن النزعة السيموطيقية فى التحليل النفسى للانتصار على النزعة الحفرية ؟

لا أظنُّ ذلك . لأن المحاولة المترفة التى قام بها لاكان لتغطية العمليات الذهنية بغطاء من المجاز اللغوى تؤدى فى الإيقاع الختامى للفقرة الختامية إلى درس تأويلى شديد البساطة : ربما بملء بعض فجوات التفسير الواضحة فى المادة ، ووضع بعض المعابر للوصول إلى فهم محدَّد ، وإعادة ترسيخ الغزارة الأصيلة فى المعنى . إن الطريقة الحفرية التى تم إنكارها على السطح الاستعارى لهذا الابتهال ، سلكت سلوكا مناسبا: غاصت تحت السطح وعبرت فى سلام . وطبقا لذلك يحمل تعليق لا كان على الرقابة إيحاء خاصا . ويلمِّح بالطبع إلى مقارنة فرويد ، تلك المقارنة الرائعة بين بعض القوى الذهنية الكابحة و'الرقابة الروسية' التى تغلبتْ عليها بعضُ الصحف الأجنبية ونجحت فى عبور الحدود (I, 273 ، V 529) ، ولا يؤثر ذلك على قوة تعليق فرويد تأثيرا جوهريا . كان 'الفصل' اللاشعورى مكتملا ومترابطا قبل أن تُطبق عليه أداة الرقيب ، تلك الأداة الجوفاء ، وسيعود من جديد مكتملا ومترابطا ، بمجرد رفع الرقابة عنه . وقد بيَّن دريدا الصعوبات التى ربما تنشأ إذا تم تعقُّب الاستعارات 'السيموطيقية' فى التحليل النفسى بصورة ناقصة . إنه يكتب عن الطبقات فى 'ثنايا الكتابة السرية' لفرويد (XIX, 227-32) وفى نماذجه الذهنية المكونة من طبقات عموما :

> لا يمكن التفكير فى الكتابة بدون العودة إلى الوراء . ومن ثم لا يمكن إقامة اتصال دائم أو انفصال مطلق بين الطبقات . حذر الرقيب وفشله . وكم نرى استعارة الرقيب ، فى السياسة ، فيما تقوم الكتابة بشطبه ، وفى الفجوات والتقنُّع ، ولا يأتى ذلك صدفةً ، ولو كان لفرويد ذاته ، فى بداية تفسير الأحلام ،

كما يبدو فى إبداع مرجع تعليمى مكتمل . ويذكرنا المظهر الخارجى للرقيب السياسى برقيب أساسى يقيد الكاتب فى كتاباته الأصيلة .(٣٨)

تتمثل عدة الرقيب السياسى فى الحذف والمحو والتقنع وهى أيضا سمات الكتابة الحقيقية التى يمارس نفوذه عليها ... وسمات الكتابة الأخرى أيضا . وما فعله لاكان باستعاراته اللغوية الدقيقة يُعَدُّ تجديداً للمواد اللاشعورية التى يَبتكرُ فيها التحليل النفسىُّ استمرارا واكتمالا بصورة رائعة يتناقضان تماما مع بعض العناصر الأخرى فى المناقشة التى قدمها فى 'الوظيفة والمجال' . وعزل الكتابة واللاشعورى كليهما معتبرا أنهما كتابة فراغهما المتوطن ولم يلمح إلى ديالوج التحليل النفسى أو إلى مواضع الصمت التى تعوقه أو تدفعه . وقد أصبح التحليل النفسى ، فى فاصلة قصيرة من نصف صفحة ، فنًا بسيطا ، فنَّ الذاكرة ، أداةً تساعد الذات على استحضار ماضى المرء ، الماضى الشخصى ، بالمعرفة الاستبطانية . وتلك هى اللعبة التى يُدْعَى دارس الأدب للاشتراك فيها . والإغراء العاطفى المرافق للدعوة إغراء قوى .

وسوف يعرف هذا الدارس مدى ما يحتوى عليه 'الفرع' الذى اختاره من العناصر المتباينة ومدى جموحه فى معظم الأحيان . وسوف يعرف أن عليه اكتساب عدد من المهارات المهنية المتباينة حتى يتمكن من تناول نصوصه تناولا صحيحا ، أو حتى يقترب باحتراس مناسب من الصعوبة التى تتسم بها تلك النصوص أو من افتقارها إلى الحسم . وسيكون عليه قبل أن يفسر النص الذى يتناوله – إذا كان يطمح إلى ذلك – أن يكتشفه ، ويعزله ، ويمعن النظر فيه . وربما تتطلب هذه الأنشطة الأولية عددا من القدرات المتنوعة ، القدرات التحريرية أو الببلوجرافيــة أو التاريخية أو المعجمية . ويحتاج التفسير الحقيقى إلى ما يفوق ذلك بكثير . وسوف يعزز جاليرى لاكان الذى يعرض فيه صور أصحاب المهن الأكاديمية المؤثرة احترام هذا الدارس لذاته بقدر كبير. والمفسر الذى تقع على عاتقه فى النهاية مسئولية 'ترسيخ المعنى من جديد' هو بالفعل دارس للنقوش والسجلات والأسلوب والثقافة الشفهية ، ومستكشف ، وعليه الاستعداد دائما لاستثمار خبرته المتشعبة بطرق جديدة . ويقدم كل من المحلل

النفسى ودارس الأدب للآخر مرآة ترضى كبرياءه وتبدو فيها خصائصُ إنجازه ، الخصائص التى قد تبدو سطحية بدون ذلك ، تبدو توجها خُلقيا يعبر عن هالة من القيم الخُلقية . إن كلا منهما يقود حملة ضد عدم الدقة وضد الكذب ، ويجمع بينهما الفهم القوى للاستقامة المهنية . ولا تضبب أفقَهما الخُلقى بواعثُ دنيئةٌ، ولا يعوق الجهل أو البصيرة الجزئية نشاطهما التأويلى . والثمن الذى يُدفَع مقابل هذا الشعور الذى ترافقه البهجة ، بمصطلحات التحليل النفسى المحض ، ثمن باهظ للغاية : وفى مطاردة هذه اللحظات ، يجب الانغماس فى التحليل النفسى كطريقة مميزة للتذكر أو كمنهج لدراسة الجدل بين البشر فى الكلام الإنسانى .

ويمكن لنا أن نعترض على اعتراضات من قبيل أنهم ذوو عقول حرفية خرقاء للغاية ؛ وأن لاكان يسعى ببساطة إلى إعداد زملائه بتذكيرهم بالفنون الإنسانية التى تقترب من فنونهم الخاصة؛ وأنه يرسم خطوط 'كلية التحليل النفسى' التى تشمل مناهج خارج الطب وكان فرويد قد تنبأ بذلك ذات مرة (XX, 246) ؛ [٣٩] ويوجد تعليق على التواصل الإنسانى يلتزم التزاما صارما بالتحليل النفسى فى موضع آخر من 'الوظيفة والمجال' ولا حاجة بنا لوجوده هنا أيضا . وفى الحقيقة لن يكون لهذه الاعتراضات أهمية كبيرة إلا إذا كنا نتساءل عن الترابط فى بحث لاكان ككل . لأن البحث يكتسب ، وهو فى سبيله إلى الاكتمال ، قدرةً فائقة فى الإجابة على الأسئلة التى يطرحها وفى إعادة توزيع تأكيداته . ولكن البحث شديد التعقيد والغموض فيما يستنبطه بالتفصيل من المناقشة التى تميل فقراتها التى تحمل وعظا مباشرا ، حين توجد ، إلى الانفصال عن تلك المناقشة وتبدو كأجزاء منفصلة عن البنية الأساسية للنصٍّ – تبدو وكأنها قوالب لمعنى آمن ومفيد . وربما تكون تلك القوالب ، وقد قمنا بفحص مثال منها وربما يكون أوضحها ، خادعةً على نحو خطير . قد تخدع إلى درجة توحى بأن نسخة لاكان من التحليل النفسى ليست سوى دراسة أدبية تقليدية أُعيد وصفُها بصورة خيالية . ومع أن لاكان مسئول بدرجة كبيرة عن المبالغة فى قيمة لأدب وبدت أعماله غاليا وكأنها تشجع على ذلك (استطاع ، فى بعض لحظات كشف فى أبحاثه ، أن يكتب عن الأدب بشكل مختلف – أقل إثارة للاشمئزاز ، وأقل

كرما) ، إلا أنه احتج أيضا بعنف على 'التضخيم الأدبى *inflation littéraire*" (٤٠) الذى خضع له التحليل النفسى عموما . ويرى لاكان أن أوراق اعتماد الأدب ، كصرحٍ ثقافى ومصدر توجيهى للتحليل النفسى ، مؤثرة بصورة لا تقبل الشك .

ومن المناسب أن نرى العلاقة بين النظرية اللاكانية والدراسات الأدبية بوصفها علاقة يتم فيها تبادل الدعم والتعزيز بين الطرفين . وفى ظلال تلك النظرية اكتسبتْ كتابات عدد كبير من النقاد بعض المزايا : تحولوا مرة أخرى إلى ما يميز الكثير من المعانى الأدبية ، تحولوا إلى التضمين والحركة والالتباس ؛ لقد قدم لهم لاكان – فى 'سيمينار عن "**الرسالة المسروقة**" ' (١١ – ٦٦) وفى الكثير من الكتابات اللاكانية – وسائل جديدة للنظر إلى الحبكة والتصوير والإحكام فى الحكاية النثرية ؛ ووضح لهم مجرى فتشية السلعة commodity fetishism الذى يتخلل المفهوم الحديث 'للنصٍّ' وضرره الذى يعادل ما أحدثه من ضرر حين تخلل المفاهيم القديمة ، مفاهيم 'التحفة الرائعة' و'العمل العظيم' ودعاهم إلى الشك فى النقد الأدبى ذاته بوصفه طقسا للانحناء أمام موضوعات لفظية مقدسة ؛ وقدم لهم أدواتٍ للتفكير الحاسم فى الأعمال الأدبية بوصفها من منتجات الرغبة ، وفى تشبعهم بالرغبة فى التعامل مع الأعمال التى يكتبون عنها ومع القراء الذين يتوجهون إليهم بالخطاب . ورفضت نظرية لاكان وعد النقد الاشتراكى المادى بأسلوب جديد–أسلوبٍ قادر على إقامة ارتباطات متماسكة بين بنية اللاشعورى والممارسات الدالة المتفاعلة معها وتكون ثقافة من الثقافات .(٤١) ويميل النقاد الذين يدينون بمثل تلك الأمور إلى تصديق أن التحليل النفسى فى أعمال لاكان يدين للأدب بقدر مساوٍ ومضاد من الديون . ولكن العلاقة فى الحقيقة غير متماثلة لأسباب سأقوم بشرحها الآن .

رأينا من قبل أن الأدب ، فى منظور لاكان ، موضوع من موضوعات الرغبة، يتقلَّب فى أشكال عديدة ورأينا أحيانًا أن نصوصه النظريةَ تُفْرِط فى التنميق فى محاولاتها لاصطياده وافتراسه. وقد تستثير نصوص الأدب ، حتى حين تستخدم لأغراض تعليمية بسيطة ، سلسلةً من المناورات القلقة فى كتابات لاكان ، وكأن الحسد والشك جعلا من المستحيل بقاء أية نقطة محورية . ويناقش لاكان ، مثلا ، فى 'مقال

حول أسباب الذّهان' شخصية السيست Alceste ، وهى شخصية من شخصيات موليير ، بوصفها شاهدا نبويا 'على الروح الجميلة' (schöne Seele, belle âme,) [٤٢] عند هيجل ، تتقمص بصورة زائفة قانون الفؤاد وقانون الطبيعة ، ويقودها مشهد الرفاق المتصدعين إلى وضعين لا ينالان رضاها بالقدر ذاته – تصور مسعور أو استغراق ذاتي واهٍ .[٤٣] والوضعان ، فى رأى هيجل ، ينذران بالخبل أو الجنون .[٤٤] ويتلاءم هذا التعليق الهيجلي عن الجنون الكامن فى ادعاء المرء لعقل لا مثيل له ، يتلاءم تماما مع مناقشة لاكان للموضوع : تتنبأ قيود هيجل على 'الروح الجميلة' بنقد لاكان لإجراءات التشخيص الضلالية التى مازالت أساسا لقسم كبير من الطب النفسى المعاصر ، ولكنها لا تصادر على هذا النقد ؛ وتشبه علاقة الروح الجميلة برفاقها علاقة البارانويا بين شخص و'آخر' وهى علاقة يصف بحث لاكان خصائصها بالتفصيل الشديد ، ولكن التشابه ليس تاما . وببساطة يستبدل لاكان بشاهد هيجل الأدبى المفضل (كارل مور فى اللصوص لشيللر) شخصيةً أكثر قبولا لدى الجمهور الفرنسى وأكثر تناغما مع ذوقه الشخصى (١٧٣) ، ويردد رأى هيجل: 'يبتكر موليير السيست و...يخلقه على تلك الصورة–إنه مصيب تماما فى ذلك: إنه لا يتعرف فى روحه الجميلة على اقترابه هو ذاته من خلل حقيقى بينما كان ثائرا ضده' (١٧٣) .[٤٥]

وينشأ تحليل مسرحية **عدو البشر** *Le Misanthrope* حين يحدث التداخل بين أسلوب التحليل النفسى والأسلوب الفينومينولوجى ، وفى كل منهما تتلاشى القيمة البارزة للأدب . يكتشف السيست العالم الاجتماعى المحيط به ويزدرى الآخرية otherness الجائرة التى تعوق الاستقلال المزعوم لعقله ويزدرى أيضا سلسلة من الانعكاسات النرجسية التى تنعكس عليها نرجسيته :

إنه ، إذا توخيتُ الدقة ، مجنون ، ليس لأنه يعشق امرأة تعبث به أو تخونه ، وهو سبب يعود ، بدون أدنى شك من وجهة نظر جيل جديد من الرفاق المتعلمين ، إلى نقص فى قدرته الحيوية على التكيف ، ولكنه مجنون لأنه وقع ، تحت راية العشق ، فى شعور حقيقى يفضى به إلى رقصة من الفن الوهمى التى تبتهج فيها Céliméne الجميلة : أعنى نرجسية العاطل التى تدعم البنية النفسية

'للمجتمع' فى كل العصور ، وتتضاعف هنا بالنرجسية التى تفصح عن نفسها ، خاصة فى بعض العصور ، فى المثالية الجماعية للعشق .(٤٦) (١٧٣)

وبرغم التوبيخ الذى يوجهه السيست للمجتمع ، إلا أن المجتمع ليس إلا سطحا للمقاومة ترتدُّ عليه عدوانيته إلى ترسه 'المجهز-ذاته . ويقدم لاكان تفسيرا لدافع السيست إلى تدمير ذاته - 'الهجوم الانتحارى للنرجسية' (١٧٤) (٤٧)- من خلال الدراسات الحديثة عن البارانويا فى الطب النفسى ، بما فى ذلك أطروحته التى تقدم بها للدكتوراه . ولكن هذا اللجوء إلى موليير ليس مجرد محاولة لانتزاع حالة جاهزة من مجال الأدب العام ، ولا يقتصر تحليل لاكان على السعى إلى اختبار القوة التفسيرية لمفهومه الحديث لمرحلة المرآة . وتنتهى مناقشته بانعطاف ميلودرامى فى المناظرة التى تسبقها :

أستطيع ، بدلا من السيست ، أن أسعى إلى المباراة التى يلعبها قانون الفؤاد فى المصير النهائى الذى يؤدى بالثورى القديم فى عام ١٩١٧ إلى القفص فى محاكمات موسكو . ولكن ما يتضح فى فضاء مخيلة الشاعر يعادل على المستوى الميتافيزيقى أكثر الأشياء دموية فى العالم ، إذ أنها تصنع تيار الدم فى العالم .(٤٨) (١٧٥)

وقد عبَّر هيجل عن تقديره للثقافة المتشعبة فى شخصية كارل مور التى أبدعها شيللر بالإحجام عن ذكر اسم المؤلف أو الشخصية أو المسرحية فى **الفينومينولوجيا** ، وتجنب الاقتباس المباشر منها: إن كارل مور متأصل فى النص ولا يمكن إدراكه إلا عبر ستار من التلميحات .(٤٩) ويعبر لاكان ، من ناحية أخرى ، عن تقديره لشاهده الأدبى المناظر فى تحول حاد فى البؤرة : كان يستطيع الكتابة عن المحاكمات المثيرة فى عهد ستالين أو عن مشهد المذابح البشرية المروِّعة ، ولكنه خضوعا لحيرة غير محددة اختار مناقشة المعادل 'الميتافيزيقى' لتلك الأحداث ، واختار عملا أدبيا تشهد على صحته بنيةٌ أساسية فى إدراك الإنسان . يُهَدَّد السيست بالطرد - ماذا نتوقع من حكاية عن عدوانية البارانويا حين تحدثنا عن حقائق التاريخ بهذه الفصاحة الصارخة ؟- وبعد ذلك يُرَدُّ له اعتباره بغرور .

ولا يتضح لماذا تَفوق قيمةُ شخصية عدوٍّ البشر ، الشخصية التى أبدعها موليير، كنموذج ، قيمةَ البلشفى الذى يعلن اتهامه لنفسه . إن الأعمال الثقافية الوسيطة المعقدة تعقيدا ساحقا ، تلك التى مرَّتْ خلالها الآلية النفسية الضمنية فى كل حالة من تلك الحالات التوضيحية تجعل إمكانية اقتفاء كل منها أقل بكثير من إمكانية اقتفاء مادة الحالة الإكلينيكية التى يذكرها لاكان فى موضع آخر من البحث . وهكذا يؤكد الادعاءات المعرفية للأدب الخيالى ، ثم ينكرها ، ويؤكدها من جديد تأكيدا قويا ، وبالقوة نفسها ينكرها من جديد على مدار البحث . ويجب أن يكون المثال التحليلى *الواضح فى النص الأدبى بالتعريف واضحا فى موضع آخر* ، وعلى الأدب أن يتذكر أنه لا يتمتع بامتيازات ثابتة . لا يكتسب المثالُ السلطةَ من أى عرف متنقل ولا من أى تدوين سابق على مشاهدته ، ولكنه يكتسبها من قدرته على التنقل بين عدد متنوع من الخطابات المترابطة – إكلينيكية ، تاريخية ، فلسفية ، درامية ، شعرية – واجتذاب مواد مناسبة للمشاهدة طوال عملية التنقل . وقد يساهم الأدب فى تقديم توضيح عام لحقيقة أن المفاهيم التحليلية محدَّدة بعوامل عديدة ، ولكن ذلك التوضيح لن يكون مقنعا إلا إذا تابع الأدب أقدار كل حيل التشكيل الأخرى وحل محلها بدوره .

لا يمكن هنا أن نسرد القصة الكاملة لاستياء لاكان من الأدب ومن النماذج الأدبية فى نظرية التحليل النفسى . لكنَّ إيقاع الإعجاب والحسد والعدوانية الذى يميز أسلوبه فى تناول المواد الأدبية ينتج عنه درس مضطرب ويكاد يكون من المستحيل على دارس الأدب الذى يقرأ لاكان بحثا عن الثقافة أن يستوعبه . إن لاكان ، كما رأينا ، يختلف من ناحية اختلافا حقيقيا عن فرويد فى تقديره الدقيق للنص الأدبى : إنه مبهم ومعقد وذو مرجعية ذاتية ومثقل بالوعد بالمعنى وهو لا يقدم فقط نموذجا نظريا عن اللاشعورى ولكنه يقدم أيضا نموذجا عمليا للمحلِّل النفسى باعتباره صانعا للكلمات verbal performer . وأحيانا يكون الأدب الطريقَ الملكية لفهم التحليل النفسى ، ويكون دارس الأدب رفيقَ سفرٍ أمينا ، وزميلا مغامرا على بحور متعددة المعانى وباحثا عن نظام مغمور و'أصلى' للمعنى . ومن الناحية الأخرى ، لا يتعدى الأدب فى أحيان أخرى ، أن يكون أكثر من شاهد عابر لبنية ملتفة على ذاتها فى عالم لا تخرج كل منتجاته العقلية الأخرى على تلك البنية . ويتمضن تقدير لاكان للشعر ، التقدير

الذى يفوق تقديره للأجناس الأخرى ، يتضمن فى 'الشاهد الأدبى فى اللاشعورى L'instance de la lettre dans l'inconscient' تأرجحا مميزا :

ولكن على المرء أن يستمع فقط إلى الشعر ... ليسمع التعدد الصوتى ، ويتضح له أن الخطاب كله يتم تنظيمه بطول المقاطع الشعرية فى المقطوعة .

وليس هناك فى الواقع سلسلةٌ دالةٌ ليس لها ، وكأن كل وحدة من وحداتها متصلة بإحدى علامات الترقيم ، ارتباطٌ كامل مع سياقات ملائمة معلقة 'عموديا' ، إذا جاز التعبير، من تلك النقطة .'[٥٠] (٥٠٣)

إذا أردْتَ أن تفهم اللاشعورى كسلسلة دالة ، فسوف يساعدك الشعر على تصوره ، وإذا أردْتَ أن تفهم القدرة الدالة فى الشعر ، فسوف تساعدك الموسيقى متعددة الأصوات على تصورها...إن لعبة الإبدال بين الأنساق البنيوية المختلفة التى يمكن ملاحظتها فى المنمنمات تمثل إحدى السمات الأساسية فى تفكير لاكان فى المراحل الأخيرة . إن النقط العقدية *knotenpunkte* فى النص الأدبى تفسح المجال أمام عقد بروميو Borromean knots، وأشكال موبيوس Moebius strips، والحساب والرياضيات . وقد نتخلى عن أنساق شكلية أعلى رتبة للإفصاح عن منطق الدال بطرق تتفوق على حرفة الأدب أو تفشل فى تحقيق ما تحققه. وقد قال لاكان بفخر فى مؤتمر فى جامعة جونز هوبكنز Johns Hopkins فى أواخر الستينيات: 'إن أفضل الصور التى تلخص اللاشعورى هى صورة بلتيمور Baltimore [ميناء بحرى فى شمال ميريلاند – المترجم] فىَ الصباح الباكر .'[٥١] ومثل هذه الإيماءات التى تكثر فى أعمال لاكان لا تقدم لحرفة الأدب سوى أمل أو تشجيع ضئيل ، حتى فى بلتيمور .

وأفضل ما يمكن أن نأمل فى الحصول عليه من كتابات لاكان عن العلاقة بين التحليل النفسى والدراسات الأدبية هو : قد يجد علم البلاغة ، الذى يستعيد دوره من جديد فى التطبيق على نصوص الأدب ، فى النهاية نظرية فى التحليل النفسى تتناسب معه فى التعقيد والتفسير . وحتى هذا الأمل ، وهو أمل مشروع بالضرورة ، علينا أن نعمل للوصول إليه ، وتخليصه من الوعود الزائفة والحلول المبتسرة التى قدمها لاكان

بأسلوبه الأدبى للنقد . ويرى لاكان أن أحد الأشياء الأساسية التى نتعلمها من التحليل النفسى تتمثل فى أن اللاشعورى له 'أسلوب' خاص به، وربما يوحى بسهولة للمتهور فى عدد من عباراته المبرمجة عن تنقل مبادئ التجليل أنه من الممكن 'القبض' على هذا الأسلوب بمجرد التعرض لعدواه الحميدة :

إن أية عودة إلى فرويد تقدم موضوعا جديرا بالمعرفة لن تكون إلا بواسطة الوسيلة التى تكشف بها عن نفسها أكثر الحقائق اختفاء فى ثورات الثقافة . وتلك الوسيلة هى الصيغة الوحيدة التى يمكن لنا أن ندعى أنها تنتقل إلى أتباعنا . هذه الوسيلة تدعى الأسلوب .(٥٢) (٤٨٥)

توجد بالطبع وسائل فضفاضة وأخرى محكمة لقراءات تعبيرات من هذا القبيل . وربما تكون أكثر القراءات الفضفاضة على الإطلاق هى تلك التى تستنتج أن أسلوب اللاشعورى ، وهو أسلوب مفضل للتنظير التحليلى وأسلوب لاكان الأدبى الخاص كانت لهما حدود مشتركة بصورة مبهمة، ويمكن فهم اللاشعورى فهما يسيرا بالتكريس للتأنق اللفظى فى كتابات لاكان . ويبدو أن لاكان لم يُفهَم غالبا إلا على هذا النحو ، إذا جاز لنا تخمين ذلك من خلال العدد الهائل من التدريبات فى الثرثرة اللاكانية Lacanobabble التى وجدت طريقا بالفعل إلى المطبعة . ثمة تورية هنا ومعجزة هناك ، ولا يخلو الأمر من المفارقة بشكل دائم ، ويوجد وثبٌ سارٌ لموسيقى الدال ، تلك الموسيقى الخادعة ، فى كل موضع...إننى متردد فى إفساد هذه اللعبة ، أو التوصية بالروية ومراعاة ظروف دارسى الأدب الذين شعروا برعشة التحرر تجرى فى كتاباتهم بعد التعرض للمسة فاتنة من لمسات لاكان . ولكن لا يكتسب ذلك سوى أهمية ضئيلة بالنسبة لدارس الأدب المزوَّد عادة بإدراك نظرى يتسم بالفقر ، والقانع بالمراوغات والنزوات والألغاز ليمسك فى يده بنظرية جديدة عن الأدب ، بنظرية مفعمة بالحيوية .

والنظرية الجديدة التى أشير إليها هنا ليست التحليل النفسى عموما كما ورد فى التعليقات التحليلية لخطاب فرويد فى **تفسير الأحلام** ، **وسيكوباثولوجيا الحياة اليومية والنكات وعلاقتها باللاشعورى** ، وقد عبر عنه لاكان من جديد . وهو تعليق بارع براعة

استثنائية حين يقدم علاقة مترابطة ومتحركة بين لحظات الخطاب ومستوياته التى تخضع غالبا للتقسيم–بدعوى 'الملاءمة' – على أيدى محلّلى نصوص الأدب . وهو يسمح بالتعبيرات الفردية ، ويسمح فى ذات الوقت بصيغ تواصلها التركيبية وبالصيغ التركيبية المضادة ، وبتوجُّهها إلى هدف افتراضى ، وبما تحمله من التداعيات المتراكمة ، وقد يسمح باقتفاء المعانى المضمرة سواء فى التعبيرات التى تصاغ فى كلام مباشر أم فى تلك التعبيرات التى ترفض التصريح المباشر . وربما كان الجزء الأكثر إثارة فى التحليل النفسى هو الإلحاح على منح ماض معين ومستقبل معين للتعبيرات التى تأتى بوصفها الحاضر الخالد ، حاضر التعبير الذاتى الصائب . ويرى فرويد أن الحياة النفسية للإنسان قد تم تنظيمها ، بين التأرجح الساذج فى الوهن الرومانسى ، بين ما لا يعود وما لا يتحقق ، بحيث تقع كل لحظة من لحظاتها الحاضرة تحت ضغط مزدوج : كان الفرد فى كلامه ينقح ماضيه بنشاط ويعيد بناءه وهو ينظر بنشاط إلى مستقبل يتطلع إليه فى رغبة ، وأى فهم لما كان يقصده الأفراد حين نطقوا بما نطقوا به – سواء فى الديالوج التحليلى أم خارجه – هو موضوع للحفاظ على التوازن التفسيرى الحقيقى بين قوى الاستعادة وقوى التوقع .

وتأتى مساهمة لاكان ، فى دراسة أكثر دقة لهذه القوى ، تأتى فى عدة أشكال متميزة . إنه يشيِّد نماذج منطقية لعمليات إعادة البناء العقلى وما قبل البناء العقلى التى تكمن وراء عملية التواصل الإنسانى . ويعزو تلك النماذج إلى اللسانيات ويعزو اللسانيات إلى زمنية الكلام المتبادل بين الذوات.ويقدر فى كتاباته مفاهيم الإعادة والتوقع بخلق تفاعل دقيق بين أزمنة الفعل ومستويات الزمن فى تركيب الجملة . وسوف يتضح مدى ما يمكن أن تمتد إليه هذه الأهداف المتمايزة بصورة مشتركة فى هذا التلخيص الاسترجاعى ، فى 'الوظيفة والمجال' (١٩٥٣) ، لبحث سابق 'الزمن المنطقى "Le Temps logique (١٩٤٥) :

حاول مؤلف هذه السطور أن يوضح فى منطق السفسطة المصادرَ الزمنية التى يعثر فيها الفعل الإنسانى ، طالما كان يرتب أوضاعه طبقا لفعل الآخر ، على حلول أكيدة فى تقطيع تذبذبه ؛ ويعثر على معناه الآتى فى القرار الذى

يتوصل إليه هذا الفعل بتكريسه لفعل الآخر - الـذى يتضمنه مـن تلك النقطـة - مع نتائجـه المنبثقة عن الماضى .

ويتضح فى هذا المقال أن اليقين الذى يتوقعه الفاعل فى 'زمن الفهم' الذى يحدد فى الآخر ، بالسرعة التى تعجل 'لحظة الخلاصة' ، القرار الذى يجعل حركة الفاعل خاطئة أو صائبة .(٥٤) (٢٧٨)

يقوم النموذج المنطقى الذى يقدمه لاكان فى هاتين الفقرتين ، وتتكون كل منهما من جملة واحدة معقدة بعض الشىء ، برحلة العودة إلى تركيب الجملة وإلى المحددات الموضـعيـة فى السلسلة الدالة : والفـهم الجـديد للزمنيـة temporality والعلّيـة causality ، الفهم الذى يشجع عليه التحليل النفسى ، وقد تشكل من قبل كدراما صامتة للعمليات المنطقية المترابطة ، أصبح مرة أخرى كلاما **رائعا للغاية** يتطلع إلى الخلف ويتطلع إلى الأمام ويمثل المادة الخام فى التحليل النفسى .

تحـدثتُ منذ لحظات عن علاقة جـديدة محـتملة بين البلاغة ونظرية التحليل النفسى ، وهى علاقة درسها التحليل النفسى دراسة تفصيلية . وقد يكون لدارسى الأدب الحقُّ فى الاحتجاج على هذه النقطة بأن البلاغة تعرف بالفعل ديناميكيات الكلام وأنها متعددة الجوانب بصورة كافية ، وبأن أية محاولة للزج بها فى نظرية سيكولوجية دخيلة تؤدى إلى نمو هائل فى بعض الخواص الخفية ضمن مجموعة من التقاليد التحليلية المنظمة جيدا والمختبَرة جيدا . وربما أضافوا ، إذا كان على التحليل النفسى أن ينشأ متأخرا كديناميكيات بديلة فى الكلام ، فلندعْه بالتالى يتعلم على الأقل درسا فى الدقة من علم الكلام الذى نشأ من قبل الميلاد ومن توابعه فى العصور الحديثة . إن جيرار جينيت Gérard Genette ، وهو واحد من أكثر البلاغيين الجدد تميزا ، تستبعد عبادتُه للدقة اللعبَ من كتاباته استبعادا تاما ، ينفد صبره بوضوح حين يأخذ اللعب تحولا 'سيكولوجيا' ويسعى فى 'دروس فى القص Discours du récit' إلى أن يستعيد للبلاغة بدقة مفهوم 'التنبؤ anticipation" ومفهوم 'الاسترجاع retrospection': ويفعل هذا جزئيا بانتزاع البعد النفسى من اسميهما :

حتى نتجنب التضمينات السيكولوجية المرتبطة باستخدام مصطلحات من قبيل

'التنبؤ anticipation" أو 'الاسترجاع rétrospection" تم استدعاء الظواهر الموضوعية تلقائيا ، واستبدل بالمصطلحين مصطلحان اكثر حيادا : يشير مصطلح التوقع *prolepse* إلى كل آليات السرد التى تتكون من قص حادث تالٍ أو استدعائه قبل وقوعه ، ويشير مصطلح الاستعادة *analepse* إلى استدعاء لجزء من حادث سبق هذه النقطة التاريخية أو وجد قبلها... (٥٥)

ويجب ربط **التوقع والاستعادة** فى هذا المقال الواعد **بالشمول المعنوى** *syllepsis* **والكناية عن الصفة** *metalepsis* **والتجاهل الظاهرى** *paralepsis* ، وتُنَقَّى de-contaminated كلها بصور متشابهة ؛ يرسم جينيت حدودا واضحة لكل مصطلح تقنى ويحافظ عليها حتى حين تكون نصوص الأدب التى يناقشها مشوَّشةً بصورة تدعو إلى الإحباط (يتراجع بعض النقاد أمام كومة بروست ، تلك الكومة البلاغية المشوشة فى روايته **بحثا عن الزمن المفقود** ، لكن جينيت لا يتراجع أمامها) ؛ ويكون 'علم النفس' فى الحقيقة عدواً لنسق بلاغى من هذا القبيل إذا استدعى إلى المناقشة مخزونا اعتباطيا عن العاطفية والذاتية بدلا من استدعاء نسقه الخاص .

لكن التحليل النفسى نسق عنيد واسعُ الحيلة . وقد واجه بالطبع بعض العثرات قبل أن يظهر بتلك الصورة . ومازال موضوع الاهتمام المركزى فيه – الرغبة – يتردد فى الكثير من الأسماء مثل جوهر ما لا يقبل التصنيف . وكان عليه أن يستعير لمنهجه فى دراسة الرغبة بعض الأسماء من الفروع المعرفية الموجودة والمصنفة : وكانت هيدروليات الرغبة ، واقتصادها ، وطوبوجرافيتها ، وسيمنطيقيتها ، وشعريتها ، وبلاغتها – بالإضافة إلى الكثير من الأشياء الأكثر غرابة–وقد دخل العملية ، وهو يكتسب من هذه الفروع المعرفية مناخ التكامل التصورى والاصطلاحى ، ليبدو متطفلا عليها . واستوعبت اللغة السيكولوجية الدارجة فى القرن العشرين فى أوربا وأمريكا الشمالية بعض مفاهيم التحليل النفسى–'الكبح' ، 'التسامى' ، 'الأنا' ، 'زلات اللسان بالمفهوم الفرويدى' – استوعبتها بسهولة بحيث يمكن ، من أن ذلك نوع من الحماقة ، اتهام التحليل النفسى بأن نزعم أن الحس العام كان يعرف ، بدايةً، بالضرورة ما صوَّره فرويد باعتباره اكتشافا خاصا . وبرغم هذه العثرات تابع التحليل النفسى

دعوته التنظيمية ، وتبدو فى أوضح صورها فى تحولاته النظرية الرئيسية : ركز التحليل النفسى ، فى تنقيح فرويد لنظريته وفى رواية لاكان لتاريخ هذا التنقيح مرة أخرى ، على إزالة التنافر تماما وتوسيع مدى ذلك التنظيم . والبلاغى الذى يتطلع إلى أبعد من مجازاته وصوره البلاغية المتميزة تميزا دقيقا ، إلى العالم المفعم بالرغبة فى 'علم النفس' غير المصنف ، يميل فى الواقع إلى الشعور بأن مقولاته التحليلية تهددها النزعة الحيوية المنبعثة من جديد أو التيار الجارف لطاقة حيوانية مجردة . ولكنه إذا تطلع إلى نسق الرغبة الذى يفترضه التحليل النفسى فسوف يجد بلاغة أخرى – بلاغة القلق ، والأفكار الاستحواذية ، واللذة وانعدام اللذة ، واللذة السابقة واللذة التالية ، والكبح ، والتذكر – تشبه البلاغة شبها كبيرا من حيث قدرتها على مضاعفة مقولاتها وفصل هذه المقولات والربط بينها . و هذه البلاغة ، التى تحمل هذا الاسم غالبا فى نصوص لاكان ، مازالت تتمسك بعادة رديئة تتمثل فى حمل أسماء أخرى ، وتبدو بوصفها علما للغة وعلما لبعض القوى الدافعة فى حياة الإنسان ، قوى ليس لها أسماء . لكن البلاغة الحقيقية ستجد فى الحقل التحليلى الزائف نسخة مشوهة . إن التحليل النفسى بلاغة لا تزال فى طور الإنشاء ؛ بلاغة تخاطر ؛ بلاغة تبدع مقولات حسب شهوتها . وربما بهذا الفهم للقرابة المعوقة والمتفاقمة تكمن قيمة كل من البلاغة والتحليل النفسى بالنسبة لبعضهما .(٥٦)

سيطرت على فرويد أثناء تأليف كتاب تفسير الأحلام فكرة ج. ت. فتشنر G.T. Fechner فى كتابه **عناصر السيكوفيزياء** *Elements of Psychophysics* ، واعترف بحماس فى عدة مناسبات بدينه لفتشنر .(٥٧) وكانت هذه الفكرة ، كما ذكر فرويد لفليس Fliess فى عام ١٨٩٨، أن 'عملية الحلم تتم فى منطقة نفسية مختلفة' (فرويد/فليس ، ٢٩٩ ؛ **الأصول** ، ٢٤٤ – ٢٤٥) . وهنا بدأت مسيرة فرويد كطوبوجرافى ذهنى . وبرغم وجود بعض المخاطر والحدود لتصور العقل بوصفه يشغل مكانا ، فإن تصوير نسق اللاشعورى ونسق ما قبل الشعورى – الشعورى بوصفهما 'مناطق نفسية' بديلة كان يتمتع بمزية تعبيرية واحدة : إنه يذكر عالم العقل وهو يشرع فى بناء نماذج ذهنية إضافية أكثر التواء بأن العقل مقسم تقسيما ذاتيا أكيدا ولا

يمكن بناء جسور دائمة بين مناطقه الداخلية . ويمكن استغلال القوة التعبيرية فى فكرة فتشنر ، وقد استغلها لاكان بالفعل فى مناسبات عديدة.، بصورة أفضل لتلخيص أفضل الآمال التى يقدمها لاكان لإقامة علاقة بين التحليل النفسى ودراسات الأدب : لا تدعْ أياً منهما يكون للآخر مرآة لطيفة أو حلية علِّية ، ولكن *an- derer Schauplatz*، (٥٨) مشهدا آخر لحوحا لا يعرف المجاملة .

هوامش الفصل الرابع

١- للاطلاع على السياق التعليمى الراقى الذى نشأ وعمل فيه فرويد ، راجع Spector,s 'Vienna and Freud's Education'(*The Aesthetics of Freud, 3-23)* and George Steiner's penetrating 'A remark on Language and Psychoanalysis' (*On Difficulty, 48-9*) .

وكمثال عملى عن هذه الكتابة فى الأحلام ، راجع الهامش رقم ٣ ؛ وبالنسبة لقائمة الكتب 'العظيمة' و'الجيدة' 'المفضلة' عند فرويد فى عام ١٩٠٧ ، راجع الرسائل *Letters, 278* . ، ويوجد مسح فريد لاهتما فرويد بالفنون فى Richard Wollheim's *On Art and the Mind* ، [عن الفن والعقل] (٢٢٠-١٩) .

٢ - اقتبست رباعية هاينه عن Pierre Grappin's edition of the *Buch der Lieder*, 239 ، واقتبست الترجمة عن Hal Draper's The Complete Poems, 107

٣- لكلمة '*schön*' ["جميل"] ، مثل مرادفاتها فى الإنجليزية ، استخدام عام ساحر بالطبع . وفى تبويب تفسير الأحلام إلى أبواب فرعية وضع فرويد العنوان ;'Ein *schöner Traum*' GW,II/III-290-91; IV,284-5، ليوضح أن الحالم المقصود كان هانئا بقيم جمالية وفكرية فى 'إنتاج الحلم بمهارة فائقة' (وعزز هذه القيم'الحلم الجميل' الذى ظهر فى تداعياته عن فاوست) بالإضافة إلى أنه كان هانئا أيضا ببراعته فى تحويل مواد الحلم التى تضر بالسمعة إلى بهجة . وقد حافظ المترجمون الإنجليز فى هذه الحالة على الأثر الساحر بالقدر نفسه . ودافع فيتجنشتاين Wittgenstein فى حديث مسجل عن حلم من هذه 'الأحلام الجميلة' ضد سخرية فرويد ، وحمل فرويد مسئولية تدمير الجمال الحقيقى ، جمال الحلم بواسطة 'أفظع الحشود الجنسية ، وأسوأ أنواع الدعارة' (Lectures and conversations, 23) (ويبدو أن فيتجنشتاين نقل العنوان 'Ein schöner Traum' إلى حلم 'الزهور' المدون بعد ذلك فى العمل نفسه ويصف أيضا بأنه 'schöne' : راجع GW, II/III, 352; V, 347) .

٤ - تتبع الكسندر جرينشتاين Alexander Grinstein نمط هذه الإشارات والتلميحات فى حلم

"Non vixit' ['ألم يعش'] ، راجع أحلام سيجموند فرويد Sigmund Freud's Dreams، ٢٨٢-٣١٦، وفاوست الذى يظهر صدفة فى هذا الحلم ، يحتل مكانة خاصة فى موضع آخر من تفسير الأحلام . وفى مناقشة سابقة عن النقط العقدية ، على سبيل المثال ، استعان بالشعر المساهمة فى حلها : ويقتبس فرويد كلام ميستوفليس عن 'تحفة النسّاج' فى الحديث عن نمط التفكير (فاوست ، الفصل الأول ، المشهد الرابع) ليعزز دعواه بأن 'النقط العقدية' تميز الحياة العقلية عموما (IV, 283) . واستشهد فرويد به مرة أخرى فى عام ١٩٣٠، فى الفقرة الأخيرة من خطابه وهو يستلم جائزة جوته (XXI, 212) .

٥ - وفى إشارة أخرى إلى ديوان هانيه 'Die Heimkehr' ، كتب فرويد عن 'مراجعة ثانوية' فى الأحلام : 'تعمل هذه الوظيفة بالطريقة التى يعزوها الشاعر بمكر إلى الفلاسفة : تملأ الفجوات فى بنية الحلم بمزق أو رقع' (V,٤٩٠) . واقتبس فرويد القصيدة المشار إليها هنا فى محاضرات تمهيدية جديدة *New Introductory Lectures*XXII, 116

٦- راجع ، 'Freud and Literature' The Liberal Imagination, 25'

٧ - تمثل مسرحية هاملت نقطة مرجعية ثابتة فى كل كتابات فرويد . ويوجد أول تعليق مسهب عليها فى خطاب إلى فليس فى ١٥ أكتوبر ١٨٩٧ (I، ٢٦٥-٢٦٦؛ فرويد/فليس ، ٢٧٢-٢٧٣؛ **الأصول** ، ٢٢٣-٢٢٤) ، والمناقشة التى نوقشت بدورها أكثر من سواها توجد بلا شك فى تفسير الأحلام ، IV، ٢٦١-٢٦٦ . ومن العلامات البارزة عن المسرحية فى أدبيات التحليل النفسى والأدبيات المرتبطة بها: Ernest Jones's *Hamlet and Oedipus*(1949) and Jean Starobinski's Hamlet and Oedipe' (1967) in *La relation critique*, 289-419

(كتب أساسا كمقدمة للترجمة الفرنسية لأعمال جونز) ؛ بالإضافة إلى: André Green's Un œil en trop (1969) (إلا أن مناقشة جرين الأساسية عن شكسبير تهتم بمسرحية عطيل) .

٨ - بالفرنسية فى المتن .

٩ - جاء تعليق لاكان عن هاملت بصورة أساسية كجزء من سيمينار ١٩٥٨-١٩٥٩ عن الرغبة وتفسيرها *Le désire et son interprétion* (ولم يطبع كاملا حتى الآن) . وتوجد أجزاء من الأقسام السبعة المخصصة لهاملت فى onicar, 24 (pp.5-31), 25 (pp. 11-36), and 26-27 (pp.5-44) وقد ترجم جيمس هولبرت James Hulbert أجزاء منها فى الأدب والتحليل النفسى :

Literatures and Psychoanalysis Yale French Studies, 55/56-11-52).

١٠ - يشير لاكان هنا إلى : Michel Leiris's Glossaire j'y serre mes gloses (1939)

١١- بالفرنسية فى المتن .

١٢ - كتب دريدا بفطنته وحدّته المعتادتين عن 'تعرية' الحقيقة فى التحليل النفسى ، راجع :

La Carte postale, 447 .

١٣ - بالفرنسية فى المتن . راجع : *Romans et Nouvelles*, I, ed. Henri Martineau, 749

١٤ - بالفرنسية فى المتن .

١٥ - عن كوينتليانوس ، راجع كتابات ، ٤٦٦، ٤٦٧، ٥٢١ إلخ . وأما الأدبيات عن التحليل النفسى والبلاغة فهى الآن واسعة الانتشار ، وثمة مساهمات مميزة فى :

Emile Benveniste, *Problémes* [I], 86-7; Francesco Orlando, *Toward a Freudian Theory of Literature*, 161-75 and Tzvetan Todorov, 'La Rhétorique de Freud' *Théories du symbole*, 285-321.

وثمة تعليق مفيد عن تناول لاكان للمصطلحات البلاغية وعن البنية البلاغية ، راجع

A.Kremer-Marietti in Lacan ou la rhétorique de l'inconscient and J.B. Fages in *Comprendre Jacques Lacan* (see in particular, 74-92.)

١٦- بالفرنسية فى المتن . وهى الفكرة ٤١٤ فى طبعة Brunschvicg .

١٧- [يحتوى الهامش على ترجمة فرنسية لعبارة جرسيان] وقد انتظر كتاب جرسيان The *Agudeza* حوالى ٣٥٠ عاما ليعثر عليه مترجم فرنسى ، وظهر وكأنه هيدرا برأسين فى المشهد الباريسى فى عام ١٩٨٣، مترجما بواسطة Bentio Pelegrin and Michéle Gendreau-Massaloux/Pierre Laurens (راجع ٢١١ و ٢٢٩ بالتتابع للاطلاع على 'الهيدرا الصوتية' (أو 'هيدرا الفم') بالفرنسية) .

١٨ - بالفرنسية فى المتن . راجع :

'Quelques traits du style de Jacques Lacan', Introduction à la sémiologie, 118

١٩ – راجع ص.. ١٢٢-١٢٣ [من الأصل الإنجليزى – فصل بعنوان 'لاكان' ، وهو الفصل الثانى من الترجمة العربية – المترجم] .

٢٠ – بالفرنسية فى المتن .

٢١ – يرجع هذا البحث إلى عام ١٩١١ . وفى العام نفسه أضاف فرويد إلى تفسير الأحلام (V، ٤٣٠-٤٣١) تعليقا على سرد الحلم ومنه أخذت هذه الفرضية .

٢٢ – راجع ، Phenomenology Of Spirit, trans. A.V. Miller وكل الإشارات التالية إلى الفينومينولوجيا .Phen هى إلى هذه الترجمة .

٢٣– راجع ، Phen., 66 .

٢٤ – راجع ، ص ١١٤-١١٥ [من الأصل الإنجليزى ، فصل بعنوان 'لاكان'] للاطلاع على تعليق أوّلى موجز عن تمييز لاكان بين *moi* ('الأنا') و *sujet* ('الذات') .

٢٥ – راجع ، Phen., 309.

٢٦ – بالفرنسية فى المتن .

٢٧ – توجد عبارة فى 'وضع اللاشعورى Position de l'inconscient' من أوضح عبارات لاكان عن حدود ما يدين به لهيجل ، وعن رفضه للبرنامج المثالى الذى طرحه هيجل : 'لم يتضمن استخدامنا لفينومينولوجيا هيجل أى ولاء للنسق، ولكنه بشر بمثال لمواجهة الحقائق الواضحة عن التقمص ...

بالإضافة إلى ذلك ، تساعد التعبيرات الهيجلية دائما ، حتى لو اقتصر المرء على نصوصها ، على قول شيء آخر . شيء آخر يصحح ترابطها بالتأليف الخيالى ، ويحافظ فى الوقت نفسه على قدرتها فى كشف وهم التقمص .

وهذا هو تسامينا الشخصى الذى يحول تسامى هيجل ، وكان وهمه الشخصى ، إلى فرصة لإمعان النظر ، بدلا من وثبات التقدم المثالى ، وتجسيد التقمص .' ص ٨٣٧ .

راجع أيضا ، Alain Juranville, *Lacan et la philosophie*, 120-8.

٢٨ – راجع ، *Style, Rhetoric and Rhythm*, 207-8 : وتوجد مراجعة مفيدة لعمل أكاديمى عن النثر الباروكى فى :

Mac Fumaroli's monumental *L'Age de l'éloquence*,1-34

٢٩ - راجع ، *Style, Rhetoric and Rhythm*, 218-19

٣٠ - لفت باترك ماهونى Patrick Mahony الأنظار ، مستشهدا أيضا بكرول ، إلى وجود عناصر باروكية فى كتابات فرويد ذاته (فرويد كاتبا Freud as a Writer, 163-5) . ويوجد دليل موجز لأعمال بالألمانية والإنجليزية والفرنسية عن أسلوب لاكان فى :

(François Roustang's 'Du Chapitre Ecrire la psychanalyse, 65-95 VII)

٣١ - عن لاكان وجونجورا ، راجع *Ecrits*,410, 467, *Ornicar?*, 26-27 (p.25) etc. ويعرف جونز R.O. Jones، *Culteranismo*، وكان جونجورا من أبرز ممثليها ، على النحو التالى : 'مصطلح ابتكر فى أوائل القرن السابع عشر ... وتتضمن هذه النزعة أسلوبا يبالغ فى الصنعة إلى أقصى حد ، وتعنى عمليا صبغ تركيب الجملة والمعجم بصبغة لاتينية ، واستخدام دائم للتلميح الكلاسيكى ، وإبداع أسلوب شعرى مميز ينأى عن لغة الخطاب اليومى قدر المستطاع' . (A *Literary History of Spain. The Golden Age: Prose and Poetry*, 142)

وتتضمن *Conceptismo* أو (*agudeza*) استخدام التصورات ، وكان جارسيان أكبر أنصارها على المستويين النظرى والعملى ، ووصف جونز هذه النزعة عند جارسيان بأنها 'بلاغة الحصافة' (٢٠١) . وكان 'الصدام' بين تقاليد النزعتين عنيفا فى الواقع ، ولكن ليس علينا أن نبالغ فى تصويره : توجه جارسيان فى بحثه عن أمثلة لكتابه *agudeza* إلى جونجورا أكثر مما توجه إلى أى كاتب آخر ، وربما كان Martial هو الاستثناء المحتمل لهذا التوجه .

٣٢ - ويمكن ملاحظة لاكان فى المزاج 'الشيشرونى 'Ciceronian' فى موضع آخر من 'تدمير الذات *Subversion du sujet*' : راجع ، مثلا ، الفقرة الثانية فى ص ٨١٢ . وعن جملة 'قل دائما شيئا آخر' ، راجع ص ١٢٨ [من الأصل الإنجليزى - فصل بعنوان 'لاكان'] والهامش ٢٧ (حيث توجد الجملة فى السياق الأصلى) .

٣٣ - ثمة تعريف ووصف لهذه المصطلحات ولبعض الرذائل الأخرى فى :

Lee A. *Sonnino's A Handbook to Sixteenth-Century Rhetoric*

٣٤ - عن الحقيقة ، راجع العبارات الموجزة والبراقة فى 'الوظيفة والمجال' (٦٥٢-٥٥٢) وبحث بعنوان 'العلم والحقيقة' (٨٥٥-٨٧٧) .

٣٥ – بالفرنسية فى المتن .

٣٦ – صور أنتونى ويلدن Antony Wilden نمط تلميح لاكان لفرويد فى هذه الفقرة فى :
.(*The Language of the Self*, 108-9)

وللاطلاع على تعليق أكثر تفصيلا عن النظامين الاستعاريين ، راجع ص ١٨-٢٧ (من الأصل الإنجليزى (archaeological) وأنتونى ويلدن فى النسق والبنية *System and Structure*، ٤٣-٤٦ (emiotic) .

٣٧ – راجع ، تعليق فرويد على حل شفرة الكتابة الهيروغليفية ، XIII, 177 ، (سبق اقتباسه ، ص ١٢٠ [من الأصل الإنجليزى – فصل بعنوان 'لاكان'] .

٣٨ – راجع ،

'Freud et la scène de l'ecriture', *L'Ecriture et la différence*, 433-50'

٣٩ – عن تعليق فرويد على هذا الصرح التعليمى المتخيل وما أضافه لاكان إلى مناهجه الدراسية ، راجع ص ١١٩-١٢٠ [من الأصل الإنجليزى–فصل بعنوان 'لاكان'] .

٤٠ – يبدأ ستوارت شينيدرمان Stuart Schneiderman فى جاك لاكان : موت بطل الفكر *Jacques Lacan. The Death of an Intellectual Hero* بذكرى من السيرة الذاتية تتضمن درسا مفيدا لكل من اقتنع بالنقد الأدبى كنقطة تميز لدخول التحليل النفسى: كان اطلاعى السبق على الأدب ، خاصة شكسبير ، بمثابة إعداد رائع لاستيعاب لاكان . إن كتاباته منمقة تنميقا دقيقا ، وقد تفرط فى التنميق، ولا تفهم بسهولة . إنها تشبه الشعر من هذه الناحية، وكالشعر تخضع للفكر النقدى . إلا أن هذا التشابه خدعة ، خدعة بلاغية . وهو ما كنت أفكر فيه حين رأيت أننى أتناقض مع نفسى حين استمر فى شرح النصوص وأنا لا أعرف شيئا عن الخبرة التى صدرت عنها تلك النصوص . وهكذا تركت بفالو Buffalo [ميناء على بحيرة Erie وشلالات نياجرا – المترجم] وتخليت عن مسيرتى كأستاذ للغة الإنجليزية لأصبح محللا نفسيا لاكانيا' (V-VI) . وتوجد نوايا مماثلة عن الطريق الأدبية إلى لاكان عبرت عنها بقوة جين جالوب Jane Gallop فى *Reading Lacan* – عبرتْ ، إذا جاز التعبير ، بأسنان خبرتها كقارئة وناقدة .

٤١ – فى عام ١٩٧٧ قدم فردريك جامسون Fredric Jameson فى 'الخيال والرمزى فى أعمال لاكان 'Imaginary and Symbolic in Lacan'، صورة واضحة عما قد يتضمنه هذا النقد ، إلا أنه منذ ذلك الوقت لم تظهر ، إلا نادرا ، أعمال تفصيلية من هذا النوع الذى يركز بصورة خاصة على البؤرة اللاكانية .

٤٢ – للاطلاع على مناقشة هيجل الأساسية عن 'الروح الجميلة' ، راجع Phen.,.397-409.

٤٣ – راجع ، Phen., 211-8, 406-7.

٤٤ – راجع . Phen., 225-6, 407.

٤٥ – بالفرنسية فى المتن . وقد رجع لاكان إلى 'الروح الجميلة' فى 'الشىء الفرويدى La Chose 'freudienne (٤١٥) .

٤٦ – بالفرنسية فى المتن .

٤٧ – بالفرنسية فى المتن .

٤٨ – بالفرنسية فى المتن .

٤٩ – اقتفى Jean Hypolite أسلوب هذا التلميح فى الهوامش التى وضعها لترجمة الفينومينولوجيا ص ٣٠٢-٣٠٩ (الجزء الأول) وفى ص ٢٧٥-٢٧٨ من *Genése et Structure*. ويوجد ديدرو فى الفينومينولوجيا بصورة أفضل من وجود شيللر حيث يقتبس هيجل من *Le Neveu de Rameau* ضعف ما يقتبسه من شيللر ويذكره بالاسم فى الهوامش (Phen., 318-32) .

٥٠ – نوقشت هذه الفقرة من قبل ، راجع ص ١٢٥ [من الأصل الإنجليزى – فصل بعنوان 'لاكان'] ، وتوجد صيغة من هذا التشابه ، صورة مبكرة وأقل تأرجحا فى 'الوظيفة والمجال' (٢٩١) .

٥١ – راجع :

'Of Structure as Inmixing of an Otherness Prerequisite to any Subject Whatever', in *The Structuralist Controversy*, ed. Richard Macksey and Eugenio Donato, 198

وقد كتب هذا البحث فى مزيج من الإنجليزية والفرنسية ونشر بالإنجليزية .

٥٢ – بالفرنسية فى المتن . وبهذه الفقرة ينهى لاكان بحثا بعنوان 'La psychanalyse et son enseignement' (٤٣٧–٤٥٨) ، وقد قدم هذا البحث أول مرة فى عام ١٩٧٥ أمام جمهور من ذوى الاهتمامات الفلسفية .

٥٣ – عن المفهوم الحاسم الذى قدمه فرويد لكلمة *Nachträlichkeit* ('الفعل المؤجل deferred action'، أو ' 'retroaction'، أو ' 'l'aprés-coup')، راجع لبلانش وبونتالى ١١١–١١٤.

٥٤ – بالفرنسية فى المتن .

٥٥ – راجع ، Figures III, 82 .

٥٦ – قليلة هى العبارات العامة' ، عن العلاقة بين الأدب والتحليل النفسى ، الأكثر موضعية من-إذا افترض المرء أن للعلاقة مستقبلا- the 'Polemical Epilogue' to C. Barry Chabot's Freud on *Schreber*: 'يمكن لنا أن نقول إن المشكلة التى تواجهها الجهود الأكثر استمرارية لتنظيم دراسة التحليل النفسى والأدب تتمثل فى أنها تدرك الفوائد التى تنشأ عن المشروع وهو يسقط وحيدا فى اتجاه واحد: ظاهريا لا تقدم الدراسات الأدبية مَهْرا ... وإذا استطاع التحليل النفسى أن يساهم بالفوائد الأساسية لنظريته السيكولوجية ، فإن الدراسات الأدبية يمكن أن ترد المجاملة بتزويد التحليل النفسى بفوائد من تعرفه على الطبيعة اللغوية لشاهدها ... وبهذه الروح التعاونية فقط يمكن إثراء كل منهما ؛ ولا يمكن أن يصلا إلى نهايتين منفصلتين إلا باتحادهما' (١٥٢–١٥٣) . ومن الأعمال التى تساهم فى هذا البرنامج يبرز

Peter *Brooks' Reading for the Plot. Design and Intention in Narrative (1984)*

وترسخ مناقشته لما وراء مبدأ اللذة بصورة خاصة (٩٠–١١٢) معايير جديدة للقراءة النقدية لنصوص فرويد .

٥٧ – راجع ، مثلا ، تفسير الأحلام IV، ٤٨–٤٩، V، ٥٢٥–٥٣٦، ومحاضرات تمهيدية XV ، ٩٠ ، ودراسة فى السيرة الذاتية ، XX ، ٥٩ .

٥٨ – يعيد فرويد صياغة عبارة فتشنر حين يقول 'يختلف مشهد عمل الحلم المثالى فى حياة اليقظة' (GW, II/III, 51; IV, 48) . وعن دَيْن فرويد لفتشنر ، راجع :

Paul-Laurent Assoun, *Introduction à l'épistémologie freudienne*, 150-8.

الفصل الخامس

الرسالة المسروقة
وحالة بو

شوشانا فيلمن

العنوان الأصلى :

The Case of Poe: Applications/Implications of Psychoanalysis.

وهو مترجم عن :

Shoshana Felman, *Jacques Lacan and the Adventure of Insight: Psychoanalysis in Contemporary Culture* (Cambridge, Mass.), 1987 pp. 15-27-32-39-51 . Reprinted in K.M. Newton, *Theory into Practice* (Macmillan 1992 pp.174-191.

إشـارة :

ليس لاكـان سوى أحد العناصر في مـا بعد البنيوية البريطانيـة . وقد انبثـقت إحدى سمات النقد الحديث من النقد التحليلى المكتمل حيث تحتل النظرية الفرويدية والنظرية اللاكانية الدورَ الأساسى . وشوشانا فيلمن ناقدة يرتبط اسمها ارتباطا قويا بمدرسة ييل **Yale** التفكيكية ، ولكن نقدها تطور أكثر فى الاتجاه اللاكانى . وتتمثل قيمة لاكان ، فى رأيها ، فى أنه "يجسد...وقفة تفسيرية ثورية و... نظرية ثورية فى القراءة" . وترى أن لاكان يتجاوز الرأى الذى يرى أن التحليل النفسى تفسير "منغرس فى خطاب المريض" :

> إن رأى لاكان أكثر جذرية من ذلك . إن فعالية القراءة لا تقتصر على فعالية المحلِّل ، ولكنها تتضمن فعالية المحلَّل أيضا : إنها تفسير لما يحدث على جانبى الموقع التحليلى...اللاشعورى...ليس ببساطة ذلك الذى يجب أن يُقْرَأ ، ولكنه أيضا ، وربما بصورة أساسية، ذلك الذى يَقرأ . اللاشعورى قارئ . ويتضمن ذلك بصورة أكثر جذرية أن كل من يَقرأ ، ويفسر ما يخرج من اللاشعورى الخاص به ، محلَّل ، حتى حين يتم التفسير من وضع المحلِّل .

وفى مقالها عن بو ينصب الاهتمام على "السؤال الحاسم عن القيمة العملية للتحليل النفسى"[1] . إن المرء لا يستطيع ببساطة تطبيق أفكار فرويد أو لاكان على نصٍّ أدبى، لأن أنا المحلِّل (أو الناقد الأدبى) لا تمثِّل نقطة مرجعية ثابتة فى رأى لاكان . وهكذا لا تكون المعرفة التحليلية اكتشافا لشىء موضوعى فى النص ولكنها عملية تتداخل معه وفيها يكون التحليلُ النفسىُّ ذاتُه مهدَّدا بالضياع ويكون علينا إعادة اكتشافه باستمرار

K.M. Newton
Theory into Practice, pp.124-5.

(1) Shoshana Felman, *Jacques Lacan and the Adventure of Insight: Psychoanalysis in Contemporary Culture* (Cambridge, Mass., 1987), pp. 2-10 -12.

تُستهَلُّ أولى المجموعات المنشورة من مقالات لاكان ، **كتابات** *Ecrits* ، بفصل بعنوان "سيمينار عن **الرسالة المسروقة**" . وما يدعى "السيمينار" تعليق مكتوب عن فصل دراسى استغرق عاما كاملا وقد تم تكريسه لاستكشاف نص أدبى قصير ، إحدى **الحكايات الرائعة** التى كتبها إدجار ألان بو ، "الرسالة المسروقة" . وقد قُدِّم السيمينار إلى متدربين فى التحليل النفسى . لماذا اختار لاكان تكريس عام كامل لتدريس هذه الحكاية ؟ ما مغزى القرار الاستراتيجى بوضع هذا "السيمينار" فى افتتاحية **كتابات** ، بوصفه عملا رئيسيا فى محاولات لاكان ؟

سأقوم بدراسة هذين السؤالين على نحو غير مباشر ، بالتأمل ، أولا ، فى "حالة بو" فى الدراسات الأدبية فى علم النفس والتحليل النفسى قبل لاكان . وسأحاول ، بعد ذلك ، تحليل الاختلاف الذى قدمه لاكان فى المقاربة التحليلية للقراءة والطريقة التى جعل بها لاكان الدرس الذى استنبطه من دراسة بو درسا فى التحليل النفسى .

إن التعليق على الشعر من منظور التحليل النفسى يعنى ، تقليديا ، تحليل الشعر باعتباره عَرَضا من أعراض الشاعر . وأودُّ هنا أن أعكس تلك المقاربة ، وأحلل أحد الشعراء باعتباره عَرَضًا من أعراض الشعر .

ربما لا يوجد شاعر باستثناء إدجار ألان بو تم التهليل له بمثل هذا السخاء ، وفى الوقت ذاته ، تعرض للاستنكار بمثل هذا العنف . إنه أحد أكثر الأعلام فى المشهد الأدبى الأمريكى إثارة للخلاف ، "ربما يكون أكثر من أسىء فهمهم بين الكتَّاب الأمريكيين كلهم" ،[1] "إنه بمثابة حجر عثرة أمام الناقد الحصيف" ،[2] لا يوجد شاعر أثار فى تاريخ النقد مثل هذا القدر من التضارب وهذا الكم من التناقضات النقدية . وهذا التضارب النقدى ذاته يمثل ، فى رأيى ، دليلا على فعالية شعرية ، وتلك التناقضات النقدية التى أثارها شعر بو مهمة لطبيعة الشعر بصورة غير مباشرة .

التأثير البو-يطيقى Poe-etic :

تاريخ حالة أدبية

لا يوجد شاعر آخر أشير إليه غالبا بمثل هذا القدر باعتباره "عبقريا" ، فى شكل من أشكال الاتفاق الجماعى شارك فيه حتى أولئك الذين ينتقصون من قدره . تحمل دراسة جوزيف وود كرتش Joseph Wood Krutch ، وهى دراسة تميل إلى التقليل من منزلة بو وتحقير قيمة إنجازه الفنى ، إلا أنها ، مع ذلك ، تحمل العنوان : إدجار ألان بو : دراسة فى العبقرية .(٣) وهذا ما فعله عدد كبير من النقاد الآخرين الذين يعترفون "بعبقرية" بو ويؤكدون عليها فى عناوين مقالاتهم .(٤) يكتب توماس ونتورث هيجينسون Thomas Wentworth Higginson : "يحدث أحيانا أن نلتقى بوعىٍ معجزةً استثنائيةً ندعوها عبقرية ولكن ذلك لا يحدث إلا نادرا فى حياتنا. ومن بين العدد الكبير من الشخصيات الأدبية التى قابلتها...لا يربو عدد من تركوا فىَّ إحساسا لا يقاوم بهذه الخاصية النادرة على ستة أشخاص ؛ وبو واحد من بين هذا العدد القليل."(٥) ويتحدث الشاعر الإنجليزى سوينبرن Swinburne عن "الخاصية الفريدة لعبقرية بو المرهفة" ؛ ويصف الشاعر الفرنسى مالارميه Mallarmé ترجماته لأعمال بو بأنها "أثر خالد للعبقرى الذى...مارس تأثيره فى بلادنا" ؛ ومع أن الشاعر الأمريكى جيمس راسل لويل James Russell Lowell ، وهو من أعنف نقاد بو ، أصدر حكمه ، الحكم المنظوم الذى نال حظه من الشهرة ، على شعر بو بأن "خُمْسَيه من الغشِّ المطبق" ، إلا أنه يؤكد على أن "السيد بو يمتلك ذلك الشىء الذى يفوق الوصف ، الشىء الذى اتفق الناس على أن يدعوه **عبقرية**...دع الموهبة تلتف وتلتوى بقدر ما تستطيع ، إنها تفتقر إلى مثل هذه المغناطيسية . ربما كانت تتمتع بوفرة من العظام والأوتار ، لكنها تفتقر إلى الأجنحة ."(٦)

ربما يتمنى القارئ المدقِّق ، مهما يكن شكَّاكًا وغير رومانسى ، لو يتعلق بذلك "الشىء الذى يفوق الوصف ، الشىء الذى اتفق الناس على أن يدعوه عبقرية"، ومن الواضح أن شعر بو يُنتج ما يمكن أن يُدعى تأثيرا عبقريا : انطباعًا بقوة غامضة

ومسيطرة يخضع لها القارئ . ولوصف "تلك القوة ، التى تُحَسُّ ،"[7] كما يعبر أحد القراء ، يتحدث لويل عن "المغناطيسية" ، ويتحدث نقاد آخرون عن "السحر" . ويكتب برنارد شو : "من الحتمى أن بو أنتج السحر باستمرار بينما أنتج معظمُ معاصريه الجمال ."[8] وعلى مضض يوافق ت.س. إليوت تماما على أن "بو تمتع ، بصورة استثنائية ، بالشعور بالعنصر التعويذى فى الشعر ، ذلك الذى ربما يُدعَى ، فى أقرب فهم حرفى له ، ""سحر الشعر"" ."[9]

ويُعزى "سحر" بو إلى إبداعه فى النظم ، وبراعته التقنية النادرة . إلا أن كلمة "سحر"، "فى أقرب فهم حرفى" ، تعنى أكثر بكثير من مجرد الاعتراف العقلانى بمهارة تقنية رائعة ؛ إنها توحى بالفعل المؤثر لشىء يفوق فهم الشخص وسيطرته ؛ إنها توحى بقوة لا يملك الشخص خيارا أمامها سوى الخضوع . يكتب لويل ، ومازالت الإشارة إلى عبقرية بو : "لا أحد يستطيع أن يقول لنا ما هى ، إلا أنه لا يوجد أحد لا يدرك حتما...قوتها" (ص ١١) . وقال شو : "من الحتمى أن بو أنتج السحر ." ثمة شىء فى شعر بو يُدرَك باعتباره شيئا حتميا ، شيئا لا يمكن تجنبه (ليس مجرد شىء تستحيل مقاومتُه) . ويضاف إلى ذلك أنه بمجرد قراءة هذا الشعر توجد حتميته لتبقى؛ تصبح حتمية أبدية ، يكتب بندلتون كوك :P. Pendleton Cook "إنه سيلتصق بذاكرة كل من يقرؤه" (ص ٢٣) . ويكتب إليوت : "كتب بو القليل ... من القصائد القصيرة ...التى تلتصق بالذاكرة بصورة من الصور" (ص ٢٠٧ – ٢٠٨).

وهذا هو السبب فى أن شعر بو يمكن تعريفه ، وقد عرِّف بالفعل ، بأنه شعر ذو تأثير من الطراز الأول ، بالمعنى الذى أكده هارولد بلوم : "إنه يتدفق" ، أو أنَّ له سلطة على الآخر . ويمكن التعليق ، فى الواقع ، على حالة بو فى التاريخ الأدبى باعتبارها حالة متفاقمة ومعقدة من حالات "قلق التأثير" ، قلق يستثار بدون قصد نتيجة "تأثير" ينبعث من هذا الشعر بصورة لا تُقاوَم . إلا أن الشىء الفريد فى تأثير بو، مثلما هو الحال بالنسبة لسحره ، هو مدى إغواء فعله بصورة لا تقبل التعليل ، بصورة تتجاوز السيطرة والإرادة وإدراك من يتعرضون لذلك التأثير . يكتب إليوت :

إن تأثير بو ... يثير الارتباك . إن لشعره ونظرياته البويطيقية تأثيراً هائلا فى فرنسا . ويبدو أن تأثيره ضئيل فى إنجلترا وأمريكا ... إلا أن المرء لا يمكن أن يقين على يقين من أن كتاباته هو ذاته لم تتأثر ببو .(ص ٢٠٥)

ويواصل إليوت تعليقه دارسا تأثير بو على بودلير وملارميه وفاليرى :

إنهم هنا يمثلون ثلاثةَ أجيالٍ أدبية ، تكاد تمثِّل بالتمام قرنا من الشعر الفرنسى. إنهم ، بالطبع، شعراء مختلفون تماما ... لكننى أظن أن باستطاعتنا اقتفاء تطور نظرية واحدة محددة عن طبيعة الشعر واقتفاء انتقالها بين هؤلاء الشعراء الثلاثة وهى نظرية يرجع أصلها إلى نظرية ... إدجار بو . والانطباع الذى نخرج به عن تأثير بو هو الأكثر تأثيرا ، حيث أن مالارميه ، ومن ثم فاليرى ، لم ينبثقا، فى الحقيقة عن بو عبر بودلير : تعرَّضَ كل واحد منهما بنفسه لذلك التأثير بصورة مباشرة ، وترك دليلا أكيدا على القيمة التى يعزوها إلى نظرية بو ذاته وإلى ممارساته ." (ص ٢٠٦)

ومما يثير الغرابة بدرجة كبيرة ، أنه بينما لا يوجد أدنى شك فى أهمية بو على مستوى العالم وفى تأثيره الكبير ، إلا أن بعض النقاد يستمرون فى الاحتجاج والتصريح ، بأعلى أصواتهم ، بأن بو ليس مهمًا ، وأن بو ليس شاعرا كبيرا . يكتب الدوس هكسلى عن بو ويتهمه "بالسوقية":

هل كان إدجار ألان بو شاعرا كبيرا ؟ لم يحدث بالتأكيد أن قال هذا الكلام أى ناقد من الناطقين بالإنجليزية إلا أن الحال مختلف فى فرنسا ، حيث خرج منذ عام ١٨٥٠ حتى الآن أفضل الشعراء فى كل جيل-نعم ، وأفضل النقاد أيضا ؛ لأن بودلير ومالارميه وبول فاليرى، شأنهم شأن معظم الشعراء البارعين ، نقاد رائعون-خرجوا عن طريقهم لتبجيله... أما نحن الناطقين بالإنجليزية... لا يمكن إلا أن نقول ، مع كل الاحترام الواجب ، إن بودلير ومالارميه وفاليرى كانوا مخطئين وأن بو ليس واحدا من شعرائنا الكبار .

(*Recognition* ، ص ١٦٠)

إلا أنه يبدو أن الذين ينتقصون من قيمة بو لا يدركون المفارقة التى تؤسس مشروعهم : ليس من الواضح أبدا لماذا يكون على أى إنسان أن يتكلف عناء الكتابة-بإسهاب-عن كاتب تافه . وهكذا يكتب يوفر ونترز Yvor Winters وهو من أكثر متهمى بو تنظيما :

> لا يكمن الخطر ، أساسا ، فى المعجبين به الذين يمكن التأثير فيهم من الأدباء الذين مازال له بعض الشىء فى نفوسهم ، حتى فى إنجلترا وأمريكا ، حيث كان يجب أن تكون الألفة مع لغته دليلا واضحا على فجاجته ، لأن هؤلاء الأفراد لا يؤثرون عموما تأثيرا حقيقيا دائما ؛ إنه بالأحرى يكمن فى هيكل المؤسسة التعليمية المؤثرة حيث يمكن دعم أحد الكتّاب دعما قويا من قبل المؤسسة التعليمية ، وسوف يكفى القليل جدا من التوضيح الفلسفى لترسيخ وجوده فى العالم الأكاديمى ككاتب لا تحتاج عظمته إلى دليل. (*Recognition* ، ص ١٧٧)

وتكمن المفارقة هنا ، فى كتابة هذا الهجوم ضد بو ، فى أن ما يفعله المهاجم فى الحقيقة يضيف دراسة أخرى إلى "هيكل المؤسسة التعليمية المؤثرة" التى "يكمن الخطر" فيها على حد تعبيره ؛ وهكذا ، يكون من المفارقات الكبيرة ، أن الخطر فى الواقع سوف يزيد بدراسة ونترز-أى ، سوف يزيد احتمال أن تصبح "عظمة بو ككاتب لا تحتاج إلى دليل" . وسوف أناقش هنا ، بصرف النظر عن حكم القيمة الذى قد يصدر على بو ، هذه المجموعة المؤثرة من الدراسات عن بو ، والكم الهائل من أدبيات النقد الذى كُتِب عن شعر بو ، وهذا الكم فى حد ذاته مؤشر على قوته الشعرية المؤثرة ، على القوة التى تدفع القارئ إلى **الفعل** ، وترغمه على **عملية القراءة** . إن الإنكار ، المفصل والمدوَّن ، لقيمة بو ، والنفى المسهب والصاخب لأهميته ، يشبهان النفى فى التحليل النفسى تمام الشبه . ومن الواضح أنه إذا كان نصٌ بو غير مهم فى الواقع ، فإنه لا يكون من المهم أن نصرِّح ونبرهن ونؤكد أن بو ليس مهمًا . إن حقيقة أن التصريح بأن بو **غير مهم** تصريح **مهم** إلى حد بعيد ليست سوى دليل على أن شعر بو شعر مهم فى الواقع .

وهكذا يمكن القول إن لبو **تاريخ حالة أدبية** ، تتضح فى أجلى صورها حين تجسد ، فى أشكالها المتناقضة ، طبيعةَ المفارقة فى التأثير الشعرى القوى : إن الشعر الحقيقى هو الذى نشعر أمامه ، أكثر مما نشعر أمام سواه ، بأنه شعر لا يمكن مقاومته، ويبرهن التاريخ الأدبى أيضا على أن الشعر الأكثر مقاومة ، هو الشعر الذى استثار المقاومات أكثر من سواه .

ويساهم هذا التناقض الظاهرى ، الذى يجعل من شعر بو حالة فريدة فى التاريخ الأدبى ، يساهم بوضوح فى طبيعة المفارقة فى **التأثير التحليلى** . والسرُّ الذى يقدمه لنا سر تحليلى من الطراز الأول ، كما عبَّر بو نفسُه ، الذى جاءت ظنونه المدهشة عن طبيعة ما يطلق عليه "التحليل" ، جاءت شبيهة بصورة مذهلة للاكتشافات التى عرفها التحليل النفسى بعد ذلك . "إن السمات العقلية التى تُقدَّم بوصفها سماتٍ تحليليةً لا تقبل التحليل ، فى ذاتها ، إلا بقدر ضئيل . إننا لا نفهمها إلا عبر تأثيراتها ."(١٠)

جاء نصُّ بو (وليست سيرة بو الذاتية عن العصاب الذى عانى منه) نتيجة للطبيعة الأصيلة لتأثيره القوى ، ونتيجة لعمليات القراءة التى يستثيرها ، وهو يمثل بكل وضوح حالة تحليلية فى تاريخ النقد الأدبى ، حالة توحى بشىء حاسم علينا أن نفهمه بواسطة مصطلحات التحليل النفسى . وبالتالى لا يكون تناول أبحاث التحليل النفسى لبو بصورة متكررة ، وتركيز أنظار النقاد التحليليين عليه ، باستمرار مثيرا للدهشة .

لاكـــان
مقاربة إشكالية النص

إن "الرسالة المسروقة" ، كما نعرف ، قصة السرقة المزدوجة ، لرسالة مشبوهة، أُرسِلتْ فى الأصل إلى ملكة . وحين فوجئت الملكة بدخول الملك على غير توقع ، تركت الرسالة على الطاولة أمام أنظار الجميع ، حتى لا تثير الشبهة وبالتالى تلفت نظر الملك . دخل الوزير D الذى يحلِّل الوضع ، ويلاحظ الملكة والنظرات المتبادلة بينها وبين الملك الذى لا يرتاب فى شىء ، ويكتشف الوزير ، بعد أن تعرَّف على خط المرسِل ، موضوعَ الرسالة ، ويسرقها-ويضع مكانها رسالة كانت فى جيبه-تحت عيون الملكة ذاتها فى تحدٍّ لها ، ولم يكن فى وسعها أن تقوم بأى شىء لمنع السرقة بدون أن تستثير شكوك الملك . وبعد ذلك تطلب الملكة من رئيس الشرطة أن يقوم بتفتيش جناح الوزير . ويستخدم رئيس الشرطة كل حيل البوليس السرى لتفتيش كل المواضع الخفية التى يمكن أن نتصورها فى بيت الوزير ، ولكن باءت كل محاولات البحث بالفشل .

يستدعى رئيس الشرطة ، بعد استنفاد كل الوسائل ، أوجست دوبين ، "المحلِّل" الشهير ، كما يصفه بو (إنه مخبر هاوٍ بارعٌ فى حل المشاكل بالاستدلال المنطقى) ويحكى له القصة بكاملها. (وفى الحقيقة ، عرف القُرَّاء قصة الرسالة من هذا السرد من رئيس الشرطة لدوبين ، وقد سجلها الراوى ، وهو صديق دوبين وكان حاضرا حين كان رئيس الشرطة يحكى القصة لدوبين .)

وفى اللقاء الثانى ، وسط الدهشة الهائلة لرئيس الشرطة والراوى ، يخرج دوبين الرسالة المسروقة من درجه ويعطيها لرئيس الشرطة مقابل مكافأة مالية كبيرة . ينصرف الرئيس ، ويشرح دوبين للراوى كيفية العثور على الرسالة : استنتج أن الوزير ، الذى يعرف أن الشرطة ستقوم بتفتيش بيته بكل دقة ، توصَّل إلى أن أفضل قاعدة لإخفاء الرسالة أن يتركها فى مكان واضح ، تحت أنظار الجميع ؛ إن الرسالة ، بكل دقة ، لم تُكتشَفْ لأن كشفها لم يكن يحتاج إلى دليل . وبناء على تلك الفرضية،

عرّج على جناح الوزير ، وتلفّت حوله ، وفى الحال رأى الرسالة موضوعة على رفٍّ فى حامل للبطاقات . وبعد ذلك بوقت قصير ، أثار رجل يعمل لحساب دوبين ضجة فى الشارع جعلت الوزير ينظر من النافذة ، وفى هذه اللحظة استبدل دوبين الرسالة بنسخة طبق الأصل .

ينصبُّ اهتمام لاكان عند هذه النقطة من البحث على الإشكاليات التحليلية "للتكرار القهرى "repetition compulsion"[11] كما اتضح فى تأملات فرويد فى **وراء مبدأ اللذة** . ومن ثم يركز لاكان جهوده ، فيما يتعلق ببو ، على تحديد أسلوب اعتماد حبكة القصة وتتابع أحداثها (كما يحدث فى تتابع الأحداث فى قصة حياة ، بالنسبة لفرويد) على مبدأ التكرار ، وهو مبدأ يحكمها ويشيِّد التلاحم الدرامى والتهكمى بدون قصد . يشير لاكان إلى أن "هناك مشهدين ، وسندعو أولهما ، بلا أدنى تردد ، المشهد الأساسى..ويمكن اعتبار المشهد الثانى تكرارا له بالمعنى الذى نهتم به الآن" (ص ٤١) .[12] يجرى المشهد الأساسى فى مخدع الملكة : إنه مشهد سرقة الرسالة من الملكة بواسطة الوزير ؛ والمشهد الثانى–الذى يمثل تكرارا للأول–هو مشهد سرقة الرسالة من الوزير بواسطة دوبين .

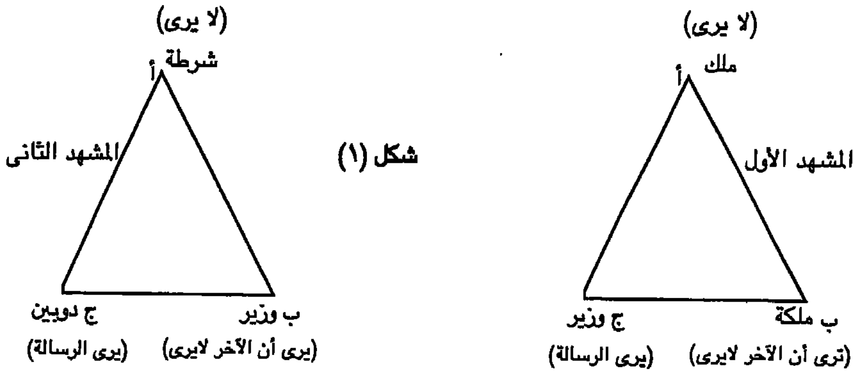
ويرى لاكان أن ما يشكّل التكرار ، مهما يكن ، ليس مجرد التشابه فى موضوع السرقة المزدوجة ، لكنه الموقف البنيوى برمته الذى تحدث فيه السرقة المتكررة : يأتى اللصُّ فى كل حالة نتيجة لعلاقة موضوعية بين ثلاثة أطراف ؛ والمشاركون الثلاثة فى المشهد الثانى هم الشرطة والوزير ودوبين . حيث يحتلُّ دوبين بالطريقة نفسها وضع الوزير فى المشهد الأول (وضع سارق الرسالة) ، ويحتل الوزير فى المشهد الثانى وضع الملكة فى المشهد الأول (مالك الرسالة المسلوبة) ؛ وتحتل الشرطة ، حيث تبقى الرسالة غير مرئية بالنسبة لها ، الوضعَ الذى سبق أن احتله الملك . وهكذا يعكس كل مشهد صورة الآخر ، ويصور المشهدان التبادل المتكرر "لثلاث نظرات ، لثلاث ذوات ، تجسدها فى كل مرة شخصيات مختلفة" . إن ما يتكرر ، بتعبير آخر ، ليس فعلا سيكولوجيا يُقترَف باعتباره وظيفة من وظائف السيكولوجيا الفردية الشخصية ، ولكن

باعتباره ثلاثة أوضاع وظيفية فى بنية ، تحدد ثلاثا من وجهات النظر المختلفة ، وتجسد ثلاث علاقات مختلفة لعملية الرؤية-وخاصة رؤية الرسالة المسروقة .

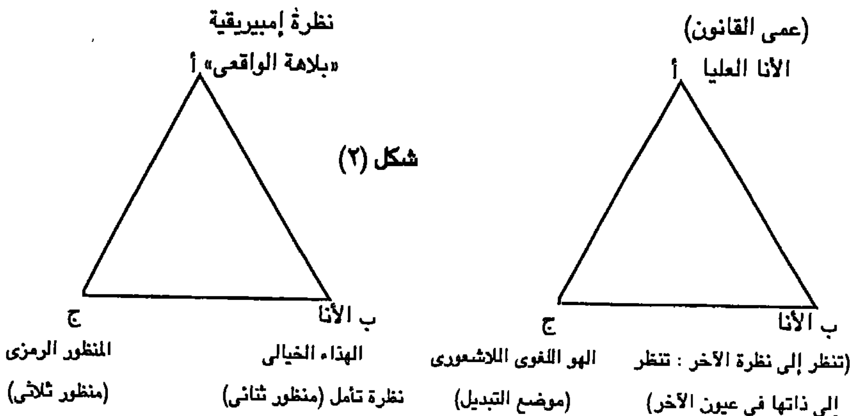
الأولى ، نظرة لا ترى شيئا : الملك والشرطة .

الثانية ، نظرة ترى أن الأولى لم تر شيئا وتتوهم أنها تتكتم على ما تخفيه : الملكة ثم الوزير .

الثالثة ، ترى أن النظرتين الأولى والثانية تركتا ما يجب إخفاؤه فى متناول يد من يريد الاستيلاء عليه : الوزير ودوبين فى النهاية . (ص ٤٤)



شكل (١)



شكل (٢)

وقد صممت الشكل السابق لتخطيط تحليل لاكان وتوضيح الإدراك البنيوى التزامنى الذى يقترحه للتطور التعاقبى الزمنى فى الدراما .

ويؤكد لاكان أن «ما يهمنا اليوم» ،

هو الطريقة التى تحل بها الذوات إحداها مكان الأخرى فى إزاحتها أثناء التكرار الموضوعى .

سنرى أن إزاحة الذوات تتحدد بالوضع الذى يحتله الدال المحض–الرسالة المسروقة–بأطرافها الثلاثة . وهذا ما سوف يؤكد لنا مكانته كتكرار تلقائى . (ص ٤٥)

وبتعبير آخر ،تصبح الرسالةُ المسروقة ذاتُها–عبر تأكيدها فى البنية–دالَّ اللاشعورى أو رمزَه ، حتى يكون مقدر لها "أن تدل على إلغاء ما تدل عليه"–ضرورة كبتها ، وكبت رسالتها : "لن يكون المعنى وحده خطيرا وسيكون نصُّ الرسالة أيضا خطيرا إذا تم تداوله" (ص ٥٦) . وبطريقة مماثلة إلى حد بعيد ، مثلما **يعود** المكبوت فى **العَرَض** ، وهو بديله الرمزى المتكرر ، تعود الرسالة المسروقة فى الحكاية باستمرار–بوصفها دال المكبوت–عبر الإزاحة والإحلال المتكررين . "وهو ، فى الواقع ، نفس ما يحدث فى التكرار القهرى" كما يقول لاكان (ص ٦٠) . إن الرغبة اللاشعورية ، بمجرد كبتها ، تواصل الحياة فى وسط رمزى بديل يحكم حياة الذات وأفعالها دون أن تدرك معناها أبدا أو تدرك النمط التكرارى الذى تشيده :

إذا كان ثمة معنى لما اكتشفه فرويد وأعاد اكتشافه بإحساس متزايد بالصدمة دائما ، فإن إزاحة الدال هى التى تحدد الذوات فى أفعالها ، فى قدرها ، فى رفضها، فى عماها ، فى نهايتها ، وفى مصيرها ، على الرغم من مواهبها الفطرية ومكاسبها الاجتماعية ، وبصرف النظر عن سمات الشخصية أو الجنس sex، وكل ما يمكن أن يكون مهمًا للمعرفة السيكولوجية ، ككل ، سوف يتبع شاء أم أبى ، مسار الدال . (ص ٦٠)

إذن ، بأى معنى يختلف المشهد الثانى من حكاية بو عن المشهد الأول وهو رره؟ إنه ، بكل دقة ، بمعنى أن المشهد الثانى يتيح لنا ، عبر التكرار ، فهم الأول تحليله . وليس هذا التحليل عبر التكرار ، فى القراءة الرائعة التى قام بها لاكان ،

أقل من أن يكون **إليجوريا عن التحليل النفسى** . وهكذا يقارن تدخُّل دوبين ، الذى يعيد الرسالة إلى الملكة ، بتدخُّل المحلِّل ، الذى يخلِّص المريض من العَرَض . لا ينشأ تأثير المحلل نتيجة لقوته العقلية ولكنه ينشأ-كما يؤكد لاكان-نتيجة لوضعه فى البنية التكرارية . ويسمح المحلل بفضل احتلال الوضع الثالث-أى **موضع** locus لاشعورى الذات كمكان لتبديل الرسالة برسالة (الدال بدال)-عبر الإحالة transference، بتكرار الصدمة وإحلال بديل رمزى مكانها فى الحال ، ويؤثر بالتالى على حل عقدة الدراما .

ومن المهم أن نعقد مقارنة بين دراسة لاكان للتكرار القهرى فى التحليل النفسى انطلاقا من نص بو ودراسة مارى بونابرت Marie Bonaparte عن التكرار القهرى فى نص بو .[١٣] ومع أن المحلِّلَيْن يدرسان المؤلف ذاته ويركزان على المفهوم التحليلى ذاته ، إلا أن مقاربة كل منهما تختلف عن الأخرى اختلافا كبيرا . وبقدر ما أصبحت دراسة بونابرت كلاسيكية ، ونموذجا للتحليل النفسى التطبيقى ، أودُّ ، فى الإشارة إلى الاختلافات فى مقاربة لاكان ، التلميح إلى الطريقة التى تضع بها تلك الاختلافات موضع الشك وتقدم بديلا لها فى الحال .

١- ماذا يكرر التكرار القهرى ؟ تفسير الاختلاف مقابل تفسير الهوية . ترى بونابرت أن ما يتكرر بصورة قهرية فى نصوص بو المختلفة هو الفنتازيا اللاشعورية ذاتها : رغبة بو فى أمه الميتة وهى رغبة سادية فى اشتهاء الموتى sadonecrophiliac. ويرى لاكان أن ما يتكرر فى النص ليس محتوى الفنتازيا ولكن الإزاحة الرمزية للدال فى تأكيد سلسلة دالة ؛ والتكرار هنا ليس تكرارا **للتماثل** ولكنه تكرار للاختلاف ، إنه ليس تكرارا لمصطلحات مستقلة أو لموضوعات متشابهة ولكنه تكرار لبنية علاقات تبادلية متباينة ،[١٤] إن ما **يعود** فيه هو **آخر** دائما . وهكذا تكرر البنية الثلاثية عبر اختلاف الشخصيات التى تتتابع لاحتلال الأوضاع الثلاثة ؛ ولا يمكن لنا أن ندرك دلالتها البنيوية إلا **عبر** هذا الاختلاف . وبصورة مماثلة تكمن دلالة الرسالة فى إزاحتها، أى فى تحركاتها المتكررة إلى أماكن مختلفة . وحيث أن المشهد الثانى ، فى رأى لاكان ، يمثل إليجوريا التحليل ، فإن أهميته لا تقتصر على **تكرار**

المشهد الأول ، ولكنها تمتد إلى الطريقة التى يقدم بها هذا التكرار (مثل التكرار الإحالى لخبرة تحليلية) **اختلافا** : يأتى بحلٍّ للمشكلة . وهكذا بينما تحلل بونابرت التكرار باعتباره تأكيدا للهُوية ، يرى لاكان أن أية رؤية محتملة لواقع اللاشعورى تعتمد على إدراك التكرار بوصفه تأكيدا لاختلاف لا يزول ، لا بوصفه تأكيدا للهوية .

٢- **تحليل الدال مقابل تحليل المدلول** . فى ضوء قراءة لاكان لحكاية بو باعتبارها إليجوريا القراءة التحليلية ، قد يكون من المهمِّ تحديد الفرق بين مقاربة لاكان ومقاربة بونابرت للقصة . إذا كان من الممكن أن نقول إن الرسالة المسروقة علامة اللاشعورى ، فإن مهمة المحلِّل ، فى رأى بونابرت ، تكمن فى كشف محتوى الرسالة ، وتعتقد-شأنها فى ذلك شأن الشرطة-أنها مخبأة فى مكان ما من الواقع ، فى عمق بيوجرافى سرى . ومن الناحية الأخرى ، يرى لاكان أن مهمة المحلل لا تكمن فى قراءة المحتوى المرجعى الخفى الذى تتضمنه الرسالة ، ولكنها تكمن فى تحديد وضع المغزى السطحى لحركتها الخارجية ، وتحليل الدليل الرمزى لإزاحتها وهو دليل ينطوى على مفارقة ، ولتأكيدها البنيوى ، فى سلسلة دالة . يكتبُ بو : "ثمة شىءٌ بمثل هذا العمق. إن الحقيقة لا توجد فى بئر دائما . وأظن ، فى الحقيقة ، أن معظم المعارف المهمة توجد على السطح دائما ."(١٥) ويتخذ لاكان ، متبنيًا رؤية بو ، من مبدأ الدليل الرمزى مرشدا لتحليل الدال وليس تحليل المدلول-لتحليل اللاشعورى (المكبوت) ليس بوصفه شيئا خفيا ولكن على العكس بوصفه شيئا **مكشوفا** - فى لغة - عبر إزاحة (بلاغية) مهمة .

ومع أن تحليل الدال على هذا النحو يمكن أن يوجد نموذج له فى تفسير الأحلام لفرويد ، إلا أنه يمثل انقلابا جذريا للتوقعات التقليدية فى المقاربة التحليلية العامة للأدب وبحثها الدائم عن المعانى الخفية . وفى الحقيقة ، لا تمثل قراءة لاكان "للرسالة المسروقة" مجرد تقويض للنموذج التقليدى فى القراءة التحليلية : إنها ، عموما، قراءة غير مسبوقة فى تاريخ النقد الأدبى . لقد عوَّدَنا تاريخُ القراءة أن نفترض-عادةً ، دون شكٍّ-أن القراءة هى العثور على المعنى ، وأن التفسير لا يمكن أن يتأسس إلا على ما

له معنى . ويكشف تحليل لاكان للدال فرضية جديدة تماما، فرضيةً جاءت نتيجة ، منهجية ومنطقية نافذة البصيرة" لاكتشافات فرويد : إن ما **يمكن** قراءته (وربما ما **يجب** قراءته) ليس المعنى ولكن الافتقار إلى المعنى ؛ إن الدلالة لا تكمن فى الوعى، لكنها تكمن ، بصورة خاصة ، فى تمزُّقه ؛ يمكن أن يتم تحليل الدال بواسطة تأثيره ودون أن نعرف مدلوله ؛ إن الافتقار إلى المعنى-الانقطاع فى سياق الفهم الشعورى - يمكن تفسيره على هذا النحو بل ويجب تفسيره عليه ، دون تحويله بالضرورة إلى معنى ، يكتب لاكان "لنلقِ نظرةً" :

سوف نجد إضاءة فيما يبدو ، للوهلة الأولى ، أنها أمور قاتمة : حقيقة أن الحكاية تتركنا فى الحقيقة دون أن نعرف مرسل الرسالة أو محتواها . (ص٥٧)

إن الدال ليس أداة وظيفية...ربما نسلم حتى بأن الرسالة تحمل معنى يختلف تماما (إن لم يكن بصورة أكثر إلحاحا) بالنسبة للملكة عن المعنى الذى فهمه الوزير . ولن تتأثر سلسلة الأحداث تأثرا ذا بال ، وحتى لو لم تكن مبهمة تماما بالنسبة للقارئ الذى يجهلها .(ص٥٦)

وهذا هو التأثير اللاشعورى الحقيقى بالمعنى الدقيق حيث ندرِّس أن اللاشعورى يعنى أن الإنسان مسكون بالدال . (ص ٦٦)

وهكذا يرى لاكان أن ما هو تحليلى من الطراز الأول ليس المقروء المفهوم(كما ترى بونابرت) ولكن ما هو غير مقروء وتأثيرات غير المقروء . إن ما يقتضى التحليل هو إلحاح غير المقروء فى النص .

وقد قال بو ذلك كله ، بالطبع ، فى التعليق على طبيعة ما دعاه هو أيضا-بصورة مذهلة للغاية ، فى الحقيقة-"التحليلى" : "إن السمات الذهنية التى تدرس باعتبارها تحليلية لا تقبل التحليل ، فى ذاتها ، إلا بصورة ضئيلة . إننا لا نفهمها إلا من خلال تأثيراتها ." ومن الغريب تماما أن ما قاله بو عن التحليل بحماس بقى هو ذاته بدون تحليل . ولم يلاحظه فى الحقيقة أحد من دارسى التحليل النفسى قبل لاكان ،

ربما لأنه ، أيضا ، طبقه لمنطقه التحليلى الخاص "لا يحتاج إلى دليل بدرجة" تجعله لا يُدْرَك .

٣ – **المقاربة النصية مقابل المقاربة البيوجرافية** . يتضمن تحليل الدال نظرية فى النصية تصبح بالنسبة لها بيوجرافيا بو ، أو ما يُدعَى مرضه ، أو التحليل النفسى المفترض لشخصيته ، بلا أهمية . إن الافتراض المسبق–الذى يحكم أعمالا من قبيل عمل مارى بونابرت–بأن الشعر لا يمكن تفسيره إلا باعتباره سيرة ذاتية ، تفسير قاصر ومحدود بصورة واضحة . ويقدم التحليل النصى فى أعمال لاكان ، للمرة الأولى بديلا تحليليا للمقاربة البيوجرافية التى لم تكن قبل ذلك موضع شك وكانت تبدو كاملة .

٤ – **علاقة المؤلف/المحلِّل : تدمير نمط السيد/العبد وتضاد الطبيب/المريض** .

لنتذكرْ كم من القراء عانوا من الارتباك نتيجة تأكيد التحليل النفسى ، ذلك التأكيد المخزى والمتدنى أحيانا "لعلَّة" بو ، وأيضا" نتيجة الشروح التى تساوى بين الشِّعْرىِّ والذُّهانىِّ . وكان يبدو أن الشك لم يتطرق إلى عقول قراء التحليل النفسى فى أنه إذا كان من الممكن لوضع القراءة أن يشبه وضع التحليل النفسى ، فإن الشاعر يتساوى بالمريض المعتل ، وبالمحلِّل على الأريكة . ويدمر تحليل لاكان ، مع ذلك ، هذا الوضع الإكلينيكى الذى يوضع فيه الشاعر ويدمِّر معه ، أيضا ، طمأنينة المفسِّر التى "تجاور" ذلك الوضع . وإذا كان لاكان لا يهتم "بعلة بو"، إلا أنه مع ذلك يهتم اهتماما كبيرا بصورة الشاعر فى الحكاية ، وبالفرضيات التى تفترض بشأن كفاءته أو عجزه . يقال أن الوزير ودوبين شاعران وأن التعليل الشعرى الذى يقدمانه هو ما يفشل رئيس الشرطة فى فهمه ، ويمكنهما بالتالى من التفوق على الشرطة . "د– أظن أنه ليس أحمق تماما ،" هكذا يعلِّق دوبين فى بدايات القصة ، ويرد رئيس الشرطة على ذلك بالقول :

"ليس أحمق تماما..ومن ثم فهو شاعر ، وأظن أنه لا يبعد سوى خطوة واحدة عن الحماقة ."

وقال دوبين بعد أن سحب نفسا عميقا من غليونه : "حقا ، مع أننى شعرتُ بالإثم من كتابة بعض النظم التافه ." (ص ٣٣٤)

والسؤال الذى لا يطرحه لاكان كان يمكن أن ينشأ عن التأكيد على نقطة أخرى من الطبيعى ألا تثير الانتباه ، لأنها ، مرة أخرى ، واضحة وعديمة الدلالة بصورة لافتة للنظر : لماذا يقول دوبين إنه ، أيضا ، **ينتابه إحساس** بالإثم نتيجة نظم بعض الشعر؟ بأية صورة يتضمن وضع الشاعر إحساسا بالإثم ؟ بأى معنى يمكن أن نفهم إثم الشاعر؟

يلفت دوبين أنظارنا ، بالتالى ، إلى حقيقة أنه هو والوزير شاعران ، وهى درجة من الكفاءة لا يصل إليها رئيس الشرطة . وحين يشرح دوبين ، بعد ذلك ، للراوى هزيمة رئيس الشرطة يؤكد مرة أخرى على عدم قدرة رئيس الشرطة على رؤية المنطق أو "مبدأ الإخفاء" الذى يناسب الشعراء وهكذا (كما قد يُفْتَرَض) يكون شعريا بصورة خاصة :

هذا الموظف مرتبك تماما ؛ ويكمن المصدر البعيد لهزيمته فى افتراض أن الوزير أحمق ، لأنه اكتسب شهرة بوصفه شاعرا . الحمقى كلهم شعراء ؛ وهو ما يشعر به رئيس الشرطة حين يشعر بالإثم شعورا تاما من مسألة لا تستحق ذلك نتيجة استنتاجه أن الشعراء كلهم حمقى . (ص ٣٤١ – ٣٤٢)

فى ترجمة بودلير لقصة بو إلى الفرنسية بقيت كلمة **أحمق** fool، بالمعنى القديم القوى، fou، أى بمعنى "مجنون mad". ومن ثم ، آن أن نقدم الصياغة الجديدة التى أعدها لاكان لهذه الفقرة من القصة :

وبعد ذلك ، ثمة لحظة من السخرية [من قبل دوبين] من خطأ رئيس الشرطة فى استنباط أنه ليس من المستبعد أن يكون الوزير مجنونا لأنه شاعر ، ويبرهن على أن هذا الخطأ قد يكمن ... ببساطة فى تصنيف زائف من صنع الطرف الأوسط ، حيث أنه بعيد عن [الطرف] التالى ، عن حقيقة أن المجانين كلهم شعراء .

نعم ، حقا . لكننا تُرِكنا فى الظلام فيما يتعلق بتفوق الشاعر فى فن الإخفاء . (ص ٥٢)

تبدو هذه الفقرة من القصة ويبدو تعليق لاكان هامشيين وعَرَضيين . إلا أن **العلاقة** المفترضة بين **الشعر والجنون** لها صلة دالة بحالة بو وبمقاربات التحليل النفسي ، المقاربات الأخرى التي وضعناها في الحسبان . ألا يمكن القول إن خطأ ماري بونابرت (الذي يتمثل ، شأنه في ذلك شأن خطأ رئيس الشرطة ، في الانهماك في البحث عن معنى خفي) يكمن في حقيقة أنها ، شأنها في ذلك شأن رئيس الشرطة مرة أخرى ، تساوي ببساطة بين الشعري والذُّهانيّ ، وهكذا تفشل ، وقد أغشى بصرها ما ترى أنه **العجز** الشعري ، في رؤية **القدرة** الشعرية أو فهم خصوصيتها ؟ إن الكثير من دراسات التحليل النفسي التي تشخص علة الشاعر وتبحث عن سره الشعري في شخصه (مثلما يفعل رجال الشرطة) تشبه في الواقع تحقيقات الشرطة ، وتفشل ، مثلما تفشل الشرطة في قصة بو ، في العثور على الرسالة ، وتفشل في رؤية نصية النص .

إن لاكان ، بالطبع ، لا يقول هذا كله-ولا يراهن عليه في التحليل الذي يقدمه . وكل ما يقوم به هو طرح سؤال آخر حين اعتقدنا أننا حصلنا على إجابة ما:

نعم ، حقا . لكننا تُركنا في الظلام فيما يتعلق بتفوق الشاعر في فن الإخفاء.

إلا أن هذا السؤال الذي يبدو هامشيا ، ويطرح بصورة عابرة ، ويترك دون إجابة ، يوحي باحتمال وجود بؤرة مختلفة اختلافا تاما في القصة أو وجود منظور مختلف للتفسير . إذا كانت "الرسالة المسروقة" تمثل بصورة خاصة قصة "تفوق الشاعر في فن الإخفاء" ، إلا أنها ليست مجرد إليجوريا التحليل النفسي ولكنها أيضا ، في الوقت ذاته ، إليجوريا الكتابة الشعرية . ولاكان ذاته شاعر لدرجة أن ما يتم إخفاؤه بتفوق في سيميناره هو التفكير في الشعر .

إلا انه لا يمكن فهم تفوق الشاعر في التفسير الذي يقدمه لاكان للوضع الثالث المتعلق بالرسالة إلا باعتباره تفوقا بنيويا : الوزير في المشهد الأول ، ودوبين في المشهد الثاني ، وكل منهما شاعر . لكن الوضع الثالث يمثل أيضا ، وهذه هي النقطة الأساسية في مقاربة لاكان ، وضع الشاعر الذي لم يعد وضع المريض المعتل ولكن ،

إذا كان لابد ، فإنه وضع المحلِّل . وإذا كان الشاعر لا يزال متَّهما بالحماقة ، فإن حماقته-إن وجدتْ (ويبقى السؤال مفتوحا)-هى فى الوقت ذاته حماقة المحلِّل . إن التناقض الواضح بين الجنون والصحة العقلية ، أو بين الطبيب والمريض ، تناقض لاشعورى لا يستطيع أحد أن يمسك به أو يسيطر عليه . "لا توجد ميتا لغة 'Metalanguage، كما يقول لاكان : لا توجد لغة يمكن أن يتجنب فيها التفسير تأثيرات اللاشعورى ؛ والمفسِّر ليس محصَّنًا أكثر من الشاعر ضد الضلالات والأخطاء اللاشعورية .

٥ - **التضمين ، مقابل التطبيق ، فى نظرية التحليل النفسى** . لم تعد مقاربة لاكان تقع ضمن القسم الذى أطلق عليه "التحليل النفسى التطبيقى" حيث يتضمن مفهوم التطبيق وجود علاقة خارجية بين العلم التطبيقى والحقل الذى يُفترَض، من اتجاه واحد ، أنه يقدم المعرفة . وحيث أن نص بو ، فى التحليل الذى قدمه لاكان ، يفسِّر نص فرويد بالضبط مثلما يفسِّر نصُّ فرويد نصَّ بو ؛ وحيث أن نظرية التحليل النفسى والنص الأدبى يقدم كلٌّ منهما المعرفةَ للآخر ، ويزيحه ، وحيث أن الوضع الحقيقى للمفسِّر-المحلِّل-يصبح داخل النص وليس خارجه ، يتلاشى إذن التعارض الواضح والحدود الصارمة بين الأدب والتحليل النفسى : يمكن أن يكون التحليل النفسى متغلغلا فى الأدب intraliterary بقدر ما يمكن أن يكون الأدب متغلغلا فى التحليل النفسى intrapsychoanalytic. إن الرهان المنهجى لم يعد **تطبيق** التحليل النفسى **فى** الأدب ولكنه ، بالأحرى ، رهان **التضمين المتبادل فى** كل منهما.

إذا كنتُ قد تناولتُ بإسهاب المساهمة المبتكرة التى قدمها لاكان والمثال المنهجى المختلف فى مقاربته ، فإن الهدف لم يكن تقديم هذا المثال باعتباره نموذجا للتقليد ، ولكنه بالأحرى ، إشارة إلى الأسلوب الذى يدعونا به بصورة موحية إلى تجاوزه (مثلما يتجاوز لاكان أسلوب فرويد) ، الأسلوب الذى يفتتح به مجالا جديدا تماما لاحتمالات لم تُجرَّبْ من قبل فى مشروع القراءة . وبتعبير آخر ، لا تكمن أهمية لاكان فى رأيى بصورة خاصة فى أية تعاليم جديدة قد تفترضها "مدرستُه" ، ولكنها تكمن فى التأكيد الواضح على وجود **أكثر من أسلوب** لتضمين التحليل النفسى فى الأدب ؛

والسؤال عن كيفية تضمين التحليل النفسى فى الأدب سؤال يحتاج إلى تفسير ، وإلى تحدٍّ من براعة المفسِّر وبصيرته ، ولا يمثل فرضية يمكن أن نسلم بها بطريقة ما ؛ إن ما يتعلق بالتحليل فى النص ليس بالضرورة القاطعة "اللاشعورى فى الشاعر" ، وعلينا أن ندع علته أو مشاكل حياته فى حالها ؛ ولتحديد وضع التحليلى فى نص من هذا القبيل-تحديد وضع موضوع التحليل أو نقطة تضمينه النصية-ليس علينا بالضرورة أن نتعرف على ما هو **معلوم** وأن نعثر على إجابة ، ولكن ، وربما بتحد أكبر، تحديد وضع **المجهول** والعثور على سؤال .

التحليلى البو-يطيقى The Poe-etic Analytical

لنعد الآن إلى السؤال الحاسم الذى تركناه معلقا من قبل ، بعد طرحه بنقض شرط فرويد المتعلق بنوع البحث الذى تقدمه مارى بونابرت : هل يمكن أن يقدم لنا التحليل النفسى بصيرة للنفاذ إلى خصوصية الشعرى ؟ ويمكن الآن أن نكمل هذا السؤال بسؤال آخر : كيف يمكن تحديد وضع التحليلى فيما يتعلق بشعر بو ؟

ربما يأخذ البحث عن إجابة لهذين السؤالين أحد اتجاهين . (١) قراءة مباشرة لنص شعرى من نصوص بو فى محاولة لتحديد وضع الدال الشعرى فى القصيدة وتحليل وظيفته وتأثيراته ؛ وبتعبير آخر ، تحليل عمل الشعر بهذه الطريقة من خلال الدوال (حتى أنه من الممكن اعتبار الدوال ، على عكس المعانى ، دوال اللاشعورى دائما) ؛ (٢) قراءة تحليلية للتاريخ الأدبى حيث يشكل بو تاريخ **حالة أدبية** واضحة . ولم يقم أحد ، بقدر علمى ، أبدا بقراءة من هذا القبيل فيما يتعلق بأى كاتب : لم يُنظَرْ أبدا إلى التاريخ الأدبى بوصفه موضوعا تحليليا ، بوصفه موضوعا يحتاج إلى تفسير تحليلى .[١٦] إلا أنه لا يزال من الواضح إلى حد بعيد ، فى حالة مثل حالة بو ، أن خطاب التاريخ الأدبى يشير إلى بعض التحديدات اللاشعورية التى تبنيه ولكنه لا يدرك معناها. ما هو لاشعورى التاريخ الأدبى ؟ هل هناك علاقة بين **إثم الشعر** واللاشعورى ؟ هل يمكن بطريقة ما اعتبار التاريخ الأدبى إحالة لاشعورية متكررة لإثم الشعر ؟

إن التاريخ الأدبى ، أو بتعبير أدق الخطاب النقدى حول بو ، هو فى الحقيقة من أوضح ("لا يحتاج إلى دليل") تأثيرات الدال الشعرى عند بو ، أى من أوضح تأثيرات

نصه . والآن ، كيف يمكن أن نتعامل تحليليا مع مسألة التأثير الخاص لبو ؟ الإجابة التى أقترحها هى : بتحديد وضع ما يبدو أنه غير مقروء أو غير مفهوم فى هذا التأثير؛ بتحديد أكثر التعارضات أو الانقطاعات بروزا فى الخطاب النقدى المتعلق ببو عموما ، بتحديد أكثر التناقضات إثارة للارتباك، ويمحاولة تفسير تلك التناقضات كأعراض لخاصية الاضطراب فى التأثير البو-يطيقى Poe-etic، وبالمثل خاصية اعتماد مثل هذا التأثير على اللاشعورى .

بدا للوهلة الأولى أن شعر بو ، طبقا للأدلة المتعارضة فى قراءته ، ولنكرر ذلك مرة أخرى، بدا أنه لا يُقاوَم بصورة تفوق كل الأشعار الأخرى وربما يكون أكثر الأشعار مقاومة فى التاريخ الأدبى . إننا نشعر للوهلة الأولى بأن بو أستاذ الفن اللاشعورى ، أستاذ لا يبارى وأستاذ أكثر الحالات اللاشعورية التواء ، وقد يُحكَم عليه بأن يبقى "ضحية **للفكرة الثابتة** idée fixe باستمرار وضحية لهواة التحليل النفسى".[١٧] وأود أن أبرهن على أن الشعر هو بكل دقة تأثير الصراع المميت بين الوعى واللاوعى ؛ وعليه أن يعمل مع المقاومة ومع ما لا يمكن مقاومته أو الهروب منه . إن بو عَرَضٌ من أعراض الشعر حتى يصبح الشعر أكثر ما يقاوم تفسير التحليل النفسى وأكثر ما يعتمد على تأثيرات التحليل النفسى .

لكن هذا ، فى مفارقة وافية ، هو الشىء المشترك بين الشعر والتحليل النفسى. إنهما موجودان بقدر ما يقاومان قراءتنا . وحين يتم اصطيادهما فى فعل ، يُسرَقان من جديد باستمرار.

هوامش الفصل الخامس

١- مع أن بو لم يكن منبوذا على المستوى الاجتماعي إلا أن بودلير تصور أنه كان منبوذا ، وربما كان بو ، ومازال ، أكثر من أسيء فهمهم من بين الكتّاب الأمريكيين جميعا ." راجع ،

Floyd Stoval, Edgar Poe the Poet: *Essays New and Old on the Man and His Work* (Charlottesville: University of Virginia Press, 1996)

٢- عبارة ت.س. إليوت الشهيرة في دراسته

From Poe to Valéry', *Hudson Review*, Autumn 1949

وقد أعيدت طباعتها في :

The Recognition of Edgar Allan Poe: Selected Criticism since 1829 ،ed. Eric W. Carlson Ann Arbor: University of Michigan Press, 1996 p. 3-5.

وسنذكر هذه المجموعة من المقالات بعد ذلك باسم Recognition وتحتوي على عدد من المقالات المتنوعة يمكن ذكرها بإيجاز على النحو التالي :

P.P. Cooke, 'Edgar A. Poe' (1884); T.S. Eliot, 'From Poe to Valéry' 199 T.W. Higginson, 'Poe' (1987) ; Aldous Huxley, 'Vulgarity in Literature' (1931); G.B. Shaw, 'Edgar Allan Poe' (1990); Edmund Wilson, 'Poe at Home and abroad' (1993); Yvor Winters, 'Edgar Allan Poe: A Crisis in American Obscurantism' (1937)

٣ - راجع ،

J.W. Krutch, *Edgar Allan Poe: A Study in Genius* (New York: Knopf, 1936)

٤ - راجع ،

J.M.S. Robertson, 'The Genius of Poe', *Modern Quarterly*, 3 (1926) Camille Mauclair, Le *Génie d'Edgar Poe* (Paris, 1925 ؛(John Dillon, *Edgar Allan Poe: His Genius and His Character* (New York, 1911); John R. Thompson, *The Genius and Character of Edgar Allan Poe* (privately printed, 1929); Jeannet A. Marks, Genius and Disaster:

Studies in Drugs and Genius (New York, 1925); Jean A. Alexander, 'Affidavits of Genius: French Essays on Poe, Dissertation Abstracts, 22 (September 1961)

٥- راجع ، Higginson, 'Poe', Recognition, p.67.

٦- راجع ،

Swinburne, Letter to Sara Sigourney, 9 November 1875 *Recognition*, p.63. Mallarmé, Scolies', in *Oeuvres complètes*, ed. H. Mondor and G. Jean-Aubry (Paris: Pléiode, 1945) p.223; my translation. Lowell, 'Edgar Allan Poe', *Recognition*, p.11.

٧- راجع ،

Cooke, quoting Elizabeth Barrett, in 'Edgar A. Poe', *Recognition*, p.23; original Italics.

٨ - راجع ، Shaw, 'Edgar Allan Poe', *Recognition*, p.98.

٩ - راجع ، Eliot, 'From Poe to Valéry', *Recognition*, p.209.

١٠ - راجع ،

'The Murders in the Rue Morgue', in *Edgar Allan Poe: Selected Writings*, ed. David Galloway (New York: Penguin, 1967) p.189

وسيذكر فيما يلى باسم *Poe*.

١١ - للاطلاع على تحليل مهم لطريقة حدوث التكرار فى إشكاليات القراءة التى أشار إليها نص لاكان ، انظر :

Barbara Johnson's "The Frame of Reference: Poe, Lacan, Derrida, in *The Critical Difference: Essays in the Rhetoric of Contemporary Criticism* (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1980)

١٢ - راجع ،

Lacan, 'Le Séminaire sur La Lettre volée', in Ecrits (Paris: Seuil, 1966); first translated by Jeffrey Mehlman in 'French Freud', Yale French Studies,48 (1972).

وكل الإشـارات الواردة فى هذا المقـال إلى سيـمـينار لاكـان عن بو هى إشـارات إلى هذه الترجمـة .

١٣ - راجع ،

Bonaparte, *Edgar Poe* (Paris: Den?el et Steele, 1933) English edition: Life and Works of Edgar Allan Poe, trans. John Rodker (London: Imago, 1949)

وكل الإشارات إلى مارى بونابرت فى هذا المقال هى إشارات إلى الطبعة الإنجليزية .

١٤ - "هل نحن فى حاجة إلى تأكيد التشابه بين النتيجتين ؟ نعم ، لأن الشبه فى رأينا ليس مجرد تجمع بسيط لخصائص لم تُجمَع إلا لمحو الاختلاف . إن الإبقاء على تلك الخصائص المشتركة على حساب الخصـائص الأخرى لا يكفى لاستنتاج أبسط الحقائق. إن حث العملين اللذين نتمنى توضيحهما يتم بالأحرى فيما بين الذوات intersubjectivity، مثلما هو الحال بالنسبة للأطراف الثلاثة التى تبنيها . وتنتج المكانة الخاصة لتلك الأطراف عن توافقها المتزامن مع اللحظات المنطقية الثلاث التى يتم أثناءها الوصـول إلى القـرار ومع المواضع الثـلاثة التى يعزوها إلى الذوات التى يخـتـار بينها ... وهكذا يتم تحميل اللحظات الثلاث ، التى يبنى ثلاث نظرات ، بثلاث ذوات ، تتجسد كل مرة فى شخصيات مختلفة ". "سيمينار عن الرسالة المسروقة" ، ص٤٣-٤٤ .

١٥ - راجع ، "The Murders in Rue Morgue", Poe, p.204

١٦ - حاولتُ ، مع ذلك ، أن أقوم بعملية استكشاف أساسى لمثل تلك المقاربة فيما يتعلق بهنرى جيمس فى مقالى ،

'Turning the Screw of Interpretation', in *Writings and Madness: Literature/Philosophy/Psychoanalysis* (Ithaca: Cornell University Press, 1985)

١٧ - التعبير لدافيد جالوى David Galloway, Poe, p.204

الفصل السادس

وظيفة الزمن في التحليل النفسى

جون فورستر

العنوان الأصلى :

DEAD ON TIME: LACAN'S THEORY OF TEMPORALITY

وهو الفصل الثامن من :

John Forrester, *The Seductions of Psychoanalysis: Freud, Lacan and Derrida; Cambridge* University Press 1990 .

المتن من ص ١٦٨ إلى ص ٢١٨ ، والهوامش من ص ٣٥٢ إلى ٣٧٠

لماذا المشهد البدائي صادم إلى هذا الحد؟ جاك لاكان[1]

عليك بانتظار اللحظة المناسبة لتوصيل تفسيرك للمريض ببعض الأمل في النجاح .

كيف يمكن لنا ، دائما ، اكتشاف اللحظة المناسبة ؟

انها مسألة ذوق... سيجموند فرويد[2]

أظن أن أغلى اللحظات المحتملة هي اللحظة المناسبة للتفسير . لكنني اقتصادي في تفسيراتي ، وإذا لم أكن على يقين مما أفسره فإنني لا أتردد في كسب الوقت .

فينيكوت D.W.Winnicott[3]

دون شك لا تتحدد سرمدية اللاشعوري إلا في مواجهة المفهوم الشائع عن الزمن ، المفهوم التقليدي ، المفهوم الميتافيزيقي : زمن آلي أو زمن الشعور. جاك دريدا[4]

صارت جملة فرويد اللاشعوري لا يعرف زمنا ، من الأقوال الميتاسيكولوجية المأثورة وقد تعرضت تفسيرها لسوء الفهم غالبا . ومع ذلك ، كيف يمكن لشيء موجود ألا يتعرض لعوادي الزمن ؟ من المفترض أن اللاشعور أتى إلى الوجود في لحظة معينة من الزمن وأنه يختفي في لحظة معينة من الزمن . وقد صاغ لاكان النقد الفلسفي في إيجاز بارع على النحو التالي :

إذا كانت الرغبة غير القابلة للتدمير indestructible تفرُّ من الزمن ، فإلى أي سجل تنتمي في نظام الأشياء ؟ لماذا يكون شيء ، إن لم يكن ذلك الشيء الذي يبقى ، في حالة متماثلة ، لوقت معين ؟ أليس هذا هو المكان المناسب لتمييز نموذج آخر للزمن-الزمن المنطقي ، بالإضافة إلى الأمد duration، مادة الأشياء ؟ إنك تعرف أنني تناولت هذا الموضوع في إحدى مقالاتي .[5]

سيكون هذا الفصل محاولة لتوضيح مفهوم الزمن في التحليل النفسي : سيتوجه

أساسا إلى الإشارات والأقوال المبهمة التي كرّسها جاك لاكان للمسألة . ويوازي هذا الاستكشاف إثبات أن نظريات لاكان التحليلية المميزة لا يمكن استيعابها تماما بدون فهم نظرياته عن الزمن . وتتغاضى معظمُ الدراسات المكرّسة لأعمال لاكان عن هذا الجانب وتكتفي بالقليل من الإشارات الموجزة . إلا أن ممارسة جلسات تحليلية مختلفة الطول ، **الجلسات الفاضحة** *the seances scandees* كما يطلق عليها المحلّلون الفرنسيون ، كانت القضية الرئيسية وراء إرغام لاكان على ترك الرابطة الدولية للتحليل النفسي . ورأيي الخاص أن هذه الممارسة لم تكن بمثابة نزوة بصورة كاملة ولم يكن اعتمادها قاصرا على التجربة الكبرى في التقنية التحليلية التي جنحت إليها شخصية لاكان البارع في التصوير المجازي بصورة منمقة . ومهما يكن ، يسلم حتى المحللون اللاكانيون ، المتأثرون أكثر مني بتعاليم لاكان ومفاهيمه ، بأن نظرية الزمن لم تفحص أبدا بصورة كافية .[٦] وقد قمت بهذه الدراسة بحثا عن مثل هذا الفحص ، ومع أنه ربما لا يزال من الصواب أن نقول إن هذه النظرية لم توجد أبدا بالصورة التي كان **يجب** أن توجد عليها ، فإن المواد المقدمة هنا لا تعادل في تأثيرها نظرية تلفت الانتباه فقط ولكنها إحدى أكثر مساهمات لاكان أصالة في قراءة فرويد الذي استدعى نظريته . ولكن من أين نبدأ هذه القراءة ؟

I

استمرَّت الجلسةُ بين خمس عشرة دقيقة وثلاثين دقيقة وبدت بالنسبة لي طويلة غالبا . فقط ذات مرة ، في البداية ، نسي أنني كنت في المكتبة ، وحين انتهيت من الطَّرْق على باب مكتبه ، كان في حالة غيظ شديد ويكاد يصرخ في وجهي لأنني لم أعلن عن وجودي قبل ذلك . انتهيت من ترتيب لموعدي الخاص بحيث لا يكون عليَّ أن أنتظر أكثر ...(٧)

ليست هذه هي الطريقة المتبعة في ترتيب اللقاءات بين المحللين ومرضاهم .(٨) ويبدو أن هوفشتاين Hofstein كان محلِّلا يتمتع بالقوة بصورة خاصة تجعله يقرر ترتيب الموعد من جانبه، وليس من جانب لاكان . ويواصل ، في الحقيقة ، هذا التعليق عن تحليله مع لاكان ليعطي مثالا آخر عن توكيد الذات بصورة ناجحة :

اكتشفت أنه كان الوقت الذي كان يعد فيه **كتابات** *Ecrits* للنشر . بدأ الجميع يتحدثون عنه وسمعتُ أشياء عن ممارساته لم تكن تتفق مع خبرتي معه. ذات يوم حكيت له قصة بذيئة تتناقلها الألسن . قال 'إنها ليست صحيحة' . وقررت أنها كانت صحيحة ، وقلتُ له ذلك . وحين رفضتُ العودة إلى نقط معينة ، لم يلح . كان المحلِّل هو الموجود وليس 'أنا' لاكان .the "I" of Lacan وكان في قدرة المرء أن يجبره على أن يبقى في موضعه كمحلِّل حين غادر ذلك الموضع . وهذا شيء تعلمتُه معه . مثل تقنية .(٩)

«وكان في قدرة المرء أن يجبره على أن يبقى في موضعه ...» حين كانت المسألة مسألة زمن ، كان عليَّ أن أجبره على عقد اللقاء في اللحظة التي تناسبني . ولكن كيف تفعل ذلك ؟ كيف تُثَبِّتَ الموعد *rendez-vous* من طرف واحد ؟(١٠)

وكان لابد أن تثير ممارسةُ لاكان ، الممارسةُ غير المألوفة في جلسات مختلفة الطول ، أسئلةً من هذا القبيل . وكانت أهمية غرفة الانتظار هي النتيجة الأوضح

والأكثر إثارةً للدهشة في التعليقات المتنوعة التي قدمتها الإشاعة عن تلك الممارسة . المحلِّلون ينتظرون في مجموعات ، ويتوقعون (وربما لا يتوقعون ، طبقا للحالة) أن يتم استدعاؤهم . وحين يقارن بالانتظار التقليدي–حين يحضر المرء قبل الموعد على غير توقع ، ويستنبط من ثم أن خبرة الانتظار ، بمعنى ما ، زائدة وغير ضرورية ومستحثة ذاتيا self-induced، حين تقاس بالمقارنة مع الزمن الموضوعي للموعد ، أو حين ننتظر الآخر ، الذي يتأخر ، ولكن طبقا للساعة فقط–تجرد فترة الانتظار اللاكاني الساعةَ من استبدادها الموضوعي الذي يفتقر إلى المعنى . ويصبح السؤال : ما الزمن الموضوعي الذي يمكن أن أقيس به انتظاري ؟ يقدم لغزُ الزمن المنطقي إجابةً ، كما سنرى لاحقًا في هذا الفصل . ولكن يمكن أن نرى فورا أن المشاكل في معظمها تتعلق بالعلاقة مع الآخر–الآخرون كلهم في الوضع ذاته ، ينتظرون ، والآخر على شرف كلمته ينتظر . إن ترتيب اللقاءات مع الآخر ، انتظار الإنسان ، الاستيلاء على الآخر ، يمتد إلى العثور على تقنية ليبقى الآخر في موضعه الحقيقي .

هناك الكثير يقال عن الرأي الذي يقول إن لاكان طور ممارسته للجلسات مختلفة المدة بوصفها 'تقنية فعّالة "active technique" وخاصة . وتشير 'تقنية فعالة' هنا إلى مجموعة من الممارسات التي ناقشها رانك Rank وفرنيزي Ferenczi في عملهما الكلاسيكي ، وهو عمل استقبل استقبالا مشوّشا في حينه وأثار الخلاف منذ صدوره . وبصورة أكثر تحديدا ، ما يقوم به لاكان من إنهاء الجلسة حين يرى ذلك مناسبا ، بدلا من إنهائها حين تعلن الساعة أنَّ عليه إنهاءها، طبقا لاتفاق سابق بين المريض والمحلِّل ،[11] ربما انصب باتجاه نوع خاص من المرضى: المريض المصاب بالوسواس القهري . وقد واجه لاكان هؤلاء المصابين بالوسواس في جبهتين : جبهة مرضاه وجبهة زملائه المحلِّلين . كما قال فيما يلي :

> وقد تم تناول التقنية بأسلوب كئيبٍ ، صموتٍ لدرجة التعتيم ، أسلوبٍ يبدو مرعبا لأية محاولة لاقتحام هواء النقد ، الهواء المنعش . وافتُرِض في الحقيقة أن هواء الشكلية اندفع إلى تلك الأبعاد الاحتفالية التي ربما تحير المرء بشأن ما إن كانت تحمل التشابه نفسه مع عصاب الوسواس القهري الذي عرَّفه فرويد بصورة

مقّنعة في ملاحظة الشعائر الدينية . إن لم يكن في تخليقها .[١٢]

وكان لاكان يدرك إدراكا جيدا فينومينولوجيا عصاب الوسواس القهري مما جعلها تبدو محاكاة ساخرة لكل من مبدأ الواقع وعمليات التفكير : الإبطاء ، الشك ، التردد، التسويف ، القدرة على عدم إحداث أي شيء سواء أكان ذلك بسرعة بالغة أم ببطء بالغ . وقد التقطَ لاكان هذه التيمة من أعمال فرويد وجعلها مركز العالَم بالنسبة للمصاب بالوسواس القهري ، العالم الذي لا يعرف الزمن non-time. تدخل لاكان بين النظرية الهيجلية عن جدلية السيد والعبد ونظرية فرويد عن الأب العقابي ، المستعد دائما لمعاقبة الرغبات الاستحواذية بحيث يؤدي ذلك إلى ظهور صورة المصاب بالوسواس القهري الذي ينتظر دائما موت السيد ، الأب ،[١٣] ويعمل وهو ينتظر . وبصورة مثالية ، سوف يعمل ، من منظور المصاب بالوسواس القهري ، على ألا ينتج شيئا–أن يملأ زمن الانتظار بأفعال ليست أفعالا ، *ungeschehenmachen*، كما يدعوها فرويد ، يبطل undo ما تم ويجعله كأنه لم يكن [١٤] 'وكأن أي فعل لم يحدث ، بينما يحدثان كلاهما في الواقع' .[١٥] بدايةً يكون الإبطال وقائيا : ليمنع حدوث أي حدثٍ أو إعادة حدوثه–وهو ، بهذا المعنى ، معقول . العنصر 'غير المعقول' يكمن في 'ألا يجعله يحدث'–في العبث بالماضي وسيحاول الشخص العصابي أن يجعل الماضي نفسه غير موجود.'[*aufzuheben*][١٦] وهكذا ينتظر المصاب بالوسواس القهري لأنه دخل زمنا لا وجود له ، مؤكِّدا على عدم حدوث حدثٍ حدثَ : دخل عالما مستحيلا ، بالضبط مثلما يصبح أيُّ رقمٍ لانهائيا بالقسمة على الصفر ، يصبح أي زمن فارغا ، يصبح أمدا محضا ، حين يُجَرَّد من أي شيء حدث بالفعل . إن زمن الأمد المحض هو زمن الموضوع المحض : الموضوع الذي لا يعرَّف إلا بأمده

وهكذا يغترب المصاب بالوسواس القهري عن الزمن ، ويضع لاكان هذا الاغتراب بجوار الاغتراب الموجود في كتابات هيجل وماركس : ولا يقتصر الأمر على ذلك

عمل يدوي يأخذه الآخر مني–وهي العلاقة المكوِّنة لكل عمل–لكن تعرف الذات على جوهرها في عملها اليدوي ، العمل الذي يجد فيه العامل مبررا لوجوده ، يتملص منه أيضا ، لأنه هو نفسه «ليس فيه» . إنه في اللحظة المتوقعة لموت

السيد ، سيبدأ حياته من تلك اللحظة ، ويتقمص في أثناء ذلك [en attendant quoi] دور السيد كميتٍ ، ونتيجة لذلك يكون هو نفسه ميتا بالفعل .(١٧)

إن **انتظار** المصاب بالوسواس القهري له علاقة جوهرية مع هذه **اللحظة** من لحظات الموت . والعمل الذي ينهمك فيه ، أثناء التحليل ، المصاب بالوسواس القهري ، هو التداعي الحر أولا وقبل كل شيء ، التداعي الحر الذي يراه (على العكس من الهستيري) عملا قسريا . بصعوبة-'يبذل مجهودا لخداع السيد بإظهار النوايا الطيبة في عمله'(١٨)-إغوائيا-'يتم توظيف "دأب" الذات في الحقيقة لإغواء المحلّل'(١٩)-إلا أنه، في رأي لاكان ، عرضةٌ للهجوم إلى حد بعيد :

ومن ثم كيف يمكن أن نرتاب في تأثير أي ازدراء يبديه السيد تجاه إنتاج ذلك العامل ؟ وقد يربك مقاومة الذات على نحو تام .(٢٠)

وهذا التعرف على-وقد يظنه المحللون الآخرون تعاطفا مع-مأزق المريض الذي يعاني من الوسواس القهري الذي دفع لاكان لإعطاء كل هذه القيمة التقنية لجلساته 'القصيرة' .

ليس عندي الكثير مما يمكن أن أقوله عنه إذا لم أكن مقتنعا بأنني ، في تجريب ما سمي بجلساتي القصيرة ، في مرحلة من خبرتي انتهت الآن ، كنتُ قادرا على كشف فنتازيا الحمل الشرجي anal pregnancy في أحد المرضى الذكور ، وأن أكشف أيضا حلم انتهائه بعملية قيصرية ، في تأجيل نهاية الجلسة حيث كنت بدلا من ذلك أستمع إلى تأملاته عن فن دوستويفسكي.(٢١)

وهكذا يتوافق نقد لاكان للمحللين الآخرين ، المتواطئين 'بازدراء' مع أعراض الوسواس القهري التي يعاني منها مرضاهم ، مع إدراكه لأهمية الزمن والنهايات والترقيم بالنسبة للمريض الذي يعاني من الوسواس القهري ولعمل ذلك المريض .(٢٢) ويبقى أنها تقنية غريبة : نتصور المحلل ، ضجرا من الاستماع إلى تأملات المريض عن دوستويفسكي ، **مطولا** الجلسة **بصورة مدروسة** ، متخما بتوقع الاستماع إلى **المزيد** من تلك التأملات العقيمة . ويرضى ، بدلا من ذلك ، بفنتازيا الحمل الشرجي التي انبثقت في «تأجيل [*délai*] » النهاية . يطيل المحلل عملية الانتظار بصورة مدروسة ،

ثم ، ويالهـا من مفـارقـة ، يختـصـرهـا . وهو لا يظهـر الازدراء الذي يكنُّه المحللون الملتزمون بالسـاعة the clock-analysts لإنتاج مرضـاهم-مع أن الازدراء موجود دون أدنى شك ، في التقييم الضمني للتأملات في دوستويفسكي . وبدلا من ذلك يبدو أنه يقول للمريض في عملية التأجيل : 'ما تقوله مهم للغاية-لأنه تافه وعقيم-حتى أن علينا الاستماع إلى المزيد منه ، اكثر مما تظن أن علينا أن نسمع طبقا للزمن الذي تحدده الساعة .' وتتمثل أهمية هذه اللحظة الساخرة في التقدم الجدلي ، حين 'يبدأ المحلل مقاربة مسألة نوايا الأنا في ذواتنا' ،[٢٣] تتمثل في الوصول إلى الأهمية بإثارة التفاهة . وهي مسألة عكس أن تلهث لتسمع ، تقرأ ، ترى الحلقة الأخيرة من الرواية البوليسية التي انهمكت فيها أسبوعا وراء أسبوع . وعكس علامة الترقيم جنس '[الرواية البوليسية] من فعلها؟ -'?whodunnit حيث تفصح علامة الاستفهام أكثر مما تفصح « من who » أو 'فعل dunn" أو 'ها it"، وهنا يبين المحلل للذات أن 'ماذا بعد ؟' تتمرأى في الزمن السردي بواسطة 'أوه ، لا شيء' في الزمن الاستحواذي ويمكن أن يتم تصويرها على هيئة محاكاة ساخرة لما يميز أي إنسان ويشبعه .

وهذا الفهم لتقنية الجلسات متنوعة الطول كان يجب أن يُصَنَّف غالبا تحت المصطلح البسيط الذي استخدمتُه من قبل : الترقيم punctuation. وفيما يبدو أنه جاء كفكرة تالية ، استطاع لاكان أم يلاحظ أننا باستخدام هذه التقنية ، 'لا نفعل أكثر من أن نضع لكلام الذات ترقيمه الجدلي' .[٢٤] ولكن ليس هذا المعنى سوى واحد من المعاني التي استخدِم فيها مصطلح الترقيم ؛ ويمكن لنا أن نطلق عليه المعنى البنيوي structural، وهو معنيٌ ببنية الخطاب ، وتنظيم السرد ، لتاريخ الذات ، التاريخ الذي يروى من جديد . ويوجد على الأقل ثلاثة معنى أخرى لهذا 'الترقيم' . والمعنى الأكثر ارتباطا بالمعنى البنيوي ، هو «التوكيد underlining"، أو 'التشديد emphasis"؛ الوسيلة غير اللفظية للتشديد ، الوسيلة التي لا يتم التشديد عليها بشدة :

> يعزو كلُّ محلِّل أهميةً عظيمة لكل شيء ، يلقي فجأة أثناء الجلسة ، بعض الضوء على بداية الجلسة . وربما يختار المرء أن يشارك المريض في ذلك ؛ ولكن إن كنتُ لا أودُّ أن أشدَّ انتباهه إلى ذلك بصورة ملحوظة للغاية ، سأضطر إلى إنهاء الجلسة عند تلك النقطة معتبراً أن وقف الدلالة جدير بعلامة ترقيم . وكلُّ ما عدا

ذلك لا يعدو أن يكون شيئًا يحدث مع الإحالة .[٢٥]

ويتواشج هذا المفهوم ، مفهوم الترقيم مع رؤية المحلل بوصفه كاتبا ، وبوصفه معلِّقًا ، يكتب على حافة نص المريض . إلا أن ذلك يثير سؤالا في التو . لماذا لا نستخدم معانيَ أخرى للتشديد ، المعاني التي يتم تقديمها بالفعل في الإطار الذي يقبل فكرة أن التحليل النفسي ممارسةٌ للكلام ؟ وفي الحقيقة ، لا يوجد أدنى شك في أن المحللين حولوا صوت الخنزير إلى أداة للتواصل ، أداة مهذبة ودقيقة .[٢٦]

ويوجد معنى إضافي للترقيم أبعد من البناء والتشديد ، هو معنى «زمن بين time between»: وقفة للتنفس ، التوقف والبدء ، التردد والتسرع ، الاندفاع والكمون–فينومينولوجيا كاملة للزمن ، لتأرجحه واحتشاده ، لنبضه وسكونه ، ويتمتع بأقصى أهمية في عملية الكلام . وبهذا البعد من أبعاد المصطلح ، نطرق مجال السيمنطيقا ، وهو مجالٌ شقَّ بحث لاكان عن الزمن المنطقي طريقه إليه ، وسوف أتناوله بالتفصيل في القسم التالي من هذا الفصل . ولكن بإثارة مسألة فضاء الكلام ، الفضاء الداخلي ، نكون أيضا قد دخلنا إلى مقاطعة دريدية Derridean [نسبة إلى جاك دريدا–المترجم] معروفة : لماذا لا نستخدم المصطلحات الدريدية عن الفضاء والاختلاف *différance*، لنصف هذه الوظيفة ، التدخل المؤقت للمحلل ؟[٢٧]

وآخر معنى للترقيم أود توضيحه قريب أيضا من مجال الانعكاس الذي سنعود إليه في الكلام عن بحث لاكان عن الزمن المنطقي . حين يتدخل المحلل بترقيم خطاب المريض (سواء أكان ذلك بإنهاء الجلسة أو بأية وسيلة أخرى) ، فإنه يكثّف زمن التحليل على نحو متناغم مع خبرة المريض بالزمنية ، أو ، على نحو أفضل ، مع كونه في زمن محدَّد ؛ وهو شكل كبير من أشكال التدخل ، سواء أكان يريد ذلك أم لا يريده ، يدركه أم لا يدركه . وسوف يؤدي حتما إلى التسرع ، ويعجل بالنتيجة–أو ربما يطيل الانتظار شاحذا معنى التردد . وقد طور لاكان هذه الحتمية ، حتمية مثل هذا الترقيم الزمني وعلاقته بالزمن المنطقي على النحو التالي :

ومن ثم يكون الترقيم المفيد هو ذلك الترقيم الذي يمنح خطاب الذات معناه . وهذا هو السبب الذي يجعل من فضٍّ الجلسة–وهو ببساطة وطبقا للتقنية

> المعاصرة فسحة كرونومترية chronometric break [الكرونومتر : أداة لقياس الزمن بدقة بالغة-المترجم] ، وهو بذلك يُمثِّلُ مسألةً حيادٍ بالنسبة لخيط الخطاب-يلعب الجزءُ الخاصُّ بالتقطيعِ العروضيِّ [une scansion] الذي يتمتع بالقيمة التامة لتدخل المحلل للتعجيل باللحظات النهائية . ويجب أن تقودنا هذه الحقيقة إلى تحرير عملية الإنهاء من الوقوع في الاستخدام الروتيني وإلى استخدامها لأغراض التقنية بكل الوسائل الممكنة .(٢٨)

وكان ذلك شكلا من أشكال ضبط الممارسة ؛ وسوف نستكشف الدعامات والتشعبات النظرية في القسم التالي من هذا الفصل .

ومهما يكن الأمر ، لنعد الآن إلى الشخص الذي يعاني من الوسواس القهري، الذي يمد المحلِّل بخبرة مباشرة تماما ، خبرة الشكوك بالنسبة لواقع الزمن ، ومن ثم يستثير فيه المعضلات المتعلقة بالممارسات الزمنية المناسبة لخبرة من هذا القبيل . في 'انتظار موت' الذي يعاني من الوسواس القهري ، يوجد شقّان : الانتظار والموت . إلا أن هاتين التيمتين ربما تكونان غير قابلتين للانفصال : ربما لا يكون الانتظار مجرد تأجيل ؛ وربما يتم تجويف المفهوم الحقيقي للزمن بانتظارٍ قد يمهِّد الطريق أمام فكرة الموت ، أو يجعلها ممكنة . وقد أكَّد فرويد ، ضد بعض الشواهد 'الإمبيريقية' المهمة،(٢٩) أن اللاشعوري لا يعرف شيئا عن الموت : 'الموت مفهوم مجرد ذو محتوى سلبي ولا يمكن أن يوجد له ارتباط لاشعوري' .(٣٠) وتمضي هذه البديهية متلازمة مع بديهية أخرى-اللاشعوري لا يعرف زمنا ، إنه بلا زمن timeless. وقد حافظ فرويد على توتر متواصل بين حقيقة الموت باعتباره النهاية ، النهاية الشاملة ، وإنكار الموت ، إنكار خميرته leavening ورمزيته بواسطة الأشياء الأخرى . وقد برهن في تفسير الأحلام عَلى أن الأطفال لا يعرفون أي فارق بين 'مَنْ مات' و 'مَنْ مضى'.(٣١) وفي 'أفكار للزمن عن الحرب والموت' ، وضع حلا للتناقض بين معرفة الموت كإنهاء للحياة وإنكار الموت واختزاله إلى لاشيء ، في خبرة الألم لموت شخص محبوب أو مكروه ، وفي الجيل التالي لفكرة الروح والعالم الآخر : حفظ الحياة واستمرارها في الموت .(٣٢) ومن ثم تفتح الحركة العكسية ، حفظ الموت واستمراره في الحياة ، بالقرب من النقطة

نفسها في كتابات فرويد ، تفتح اتجاها جديدا وأساسيا في تفكيره : فكرة «الاستبطان» ، استبطان المحبوب الغائب كتأسيس للأنا–النظرية التي شقت طريقها في «الحداد والاكتئاب» وبعد ذلك وبمزيد من التفصيل في «**الأنا والهو**»[٣٣] ويبقى أنه لا يوجد موت في اللاشعوري من منظور فرويد ، ما يوجد هو خوف الأنا من الأنا العليا ، وهو محتوى تقدمه تجسيدات عقدة الإخصاء ، أو «القلق نتيجة الانفصال عن الأم التي تمثل الحماية»[٣٤] ، إنه ممكن فقط ، استرجاعيا ، نتيجة الخوف من الإخصاء.[٣٥] وإذا كانت الأنا في 'مجمل مبادئ التحليل' تغوي الأنا العليا خلال عملها الاضطراري في التحليل ، فإن هذا لا يحدث إلا لأنها تهاب الأنا العليا : تعمل ، وعملها تأجيل على نحو غامض ، انتظار يستعطف السيد ، الاحتمال الحقيقي للموت .

وهنا يعدل لاكان ويفنِّد تناول فرويد للموت مثلما يتوسع فيه . بالنسبة لفرويد ، في عام ١٩٢٣ ، لا يوجد للموت ارتباط لاشعوري لأنه 'مفهوم مجرد ذو محتوى سلبي' . وهذا 'المفهوم المجرد ذو المحتوى السلبي' هو الرمزي عند لاكان : المقولة التي ترسم حدود المجال الفرويدي . وفي هذا السياق ، يمكن أن يشير لاكان على نحو صحيح إلى تأمل فرويد ، ذلك التأمل الدقيق إلى حد كبير في 'إنكار negation'' ارتباط السنين فيما بعد . حقا : اللاشعوري لا يعرف زمنا ، لا يعرف موتا ، لا يعرف إنكارا . وترتبط كلها معا في رأي فرويد . بدلا من الموت ، نجد تمثيل الانفصال والخوف من الفقد ؛ بدلا من الإنكار ، نجد الكبت والاستبعاد expulsion.[٣٧] ومهما يكن الأمر ، يرى لاكان أن مناقشات فرويد هنا في حاجة إلى التدعيم أو التعديل . يقدِّم لاكان بعض التأملات في العلاقة بين الرمز والشيء : 'الاسمُ زمنُ الموضوع' .[٣٨] ويرى لاكان أن السمة الأساسية للموضوع ، أمده في الزمن ، تمنح له في ميثاق التسمية ، حيث يبتكر شخصان عالما رمزيا . ويرتبط بهذا ادعاءٌ بأن الرمز «يبدو في المقام الأول باعتباره قاتل الشيء ، وهذا الموت يشكِّل في الذات تخليد رغبتها» .[٣٩] وفي الارتفاع بالشيء إلى مستوى آخر ، يُفْقَدُ جوهره إلى الأبد : يصبح شيئا على علاقة بأشياء أخرى–أي أنه يصبح جزءا من النظام الرمزي .

يقدم وجود الرمزي الاحتمال الحقيقي للغياب . لا توجد ثقوب في الواقع–لا يوجد

غياب «واقعي» . يصبح الغياب ممكنا بترميز الحضور [٤٠] -يتضمن الحضور كشرط أصيل الحدود التي وراءها يكمن غيابه . والموت هو الاسم الذي يطلق على هذا الغياب الأساسي .

وهكذا حين نودّ أن نحقّق في الذات ما كان من قبل إفصاحًا متتابعا بواسطة الكلام ، وما هو أساسيٌّ لميلادِ الرموز ، نجدُه في الموت ، حيث يكتسب وجودُها [الذات] كلَّ معناه .[٤١]

ومن ثم ، يصبح ما هو بالنسبة لفرويد ، مجردٌ وسلبيةٌ محضة وبالتالي لا يقبل التمثيل (في اللاشعوري) ، يصبح بالنسبة للاكان المحرِّكَ المفضل لكل تمثيل ، لكل معنى . طالما يُنصّب الموتُ فيَّ ، في بداياتي ،[٤٢] طالما كنتُ كائنا متكلما ، يستحضر موت الأشياء عبر ميلاد اللغة ، طالما كان لي أنا an *ego* ، أثر لتقمص مع آخر ميت دائما بصورة أساسية ، طالما كنتُ إنسانا يعرف وجود ما بعد الحياة an after-life (بتعبير فرويد) ، وجود نظام رمزي (بتعبير لاكان) ، فأنا حي إذن . في تعليق لاكان على المصاب بالوسواس القهري باعتباره عبدا ، إذا ارتبط بالحياة ، فإنه يضيِّع جوهر الحياة ، يقين الموت بوصفه أفقها ؛ وبدلا من ذلك **يعيش** انتظار الموت باعتباره حياته . وكما سنرى ، عرف لاكان مقولات الزمنية ، تلك المقولات التقليدية الجدلية (مقولات الحياة/الموت والماضي/المستقبل) عن الانتظار/التعجيل ، مؤكدا على الفعل الذي يضع نهاية لزمن الانتظار ، الزمن الموضوعي ، وبالطريقة نفسها التي رسم بها فرويد في 'موضوع التوابيت الثلاثة' إحلال الاختيار مكان الكبت ، حدد بدقة مأساة لير باعتبارها رفضا لاختيار الموت ، الاختيار الوحيد أمام رجل عجوز .

ولا تتطلب الألفة العملية مع عالم الزمن عند المصاب بالوسواس القهري ، لا تتطلب بالضرورة تغيرا في الممارسات التقنية . ربما تحتاج شكلا خاصا من نفاد الصبر التحليلي «analytic impatience» – والمثال الواضح هو **نفاد الصبر** الذي نشأ عن الحماس العلاجي لساندور فرنيزي Sándor Ferenczi . وحتى هو ، المشهور بتقنياته الفعالة ، كان متعجِّلا ، حين هوجم ، لتوضيح أن هدفه كان أساسا مساعدة المريض ، بالحيل البارعة ، ليستجيب بصورة أكثر نجاحا لقواعد التداعي

الحرّ ومن ثمّ يساعد أو **يُعجِّل** استكشاف المواد اللاشعورية'.[٤٣] وربما يقدِّر نفاد صبر المحلِّل ، الذي هو موضع التساؤل هنا ، من وصف فرنيزي للوضع الوحيد الذي يمكن فيه تبرير التقنيات الفعَّالة : كان 'جمود المحلِّل المبرر الوحيد والحافز الوحيد للتعديل'.[٤٤] هل كان نفاد صبر فرنيزي يشبه تماما إدراك لاكان للمرونة التي يتطلبها الذي يعاني من الوسواس القهري من المحلِّل ؟ يوجد بالتأكيد الكثير من النقط المشتركة . وقد استكشف فرنيزي 'الفعاليات' الخاصة بكل من المحلِّل والمريض :

> لا يتطلب التحليل أية **فعاليات** من المريض سوى التحلي بالدقة في ساعات العلاج ؛ وباستثناء ذلك لا يحدث تأثير على النمط العام للحياة ...[٤٥]

وبينما يكون من الممكن أن تتطلب القاعدة الأساسية أن يكون المريض سلبيا ، باستثناء مهم ألا وهو الالتزام بالدقة ، فإنه لا يوجد أبدا محلِّل سلبي : إن التناقض بين التقنيات الفعَّالة والسلبية تناقض زائف ، حيث يكون المحلل فعالا طالما يقوم بالتفسير.[٤٦] ومهما يكن ، فقد صُمِّمتْ التقنيات الفعالة عند فرنيزي لتعمل عبر الإشباع المقنَّع الذي يناله المرضى من التحليل ، بينما تم تصميم تقنيات لاكان لكسر التواطؤ بين مراسم الوسواس القهري والمحلِّل واستراتيجيات التأجيل الاستحواذي . وتتمثل إحدى صور الجلسة العادية مع المريض الذي يعاني من الوسواس القهري ، تتمثل عند لاكان في الشك والتردد والصمت–لا شيء يحدث .[٤٧] وتصور الأخرى شخصا .تمسك قبضته الاستراتيجية بالخطاب بصورة محكمة وناجحة إلى حد بعيد بحيث يستحيل حدوث شيء غير موات .[٤٨] وقد وجد المريض ، في رأي فرنيزي ، إشباعا بديلا متوازنا ، وعلى المحلِّل أن يقتحم ، كما لو كان من الخارج . وبالنسبة للاكان ، يتم ترسيخ الاستقرار في العلاقة المتبادلة بين الذوات بواسطة المريض والمحلِّل:

> ..وحيث أنه يعرف أنه فانٍ ، فإنه يعرف أيضا أن السيد يمكن أن يموت . ومن ثم يكون منذ تلك اللحظة قادرا على قبول عمله لدى السيد والتخلي عن اللذة أثناء ذلك . وفي ظل عدم التأكد من اللحظة التي سيموت فيها السيد ، لا يكون هناك سوى الانتظار .

وهذا هو السبب الذي يكمن في العلاقة بين الذوات ، شأنه شأن الشك والإرجاء

اللذين يمثلان السمات المميزة للذات التي تعاني من الوسواس القهري .(٤٩)

ويوجد التناقض بين تقنية فرنيزي الفعالة ، التي ركزت على المريض الذي صار عالمه حصينا للغاية ، المريض الذي يبدو عالم الآخرين ، بالنسبة له ، وكأنه فقد كل أهميته ونفوذه ، وبين تقنية لاكان، التي تتأسَّس على معرفة أن المحلِّل ، بدقته المتناهية واستقامته ، يتواطأ–ويكون فعالا في سلبيته الأصيلة–مع من يعاني من الوسواس القهري ، متتبعا بإخلاص سير المريض في طريق السيد إلى الضريح . والمصطلح الأساسي ، الذي ميَّز أعمال لاكان في أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات ، هو 'intersubjective [بين الذوات] ويظهر في الفقرة السابقة التي اقتبسناها ، حيث يحول تعليق فرويد على فينومينولوجيا الشك والتردد عند مريض الوسواس القهري إلى تعليق بين ذوات .(٥٠) وكان لاكان يعلق آماله حقا على أساس علمي للتحليل النفسي : علم ما بين الذوات .

> لن يقدم التحليل النفسي أساسا علميا لنظريته أو لتقنيته إلا إذا تمت صياغته في أسلوب يناسب الأبعاد الجوهرية لخبرته التي تمثل مع النظرية التاريخية عن الرمز: منطق ما بين الذوات وزمنية الذات .(٥١)

وكان لهذين المفهومين ، 'منطق ما بين الذوات وزمنية الذات' ، مكانتهما المميزة عند لاكان . ويشيران مباشرة إلى مقالين كتبهما في عام ١٩٤٥–كسر بهما حاجز الصمت الذي فرضه على نفسه أثناء الحرب . وهكذا تتطلع الإشارة إلى الخلف ، إلى عمل أُنجِز بالفعل ، وتقدم أثناء ذلك وعدا ، وعدا تجسد في هذين البحثين . وحتى يمكن لنا أن نفهم مفهوم الزمن ، ومفهوم ما بين الذوات ، في التحليل النفسي كعلم ، ومن ثم نفهم كيف أصبح الزمن حاسما بهذه الصورة بالنسبة لممارسات لاكان ونظريته ، علينا أن نتناول هذين البحثين ببعض التفصيل .

II

لكنني أسمع دائما من خلفي

مركبة الزمن تسرع مجنحة بالقرب مني ،

وهنالك أمامنا تمتد

صحارى الأبدية الهائلة .

أندرو مارفيل ، «إلى سيدته الحيية»

Andrew Marvell, 'To His Coy Mistress'

يأتي مدير السجن بثلاثة من النزلاء ويوقفهم أمامه ويقول لهم :

«لأسبابٍ لا أريد أن أعلنها لكم الآن ، أيُّها السادةُ ، عليَّ أن أطلق سراح أحدكم. وحتى أقرِّر من منكم سيُطلَق سراحُه ، سأترك القرعة تحدِّد ذلك ، إن كنتم لا تمانعون ، بإجراء اختبار لكم .

«أنتم ثلاثة الآن . ويوجد هنا خمسة دسكات لا تختلف إلا في اللون : منها ثلاثة بيض ، واثنان أسودان . وبدون أن أخبركم أيها اخترتُ ، سأقوم بتثبيت أحد هذه الدسكات بين كتفي كل منكم ، أي بعيدا عن نظر حامل الدسك ؛ ويستبعد أي احتمال لقدرته على إلقاء نظرة غير مباشرة عليه لعدم وجود أي وسيلة ينظر فيها إلى نفسه .

«وبعد ذلك سيكون كل واحد منكم حرًّا في النظر على مهل إلى رفيقيه وإلى دسك كل منهما ، بحيث لا يُسمَح ، بالطبع ، أن تتبادلوا المعلومات التي ترونها—وهو أمر ستحول بينكم وبينه ، على أية حال ، اعتبارات تتعلق باهتمام كل منكم بنفسه فقط . وسوف يستفيد أول من يستطيع استنباط لون الدسك الذي معه من الحرية التي نقررها .

«بالإضافة إلى ذلك ، يجب أن يأتي الاستنتاج نتيجة لأسباب منطقية وليس كمجرد احتمالات . ونتفق الآن على أنه بمجرد أن يكون أحدكم مستعدا للتعبير عن

هذا الاستنتاج، أن يعبر عتبة هذا الباب ليتم الحكم على إجابته وهو بمفرده» .

ويقبول هذا الاقتراح لُصِق دسكٌ أبيض بين كتفي كل منا ، ولم يتم استخدام الدسكين الأسودين ، علينا أن نتذكر أنهما كانا اثنين فقط .

كيف يمكن أن يحلوا المشكلة ؟

يجري الحل الدقيق على النحو التالي :

بعد أن فكروا **بعض الوقت** *a certain time* ، يسير الثلاثة معا **بضع خطوات** باتجاه الباب ، ويصلون معا . ويقدم كل منهم منفصلا إجابة مماثلة لإجابة رفيقيه ، على النحو التالي :

«معي دسك أبيض ، وقد عرفتُ ذلك على النحو التالي . بافتراض أن رفيقيَّ معهما دسكان أبيضان ، كنت سأفكر في أنه إذا كان الدِّسك الذي معي أسود ، فإن كلا منهما يكون قادرا على الاستدلال التالي : «إذا كان الدِّسك الذي معي أسود ، فسوف يعرف الآخر ، مباشرة ، من ذلك ، أن الدِّسك الذي معه أبيض ، دون تردد ؛ ومن ثم فالدسك الذي معي ليس أسود.» وسيكون على الآخرَيْن أن يغادرا وهما على يقين من أن معهما دسكان أبيضان . وإذا كانا قد تسمرا مكانهما ، فإن ذلك يرجع إلى أن معي الديسك الأبيض مثلهما . ومن ثم فقد تقدمت إلى الباب لأعلن استنتاجي .»

ومن ثم فقد غادر الثلاثة معا ، مسلحين بالأسباب نفسها لاتخاذ القرار .(٥٢)

والعنصر الحاسم في مناقشة لاكان لهذه السفسطة هو 'بعض الوقت' ، فترة التردد ، الفترة المطلوبة لحل المشكلة . لا يمكن للشخص الأول 'أ' أن يستنبط أن معه الدِّسك الأبيض إلا إذا كان يرى أن 'ب' و'ج' غير متأكدين **مما معهما** : العلامة الوحيدة التي قدمها على عدم التأكد هي تسمُّرهما . إلا أنه بمجرد أن يدرك 'أ' أن تسمرهما يدل على أنه هو نفسه معه الدِّسك الأبيض ، يكون عليه أن يعجِّل ، حيث أنه لا يود فقط أن يكون أول من يصل إلى الباب ، لكنه يعرف أيضا بالضرورة أن انتظاره يدل بالنسبة لهما على أنه لا يرى دسكا أسود . بالإضافة إلى أنه إذا انتظر

وقتا طويلا للغاية ، فسوف يبدأ الآخران قبله ، وسوف يختفي أساس برهانه على أن معه الدِّسك الأبيض ، سيختفي ، إذا جاز التعبير ، تحت أقدامه المترددة . ومن ثم ، تتضح قيمة السمة الزمنية لمنطق المشكلة ، تتضح في الفعل الذي يبين به كل منهم أنه أنهى فترة الانتظار ، السمة الزمنية .(٥٣)

ومن المهم أن نوضح بنية المشكلة التي يستخلصها لاكان ، البنية التي ستخدمه بعد ذلك في عمله بوصفها النموذج لكل العلاقات بين الذات ومجموعة الدوال والزمنية . توجد ثلاث لحظات برهانية ضرورية لحل المشكلة

١-أولا ، توجد لحظة الرؤية : بالاستبعاد المنطقي ، إذا رأى شخص دسكين أسودين، فسوف **يعرف** أن الدِّسك الذي معه أبيض . وتُعطَى هذه اللحظة البرهانية مع بنية المشكلة ؛ إنها لحظة فورية ، لحظة زمنها المنطقي صفر . ومن ثم يكون الشكل المناسب للاستنباط هو التعبير المنطقي غير الشخصي «يعرف المرء أن ...»

٢-ثانيا ، يبني الشخص على هذه البديهية المنطقية الخطوةَ التاليةَ من البرهان ، اللحظة المنطقية التالية . البرهان هو : 'إذا كان الدِّسك الذي معي أسود ، من ثم لن يتردد من معهما الدسكان الأبيضان اللذان أراهما في استنتاج أن الدسكين اللذين معهما أبيضان .' والكلمة الأساسية هنا هي 'يتردد "hesitate". إنهما بقدر عدم ترددهما بقدر ما يدرك الشخص أنهم لن يترددا إذا شاهدا دسكا أسود على ظهره . بالنسبة لكل منهم ، يوجد زمن للتأمل يُلاحَظ في عيون الآخر ، بحيث يقطع كل منهم زمن الفهم الذي يتمفصل مباشرة على زمن تأمل الآخر . إذا كان الشخص 'أ' معه دسك أسود ، فإنه من ثم يكون قادرا على رؤية أفكار الآخرين تتكشف في زمن تأملهما : 'إذا كان الدِّسك الذي معي أسود ، كان الآخران سيغادران دون أن ينتظرا ولو لحظة . إذا بقي وتأمل ، فلابد أن ذلك مصدره أن الدِّسك الذي معي أبيض .' وهكذا يكون لزمن الانتظار معنى موضوعي . ولكن كيف يمكن لنا أن نقيس زمن التأمُّل ؟

يمكن اختزال الزمن اللازم للفهم إلى لحظة التطلُّع ، لكن هذا التطلع يمكن أن يتضمن في لحظته كل الزمن اللازم للفهم . وهكذا ، تتذبذب موضوعية هذا

الزمن مع حـدوده . ولا يكمن مـعناه إلا في شكل الأشـخـاص الذي يتـولد بواسطتهم ، الأشخاص الذين لا يُعرَفون إلا بالتبادل القائم بينهم ، ويتعلّق فعلهم في السببية المتبادلة في زمن يختفي حتى في عودة البديهة التي جعلته محسوسا . وفي هذا التلطيف لزمن مفتوح ، مع المرحلة الثانية من الحركة المنطقية ، المسار الذي يأخذنا إلى الخطوة التالية .(٥٤)

٣-الخطوة الثالثة والأخيرة . يقول كل منهم لنفسه : 'عليَّ أن أعجِّل بتأكيد أن الدِّسك الذي معي أبيض ، بحيثُ لا يسبقني رفيقاي اللذان معهما الدسكان الأبيضان في الإعلان عن ما معهما.' وهنا ، بَعْد الزمن اللازم للفهم الذي يربط تبادليا بين أشخاص غير محددين ، نجد لحظة تأكيد الذات self-assertion، لحظة الحكم . ويتبع الزمن اللازم للفهم إحساسٌ **بالتأخر الفعلي** : 'إذا كان الدِّسك الذي معي أبيض ، يكون لزاما عليّ أن أسرع حتى لا يسبقاني .' إن لحظة الإحساس **بالتأخر الفعلي (الشديد)** تبدو منطقيا تعجُّلا في لحظة الاستنتاج . من التردد ، يؤدي الخفقان مباشرة إلى إحساس بالتأخر الشديد . وهذا الاندفاع ليس مجرد تأثير طارئ للموقف الدرامي ؛ على الشخص أن يسرع ، لأنه إذا لم يسرع ، وفاز عليه الآخران ، فإنه بعد ذلك لن يكون على يقين من أن الدِّسك الذي معه ليس أسود . ومن المحتمل ، في الحقيقة ، أن يستنتج أن الدِّسك الذي معه أسود ، حيث أن برهانه على أن الدِّسك الذي معه ليس أسود يعتمد على الجمود الذي أصاب الشخصين الآخرين . ومن ثم لا تنشأ الحاجة إلى الاندفاع ، الحاجة إلى الإسراع ، عن ظروف المشكلة الطارئة : إنها بالأحرى متأصلة في الشكل المنطقي ، بالضبط مثلما تمثِّلُ حقيقةُ الترددِ الوسيلةَ الوحيدةَ التي يمكن للشخص بواسطتها أن يعثر على حل المشكلة . وهذا النوع الشخصي المؤكد من الحكم الذي اتضح في السرعة التي يمضي بها الشخص إلى الباب هو البرهان الذي يقدمه لاكان لتمييز هذه اللحظة المنطقية بوصفها «تأكيد ذاتي subjective assertion» ، حيث تكون الذات المنطقية كالذات الشخصية ، 'ضمير المتكلم the I' . وهذا الشكل الشخصي من أشكال الذات ، على عكس الذات اللاشخصية ، ذات لحظة التطلع ، أو ذات ما بين الذوات ، ذات زمن الفهم ، معزولٌ

في الاندفاع الوقتي حيث يتم تحويل الزمن اللازم للفهم إلى لحظة للاستنتاج .

لن أتوغل هنا في الاهتمام الكبير الذي ينشأ عن هذه السفسطة حين نضع في الاعتبار الشك الذي يستولي على كل شخص من الثلاثة وهو يرى الآخرَيْن يعدوان إلى الباب–يأتي الشك على النحو التالي : 'هل اخترتُ اللحظة المناسبة لاستنتاج أن الدِّسك الذي معي أبيض ؟' ويمكن لنا ، بالأحرى ، أن نتجاوز ذلك ونلاحظ أن يقين الشخص بأن الدِّسك الذي معه أبيض تأكد في الفعل نفسه ، وليس قبل الفعل . واحتمال الحقيقة ، احتمال أن يكون الشخص على صواب ، يتأسس في الاندفاع الذي يقدم اليقين ، بينما يمكن أن يتأسس الخطأ على جمود الشخص ، على عدم الرغبة في القبض على لحظة الاستنتاج . (إذا انتظر مدة بالغة الطول–كيف يمكن أن يكون طول تلك المدة ؟–فسوف يرى الآخرَيْن يمضيان قبله ومن ثم يستنتج أن الدِّسك الذي معه أسود .)

والنتيجة التالية التي يستخلصها لاكان هي أن هذا الشكل المنطقي يحمل في داخله مرجعية زمنية تلائم العلاقة بين الشخص الأول ، 'ضمير المتكلم' ، وذات التبادلية ، الذات التي تتبادل العلاقة مع الذوات (الأنا كما يعرِّفها فرويد في **سيكولوجيا الجماعة وتحليل الأنا** بوصفها العامل الذي يتم تعزيز انفصاله عن الأنا المثالية the ego ideal بتكوين الجماعة عبر التقمص) ؛[٥٥] ينشأ الشخص الأول فيما يتعلق بالقياس العام للذات التبادلية ، أي فيما يتعلق بالزمن الذي يلزمها للفهم.[٥٦] وهكذا تعتمد الحقيقة ، في هذا المنطق الجمعي الذي يضعه لاكان مقابل المنطق الكلاسيكي ، تعتمد على الآخر باعتباره متعلقا بزمن ، ولا توجد وسيلة يمكن أن تصل الذات بها إلى حقيقتها الخاصة إلا في صحبة الآخر وعن طريق حقائقه .

وهكذا ، طالما نحن جميعا عُصابيون ، وطالما نحن جميعا وحوش صغيرة ، من نوع رديء أو لا نبعد عن الحظيرة إلا قليلا ، فسوف يطبِّق لاكان هذا المنطق الجمعي على أي برهان يتعلق بما يدعى الطبيعة الإنسانية :[٥٧]

١–الخطوة الأولى : يعرف كائنٌ بشريٌّ ما ليس كائنًا بشريا .

٢–الخطوة الثانية : تتعرف الكائنات البشرية كل منها على الآخر بوصفها

كائنات بشرية .

٣-الخطوة الثالثة : أؤكد أنني إنسان ، خوفا من أن أقتنع على أيديهم بأنني لستُ إنسانا .

وبهذه الملاحظة ينهي لاكان بحثه القصير-وهي ملاحظة تشير باتجاه نظرية للجمعي ، أو الجماعة: باتجاه منطق جمعي . ما الأمثلة التي يوردها لهذا المنطق ؟ يذكر مثالين : لعبة البريدج والديبلوماسية . ويتضح فورا أين ينشأ هذا المنطق الجماعي في لعبة البريدج : في اللحظة التي أُخدَع فيها .(٥٨) والديبلوماسية هي فن الابتعاد عن الوطن لتدلي بأكاذيب من أجله ، وتواجه موقفا شبيها تماما بالموقف الذي يجد سجناء لاكان، الثلاثة ، أنفسهم فيه : يقضي الديبلوماسيون أوقاتا طويلة في محاولة لتقدير ما يفكر فيه الآخرون ، ليصلوا سريعا إلى نتيجة لم يقصدها أحدٌ ولكن الجميع يوافقون عليها. والموافقة هي لحظة وصول المشاركين جميعا إلى الباب ، ليعلن كل منهم أن الدِّسك الذي معه أبيض ، أبيض كالجليد المندفع .

إلا أن إشارات لاكان كانت أيضا صورية أكثر من ذلك . لم يكن في ذهن لاكان الزمنية اللامركزية للتفاوض فقط ولكن كانت في ذهنه أيضا التطورات المعاصرة في نظرية اللعب ، التي تأسس عليها معظم التفكير الديبلوماسي منذ الحرب العالمية الثانية ، وقد اتُّخذ من لعبة البوكر ومنطق المخادعة نموذجا .(٥٩) وبصورة أكبر، صاغ لاكان فكرة منطق الجماعة-وتعتبر استمرارا لمشروع فرويد في **سيكولوجيا الجماعة وتحليل الأنا** .(٦٠) وبينما ركز فرويد على المؤسسات التي تعتبر على درجة عالية من التنظيم (الكنيسة والجيش) والجماعات الكبيرة المنظمة تنظيما هشا ، موضحا أن لها بنية مشتركة ، علاقة الأنا مع الأنا المثالية ، ركز لاكان على 'الجماعات' التي يُحدَّد تكوينها ببعض القواعد الرفيعة-قواعد اللعبة .(٦١) وبينما انشغل فرويد بعملية التقمص في الجماعة بصورة أساسية ، العملية التي يتم بواسطتها تكوين الجماعة عبر التقمص ، بيَّن لاكان كيف تميز الذات نفسها كذاتٍ مختلفة في عملية التقمص . وبينما كان فرويد وعدد كبير من معاصريه مولعين بخصائص الجماعات التي تشبه القطيع ، أي بطمس الاختلاف ، تمنى لاكان لو يوضح كيف انبثق الاختلاف من

القواعد التي ميزت تكوين الجماعة .[٦٢] وقام بمزيد من الاستكشاف لهذه الأفكار في بحث آخر نشر في دفاتر الفن *the Cahiers d'Art* في نهاية الحرب : 'الرقم ثلاثة عشر والشكل المنطقي للريبة' .[٦٣]

ويقدم هذا البحث ، شأنه في ذلك شأن البحث عن الزمن المنطقي ، مشكلة ثم يحلها . وينصب اهتمام البحثين أساسا على خصوصية الحل . وهنا يقدم لاكان فكرة عن الإطار العام له ليرى هذين البحثين في ضوء التحليلات الصارمة للسلوك الإنساني باعتباره يتحدد بصورة مطلقة بواسطة قواعد اللعبة . وهو تحليل يشكل أحد أول التحليلات الرئيسية 'لمنطق الريبة' :

> إنه جزء واحد من محاولاتنا لتوليد طرق لإدراك الأشكال المنطقية التي تحكم علاقات الفرد بالجماعة ككل ، قبل تكوُّن الطبقة ، وبتعبير آخر قبل تحديد خصائص الفرد .[٦٤]

توجد اثنتا عشرة قطعة ، تبدو كلها متشابهة ، ولكنَّ إحداها 'رديئة'-تختلف في وزنها عن الإحدى عشرة قطعة الأخرى ، وليس من المعروف ما إذا كانت أثقل أم أخف . وباستخدام ميزان بسيط تكون المشكلة : تعرف في ثلاثة أوزان على القطعة ذات الوزن المختلف . ويكون الحل على النحو التالي : قسِّم الاثنتي عشرة قطعة إلى ثلاث مجموعات 'أ' ، 'ب' ، 'ج' تتكون كل مجموعة من أربع قطع . زن 'أ' مقابل 'ب'؛ إذا كانتا متساويتين في الوزن ، تكون القطعة الرديئة في 'ج' بالضرورة . خذ قطعتين من القطع الأربع التي تشكل المجموعة 'ج' ولنفترض أنهما 'ج١' و'ج٢'، وزنهما مقابل بعضهما ؛ إذا تساوتا في الوزن تكون القطعة الرديئة واحدة من الاثنتين الأخريين . زن إحداهما ، 'ج٣'، مقابل 'ج١' ؛ وإذا تساوتا في الوزن ، تكون القطعة الرديئة 'ج٤' ؛ وإذا لم تتساويا ، تكون القطعة الرديئة 'ج٣' . إذا لم تكن 'ج١' و 'ج٢' متساويتين في الوزن ، فسوف نقرر بإجراء مماثل أية قطعة منهما ذات الوزن المختلف .

وإذا لم تكن المجموعتان 'أ' و'ب' متساويتين ، يكون علينا أن نستخدم أسلوبا مختلفا ، حيث تكون القطع الثماني كلها مجالا للشك ، حيث أنه من غير المعروف ما إذا كانت القطعة ذات الوزن المختلف أخف أم أثقل من القطع الأخرى. يقول لاكان إننا الآن أمام

مشكلة ثماني قطع ، وليس مشكلة أربع قطع ، ومع 'ريبة مقسّمة' . ويواصل :

> نقترب هنا من جدل أساسي لعلاقات الفرد بالجمعي collective [التجمع col-lection] ، وهي علاقات تشتمل على الالتباس الضخم جدا أو الضئيل جدا .

والمبدأ اللازم لحل المشكلة الآن هو مبدأ الدوران : استبدل بثلاث قطع من قطع المجموعة الثقيلة وهي مكونة من أربع قطع ثلاثا مأخوذة من قطع المجموعة 'ج' ، ومن المعروف أنها مكونة في هذه الحالة ، حيث أن 'أ' و'ب' ليستا متساويتين ، من أربع قطع 'جيدة' ؛ وسيتم وزن هذه المجموعة مقابل القطع الثلاث المأخوذة من المجموعة الثقيلة مع قطعة من المجموعة الخفيفة ويتم وضع القطع الثلاث المأخوذة من المجموعة الخفيفة مع قطعة من المعروف أنها جيدة . إذا كانت نتيجة هذا الوزن هي التساوي ، يكون من المعروف أن القطعة الرديئة ضمن القطع الثلاث المأخوذة من المجموعة التي كانت خفيفة في الأصل ، وحيث أننا عرفنا الآن أن القطعة الرديئة أخف ، وليست أثقل ، من كل القطع الأخرى ، يمكن بوزنة واحدة أن نقرر أي قطعة بين الثلاث هي القطعة الرديئة . وإذا كانت نتيجة هذه الوزنة هي عدم التساوي ، يكون هناك احتمالان : إذا كان الجانب الذي كان أثقل لا يزال أثقل ، فلابد أن تكون القطعة الرديئة إحدى اثنتين ، التي تركت في الجانب الثقيل أو التي تركت في الجانب الخفيف: ويمكن تحديد ذلك باستخدام قطعة من بين القطع التي نعرف أنها جيدة . وإذا تغير الجانب الأثقل بتبديل القطع الثلاث ، فلابد أن تكون القطعة الرديئة ضمن القطع التي بدلت ، ويكون من المعروف أنها أثقل . وسوف تقرر وزنة واحدة أي قطعة من الثلاث هي القطعة الرديئة .

ثم يوضح لاكان أن المرء يستطيع تحديد المسألة بالوزن ثلاث مرات حتى لو كان عدد القطع ثلاث عشرة قطعة بدلا من اثنتي عشرة قطعة . يقسم المرء القطع إلى مجموعة من خمس قطع ومجموعتين كل منهما من أربع قطع . ويزن المرء المجموعتين اللتين تتكون كل منهما من أربع قطع مقابل بعضهما ؛ وإذا لم تكونا متساويتين، فسوف تكون القطعة الرديئة في إحداهما ، وبالإجراء السابق سنحدد أي القطع هي القطعة الرديئة . وإذا كانتا متساويتين ، فسوف تكون القطعة الرديئة ضمن المجموعة

المكونة من القطع الخمس . وفي الوزنة الثانية يأخذ المرء قطعة جيدة، 'أ' ، من القطع الثماني التي نعرف أنها جيدة ، وضعها في كفة مع 'ب' وهي قطعة من المجموعة المكونة من خمس قطع ، وزنهما مقابل 'ج' و'د' ، من المجموعة المكونة من خمس قطع، أيضا . إذا تساوت المجموعتان في الوزن ، فلابد أن تكون القطعة الرديئة إحدى القطعتين اللتين لم توضعا في الكفة ؛ وبوزنة مع قطعة جيدة يمكن أن نحدد القطعة الرديئة . إذا كانت الكفة التي تحتوي على 'أ' و'ب' أثقل من التي تحتوي على 'ج' و'د' ، فإما أن تكون القطعة الرديئة 'ج' أو 'د'. وحتى نحدد القطعة الرديئة منهما ، ضع 'س' ، التي من المعروف أنها قطعة جيدة ، في الكفة الأولى مع 'أ' ، وانقل 'ب' لتحل مكان 'ج' ، وارفع 'ج' من الكفة . إذا كانت الكفة التي تحتوي على 'أ' و'س' لا تزال أثقل من التي تحتوي على 'د' و'ب'، فلابد من ثم أن تكون 'د' هي القطعة الرديئة ، **وهي القطعة الوحيدة التي لم تتحرك** . وعلى هذا الوضع ، الوضع الذي احتلته القطعة 'د' ، يطلق لاكان اسم ، '' the *par-trois-et-un* ، الوضع بثلاثة وواحد . وإذا كانت الكفتان متساويتين الآن في الوزن ، فلابد أن تكون 'ج' هي القطعة الرديئة ، وهي القطعة التي تم استبعادها . وإذا كانت الكفة الأولى الآن أخف من الثانية ، فلابد أن تكون 'ب' هي القطعة الرديئة ، حيث أنها القطعة التي بدَّلت الجانبَ الذي كانت تحتله .

'ويمثل الوضع بثلاثة وواحد الشكل الأصلي لمنطق الارتياب .' يتم تقديم الحالة العامة للمشكلة باستخدام 'التناوب الثلاثي *tripartite rotation*' و'الوضع بثلاثة وواحد' : 'ويتم تحديد الوضع بثلاثة وواحد في إحدى المجموعات ، يتم فصلها بواسطة التقسيم إلى ثلاث triمجموعات [التثليث tripartition] .' باستخدام الميزان ثلاث مرات يمكن للمرء أن يحل مشكلة ١٣ قطعة ، وباستخدامه أربع مرات يحل مشكلة ٤٠ قطعة (١+١+٣+٩+٢٦) ، وباستخدامه خمس مرات يحل مشكلة ١٢١ قطعة (١+١+٣+٩+٢٧+٨٠) ؛ باستخدام الميزان 'ن' من المرات، يمكن للمرء أن يحل مشكلة $١+٣+٣^{٢}+٣^{٣}+ ... +٣^{ن-١}$ من القطع . ويلاحظ لاكان كم يكون التثليث قويا بواسطة الميزان بعد الوزنة الثانية . ويلاحظ أيضا أن الرقم ١٣ هنا يتحدد تماما بواسطة العمليات التي تحل المشكلة من جديد ، وخاصة بواسطة 'الوضع بثلاثة وواحد' . وهذا

التحديد ليس وليد الصدفة ، ولكنه بالأحرى :

ينبثق من حقيقة أن الثلاث عشرة ، ممثلة للتجمع الذي يتحدد بالوزن ثلاث مرات ، يتطلبه الوضع بثلاثة وواحد ليكون له ، في تطوره ، ثلاثة براهين : برهان أول لتقديم فرد متطهر من الريبة ، ويقسم الثاني الريبةَ بين الأفراد الذي يتضمنهم ، وبرهان ثالث يميز كلا منهم عن الآخر بعد التناوب الثلاثي .

وهكذا يتوصلُ لاكان إلى استنتاجه من المشكلة ، وهو استنتاجٌ يتناول مفهومَيْ الاختلاف والريبة:

وهذه الإشارة من الفرد لكل الآخرين فرادى ومجتمعين هي الاحتياج الأساسي للمنطق الجمعي .(٦٥)

وتشير ملاحظته الأخيرة إلى أن تلك العودة إلى المنطق ستكشف من جديد قاعدة صلبة كالصخر وثابتة ، حين تستخدم .

والبحث الذي كتبه عن الزمن المنطقي يأخذنا إلى ملاحظة مماثلة في اتجاه الاستنتاج :

ولكنه كافٍ ليولد بالتكرار توضيح السفسطة لنرى أنه من الممكن منطقيا أن تطبق على عدد غير محدود من الموضوعات ، بافتراض أن الخاصية 'السلبية' يمكن أن تتدخل فقط إذا كان عددها أقل بواحد من عدد الموضوعات . ويكون إدراك التجسيد الزمني أصعب كلما ازداد حجم المجموعة ، ويبدو أنه يمثل عقبة أمام **المنطق الجمعي** ربما يتجاوزها المرء باستخدام المنطق الكلاسيكي .(٦٦)

وفي عام ١٩٦٦ أضاف لاكان ملحوظة لهذه العبارة : قارن ، هذه الحالة التي يتم فيها طرح واحد هي الخاصية المتعلقة بالوظيفية التحليلية بإضافة واحد في موضوع التحليل النفسي ، ص ٤٨٠ من هذه المجموعة [Situation de la psychanalyse et formation de psychanalyste en 1956].

وفي الحقيقة ثمة طموح مماثل تماما اشتملت عليه الجملة الأخيرة :

حركة تقدم الشكل المنطقي لكل استيعاب 'الإنسان' ، طالما توهم على نحو دقيق بأنها

تضاهي البربرية ، إلا أنها مع ذلك تختزن التحديد الأساسي لضمير المتكلم 'the I التعبير هو نفسه ؛ اللجوء إلى توضيح شكلي ومنطقي هو نفسه . وهكذا يمكن اعتبار البحث الذي كُتِب عن منطق المجموعات جهدا مبشرا و٢٨١متوازيا باتجاه تقديم خلفية أساسية لبعض النتائج الجوهرية التي دعاها لاكان فيما بعد باسم 'العلوم الحدسية' . وحتى هنا ، حيث يبرز توتر أعمال لاكان بروزا واضحا ، ذلك التوتر الشكلي ، وربما يصفه البعض بالتوتر العلمي ، الذي ساد الجلسات الأخيرة من سيميناره في أواخر السبعينات . يوجد تيار من الممارسات الإكلينيكية . وهو تيار قادم من إنجلترا ، مثلما هو الحال غالبا بالنسبة لأفكار لاكان بشأن التقنية .

بعد انتهاء الحرب ، قضى لاكان بعض الوقت في إنجلترا . واتصل بزملائه من المحللين النفسيين ، وفي النهاية كتب مقالا بعنوان «الطب النفسي الإنجليزي والحرب La psychiatrie anglaise et la guerre» ، ونشر في عام ١٩٤٧ .[٦٧] ويستهل المقال على النحو التالي : انتابني بعد الحرب إحساس عنيف بالمناخ اللاواقعي الذي عاش فيه الشعب الفرنسي ، من القمة إلى القاع .' وبالعكس . كان لانتصار إنجلترا [illegible] أخلاقي' [illegible] ترتكز سمة الجسارة التي تميز أهلها على العلاقة الحقيقية مع الواقع

وبالانتقال إلى [illegible] التي نظم بها الأطباء النفسيون عملية التطوّع في الجيش، لاحظ كيف ركّزوا على [illegible] 'البلهاء' الذين لم يكن من الممكن دفعهم للتوغل في نموذج التقمص الذي [illegible] سيكولوجيا الجماعة *Group psychology* لفرويد ويرجع السبب في [illegible] الطريقة للتقمص مستحيلة إلى حقيقة أنهم جاءوا بعد *[deficit]* [illegible] مفهوم "كثير للغاية too much » و"قليل للغاية too little" التي صاغه لاكان في بحثه عن الرقم ٣١ ، أو الديسك المحدِّد للهوية على ظهر كل سجين

أطرى لاكان أسلوب تأثُّر الطب النفسي بالتحليل النفسي وأطرى الطريقة التي تم بها استخدام سيكولوجيا الجماعة والتقنيات المتأثِّرة بالرياضيات .[٦٨] ولكن إطراءه ، الذي كان أكثر إسرافا في العاطفة ، كان من نصيب ويلفرد بيون Wilfred Bion

وجون ركمان John Rickman، ودراستهم للديناميكيات الداخلية للمجموعات في أحد المستشفيات العسكرية :

> في عملهما ، اكتشفتُ مرة أخرى الشعور بالمعجزة التي كانت تلازم أولى خطوات فرويد : ووجدتُ في الحقيقة الجوهرية للطريقة تقدما كان يعيق القوة الحيوية لعملية التدخل .(٦٩)

تم تقديم ٤٠٠ شخص لبيون ليعيد تعليمهم ؛ وكانت ساعات العمل المتاحة 'غير كافية حسابيا لحل المشكلة الأساسية التي تعاني منها كل حالة من هذه الحالات ، إذا عالجهم المرء فرادى . وهذه الصعوبة الشديدة هي التي قادت بيون لعبور روبيكون Rubiconالابتكار التقني .' [الروبيكون : نهير صغير في شمالي إيطاليا ، اجتازه يوليوس قيصر عام ٤٩ ق. م. مشعلا نار الحرب الأهلية التي جعلته سيد روما . وعبور الروبيكون تعبير مجازي يعني اتخاذ قرار خطير لا رجعة فيه-المترجم] وتم تحديد بنية المجموعة وهدفها بالمفهوم الأصيل لوجود مجموعة في حرب ، مجموعة تُعَرَّف بوجود عدوٍ ووجود قائد . وكان أي فشل في التعرُّف على الخطر المشترك يعالج ، كما هو الحال في التحليل النفسي دائما ، باعتباره مقاومة . كوَّن بيون على نحو مدروس مجموعة بدون قائد ، ولم يكن أمامه للحفاظ على ترابط المجموعة سوى أهمية الكلام الذي يدلي به [*verbe*] بحيث يدفع المجموعة إلى الاهتمام بالصعوبات التي تواجه وجودها ، وإلى أن تكون أكثر شفافية بالنسبة لنفسها .

> وتنبثق الغاية من وراء تنظيم من هذا القبيل بالنسبة للطبيب من وضوحه التام ، بحيث يستطيع الطبيب في أية لحظة أن يحدد الطريق التي ستسلكها كل حالة من الحالات التي يرعاها ، الطريق إلى الخروج : العودة إلى توحدها [*unité*].(٧٠) إلى حياتها المدنية أو الاستمرار في المعاناة من العُصاب .

وبوصف الأسلوب الذي عملتْ به هذه المجموعات والتقنيات التي طورها بيون ، أعاد لاكان التأكيد على ضرورة وجود العلاقات الوثيقة بين الطب النفسي والمجتمع ، بذلك الاسم المثير للالتباس ، حركة 'إرشاد الطفل' 'Child Guidance' movement، حاضا زملاءه بحمل الأعباء المهنية التي ستقع على عاتقهم بالضرورة: يكمن تأهيل

الطبيب النفسي لهذه الغاية في «إحساسه بأغوار عالم الإنسان» .

ويدل هذا النصّ اللافت للنظر ، النص الذي يبدو أنه لا يحمل خصائص نصوص لاكان ، يدلُّ بالتأكيد على الحماس ، وحتى المثالية ، اللذين بثهما فيه الطب النفسي الإنجليزي والثبات الأخلاقي الذي تحلى به الإنجليز في الحرب . ويشير أيضا إلى الخلفية الإكلينيكية للبحثين اللذين كتبهما عن العلاقة بين الفرد والجماعة : 'الزمن المنطقي' و'الرقم ثلاثة عشر' . وقد انشغل هذان البحثان بعلامة الاختلاف : الدسك على الظهر ، 'الكثير للغاية' أو 'القليل للغاية' ؛ يهتم البحثان كلاهما بتوضيح الكيفية التي يميز بها الفرد نفسه عن المجموع ، ولا يتم ذلك إلا بتحديد الروابط التي تربطه بالآخرين والتعرف على تلك الروابط . ويمثل هذان البحثان مصدرين أساسيين لما دعاه لاكان 'منطقه الذاتي' : ليس المنطق الذي تخضع له ذاتٌ ، وهو منطق موضوعي، أو المنطق الذي تستخدمه ذاتٌ ، وهو منطق يحمل صبغة ذاتية ، لكنه المنطق الذي يتطلبه مفهوم الذات ، فيما يتعلق بالذوات الأخر ، وفيما يتعلق بالنزوع إلى التفرد ، المتأصل في قواعد اللعبة . في أحد البحثين ، يوجد منطق الزمن : الاحتياج المنطقي لجدل التردد والتسرع ، للانتظار والاستنتاج ؛ في البحث الآخر ، يوجد المنطق الذي يحكم استخدام المرء للآخرين لتحديد أي امرئ يعاني من عجز ، المنطق الذي يقع الارتياب أثناءه ، أخيرا وبصورة دائمة ، على العنصر الذي لم يتحرك ولم يتزحزح عن موضعه في عملية التثليث العام general tripartition .

وثمة عدد من التتابعات لهذا الخط الفكري في أعمال لاكان التالية . وربما نشير إلى اعتناقه لبنيوية ليفي شتراوس . حيث تقوم بنية اللغة بالوظيفة طبقا لقواعد السفسطة ؛ ويبقى أن النتيجة النهائية هي تفرد الذات ، قدرتها على نطق الكلام التام.

ومن ثم ، يتكلم الإنسان ، ولكن ذلك يعود إلى أن الرمز جعل منه إنسانا . وحتى إذا كانت المواهب الثرية ترحب في الحقيقة بالغريب الذي قدم نفسه إلى المجموعة ، فإن حياة المجموعات الطبيعية التي تشكل المجتمع خاضعة لقواعد الارتباط بالزواج ، القواعد التي تحكم تبادل النساء ، وخاضعة لتبادل الهبات ، التبادل المحدَّد بواسطة الزواج...إن رباط الزواج بنظام الاختيار الذي يهتم

بالنَّسَب ، كاللغة ، ملزمٌ بالنسبة للمجموعة في صوره ، لكنه لاشعوري في بنيته . وفي هذه البنية...يجد الباحثُ المروَّع كل منطق الترابط...ويوحي هذا بأنه ربما يكون لاشعورنا بديمومته هو فقط الذي يتيح لنا أن نؤمن بحرية الاختيار فيما يدعى البنيات المعقدة لروابط الزواج ، البنيات التي نعيش في ظل قانونها . وإذا أتاحت لنا الإحصاءات أن نلمح أن هذه الحرية لا تمارس بصورة عشوائية ، فإن ذلك يعود إلى أن المنطق الذاتي يوجِّه هذه الحرية في جوهرها.(٧١)

ومن ثم ربما يكون لكلمة أتزوَّج الصورة نفسها لاتخاذ قرار باستنتاج 'معي الدسك الأبيض' في البحث عن الزمن المنطقي : ولا يعود ذلك بالأساس إلى أنهما يشتركان في البنية الزمنية نفسها ، بنية التردد الذي ينقلب إلى تسرع–ويأمل لاكان ، مع ذلك، أن يفترض أنها بنية زمنية لكل الأفعال التي تجعل صورة الاستبعاد حقيقية ، 'معي...'–ولكن حيث أنه يوجد نسق ، 'لاشعوري' و'ملزم' ، للقواعد التي يؤدي تأثيرها إلى التردد ، والتسرع والتأكد من التوصل إلى حل خاص وعلى نحو فريد كمرافقات ضرورية لاتخاذ القرار . ومهما يكن فسوف نعرج عند هذه النقطة إلى التقابل بين الكلام التام المؤسِّس ، ومنطق قواعد اللغة ،(٧٢) وهو درب لا نستطيع أن نقطعه هنا ، لا نستطيع إلا أن نلاحظ كيف كان لتقابل لاكان بين اللغة والكلام بُعْدٌ زمني : إذا كانت اللغة موجودة دائما وتبدو سرمدية وتجسيدا لموت الأشياء ،(٧٣) فإن الكلام يقدم زمنية إنسانية ، زمنية الفعل في وقته ، زمن الفعل في التردد ، لنحصل على آلة الجهاد البشعة . إن الزواج ، كنموذج أصلي ، هو ذلك الفعل الذي يكون في الكلام المؤسِّس ، 'أنتِ زوجتي' ('أنتَ زوجي') ، رهانا باسكاليا Pascalian wager [نسبة إلى بليز باسكال (١٦٢٣– ١٦٦٢) ، العالم والمفكر الفرنسي المشهور–المترجم]، الرهان الأفضل في ظل الظروف ، ظروف الفناء الذي يجد فيه البشر المتكلمون أنفسَهم .

يوجد...بُعْدٌ للزمن ليس [للآلات] فيه ضلع بصورة لا يمكن إنكارها ، وهو ما أحاول أن أقدِّم لك صورة عنه بواسطة هذا العنصر [في سفسطة الزمن المنطقي] الذي ليس تأخيرا وليس تقدما ، لكنه تسرُّعٌ ، العلاقة بالزمن المميزة

للإنسان ، هذه العلاقة بمركبة الزمن ، الموجودة هناك ، على ظهورنا . أي حيث يوجد الكلام ، وحيث لا توجد اللغة التي تملك كل الزمن في العالم . وهذا سبب آخر في أن المرء لا يظفر باللغة أبدا .[٧٤]

وإذا كانت حكايات عائلة فرويد تناظر البنيات التي تدعم روابط الزواج ، قرار الزواج ، شعار الحرية ، الحرية التي يقدمها مصطلح " العقدة complex"، الحرية التي تشبه حرية حامل الدسك الأبيض وهو يعدو إلى الباب ، ليعلن أنه لا يعرف إلا باستبصار ما يفعله الآخرون . وتصبح السفسطة نموذجا لكل القرارات ، سواء أكان قرار الرتمان ، وهو يحاول أن يختار بين زواج المال (كما فعل والده) أو زواج الحب (كما ألحت والدته لوالده أن يفعل–وهو في كل حالة لا وجود له والقرار لم يعد قراره [٧٥]) ، أم كان قرار السجين ، وهو يحاول أن يقرر ما إذا كان الدسك الذي معه أبيض أم أسود .

لكن السفسطة ، أو المنطق الذاتي ، أو نظرية الخطابات discourses الأربعة التي جاءت بعد ذلك ،[٧٦] لها تطبيق آخر : كمجاز تصويري لعملية التحليل النفسي.[٧٧] إن لحظة الرؤية تناظر كلّاً ما يُقدَّم في الموقف التحليلي ، مع كل ما يتعلق بهذا الموقف : المحلِّل ، الأريكة ، غرفة الانتظار ، الأحلام ، التفسيرات . ويتضح أن العمل المنجَز ، زمن التحليل ، زمن العمل ، زمن التدخل ، الزمن الذي ليس ***endlich*** أو ***unendlich***، الزمن الذي تحكمه 'إما/أو' المستحيلة، يتضح أنه قابل للحل في لحظة الاستنتاج : نهاية التحليل . لا يتضح السبب الحقيقي وراء اتخاذ القرار إلا بعد اتخاذ القرار مباشرة ، بالضبط مثلما يحدث في الوصف الذي قدمه فرويد للعملية التحليلية ، حيث التذكر يتبع الاقتناع ، وليس العكس .[٧٨]

إن مسألة أن للانتظار وظيفةً منطقية ، ذات علاقة منطقية بالقرار حين يتوصل المرء إلى الحقيقة عندما يتعلق الأمر باتخاذ قرار يتعلق بآخرين ، بأناس تابعين للمرء ، ربما تساعد أيضا على تفسير ، أو تلقي الضوء على الأقل على ، **هدوء** لاكان *La-can's sang-froid* حين واجهه عددٌ المحلِّلين الجالسين منتظرين خارج غرفة الاستشارات–كنتيجة مباشرة لجلساته مختلفة الطول . إذا كان الانتظار ،كما تشير

سفسطة لاكان ، لحظة منطقية ضرورية للوصول إلى قرار صائب ، لحظة تتضح في فعل ، فلن يكون من المدهش أن يُمارَس التحليل الذي يسعى إليه المرء في بيت دكتور لاكان في غرفة الانتظار بقدر ما يمارس على الأريكة . ولا ينبغي هنا أن نتجاهل التحليل الذي تم تقديمه في المشكلة الأخرى ، مشكلة القطعة الرديئة : تفاعلات البارانويا–التي ميزت هذا الانتظار بحيث يتم استدعاؤه ، الانتظار لنبدأ (وننتهي) ، في القصص التي تحكى عن هذه التحليلات–التفاعلات التي ستمثل تماما خصائص المجموعة التي توضحها عمليات **الاختيار** و'الوضع بثلاثة وواحد' . انتظار لإنسان ، الحيرة أي طريق سيسلك–متأصلة في الممارسات اللاكانية وتعكس بصورة غير معتادة أكثر نكاته *jeux d'esprit* خفاء .

هل سيكون لهذا المجاز التصويري للتحليل البنيةُ نفسُها التي لذلك المجاز التصويري الآخر الأكثر شهرة ، «سيمينار عن **الرسالة المسروقة**» ، حيث يتشكل التحليل بمرور الرسالة عبر ثلاثة أوضاع تميزت بالتحديق ؟

وهكذا تشيد ثلاث نظرات ثلاث لحظات ، نظرات حملتها ثلاث ذوات ، في كل مرة تتجسد في أشخاص مختلفين .

الأولى نظرة لا ترى شيئا ...

الثانية ، نظرة ترى أن الأولى لا ترى شيئا وتخدع نفسها وهو الحال نفسه بالنسبة لسريَّةٍ ما تخفيه ...

الثالثة ترى أن النظرتين الأولى والثانية تتركان ما يجب إخفاؤه معروضا أمام عيني كل من يريد الاستيلاء عليه ...

وبافتراض وجود معامل ما بين الذوات في الفعل المتكرر ، يبقى علينا أن نتعرف فيه على قهرية التكرار بالمعنى الذي يعنينا في نص فرويد .[٧٩]

تشير هذه الإشارة إلى معامل ما بين الذوات إلى أن البحث عن منطق ما بين الذوات يستمرُّ هنا بأسلوب مختلف عن الأسلوب المتبع في البحث المكتوب عن «الزمن المنطقي» : البحث الذي يربط بين الذوات ، ويتطلب منهم أن **يكرروا** ، بدل أن **يعملوا بتسرع**

محدد . وهذا البعد الآخر الأساسي في الزمنية التحليلية ، ألا وهو موضوع التكرار ، يمر عكس بنية التثليث اللاعكسية في سفسطة الزمن المنطقي . وهذا الارتباط بين هذين المجازين التصويريين المختلفين أوضح في النسخة الدارجة من 'سيمينار عن **الرسالة المسروقة' في السيمينار الثاني**،[٨٠] حيث يفحص لاكان لعبة فردي أم زوجي [جوز ولا فرد] ، اللعبة التي ذكرها دوبين بطل بو في 'القتلة في رو مورج The murders in the Rue Morgue' يذكرها دوبين ، أيضا ، في 'الرسالة المسروقة-المترجم[٨١] إن تحليل لاكان لما بين الذوات اللازم لأداء اللعبة يستحضر لغة اللحظات (temps) الثلاث المقدمة في 'الزمن المنطقي' ليصور سلسلة التقمصات مع تفكير الآخر ، التقمصات الذي يحاول المرء بواسطتها استباق خداعها وخداعها المزدوج :

> ربما توجد مدة [*temps*] ثانية ، تتضح فيها ذاتية أقل تحزبا . إن الذات في الحقيقة تتمتع بالقدرة على أن تجعل من نفسها ذاتا أخرى ، وأن تتوقف عن التفكير في أنّ الأخرى ، باعتبارها أخرى ، تفكر مثلها ، وعليها أن تضع نفسها في موضع الطرف الثالث ، حتى لا تكون هذه الأخرى التي تمثل انعكاسا خالصا لها ...[٨٢]

لكن هذه المحاولة لتكرار نجاح المنطق الذي يتيح للسجين أن يستنتج أن الدسك الذي معه أبيض تفشل حين لا يوجد سوى لاعبَيْن يلعبان لعبة'جوز ولا فرد' . وتؤدي في هذه الحالة إلى تقمص للآخر ، تقمص يفوق الوصف ، لأنه خيالي تماما ،[٨٣] حيث المسار المتبع في هذه الحالة ، 'المسار الذي يمكن أن يكون منطقيا' ،[٨٤] يؤدي بنا إلى الاهتمام بما قد يعنيه أن نلعب لعبة الحظ مع آلة ، كمبيوتر-حيث التقمص مستحيل، 'حيث يتم استبعاد كل ما يتعلق بنظام البروفيل السيكولوجي'.[٨٥] وما ينبثق مع آلة 'سيمينار عن **الرسالة المسروقة**' ، ليس تردد التقمص الخيالي أو تسرعه ، ليس التقمص الخيالي الذي يوسطه الرمزي بصورة مناسبة (كما في 'الزمن المنطقي') ، ولكن وظيفة التكرار هي التي تنبثق ، وظيفة التكرار كما تتولد عن المنطق المحض ، منطق الرمز-بواسطة الآلة . وهذا المنطق المتحجر هو الشرط الضروري ، في رأي

لاكان ، لفهم مقولة فرويد عن دافع الموت[٨٦] death drive تفتح الآلةُ البابَ أمام جدل الفرصة والتحديد بعدة عوامل ، وبالتالي أمام انبثاق شيء جديد من التطبيق المتكرر للقاعدة ، أو كما قال لاكان :

> حيث من التكوين الأوَّلي من الرمز البدائي... [تنبثق] بنية تبقى شفافة في علاقتها بمعطياتها الأولية ، وتكشف العلاقة الأساسية بين الذاكرة والقانون.[٨٧]

وفي الحقيقة يبتكر لاكان ، مع الإجراءات الخاضعة للقواعد التي يضعها ، الإجراءات التي تعمل على سلسلة من 'الحروف الصغيرة 'little letters' ، يبتكر صورة لذاكرة ارتدادية[٨٨] retroactive: ليحصل على سلسلة خاصة ، يؤثر فيه الطرف التالي على الطرف السابق .

ولكن يبدو أننا نتناول الآن نوعا آخر من الزمن التحليلي نوعا مختلفا . بينما أدَّتْ سفسطة الزمن المنطقي إلى مفهومي التردد والتسرع ، وهما مفهومان ظهرا غريبين عن ذخيرة مفاهيم المحلِّل الفرويدي ، إن لم يكونا غريبين عن الوصف الذي يقدمه للأعراض ،[٨٩] وقد أدت 'السفسطة' التي تطورت عن قصة ... عن لعبة 'حوار ... فرد' إلى إعادة تقييم المقولات الزمنية التي تم التسليم بها على نطاق واسع ... أساسية بالنسبة لتفكير فرويد : التكرار ، الذاكرة ، التاريخ ... التي قام بها لاكان لم تكن ببساطة إعادة شبه فلسفية أو إعادة ... على تلك المفاهيم ؛ كانت 'العودة إلى فرويد' التي دعا إليها في ... هنا ، في إعادة الاكتشاف ، الإعادة التي قام بها لمفهوم فرويدي أساسي ... محور كل تفكير لاكان عن زمن العُصاب ، زمن الطفولة ، زمن السببية في المسائل الإنسانية–وهذا المفهوم الأساسي تجاهله المترجمون تقريبا ، أو علقوا عليه ، أو ترجموه بصورة غير ملائمة غالبا ، إلى شيء آخر : وأشير هنا إلى مفهوم *Nachträglichkeit* [الفعل المؤجل] .[٩٠]

وحتى أواصل مناقشة مفهوم لاكان للزمن ، أظنُّ أننا الآن في حاجة إلى تناول تاريخ هذا المفهوم ، واستخدام لاكان له ، وعلينا أن نتذكر دائما أن تلك السفسطة عن الزمن المنطقي منحت لاكان قدرا من الثروة الفكرية الثابتة في هذه المنطقة من نظرية التحليل النفسي ومن ممارساته ، ثروة لم يكن ليسمح أبدا بأن تنتزع منه .

III

ومن ثم يكون اللاشعوري مراوغا–لكننا نبدأ محاصرته في بنيه ، بنية زمنية ، بنية يمكن أن نقول إنها بنية لم يتم الإفصاح عنها على هذا النحو من قبل .

جاك لاكان [٩١]

٣ أغسطس ١٩٣٨ : يبدو أن الخلفية النهائية لكل كبح فكري للعمل تتمثل في كبح الاستمناء في الطفولة ولكن ربما تتوغل إلى أعمق من ذلك ؛ ربما لا ينشأ كبحه بمؤثرات خارجية ولكنه يعود إلا طبيعته التي لا تعرف الإشباع . ثمة شيء مفتقد دائما من أجل التفريغ والإشباع–en attendant quelque chose qui-ne venait point [دائما ننتظر شيئا لن يأتي أبدا] وهذا الشيء المفتقد هو تفاعل الأورجازم ، ويتضح بالقدر نفسه في مجالات أخرى ، في نوبات الغيبة absences، انفجارات الضحك أو البكاء ، وربما يتضح بطرق أخرى . مرة أخرى يرسخ النشاط الجنسي في الطفولة نموذجا في هذا المجال .

سيجموند فرويد [٩٢]

'**الغيبة** '*absence*' : كانت هذه الكلمة هي المصطلح الذي استخدمه أطباء الأعصاب في نهاية القرن التاسع عشر *fin-de-siècle* في وصف إحدى الظواهر الباثولوجية والسبب المفترض لظواهر باثولوجية أخرى . ويمكن رؤية الغيبة باعتبارها شكلا بسيطا من أشكال فقدان الوعي في حالات تشبه الصرع[٩٣] [يطلق المصطلح في الحقيقة على شكل من أشكال نوبات الصرع الصغرى–المترجم] وقد ساوى فرويد بين الغيبة ومفهوم بروير Breuer عن 'حالة التنويم 'hypnoid state'، واعتبرها في الفصل النظري في **دراسات عن الهستيريا** *Studies on hysteria* العامل السببي الأساسي في نشأة الهستيريا . وكان على فرويد أن يستبعد الدور السببي **للغيبة** ليقدم مفهومه المميز عن الآليات الدفاعية . وقد تطابق مفهوم 'حالة التنويم' مع

اللاشعوري الوصفي عند فرويد ، إلا أنه كان يمثل قوى يسلّم بروير بأهميتها في بناء اللاشعوري الديناميكي المكبوت الذي اقتصر على الدفاع فقط عند فرويد . كان بروير ، وعددٌ كبير من أتباعه ،[٩٤] متأثرين **بحقيقة** فقدان الوعي ، **باحتمالية** وجود وعي بديل ينشأ نتيجة لذلك ، ولم يروا حاجةً لمزيد من التأمل في أسس البنيات الذهنية الباثولوجية . وكان تأثُّر فرويد أقل من تأثرهم ؛ وتطلب الأمر بالنسبة له وجود قوة أخرى ، تقوم بضغط إيجابي ، ليتم 'تخصيب' الغيبة ليبدأ توليد شكل عَرَضي حقيقي .

إلا أن فرويد ، كما يشير الاقتباس الذي يرجع إلى عام ١٩٣٨ ، نسب وظيفة مهمة للغيبة بمجرد أن وجد ، طبقا لقناعته ، موضعها الصحيح في فسيولوجيا علم النفس : باعتبارها لحظة الأورجازم أو، على نحو مساوٍ ومثير للدهشة ، لحظة غياب الأورجازم . ولنقتبس الآن فقرة مهمة من البحث الذي كتبه عن النوبات الهستيرية في عام ١٩٨٠ :

> إن فقدان الوعي ، 'الغيبة' ، في النوبة الهستيرية ينبثق من غياب الوعي غيابا لحظيا وجليا يتضح في ذروة كل إشباع جنسي عنيف ، بما في ذلك الإشباع الجنسي الذاتي[٩٥]... وآلية هذا النوع من نوبات الغيبة آلية بسيطة نسبيا . يكون كل انتباه المرء مركزا في البداية على تقدم عملية الإشباع ؛ ومع حدوث الإشباع ، تنتهي فجأة طاقة الانتباه بكاملها ، بحيث يؤدي ذلك إلى حدوث فجوة لحظية في وعيها]أي وعي التي تعاني من الهستيريا ، ويعتقد أن الهستيريا تحدث بنسبة أعلى بين الإناث ، لذلك يستخدم فرويد ضمير المؤنث-المترجم] . وهذه الفجوة في الوعي ، ويمكن اعتبارها فجوة **فسيولوجية** ، تتسع بعد ذلك على حساب الكبت ، حتى تستطيع ابتلاع كل ما يلفظه عامل الكبت .[٩٦]

يمكن للمرء ، على مستوى التخطيط ، أن يفترض أن فرويد رأى في الغيبة المرتبطة بالأورجازم نموذجا لحالة التنويم ، وفي الحقيقة ، نموذج التنويم عموما-وكان على فرويد وهو يتذكر سلسلةً من ثقة الطفولة في النصِّ الذي استشهدنا به ،[٩٧] والعلاقات الوطيدة بين التنويم والحب[٩٨] ، أن يوضح ذلك بخبرته في التنويم وعلاقته الوطيدة بالتحليل النفسي .[٩٩] ونرى أن الاستغناء عن مفهوم حالة التنويم لم يكن بهذه

البساطة . كانت هناك أسباب أخرى وراء هذا الاستغناء .

وأول هذه الأسباب كان الارتباط الوطيد بين مفهوم الرضّ trauma ومفهوم حالة التنويم . وتتضح هنا خطوط التطور الميتاسيكولوجي في أعمال فرويد : زيادة المثيرات (الرضّ) ووقاية الداخل من هذه الزيادة ، بحيث يكون المظهر الخارجي الشفاف تماما بقية تأثير الرضوض traumata ونتيجة لها ، ويكون اللاشعور ذاته هو تأثير الرضّ ، التأثير الذي يتيح بعد ذلك احتمالية الانتصار على التأثيرات ذاتها.(١٠٠)

ولكننا لا نقتنع بالإجابة التي ترى أن الوعي ينتج عن الرّضّ ويكفل في الوقت ذاته مواجهة انتصاره . وربما نشعر بأن هذه الإجابة ، بالرغم من أهميتها ، إجابة ميتاسيكولوجية بصورة مبالغ فيها : ولا يبدو أننا سنغطي أهمية مفهوم الرض تغطية كاملة ، وهو ، كما قد يبدو، أهم المفاهيم الإكلينيكية ، وهو مفهوم ربما يزداد انتشاره في المستقبل أكثر (١٠١)-بصورة غير متوقعة ، وبإلحاح دائم ، في غرفة الاستشارات . إننا نشعر بأن علينا أن ندرس المشكلة بأن نولي النصّ والبعدَ التاريخيّ مزيدا من الاهتمام . وهذا التاريخ سيوضح لنا كيف ارتبط مغزى الخبرة ، بوصفها خبرة رضّية ، بالاهتمامات النظرية .

ويبدأ الاهتمام الطبي بحالات العُصاب الرضي traumatic neuroses منذ منتصف القرن التاسع عشر واستمرّ حتى نهاياته نتيجة ، كما يرى إلينبرجر Ellen-berger وآخرون ،(١٠٢) لظهور الصناعة وأهمية الدعاوى المتعلقة بالحوادث بالنسبة لشركات التأمين . وكانت تلك هي 'هستيريا التعويضات' كما كتب إبرهام Abraham في عام ١٩٠٧ ، (١٠٣) وكما قد نتوقع ، بالاهتمام بخطوط السكك الحديدية والصناعة في بداياتها ، انشغل الأطباء الإنجليز بهذه المسائل انشغالا أساسيا ، وابتكروا مصطلحي 'إصابات الحبل الشوكي الناشئة عن حوادث القطارات 'railway spine' و'إصابات الدماغ الناتجة عن حوادث القطارات 'railway brain' بالإضافة إلى عدد من المصطلحات الأخرى لتغطية الصور الإكلينيكية للحالات التي بدا أنها نتيجة مباشرة لحوادث وقعت على خطوط السكك الحديدية أو في المصانع. وكان شاركو

Charcot [جين مارتن شاركو (١٨٢٥– ١٨٩٣) طبيب الأعصاب الفرنسي الشهير وصاحب الإنجازات الكبيرة في الطب النفسي وخاصة في الدراسات التي تتعلق بالهستيريا–المترجم] ، وتبعه بروير وفرويد ، هم الذين قدموا معظم هذه الصور الإكلينيكية . وهكذا برهن شاركو على أن حالات العصاب التي بدا أنها تنتج عن الحوادث ، ظهرت بأعراض مماثلة لأعراض الهستيريا وأعراض الوهن العصبي neu-rasthenia، وهكذا صنفها باعتبارها أعصبة كلاسيكية . وأثناء ذلك ، فتح الطريق أمام عدد من المناقشات العلمية : يمكن إلقاء الضوء على حالات عصاب الرضوض في ضوء التماثل مع الهستيريا ، الأقدم والتي نالت حظًا أوفر من الدراسة ؛ وبالمثل ، يمكن أن تلقي العوامل السببية الواضحة التي ظهرت في حالات عُصَاب الرضوض الضوءَ على السؤال المثير للحيرة عن الأسباب الكامنة وراء الهستيريا .

ومهما يكن فقد اتضح من فحص أولئك المرضى الذين كانوا يعانون من إصابات في الحبل الشوكي نتيجة لحوادث القطارات أو الذين يعانون من أعراض أخرى نتيجة لذلك ، أن الإصابة التي كانوا يعانون منها لم تكن لها أية علاقة مباشرة بأعراض الرَّضِّ : يُقذَف رجلٌ من تحويلة صغيرة على أحد خطوط السكك الحديدية نتيجة اصطدام قطار به ، يعاني من شعور بالإجهاد والدوار والدوخة ، ولا توجد علاقة مباشرة بين أي عرض من هذه الأعراض وبين الإصابات الجسدية الناتجة عن حادث التصادم . وكان واضحا أيضا من تعليق شاركو أن الأعراض لم تكن تظهر بعد الإصابة مباشرة ؛ كان ظهور الأعراض يتأخَّر على بصورة تكاد تكون دائمة–وفي الحالة التي ذكرناها كان عامل السكك الحديدية شغوفا بالعودة إلى العمل بعد أن قضى بضعة أيام في السرير وشفي من الحادث ، ولم تظهر أعراض الإجهاد والقلق متبلورة إلا بعد ذلك كرموزٍ لحالة الرَّضِّ التي تعرض لها .(١٠٤)

وهكذا رسم شاركو صورة الهستيريا الرَّضِّية ، وجاءت واضحة ومؤثرة كما ينبغي وتحولت بعد ذلك إلى نظرية عن العُصَاب ، وكانت تلك الصورة تتسم ببعض السمات الخاصة . أولا ، يمكن رسم خصائص الرَّضِّ بصورة موضوعية : كان حدثا 'طارئا' ، يتسم أساسا بالخطر الذي هدد السلامة الجسدية لكائن بشري .

وباستخدام مقولة الرَّضّ لتكون السمة التي تميز العُصَاب ، وهي مقولة مستعارة من المصطلح اليوناني الذي يستخدم بمعنى 'جرح' ، وهو مصطلح استخدم منذ فترة طويلة ضمن المصطلحات الطبية ، وتبدل معناه بدقة ، ولكن احتفظ بالدلالة على حدوث عنف مفاجئ . وصار مصطلحا يُطلَق على حدث خارجي ، وصارت تأثيراته على من يتعرض له مجهولة إلى حد بعيد ؛ لأنها ، بدقة ، كانت تأثيرات غامضة ، وقد تحول التركيز من هذه التأثيرات-'الجرح' ، قطع 'الجلد'-إلى السمة الأساسية لهذا الحدث الذي نجمت عنه تلك التأثيرات . وهكذا اتصل مصطلح الرض بحدث أساسي ، له تأثيرات واضحة ولكنها غير محددة ، وهذه التأثيرات تناظر السمة الأساسية للحدث أكثر مما تناظر طبيعته الداخلية. وكان هذا حال الرجل الذي ذكرناه من قبل ، الرجل الذي كان يتنقل بين تحويلة السكك الحديدية حيث صدمه أحد القطارات وسقط أرضا ممزقا إلى ألف قطعة-' سُحِق بكل معنى الكلمة 'littéralement broyé'. ولم يكن بمستطاع عامل السكك الحديدية أن يحكي كثيرا عما حدث له بعد ذلك ('-Il ne sau-...rait trop dire ce qui s'est passé en ce moment-là')؛[١٠٥] وقد وُجِد فاقد الوعي بين أنقاض تحويلة السكك الحديدية .

ويمكن لكل منا ، بتعاطف ، أن يتصور سمات هذا الحدث باعتباره رَضًا : إن المبالغة فيه تتحدث عن نفسها-إن تحول الحارس إلى 'ألف قطعة' بين 'الأنقاض' تحمل الشاهد فجأة إلى الرَّضّ الذي يؤثر على الإنسان الذي تعرض لهذا الحادث . ويبقى أن شاركو هو الذي قدم فكرة أننا يمكن أن ألا ندعو ذلك رضًا إلا حين لا توجد آثار واضحة على الكائن . إن مفهومنا عن الرض هو ، بالتالي ، مفهوم يجمع بين الوضوح الهائل وانعدام التأثير بصورة غامضة . وكل ما يكون له تأثيرات واضحة ومباشرة-التهشيم **الفعلي**/اليد ، إصابة الدماغ إصابة **عضوية** تؤدي إلى فقدان القدرة على الكلام-يمكن استبعاده تلقائيا من مجموعة الأعراض التي تنتمي إلى العُصَاب الرضّيّ .

وهكذا ، بدايةً ، لا يحقق مفهوم الرَّضّ أهميته إلا بعد تفريغه من معظم محتواه، بعد أن يصبح قصة الإخفاق القريب ، أو الإخفاق في إحداث التأثير المطلوب ، بدلا

من إصابة الهدف في الصميم bull's eye [حرفيا ، إصابة عين الثور–المترجم] . ومن الطبيعي أن يكون لأحد جوانب هذا الوجه 'المفرَّغ' أهميته العظيمة في تطور التفسيرات السيكولوجية للعُصَاب : النتائج السلبية التي حصل عليها علماء الباثولوجيا حين بحثوا عن آفات عضوية في الجهاز العصبي تتوافق مع أعراض المريض . وقد ارتبطت أهمية هذا النفي لوجود آفات عضوية خاصة في مواضع محددة ارتباطا وثيقا بتطور مفهوم الرَّضّ ؛ إلا أن العلاقة الخاصة بين مفهوم الرض وعدم وجود سبب عضوي لم تبقَ على حالها دائما . ولم يحدث هذا حتى طور فرويد نظرية التحليل النفسي وربما اعتبر هذا الغياب سببا **لفعالية** الرَّضّ .

ومن ثم ، تميز الرَّضُّ ، من ناحية ، تميزا واضحا بالقوة الخارجية التي ترتبط به، وهي قوة شدَّتْ التركيز بعيدا عن تفاعلات الذات مع هذه القوة . ومن الناحية الأخرى ، تأسستْ فعاليةُ هذا الحدث ، سمتُه الرَّضِّيةُ ، بصورة خاصة على عدم وجود التأثيرات العضوية . وحين استخدم شاركو التنويم ليوضح التماثل بين الهستيريا الرَّضِّية والهستيريا 'الكلاسيكية' ، طرأ بعض التغير على مفهوم الرَّضّ . وبقدر ما يمكن أن يكون الإيحاء التنويمي مكافئا للرَّضّ ، حوَّل شاركو ، وتبعه فرويد ، التأكيدَ إلى الوجه المثالي للرَّضّ : ماذا يمثل الحادث الخارجي بالنسبة للشخص نفسه . ومع هذه النقلة بدأ زحف طويل ومعقَّد في مرجعية المفهوم ، الذي انبثق عنه مفهوم الرَّضّ باعتباره تصورا لا غنى عنه مع أنه يفتقر إلى التحديد افتقارا تاما .

والخطوة التالية في تطور مفهوم الرَّضّ خطوة معروفة تماما . وبعد أن بيَّنَ شاركو أن أعراض الهستيريا الرضية تشبه ، بالنسبة لكل الأهداف والأغراض ، أعراض الهستيريا 'الكلاسيكية' ، بدا من الطبيعي أن نبحث عن خبرات رَضِّية وراء الهستيريا 'الكلاسيكية' إن حالة Anna O. التي تناولها [illegible] ، بالإضافة إلى رغبة فرويد لابتكار علاج يرتكز على نظرية شاركو عن حالات العصاب ، أدت بهما إلى تطوير نظرية من هذا القبيل في **دراسات عن الهستيريا** [illegible] الهستيريون من الذكريات ، وهذه الذكريات رضوض (أو ذكريات رضو [illegible]) وتطلب العلاج بهذه النظرية تحوُّل هذه الرضوض ، عن طريق الشفاء بواسطة [illegible] بالكلام -cathar

tic talking cure، إلى ذكريات **عادية** . ولكن لدينا بالفعل التباس حاسم مطمور في هذه النظرية : هل هذه الأحداث التي تلحُّ الأعراضُ على تذكرها أحداث رضية لأنها كانت تنتمي في الأصل إلى نظام الطاقة الخارجية المتجسدة في حوادث السكك الحديدية ؛ أم أن الرضوض صارت رضوضا نتيجة لعملية التذكر ؟ هل كان تذكر الرض رضيا أم أن الرضيّ كان التذكر نفسه ، عملية التذكر-التذكر باعتباره رضًا ؟ وكانت إجابة فرويد ، الإجابة التي استغرق تطورها عددا من السنوات في العقد الأخير من القرن التاسع عشر : كلاهما رضيٌّ . كان هناك شيء خاص وحقيقي بالنسبة للأحداث الرضية التي أدت إلى احتمالية أن يتّم تذكرها بصورة تؤدي إلى ظهور أعراض عصابية وأن تكون عمليات التذكر وعدم التذكر أسبابا باثولوجية.[١٠٦]

ويبدو أن الخط الأول في المناقشة نشأ عن محاولاته العلاجية المعقدة والممتدة دائما : بمجرد اتضاح ارتباط حدث يتم تذكره بعرض معين ، كان من الضروري أن يتجاوز هذا الحدث إلى أحداث أخرى ، تبدو رضية على نحو أقل ، أو ترتبط ارتباطا أقل مع بداية ظهور الأعراض ، أن يتجاوزها ليحل نسق الأعراض (ربما يكون قد أطلق عليها ، حتى في ذلك الوقت المبكر ، اسم 'النزعة العصابية') . وكانت تلك الأحداث مبكرة دائما ، ترجع إلى الطفولة . ويبدو أن هناك سؤالين بقيا معلقين في الهواء يتعلقان بحدوث تلك الأحداث في الماضي البعيد : أولا ، ما الذي يمكن أن يدعوه المرء رَضًا بالنسبة لطفل في الثالثة أو الرابعة ؟ ثانيا ، ماذا يفعل المرء بالعمليات العُصَابية الخاصة المتعلقة بتذكر الماضي البعيد ؟ إذا كان العصاب ينشأ في جزء منه نتيجة لعملية خاصة من عمليات التذكر ، ماذا يمكن للمرء أن يفعل بذكريات ترجع إلى تلك الفترة من حياة المرء حيث لا يُعتدُّ بالذاكرة في أفضل أحوالها وتكون ، في أسوأ أحوالها ، مليئة بالفجوات ؟

منذ تلك اللحظة ، وفيما بعد ، نشأت عن الماضي البعيد الذي نتذكره نظريةُ الإغواء-التحوُّل الحقيقي ، وربما الحتمي ، لمحاولات استيعاب كل حالات العُصَاب في نموذج الهستيريا الرَّضِّية . إنها قصة مألوفة . بدل القوة اللاشخصية ، قوة قطارات السكك الحديدية ، التي تلوح ضخمة بصورة غير متوقَّعة ، مهددة الجسد الهش ،

تثبّتُ الصورُ المبهمةُ للآباء ، التي تجسد نواياهم الأكثر غموضا ، سؤالَ الدارسِ المدقِّقِ . إنها النوايا الجنسية للوالد أو الوالدة-كما تُرْشّح وتُترجَم في ذاكرة الطفل ، تلك الذاكرة الملتبسة-النوايا التي تجسد القوة الرَّضّية المفرطة وغير المحدَّدة .

والأكثر إثارة للدهشة أن أكثر المفاهيم الفرويدية تميُّزًا ، مفهوم *Nachträglichkeit* – الفعل المؤجل the deferred action الخاص بالعلية العصابية-تمت استعارته من الشواهد الإكلينيكية لحالات العُصَاب الرَّضّيٌّ . ونجد في أعمال شاركو صياغاتٍ مختلفةً لفكرة الفعل المؤجَّل-لكن الشاهد الإكلينيكي يتضمن غالبا تعبيرات من قبيل 'على نحو يكاد يكون مباشرا' ، و 'بعد وقت قصير من التأخير' .(١٠٧)

كانت النتائج المباشرة [التي نتجت عن الحادث] ألما شديدا ... وتورمًا في الكف والأصابع..وقد اختفي كل ذلك بعد أربعة أيام . ولكن **بعد تلك الفترة الزمنية** ، أراد العامل أن يستخدم يده ، ولكنه أدرك أن يده تتدلى وأنه لا يستطيع تحريك أصابعه..(١٠٨)

وكان على فرويد أن ينقل هذا المفهوم إلى الهستيريّات اللاتي يعالجهن ، في إشارةٍ واضحةٍ إلى شاركو :

وتُرى سمة أخرى تتميز بها حالة كاترين ، التي صارت ، بالصدفة ، مألوفة بالنسبة لنا، تُرى في ظل الظروف التي لم يحدث فيها التحوُّل الهستيري con-version، إنتاج الظواهر الهستيرية ، بعد الرَّضّ مباشرة ، ولكنه حدث بعد فترة حضانة incubation . وكان شاركو يحب وصف هذه الفترة بأنها 'فترة التفسير النفسي [*élaboration*].(١٠٩)

إلا أن هذا الفعل المؤجَّل الذي يميز التأثيرات العُصَابية ، في ذلك العمل المبكر من أعمال فرويد ، ربما يكون قد اختفى تحت المفهوم الذي قدمه عن تجمع الأسباب :

في حالة الهستيريا الشائعة ليس من النادر أن نجد ، بدلا من وجود رَضٍّ هائلٍ ووحيد، عددا من الرضوض الجزئية التي تشكل **مجموعة** من الأسباب التي تكمن وراء ظهور الهستيريا . ولا تستطيع هذه الأسباب إحداث تأثيرٍ رَضّيٍّ إلا

بالتجمع وهي رضوض تنتمي إلى بعضها البعض بقدر ما تمثل إلى حد ما قصةً واحدة من قصص المعاناة .(١١٠)

وبينما لا يتناقض مثل هذا المفهوم عن الترابط والتجمع ، تناقضا مباشرا مع الفصل الزمني بين السبب والتأثير ، إلا أنه قد أخفاه في الواقع ،(١١١) حيث أنه ربط كل العناصر في 'قصة واحدة' ، في استمرارية يمكن لسمتها الأصيلة أن تلغي الفجوات الزمنية في تلك الحكاية .(١١٢) إلا أن فرويد ، حتى في تلك التعليقات المبكرة عن تجمع الأسباب الرضية ، كان يتحرك باتجاه فينومينولوجيا الأعراض والرضوض التي تسببتْ في حدوثها حيث احتلَّ الرَّضُّ 'الأوَّلُ' وضعا مميَّزا:

ومع ذلك ، لا يوجد أساسا اختلاف بين العَرَض الذي يظهر زمنيا بعد أول سبب يستثيره وبين كونه كامنا منذ البداية . إننا ، في الحقيقة ، نجد في الغالبية العظمى من الشواهد أن الرَّضَّ الأول لا يخلِّفُ وراءه أية أعراض ، بينما يخلِّف رَضٌّ تالٍ من النوع نفسه أعراضا ، إلا أن الرَّضَّ الأخير لا يمكن أن يوجد بدون تعاون من السبب المثير الذي سبقه ؛ ولا يمكن أن يتضح بدون وضع الأسباب المثيرة كلها في الاعتبار .(١١٣)

إلا أن هذه المناقشات المبكِّرة مازالت متذبذبة ، تُدرك أحيانا أن الرَّضَّ الأول قام بدوره كسبب ضروري على نحو دقيق لأنه عمل بوصفه ذاكرة أكثر مما عمل بوصفه 'تأثيرا طازجا fresh impression'، وتسلم أحيانا بأن 'الأعراض الطازجة' و'الأعراض التي يتمُّ تذكُّرُها' ربما تساهم في التحول بالتساوي . ومع ذلك ، قصرت نظرية الإغواء الشروط التي يمكن أن تقوم بدور الرَّضِّ السببي على الأحداث الجنسية في الطفولة المبكرة . وهذا التحديد الضيق لما يمكن اعتباره رَضًّا كافيا لإحداث عصاب هو ، كما سنرى عاجلا ، الذي دفع فرويد إلى صياغة نظرية الفعل المؤجَّل بصورة واضحة ودقيقة .

لكن تطور هذه النظرية كان يعني أن فرويد تعرض لصدمة : انتهاء نظرية الإغواء . ولسنا في حاجة إلى أن نكرر هنا أسباب هذا الانهيار ؛ وسوف نذكر فقط السمات المتعلقة بالأصل الذي نعرفه لمفهوم الرَّضِّ ، الذي بدا الآن بدون شك مختلفا

عن حوادث السكك الحديدية ومناوشات الموت : إذا كانت نوايا الراشدين لم تعد موضع تساؤل ، إذن ما الذي يمكن أن يكون رضِّيا في فنتازيا تدور حول صور الراشدين ؟

في المراجعة الشاملة لنظريته ، اللازمة لتجاوز هذه العقبة ، نجح فرويد في الإبقاء على عدد مدهش من العناصر المكملة لنظرية الإغواء . ونذكر هنا اثنين من هذه العناصر . أولا ، مازال من الممكن أن نشير إلى بداية العُصَاب كحدثٍ أو كمجموعةٍ من الأحداث . إلا أن هذه الأحداث أصبحت الآن 'داخلية' بقدر ما هي 'خارجية' ؛ ولم يعد الطارئ فيها ينشأ عن الفرصة الخارجية، التي تقع تماما في العالم الخارجي ، ولكنها تنشأ عن علاقة معقدة بين العالم الواقعي والعالم الداخلي . وعند هذه النقطة ، فتح تطور نظرية فرويد التي كانت تهتم بطريقة تذكر ما كان رضيا ، أكثر مما تهتم بما يتم تذكره ، فتح آفاقا جديدة . ثانيا ، لم يتبدل هدف التقنية التحليلية إطلاقا : مازالت تبحث عن حدثٍ ، عن ذاكرة تبدو أنها سبب البنيات العَرَضية التي نناقشها .

وما له قدر مساوٍ من الأهمية هو حقيقة أن فرويد حافظ على منطق الفعل المؤجَّل الذي شيده ببطء في نظرية الإغواء ، مستعيرا إياه من مفهوم الرَّضِّ الذي طوره . والأسلوب الذي فعل به ذلك أسلوب فريد في الواقع . وكما أكَّدْتُ ، تضمن مفهوم الرض مقولة التأخير بين السبب وظهور الأعراض ؛ وفي نظرية الإغواء، كما قدمها في عام ١٨٩٥ ، صار هذا التأخير تأخيرا سببيا : أصبحت حقيقة الاختلاف في المراحل الزمنية سبب نشأة البنية الباثولوجية . وقد انتقلنا من مفهوم الفعل **المؤخَّر** *delayed* إلى مفهوم الفعل **المؤجَّل** deferred .

والصورة الإكلينيكية الموجزة في **مشروع سيكولوجيا علمية هي الشاهد الكلاسيكي** the *locus classicus* على هذا التعليق ، **والمشروع** نظري بصورة كبيرة ، وقد كتب في الصيف والخريف من عام ١٨٩٥ . ويجب أن تنبهنا حقيقة أن المادة الإكلينيكية ، وحدها في المشروع ، إلى الأهمية النظرية (والشخصية)[١١٤] للنقطة التي يطرحها ، وهذه النقطة هي بكل دقة كيف تصبح زمنيةُ الرَّضِّ الوسيلةَ التي تغير بها آليات الدفاع الباثولوجية اتجاهها ، بدلا من آليات الدفاع الطبيعي ضد الألم ، تلك

الآليات التي كان فرويد قد صاغها بالفعل . كانت نظرية فرويد نظرية عامة عن النفس psyche، تتناول آليات الدفاع ، والتفكير والذاكرة ، في صورتها الطبيعية ؛ ومن المؤكد أن هذا الوصف للعمليات الطبيعية كان سيفقد كل أهميته إذا لم يكن قادرا على تفسير ظهور الصور الباثولوجية . وقد وضَّحتْ حالةُ إمَّا Emma كيف كان من الممكن أن تغير هذه الصور الباثولوجية اتجاهها .

اشتملتْ حالةُ إمَّا على ثلاثة 'أحداث' وليس حدثين : سرد قصتها في التحليل (وما يدعوه فرويد 'الزمن الحاضر' ، عرض يتضمن 'إحساسا قهريا بعدم القدرة على دخول المحلات **بمفردها**') ؛ 'ذكرى من زمن مضى حين كانت في الثانية عشرة من عمرها (قبل البلوغ بوقت قصير)' (**المشهد الأول**) ؛ و'ذكرى ثانية' لمشهد في الثامنة من عمرها ، اكتُشِفتْ بعد 'مزيد من الفحص' (**المشهد الثاني**) . في **المشهد الأول** ذهبت إلى محل لشراء شيء ما ،

> رأتْ عاملي المحل (يمكنها أن تتذكر أحدهما) يضحكان معا ، وجرت في **حالة من الفزع** . وفيما يتعلق بهذا ، تمت مساعدتها على تذكر أنهما كليهما كانا يضحكان على ملابسها وأن أحدهما أُعجِب بها جنسيا .(١١٥)

ويُفسِّر **المشهد الثاني** هذا المشهد غير المفهوم :

> في موقفين حين كانت طفلة في الثامنة ذهبت إلى محل صغير لتشتري بعض الحلوى ، نظر البائع نظرة خبيثة إلى أعضائها التناسلية من بين ملابسها . وبرغم الخبرة الأولى ذهبت هناك مرة ثانية ؛ وبعد المرة الثانية كفَّتْ عن الذهاب . وهي الآن تُبكِّتُ نفسَها بسبب الذهاب في المرة الثانية ، كما لو كانت ترغب بهذه الطريقة في استثارة الاعتداء .(١١٦)

وقد حددت إمَّا نفسُها طريقة الربط بين هذين المشهَدين : ذكَّرَتْها ضحكاتُ عاملي المحل بالنظرة الخبيثة من عين البائع .

> يمكن الآن إعادة بناء الأحداث على النحو التالي . في المحل كان العاملان يضحكان ؛ وهذا الضحك استدعى (لاشعوريًا) ذكرى البائع... مع البائع ذكرت

نظرته الخبيثة من بين ملابسها ؛ لكن من ذلك الوقت وبعد أن وصلت مرحلة البلوغ . استدعت الذكرى ما لم يكن من الممكن، بالتأكيد، أن تستدعيه في وقتها ، **ارتياحا جنسيا** *a sexual release* ، تحول إلى قلق. ومع هذا القلق ، انتابها خوف من أن عاملي المحل ربما يكررون الاعتداء، وجرت بعيدا .(١١٧)

ما هو خاص ، ما هو باثولوجي في هذه العملية ليس حقيقة الأفكار اللاشعورية ، لكنها بالأحرى الفكرة الخاطئة التي تدخل اللاشعور–مضلِّلةً إياها . بدلا من أن تدخل ذكرى الاعتداء إلى اللاشعور ، تصبح على وعي بملابسها وبارتياح جنسي ، وتنسب ذلك إلى أحد عاملي المحل .

إذا سألنا أنفسنا عن السبب وراء هذه العملية: الباثولوجية المقحمة interpolat-ed، فسوف يغرب شيء واحد فقط عن نفسه–**الارتياح الجنسي** ... ومن الواضح تماما أنه لم يكن يرتبط بالاعتداء حين شعرت به . ونحن هنا أمام حالة ذكرى أثارت عاطفة لم تكن موجودة كخبرة ، لأن الوصول إلى مرحلة البلوغ أثناء ذلك جعل من الممكن تقديم فهم مختلف لما تم تذكره .

والآن ، نحن أمام حالة من الحالات النموذجية للكبت في الهستيريا . إننا نجد دائما أن الذكرى تُكبَتْ ولا تصبح رَضًا إلا بواسطة **الفعل المؤجَّل**: والسبب في هذا الوضع هو تأخر البلوغ بالمقارنة مع بقية تطور الفرد .(١١٨)

ويمكن وضع مفتاح هذا الشكل من أشكال التفسير بإحدى طريقتين : إما أن 'الذكرى تثير عاطفةً لم تنشأ عنها كخبرة' أو 'كل ... فردٍ بقايا ذكريات لا يمكن أن تُفهَم إلا بانبثاق المشاعر الجنسية الخاصة به' .(١١٩) وفي أوائل عام ١٨٩٦ ، صاغ فرويد هذه المناقشة في صورةٍ نظريةٍ دقيقةٍ :

إن علاقةً مقلوبة بهذه الطريقة [حيث يكون للذكرى 'تأثيرٌ مثيرٌ أقوى مما للخبرة التي كانت وراءها عندما حدثت'] بين خبرة واقعية وذكرى ، يبدو أنها تحتوي على شرط مسبق لحدوث كبت . تمنح الحياة الجنسية–عبر تأخر نضج البلوغ بالمقارنة مع الوظائف النفسية–الاحتمال الوحيد الذي يحدث بالنسبة لهذا الانقلاب في التأثير النسبي . **تعملُ رضوضُ الطفولة بأسلوبٍ مؤجَّلٍ كما لو كانت**

خبرات طازجةً : لكنها تفعل ذلك لاشعوريا.(١٢٠)

ما هو لافت للنظر في هذه النظرية–مع أنه يصحُّ بالنسبة لأعمال فرويد عموما ومن ثم ليس له أن يدهشنا هو الإلهام الأصلي الذي يبثه شاركو في النظرية الرضية لحالات العُصاب . مازال هناك حدثٌ رضيٌّ ، ومازالت بنية حالات العُصاب برمتها خاضعة له . إلا أن البنية الفوقية superstructure طرأ عليها تبدلٌ جذري : ليس في مجرد اقتصار الأحداث المسببة على الأحداث الجنسية ، ولكن أيضا على مستوى الوسيلة التي يمكن لحدث أن يصبح سببا حيث يتم ربطها بنظرية الذاكرة ، نظرية «إعادة النسخ retranscription» ، نظرية 'فشل الترجمة' ، كما عبر عنها فرويد في زمالته إلى ويلهلم فليس Wilhelm Fliess .

لكن هل يصح أن نقول ، كما يقول جيمس ستراتشي James Strachey، إن هذه 'الفكرة بكاملها كان لها أساس انهار من تحتها باكتشاف النشاط الجنسي في الأطفال بعد ذلك بعام أو اثنين والتعرُّف على استمرارية النبضات الغريزية اللاشعورية' ؟ (١٢١)

في لغة التحليل النفسي *The Language of psycho-analysis*، عارض لبلانش Laplanche وبونتالي Pontalis ذلك بشدة ، قائلين 'إن أقوى دفع لهذه التهمة يؤثث بتعليق فرويد على حالة «ولفمان Wolfman» ، حيث تُستدعى هذه العملية نفسها ، أي عملية الفعل المؤجل ، باستمرار' . ويقولان أيضا إن 'الفضل في لفت الأنظار إلى أهمية هذا المصطلح يجب أن ينسب إلى جاك لاكان.'(١٢٢) ومما لا يبعث على الدهشة أن يعكس هذا الإقرار رؤية لاكان للأمور أيضا :

> حين قلتُ في بداية هذه الأحاديث–**إنني لا أبحث ، إنني أجِدُ** ، كنتُ أعني أن المرء في حقل فرويد، ليس عليه إلا أن ينحني ويلتقط ما يجده . إن التضمين الحقيقي لمفهوم **التأجيل** *nachträglich*، مثلا ، تمَّ تجاهله ، مع أنه كان موجودا طول الوقت ولم يكن علينا إلا أن نلتقطه .(١٢٣)

ومن الصحيح في الحقيقة أن لاكان ، في بحثه 'تقرير روما' الذي نشر عام ١٩٥٣ ، أشار بدقة إلى **الولفمان** the Wolfman باعتباره نصًا ينتمي إلى سنوات نضج

فـرويد، نصـًـا أبرز باسـتـمـرار اسـتـخـدام فـرويد لمفـهـوم **الفـعل المؤجل** *:Nachträglichkeit*

> يحتاج فرويد إلى موضوعية كاملة في الإثبات طالما كان الأمر يتعلق بمسألة موعد المشهد الأول ، لكنه لم يقدم أكثر من افتراضات لإضفاء الذاتية من جديد على الحدث ، وهي افتراضات تبدو ضرورية لتفسير تأثيرات الحدث في كل نقطة من نقط التحول حيث يبني الذات نفسها من جديد-أي بقدر ما يحدث إعادة بناء للحدث ، كما يعبر عنه ، تأجيل الفعل المؤجل *nachträglich*، في موعد لاحق *[après coup]*.(١٢٤)

إلا أن لاكان 'بالعثور' في هذا النص على هذا المصطلح من مصطلحات فرويد ، تمثله على الفور في نظريتـه عن الزمن-في الزمن المرتبط بسفسطة الزمن المنطقي الذي سبقت مناقشته :

> مما يعني ، أنه [فرويد] يلغي **أزمنة الفهم** لصالح **لحظات الاستنتاج** التي تشكل تأمل الذات باتجاه اتخاذ قرار يتعلق بمعنى الارتباط بالحدث الأصلي.(١٢٥)

وربما كانت هذه أكثر اللحظات التي اقترب فيها لاكان طول حياته من البحث عن ضبط لتقنيته عن 'مشاركة' الذات لاستنتاج الزمن اللازم للفهم بالاستعانة بممارسات **فرويد** كمحلل . ولم تكن حدود الزمن التي وضعها فرويد على تحليل ولفمان بهذا القدر من الأهمية ، ولكنه بالأحرى الأسلوب الذي ينحّي به الفترة بين ملاحظة المشهد الأوّلي والحلم في سن الرابعة ، ليعثر على البنية التي تربطهما معا . ومن ثم سيكون الفهم التحليلي تكرارا (مع بعض الاختلاف) للحظة الاستنتاج التي توصّلَ فيها الولفمان ، وهو طفل في الرابعة من عمره ، إلى فهم أهمية المشهد الأول بالنسبة له ، وحمى نفسه ضد هذا الفهم بخلق العُصَاب الذي عانى منه في طفولته .(١٢٦) وعلى التحليل أن يكرر هذه المحاولة في الفهم المرسِّب ، وربما فكر لاكان في أن السبب المرسِّب ، بالنسبة للولفمان ، وهو عدم رضاه عن الهدايا التي قدِّمتْ له في الكريسماس (عيد الميلاد) ،(١٢٧) كان بمثابة استعارة مناسبة للإحباط النرجسي الذي يتغذى عليه التحليل ، وهو ما كان على ممارسات لاكان في الجلسات مختلفة الطول أن تعمِّقَه .

وإذا نحيّنا هذه التأملات جانبا ، فإن ما يتضح هو أن لاكان ربط **التقاطه للفعل المؤجل** his *trouvaille* of *Nachträglichkeit* في نصـوص فـرويد بالزمن بين الذوات intersubjective time الذي تفاخر بنفسه لأنه أثبت أنه 'مناسب إلى أبعد الحدود للتحليل الجدلي الذي به نرشد]تلاميذنا [في عملية التحليل النفسي'.(١٢٨) إلا أنه مما يثير الدهشة قلة استخدامه صراحة لهذا **الالتقاط** ؛ توجد إشارات قليلة للغاية إلى **الفعل المؤجل** *Nachträglichkeit* في **كتابات وفي السيمينار** . ولكن ليس لنا أن نأخذ ببساطة انطباعا بأن لاكان تركه لآخرين (خاصة لبلانش وبونتالي)(١٢٩) ليعبروا عن أهمية المفهوم الفرويدي ، أو أنه اعتبره ببساطة دعامة لبرهانه على أن زمن التحليل النفسي كان *الزمن الذي شغله المساجين الثلاثة في سفسطته المنطقية* . ويمكن أن نعثر على أحد المفاتيح لأهميته الأوسع في الفقرة التالية :

> بالمثل ، ترى ، على عكس منظور بلنت Balint، ويتماشى أكثر مع تأكيد خبرتنا، علينا أن نبدأ من علاقة جذرية بين الذوات radical intersubjectivity، من قبول الذات قبولا تاما بواسطة الذات الأخرى. وابتداء من خبرة الراشد ، التي علينا أن نلتقطها على نحو استرجاعي ، تأجيل الفعل المؤجل *nachträglich*، من الخبرات التي يفترض أنها أصلية ، في تصنيف المشاكل التي تعرض لها ، وبدون ترك مجال ما بين الذوات على الإطلاق . وبقدر ما نبقى في سجل التحليل ، سنضطر إلى التسليم بعلاقة أصلية بين الذوات.(١٣٠)

يبدأ التحليل النفسي من علاقة أصلية بين الذوات ، ويعمل في إطارها دائما ؛ ومن ثم فهو يعمل **باتجاه الماضي** backwards، باتجاه الأوضاع السابقة ، حيث لا تقيم واقعيتها وأهميتها إلا على نحو استرجاعي . يعمل التحليل النفسي باتجاه الماضي–هذه العبارة تلخيص مبسط للأهمية التي يستنبطها لاكان من مفهوم **الفعل المؤجل** *Nachträglichkeit*، وعلى هذا المبدأ الأساسي البسيط يمكن من ثم بناء النقد الكامل للنزعة التطورية developmentalism، الواضح بصورة كبيرة في معظم التفكير التحليلي :

> دعنا نوضح أننا لا ننهمك في اقتفاء سلسلة متتابعة من مراحل التطور ولكننا

ننهمك بالأحرى في بالقبض على طريقة تنظيم بعض الأوضاع التي حدثت بالفعل من جديد على نحو استرجاعي.[١٣١]

في الحقيقة رأى لاكان أن التحليل النفسي كان، بعيدا عن كونه مثالا نموذجيا للتفكير التطوري، مميزا في تجنب التطورية :

... تكمن الأصالة الحقيقية للتحليل النفسي في حقيقة أنه لا يركز التطور السيكولوجي في مراحل مفترضة-مراحل ليس لها، بكل معنى الكلمة أساسٌ، يمكن اكتشافه في التطور البيولوجي الملحوظ.[١٣٢]

إن النتيجة الفارقة والتراجيدية التي توصل إليها التحليل النفسي هي أن 'التطور ينشط تماما بالحوادث، بعوائق البخت *tuché*"[١٣٣] وقد تبنّى لاكان في الرد على زميله، على إلحاح فرانسوا دولتو على ضرورة التفكير التطوري في التحليل، تبنى ما اعتبره على الأقل، بعد اكتشافه لمحور **الفعل المؤجل** *Nachträglich*، وضعا فرويديا أرثوذكسيا (يُرَى، مثلا، في الأسلوب الذي أعدّ به فرويد نقده لمفهوم رانك، ذلك المفهوم التطوري الابتداعي عن رَضّ الميلاد، في **الكف والعرض والقلق**.)

إن الخوف من الإخصاء يشبه خيطا يثقب كل مراحل التطور. إنه يوجّه العلاقات التي تسبق ظهوره الفعلي-الفطام، التدريب على الإخراج ... إلى آخره. إنه يبلور كل هذه اللحظات في جدل مركزه المصادفة الرديئة. وإذا كانت المراحل متناغمة، فإن ذلك يكون طبقا لتسجيلها المحتمل بلغة المصادفات الرديئة.[١٣٤]

وهكذا : يقدم مفهومُ الاسترجاع retroactivity، مفهومُ الفعلِ المؤجّل the *après coup*، إلى لاكان سلاحا مهمًا في نزاعه مع المحللين المعاصرين له بشأن طبيعة التفسيرات في التحليل النفسي ؛ ويمكن الكشف عن أن تطورية فرويد الظاهرية[١٣٥] تختفي وراء طريقة مميزة من طرق التفسير : تفسير يستدعي مفهوم اللحظات، أو حتى مفهوم العُقَد *knots*، كمفهوم يناظر 'التسجيل'، و'النسخ'، وبناء هذه اللحظات في 'القراءة' الاسترجاعية، من اللاحق إلى السابق.[١٣٧] وقد حاولتُ أن أحدد كيف يتشكل تطور مفهوم الرّضّ، من الفعل المؤخّر عند شاركو ومن مفهومه الحضناني للعلية الوظيفية، إلى الوضع الثابت الذي احتله الفعل المؤجل في

فكر فرويد، كيف يشكل أساس إعادة التكامل التي قام بها لاكان فيما بعد لمفهوم فرويد في تقديمه لزمنية التحليل النفسي . أولا ، يوجد مفهوم التغير المستمر عبر الزمن، تغير العملية . وليست هناك طريقة لإبقاء العملية مفهومة بدون الرجوع إلى غائية زائفة ، من حيث معيارية normativity تلك النظريات التحليلية التي تطرح نفسها كنظريات تطورية . ثانيا ، توجد المقولة التي ترى أن هذه التغيرات يمكن أن تُعرَف **مقدَّما** *in advance* ، وأنها قدرية (وهكذا نكتشف مرة أخرى نسخة معيارية من نسخ التحليل النفسي) .

إن التحليل النفسي يهتم **بالحوادث** *accidents*:[١٣٨] إن مجال عمله ، طبقا لرأي فرويد ، هو 'الطارئ المتضمن في اطِّراد القدر' ،[١٣٩] أعمال 'المصير الطارئ'،[١٤٠] أعمال '(المصير والفرصة) ولا يقتصر الأمر على أحدهما' .[١٤١] إذا ساوينا بين التطورية ودراسة التكوين ، إن كان تكويننا نفسيا ، تكون من ثم معادلة لاكان للتطورية ببساطة تكرارا للعملية التنظيمية البرجماتية التي عرف بها فرويد حدود المعرفة التحليلية :

> إذا ركزنا في عملنا التحليلي على التأثيرات الطارئة أكثر مما نركز على العوامل التكوينية ، فإننا نفعل ذلك ... لأننا نعرف من خبرتنا بعض الشيء عن السابق ، بينما لا نعرف إلا القليل عن اللاحق شأننا في ذلك شأن غير المحلِّلين.[١٤٢]

لنوجز الآن . لاشك في أن لاكان وجد في مفهوم **الفعل المؤجل** *Nachträglichkeit* سندا لكثير من آرائه الأساسية عن طبيعة العلية التحليلية،[١٤٣] طبقا للحدود الحقيقية للعمل التحليلي (من الراشد إلى الطفل ، وليس العكس) . إلا أنني أود أن أكرر : إن التعليقات الحقيقية على هذا المفهوم ضئيلة بصورة لا تتوقع . إن العَرْضَ الذي قدمته أمَّن بدون شك أساسا للاكان ؛ ولكن ماذا بنى عليه ؟ وما العلاقة بين المفاهيم التي ابتكرها فرويد عن زمن تكوين العَرَض ، وفكرة الزمن المنطقي ، الفكرة التي عزا لاكان لها كل تلك الأهمية ؟

أغامر بتقديم إجابتين على هذا السؤال . تتعلق الأولى بتاريخية التحليل ؛ وتتعلق الثانية بمناقشة الصدفة والحظ في **السيمينار الحادي عشر** للاكان . يبقي مفهوم

الفعل المؤجَّل *Nachträglichkeit* عند فرويد على وضع الماضي مَرِنًا بصورة خاصة . والدليل على ذلك يمكن أن يوجد في الوضع المتطرف الذي تم اقتباسه كثيرا ، ذلك الوَضع الذي تبناه فرويد في عام ١٨٩٩ ، في بحثه عن 'ذكريات الشاشة Screen memory'، بالنسبة لوضع الذاكرة ؛ وفي نهاية ذلك البحث يبدو فرويد وكأنه ينتقل بإتجاه وضع تكون فيه **كل** الذكريات ذكريات شاشة، شاشات ليس هناك معنى للنظر وراءها بحثًا عن الأثر 'الأصلي ، الأولي' :[١٤٤]

> ربما نتساءل في الواقع فيما إذا كنا نحتفظ بأية ذكريات على الإطلاق من طفولتنا : الذكريات المتعلقة بطفولتنا ربما تكون كل ما نملك .[١٤٥]

تقدم هذه المعرفة أوسع نطاق لرؤية التحليل النفسي ليس كمجرد محاولة لنسيان الماضي ،[١٤٦] ولكن أيضا كخداع للماضي إن لم يكن معالجةً له .إلا أن **الفعل المؤجل** *Nachträglichkeit* لا يتعلق فقط بالماضي ومرونته ، بتلاشيه ، كما قد نفهم من استعارة لاحقة من استعارات لاكان ؛ حيث تتضمن بنية المفاهيم الداخلية تمفصل **لحظتين** مع زمن التأخير (زمن الحضانة ؟ زمن الانتظار ؟) ، مما يسمح للحدث 'الأول' بالانزلاق متحررا من ميراث الأمان الذي سيتحرر منه الحدث 'الثاني' بالمثل (والعكس بالعكس) . وماذا إذا كان الحدث 'الثاني' لما يحدث بعد–ماذا إذا كان الحدث 'الثاني' حدثًا مستقبليا مفترضا ؟ وهو المشهد الذي يُستدعَى في إحدى الفقرات المشهورة من 'تقرير روما' :

> ليست المسألة مسألة الواقعية في التذكر التحليلي ، لكنها مسألة الحقيقة ، لأن تأثير الكلام التام هو الذي يعيد ترتيب مصادفات الماضي بأن يقدم لها معنى الضرورات لتأتي ، بحيث يشكلها القدر الضئيل من الحرية التي توجد خلالها .[١٤٧]

وهكذا يتحدد بوضوح تمفصل 'التاريخ' مع المستقبل كغاية للتحليل :

> يمكن أن يكون للتحليل غايةٌ وحيدة تتمثل في تقديم كلام حقيقي وإدراك الذات لتاريخها في علاقته بالمستقبل .[١٤٨]

إن إعادة تنظيم الماضي تمضي خطوةً خطوةً مع إعادة تنظيم المستقبل ، وسيعتمد تمفصلهما على وظيفة الإحالة ، حيث يذوب الماضي في الحاضر ؛ وهكذا يصبح

المستقبل (مرة أخرى) سؤالا مفتوحا ، بدلا من تحديده بتثبيت الماضي (المشهد الثاني، الحدث الأصلي ، الحدث 'الأول' في التمفصل المزدوج **للفعل المؤجل** *Nachträglichkeit*).[١٤٩]

إلا أن إعادة ترتيب الماضي والحاضر والمستقبل تثير أيضا أسئلةً أخرى بالنسبة لنظرية العملية التحليلية وإنتاج الأعراض . وهذه الأسئلة هي مرة أخرى الأسئلة التي تكشف تعليقاتُ لاكان على نصوص فرويد أنها القراءات الخصبة والمعقولة أكثر من سواها بالنسبة للمسار الذي اتَّبعه فرويد : علاقة الرض ومفهوم التكرار .[١٥٠] وبذلك نكون قد تتبعنا ببعض التفصيل مفهوم فرويد للرض . وبالعودة إلى مناقشات لاكان في السيمينار الحادي عشر ، نكتشف مزيدا من القِطَع في لغز الصور المقطوعة التي نضعها معا لاكتشاف تيمة الزمن : مفاهيم الفرصة واللحظة والعلية .

IV

حين أكون خزيًا من القدر وعيون الرجال

وحدي تماما أبكي وضعي المنبوذ ،

وأريك السماء الصماء بصرخاتي سدًى ،

وأنظر إلى نفسي ، وألعن مصيري ...

وليم شكسبير ، سونيت ٢٩

لا شيء أغبى من قدر الإنسان ؛ كل ما يعنيه أننا نُخدَع دائما .

جاك لاكان [١٥١]

هل مجرد الحظ العثر هو الذي قاد الولفمان ، وعمره عام ونصف ، ليستيقظ من غفوة الظهيرة ويبصر والديه وهما يمارسان الجنس ؟ بتوجيه الفكر التحليلي حول الحظ والفرصة والقدر والمصير مرة أخرى ،[١٥٢] يطلب منا لاكان أن نفهم هذه المسألة المشينة ؟ أولا ، ربما نسأل ، هل هي مسألة لا تختلف عن مسألة أن نسأل ما إذا كان مجرد الحظ العثر هو الذي قاد أوديب إلى قتل العجوز الذي قابله على قارعة الطريق ؟ نعرف أن **شيئا من قبيل** ذلك اللقاء مكتوبٌ ، وقد تنبأ به كاهن دِلْفي . ومن الممكن أن نردَّ على السؤال المتعلق 'بحظ' ولفمان برد مماثل : يمكن أن نعزو **ما هو مكتوب إلى** كاهن تكوينه–إلى ساديته الشرجية المفرطة أو كيفما كان الأمر .

ويمكن لنا أيضا أن نقحم الملاحظة التصحيحية : إن رؤية الولفمان لوالديه أثناء ممارسة الجنس لم يصبح **حدثا** إلا بعد أن ارتبط بشيء ما حدث بعد ذلك .[١٥٣] إن ارتباط 'حدثين' على الأقل معا هو ما يجعل رؤيته لوالديه وهما يمارسان الجنس حدثا رضيًا ، وبمجرد ارتباط هذين الحدثين معا يكون لدينا بنية ، شبكة في التحليل الأخير–شبكة من الدوال ، شبكة من السمات ، شخصية–الولفمان .[١٥٤] ويمكن أن نقول إن الولفمان ، بقدر ما هو ذات ، هو شبكة من الدوال التي تكوِّن علاقته الفريدة

بالواقع . لنأخذ مثالا دراميا لافتا للنظر ، مثالا يقبض على عدد كبير من تخيلات المفسرين لأنة عشوائي بدقة كبيرة ، وهو بالتالي يوضح هذه النقطة بأسلوب شفاف تماما :

ربما بدا لي أن أغرب حالة [عن بعض 'الظروف الطارئة' التي تساهم في 'اختيار الفتش] [*zufällige Umstände zur Auswahl des Fetisch*]'' هي الحالة التي مجد فيها شاب نوعا معينا من 'البريق على الأنف' في شرط فتشي مسبق . وكان التفسير المدهش أن المريض نشأ في دار حضانة إنجليزية وبعد ذلك قدم إلى ألمانيا ، حيث نسي لغته الأصلية بشكل يكاد يكون تاما . الفتش الذي نشأ في طفولته الأولى ، يجب أن يُفهَم بالإنجليزية ، وليس بالألمانية . إن 'The *Glanz auf der Nase*'' كان في الحقيقة '**بريقا** على الأنف glance [Blick] at the nose'.(١٥٥)

لم يصبح الشاب ، الشاب الإنجليزي ، على هذا الوضع إلا حين استعادت ذاكرته his *Muttersprache* [لغته الأم] وكينونته الجنسية ، حين مارست شبكة الدوال الإنجليزية فعاليتها بواسطة البريق shine/Glanz، حيث صار من الممكن له أن يعود إلى الخلف ويتذكر ما رآه . إن الحالة الفتشية ، الباب الذي يَفتح على المجال الجنسي، مجاله الجنسي ، هي شبكة الدوال التي يتردد صداها حول مصطلح 'Glanz auf der Nase' [بريق على الأنف] .

وهذه 'الحوادث accidents [*Zufallen*]'' هي زاد المحلِّل . وقد يظنُّ المرء ، بدون الخروج على المألوف ، أن هذا المثال نموذجي ، فيما يتعلق بالوظيفة كنموذج كوهيني [نسبة إلى كوهين Kuhn - المترجم] : إنه يكشف بوضوح هائل كيف أن عشوائية الدال ، تلك العشوائية التي تشكل كل اللغات الطبيعية هي بكل دقة حادثة يبحث عنها المحلِّل والمريض ويعثران علي عليها . وهذا المجال من مجالات العلِّية مجال مميز ؛ وهنا يكمن السبب في أننا لا نتوقع إجابة معقولة على السؤال : هل كان مجرد الحظ العثر هو الذي قاد الولفمان ، في منتصف العام الثاني من عمره ، ليستيقظ من غفوة الظهيرة ويبصر والديه وهما يمارسان الجنس ؟ إننا نعرف فورا أن تفسيرات

التحليل النفسي تفتقر إلى الشكل : إن الخبرة الرَّضِّية الناتجة عن رؤية المرء لوالديه في وضع جنسي وهو في منتصف السنة الثانية من العمر هي السبب في العصاب الذي عانى منه الطفل وهو في الرابعة من عمره . وقد يبدو مفهوم **الفعل المؤجل** *Nachträglichkeit* كمحاولة تحفظ على الأقل شكلا من أشكال التفسير العلِّيّ:فكرة أن حدثا سابقا يسبِّب حدثا تاليا . وحتى برغم ذلك فهو يتضمن ادعاء يحتوي على مفارقة ، ادعاء بأن الحدث السابق لا يكون سببا للحدث التالي إلا بعد أن يحدث الأخير . لا يمكن للمرء عند أية نقطة أن يضع شروطا **للشكل** : إذا وجد 'س' ، يوجد 'ص' بالتالي ، حيث تعتمد عملية عزل 'س' ووصفه اعتمادا كليا على عزل 'ص' من قبل ووصفه **وحدوثه** .

وحتى يتقدم لاكان خطوة أبعد من هذا الإدراك السلبي ، رجع إلى معالجة أرسطو للعلية ، في الفصلين الرابع والخامس من **الكتاب الثاني** من **الطبيعة** *Physics*، 'أوضح النظريات المفترضة عن وظيفة السبب على الإطلاق' .[١٥٦] والمصطلحان اللذان التقطهما من فصلي أرسطو ليسا من المصطلحات الشائعة في الأدبيات الحديثة عن العلية [١٥٧] البخت *tuché* واتفاقا *automaton* [طبقا لترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي للكلمتين في كتابه عن أرسطو–المترجم] . ويشير مترجم أرسطو إلى الإنجليزية في طبعة Loeb إلى المشاكل التي تنشأ عن ترجمة هذين المصطلحين ، وفي الفصل السادس يتركهما في الشكل اليوناني الأصلي ، ويقترح على القراء الإنجليز أن كلمة 'الحظ 'luck' أو 'النصيب 'fortune' ربما تكون أفضل مرادف لكلمة البخت tuché وأن كلمة 'الحادث accident'' أو 'نتيجة الصدفة 'chance result' ربما تكون أفضل مرادف لكلمة اتفاقا *automaton*.[١٥٨] وافترض لاكان بأسلوبه الذي لا يضاهى حلا أكثر شجاعة : إنه يرى في كلمة البخت tuché مرادفا لتعبير 'مواجهة الواقع 'encounter with the real' وفي كلمة اتفاقًا automaton مرادفا لتعبير 'شبكة من الدوال 'network of signifier'.[١٦٠] أو 'العودة إلى إلحاح العلامات' .[١٦١]

إن أرسطو يعتبر البخت tuché فرعا من الاتفاق automaton . ووحدها الكائنات التي قد تصيب وقد تخطئ ، 'سواء بمعنى "الوضع" أو "الفعل" ، يمكن أن

توصف بمصطلح البخت 'tuché'؛ ومن ثم :

> حين يؤدي أي عامل سببي صدفةً إلى نتيجة مهمة خارج غايته ، فإننا نعزوه إلى automaton [نتيجة الصدفة chance result] ؛ وفي الحالات الخاصة حين تنبع مثل هذه النتيجة من فعل دءوب (مع أن هذه النتيجة لم تكن هي الهدف) من ناحية قدرة على الاختيار ، يمكن أن نقول إنها تأتي by tuché [بالبخت] .(١٦٢)

تنبثق القوة والأهمية اللتين يعزوهما أرسطو إلى هاتين المقولتين من مسألتين منفصلتين . تتعلق الأولى بطبيعة العلية عموما :

> بالنسبة لبعض المسائل يعلن وجود [النصيب أو الحظ أو الحادث] أنها تحدث دون سبب ، لكن كل ما نتحدث عنه على هذا النحو ينتج في الحقيقة عن سبب محددٌ . مثلا ، إذا ذهب رجل إلى السوق وصادف هناك شخصا كانَ يتمنى أن يقابله لكنه لم يكن يتوقع أن يقابله هناك ، يكون سبب اللقاء أنه أراد أن يتسوق ؛ ويحدث هذا أيضا في كل الحالات التي ندعى أنها ترجع للصدفة ، حيث يوجد دائما سببٌ آخر يمكن العثور عليه ، إنه لم يكن في الواقع وليد البخت *tuché* بحال من الأحوال .(١٦٣)

ومن ثم يصبح هدف أرسطو هدفا لأولئك الفلاسفة ، خاصة الذريين atomists، الذي يعلنون أن لا شيء يحدث في حياة البشر بالصدفة ، إلا من كانوا على استعداد لأن ينسبوا أصول الكون ، أصول العوالم المنظمة إلى 'أحداث الصدفة [*automaton*]

> بالإضافة إلى طبيعة المفارقة المتأصلة في توكيد من هذا القبيل ، يمكن أن نلاحظ أننا لا نرى أبدا في حركة الأجرام السماوية ما يمكن أن ندعوه تنوعا سببيا أو طارئا ... بالإضافة إلى أن البعض ، يرون أن النصيب سبب أصيل في حدوث الأشياء ، ولكن المرء لديه شيء ما إلهي وخفي بالنسبة له ، يجعله غامض بالنسبة للعقل الإنساني .(١٦٤)

وتتعلق المسألة الثانية 'بقوة الحظ أو النصيب في التأثير على سعادة حياة الإنسان وروعتها' .(١٦٥) ويعتقد بعض الفلاسفة أن العيش الطيب يعني الحياة السعيدة–إن

الحظ أو النصيب هو 'العامل الحاسم الوحيد في تحقيق حياة من نوع معين' . ويرى آخرون أن 'الحظ ليس له أية قدرة في التأثير على طيبة حياة الإنسان' . ويجتاز أرسطو في **الأخلاق إلى أوذيموس** *the Eudemian ethics* طريقا وسطا بين هذين الطرفين . وتعتبر مناقشته للحظ والفرصة والنصيب جزءا من البحث الأخلاقي ، وليس من البحث الكوزمولوجي [الكوزمولوجيا :cosmology علم يبحث في أصل الكون وبنيته العامة وعناصره ونواميسه–المترجم ، عن المورد] أو الميتافيزيقي . وسوف يذكرنا إدراك القرابة بين التحليل النفسي وهذه المناقشات الأرسطية بأننا لا نستطيع إهمال حقيقة أن التحليل النفسي ابستمولوجي وأخلاقي في المفهوم الأصيل الذي قدمه عن الرض ونتائجه . ولم يستطع لاكان إهمال تلك الحقيقة .

ويقدم التحليل النفسي مغزيين واضحين فيما يتعلق بهاتين المسألتين . الأول ، يشبه الفهم الأرسطي ، ويتعلق بالأحداث التي يبدو أنها بلا سبب وبمسألة تورط النوايا والأغراض الإنسانية في هذه الأحداث . إن المبدأ المألوف عن الحتمية النفسية يمكن استيعابه ، في رأيي ، بنجاح تام وعلى نحو صحيح في النموذج الأرسطي عن العلية المحددة ، مدعومة من قبل 'القوى العلية العَرَضية' [١٦٦] التي ندعوها حظًا ؛ ويدرك أرسطو أننا لا يمكن أن نعزو هذه القوى إلا إلى الأفعال الغائية ، ويعرفها بأنها الأفعال التي 'يمكن إدراك نتيجتها كهدف متوقع يحدد طبيعة الفعل' .[١٦٧] وتشير هذه الافتراضات إلى أن المجال الذي نهتّم به في هذه الأفعال هو المجال الذي تعزى فيه القصدية إلى التفاوض ويتم التفاوض بشأنها أساسا بواسطة الاسترجاع . وهذا هو بكل دقة هدف المحلّل ، تحويل الأحداث عديمة المعنى إلى أفعال ذات معنى .[١٦٨]

والمنطقة الثانية هي أيضا تلك التي أدركناها في التحليل : في مجال 'الحادث' ، مجال الصدفة *automaton*، تتركز البؤرة دائما على القصدية ، على الفرصة ، وحيث أن الفرصة تتضمن القصد ، يتبع ذلك أن الحظ والقصد يتعلقان بمجال الموضوعات نفسها ' .[١٦٩] وأشجع الطرق للتعبير عن المقاربة التحليلية لهذا المجال ، مجال الحظ والقصد يمكن أن تكون على النحو التالي : يبحث التحليل عن تلك الغايات التي تحدد الحظ السعيد ، أو سوء الحظ ، أو الموضوع ، وقد تم إدراكها على هذا

النحو . والمثال الأوضح لهذا الإجراء هو الانعكاس التالي لمثال فرويد ، في سياق مثَّل بالنسبة له ولمصير أعماله أهمية هائلة – مناقشة التكرار ، وهي مناقشة جاءت مباشرة قبل 'تأملاته' في **وراء مبدأ اللذة** :

> إن ما يكشف عنه التحليل النفسي في ظاهرة الإحالة عند مرضى العصاب يمكن أن يوجد أيضا في حياة الناس الذين لا يعانون من العصاب . والانطباع الذي يقدمونه هو أن هناك مصيرا خبيثا يترصد خطاهم وقوة شيطانية تسيطر عليهم [*'verfolgenden Schicksals, eines dämonischen Zuges in ihrem Erleben'*]؛ لكن التحليل النفسي تبنَّى دائما الرأي القائل بأنهم يرتبون مصيرهم في معظمه [selbstbereit] ويتم تحديده بواسطة تأثيرات الطفولة المبكرة ... وهكذا صادفنا أناسا كانت لكل علاقاتهم البشرية النتيجة ذاتها : من قبيل المحسن الذي يتنكر له كل من **كفلهم برعايته** his *protégés* ، بصرف النظر عما قد يكون من اختلاف بين أحدهم والآخر ، ومن يبدو وكأنه محكوم عليه بتذوق مرارة نكران الجميل ؛ أو الرجل الذي يرفع شخصا آخر من وقت لآخر أثناء حياته إلى وضع عظيم الشأن يتميز بالسلطة الخاصة أو العامة ، ثم يعاني هو نفسه بعد فترة من تلك السلطة ويستبدل به شخصا آخر ؛ أو ، مرة أخرى ، المحب الذي تمر كل أمور حبه لامرأة بالمراحل نفسها وتنتهي بالنتيجة نفسها . وهذه 'العودة الأبدية إلى الشيء نفسه' لا تدهشنا كثيرا حين تتعلق بسلوك **نشط** ... وفي الحالات التي يبدو فيها أن الشخص يكتسب خبرة **سلبية** يكون الأمر أكثر إثارة للدهشة بكثير ، حيث يفتقر إلى أي تأثير على تلك الخبرة ، ولكنه يلاقي فيها التكرارَ القَدَريَّ نفسَه [*Schicksals*]. وهناك ، مثلا ، حالة المرأة التي تزوجت من ثلاثة أزواج أحدهم بعد الآخر وقد سقط كل منهم مريضا بعد ذلك مباشرة وكان عليها أن ترعاهم على أسرَّة الموت .(١٧٠)

كيف يمكن لنا أن نناقش هذه الفقرة الرائعة ؟ هل يجب علينا دعم ملاحظة ليدي برَنكنِل Branknell ونقول إن فقد أحد الأقارب يُعدُّ سوءَ حظٍّ ، وفقد اثنين يبدو وكأنه نوع من الإهمال ، وفقد ثلاثة يشير إلى وجود شيطان نشط ؟ وتقبض كلماتها بالتأكيد

على المعنى الذي 'صُدِمَ '[*stärker*] به فرويد بالخبرات السلبية التي 'تبدو '[scheint] مجرد خبرات سلبية ؛ إن فقد المرأة لزوجها يصبح أشبه بفقد شيء-مثلا، بفقد حقيبة اليد- أكثر مما قد يظن المرء في الظروف الطبيعية .

إلا أن الاستنتاج الذي توصل إليه فرويد ، استنتاج أن هناك شيئا وراء مبدأ اللذة ، له بنية غريبة . ويبدو وكأنه استنتج ، بعد فحص خبراته ، أن الذين لا يعانون من العصاب لهم أيضا غايات لا يدركونها ، لكن التأثير المتراكم لتكرار تلك الغايات يعادل وجودها في قبضة قوى شيطانية ، تقودهم إلى مصيرهم المكتوب . تصور فرويد ، في الرسالة المتعلقة بالبنية التي اقتبستُ منها الفقرة السابقة ، أن مجال عمليات التحليل النفسي هو 'الطارئ المتضمن في استمرارية القدر'، وأن أعمال 'المصير الطارئ' أعمال 'المصير والشيطاني والفرصة ، وليس هناك مجال للاختيار بينها' . وبهذا يكون الشيطاني قد أتى إلى المقدمة نتيجة الاهتمام بحياة من لا يعانون من العصاب ، ويبدو أن الطارئ قد تنحّى جانبا . إن الشيطاني يتمتع بكل قوة الضرورة . إلا أنه ، طبقا لرأي أرسطو وفرويد ، يمكن أن نستنتج هنا أن الشيطاني جزء من مجال الطارئ ؛ إن المسألة ليست مسألة الاختيار بينهما .

ومن ثم ، أين يكمن الطارئ في هذا النموذج من نماذج التكرار الأعمى ؟ ونردُّ فورا بأن الطارئ لا يوجد سوى في الحادث **الأصلي** ، لحظة الإخفاق الأصلي ، الذي تُعَدُّ كل الإخفاقات التالية بحيث تكرره ، التكران الأصلي للجميل الذي يمارسه الجاحدون في نبش القبور. ونعود إلى السؤال الأصلي : هل كل هذه الزيجات الفاشلة ، تلك العلاقات التي تنتهي نهاية مريرة ترجع إلى 'سوء الحظ' في الخبرة الأصلية ، التي بقيت تافهة كما كانت ؟

كنتُ أتتبع خط التفكير الذي رسمْه لنا إشاراتُ لاكان . ويمكننا الآن إعادة ربط صفحات النص القصير ، في **أربعة مفاهيم أساسية في التحليل النفسي** . الصفحات التي تمضي بالمناقشة إلى مجال آخر .

ترجمنا كلمة tuché [البخت] بتعبير المواجهة مع الواقع . والوا[illegible] الاتفاق automaton، والعودة ، والرجوع ، وإلحاح العلاقات ، وبه نرى [illegible] مبدأ اللذة

يحكمنا . إن الواقع هو ذلك الذي يقع دائما خلف الاتفاق ، ومن الواضح تماما ، من خلال بحث فرويد ، أن هذا هو الموضوع الذي يهتم به .(١٧١)

إلا أنه لا يمكن لنا أن نقدم مباشرة على هذا البحث عن الواقع ؛ وإذا كان الأمر كذلك ، إذا أصبح البحثُ عن الواقع الرغبةَ الملحة للمحلِّل ، كما كان الحال بالنسبة لفرويد والولفمان ، فقد تكون النتائج مرعبة-يظن لاكان أن الولفمان ربما 'كيَّف الحادث المتأخر مع ذهانه' .(١٧٢) وهذا الواقع ، هذه الغاية terminus ad quem من وراء التكرار الذي قد يراه المحلل يتراجع إلى لحظة ترقيم ، هو دائما واقع مستور . لكن واقع التحليل ، الواقع الإمبيريقي يترك على الأقل شيئا مؤكَّدا فيما يتعلق بهذا الواقع :

> إن ما يتكرر هو ، في الحقيقة ، شيء يحدث دائما-ويحدثنا التعبير بما فيه الكفاية عن علاقته **بالبخت** *tuché* - **كما لو كان صدفةً** ... إن وظيفة **البخت** ، وظيفة الواقع كمواجهة-المواجهة بقدر ما يمكن أن تُفقَد ، بقدر ما تكون مواجهة مفقودة أساسا-ظهرت أول مرة في التحليل النفسي في صورة كانت كافية في حد ذاتها لشد انتباهنا ، أعني صورة الرَّضِّ ... ألم يكن واضحا أن الواقع ، في أصول الخبرة التحليلية ، يجب أن يظهر في صورة ما لا يمكن استيعابه فيه-في صورة الرَّضِّ ، محددة كل ما سوف يأتي ، وفارضة عليه ما يبدو أنه أصل طارئ ؟ (١٧٣)

لدينا هنا ، في هذه الفقرة تأملات لاكان الموازية لاستكشافات فرويد في وراء مبدأ اللذة . ولكن هل تأخذنا إلى أبعد مما أخذتنا إشارات فرويد ، الإشارات التي تعادلها في الغموض ؟ في مجال التحليل النفسي ، مجال 'الغائية اللاشعورية للطبيعة' كما نجدها عند أرسطو ،(١٧٤) مجال الاتفاق *automaton* ، وكما نجدها عند فرويد-في هذا المجال نبحث عن حدث يعمل ، عَرَضيًا ، كحظ سيئ (أو كحظ سعيد-ولكن هل جاءت الأحداث السعيدة بصاحبها في أي وقت إلى أريكة المحلل النفسي ؟ **بعد الحدث** ، يشير فرويد ولاكان كلاهما إلى حقيقة أن التحليل النفسي يتناول الأحداث التي تتجاوز عِلِّيَّة العلوم ، الأرسطية أو البيولوجية الجزيئية (١٧٥) أو سواها : وراء الفرصة والضرورة ، يوجد الحظ والحادث . يشق لاكان طريقه بين مفاهيم التحليل النفسي عن

الواقع والتكرار ، إن المصير الطارئ ، أو المصير والفرصة ، يتناقض مع التكوين البيولوجي (يُتصوَّر كقالب template محدَّد ، يقع تحت كشف الخبرة البيولوجية) ، ويقود فرويد إلى مفهومه عن وراء مبدأ اللذة المرتبط ارتباطا شديدا بمبدأ التكرار ، وكل ما يستطيع أن يفعله فرويد ، كما يبين دريدا ، هو **تكرار** إيماءة التجاوز.[١٧٦]

إن التكرار هو المفهوم الأساسي في التحليل النفسي الذي يفحصه لاكان في الفقرات التي تأملناها . ويلح على أن المحللين تُغشَى أبصارهم بالمجال شديد الخصوصية، المجال الذي يواجهون فيه التكرار يوميا : الإحالة . وهم على استعداد تام لاعتبار الإحالة والتكرار شيئا واحدا ، وعلى استعداد تام لرؤية **أنفسهم** الطرف النهائي في سلسلة التكرار التي يمثل التكرار طرفها الأول . إلا أن وجود الإحالة ، يواصل لاكان، لا يفوق وجود أية علامة أخرى-'ألا تُقدِّم لنا الإحالة باعتبارها صورة شخص وباعتبارها على علاقة بالغياب ؟'[١٧٧] إن تأكيد الإحالة على حساب التذكر، على أساس أن الذاكرة لا تصنع حضورا أبدا ، بينما تكون الإحالة ، بالتعريف ، حاضرةً ، سوف يضللنا ، حيث أن النقطة الحقيقية لالتقاء الرُّضِّ والإحالة توجد في مفهوم المواجهة المفقودة :

> حيث أن ما يكون لدينا في اكتشاف التحليل النفسي هو مواجهة أساسية-موعد نُدعَى إليه دائما مع واقع يراوغنا .[١٧٨]

وهنا ربما نجد صدى لما جلبه لاكان معه إلى التحليل النفسي منذ البداية : ميراثه السُّريالي . أليست المواجهة الأساسية ، الموعد مع الواقع ، صورة تعود إلى المظلة وآلة الخياطة على طاولة الفحص ، وهي صورة كان السرياليون مولعين بها ولعا شديدا-كانوا مولعين بها نتيجة لحركتها الذاتية ، وهي الخاصية التي تبدو عشوائية وتقدم لنا وسيلة للوصول إلى الجميل الذي يبعث النشوة في نفوسنا ؟[١٧٩]

يتجنب لاكان قراءة الخبرة التحليلية التي قد توحي بأن الإحالة خبرة انفعالية تصحيحية ، مواجهة يمكن فيها تحسين المواجهة الأصلية المفقودة ، التي يمكن حفظ الموعد فيها . ومع ذلك ، وكما يمكن أن نلاحظ في الجمل الاعتراضية-أسس لاكان ممارسته ، ممارسته في جلسات مختلفة الطول ، على أساس فكرة أن **الموعد** لا يمكن

أن يتشكل على نموذج اليوميات المنظمة تنظيما جيدا (كما في الممارسات الاستحواذية للمحللين الأرثوذكسيين ، أو حتى إتاحة الأم رمزيا بالنسبة للمحلل الفينيكوتي Winnicöttian [نسبة إلى فينيكوت-المترجم] ، التي توجد ، وتبقى ، وهي مصدر **الثقة**) [١٨٠]. لا يمكن أبدا تجسيد الواقع في المحلل ، في وظيفة المحلل ، بالتماثل مع الحلم ، باعتباره أثرا من آثار النهار . وحتى يؤكد لاكان ذلك بأقصى قوة بلاغية ، تحوّل حقًّا إلى الحلم : بحثا عن الواقع ، في الخبرة يتم التسليم طبقا لما هو متعارف عليه بأنها تقدم الحد الذي يحدد الواقع ، وأيضا ليقارع نزوعا رآه في التحليل النفسي ليعالج 'الخبرة الذاتية' للذات كما لو كانت حلما بكل معنى الكلمة ، فكرة أن **الحياة حلم**.

V

بعد الموت الأول ، لا يوجد موت آخر .

ديلان توماس ، 'في رفض رثاء

طفل مات حرقا في لندن'

أنا ، أيضا ، رأيتُ بعينيَّ ، اللتين تفتحتا بنبوءة الأم ، الطفل ، وصُدِمتُ بحقيقة أنني كنتُ أمضي بعيدا بالرغم من الاستغاثة الواضحة في نبرات صوته قبل الأوان ، ومنذ ذلك الوقت تجدد الكثير لعدة شهور ذات مرة-بعد ذلك بكثير ، ملتقطا هذا الطفل ، رأيته واضعا رأسه على كتفي وغارقا في النوم ، والنوم وحده قادر على إعطائه منفذا إلى الدال الحي الذي صرته منذ تاريخ الرض .

جاك لاكان (١٨١)

لا حاجة بنا إلى أن نبرر هنا اقتباس الفقرة التالية ، وهي فقرة مبهمة ، وقد اقتبست كثيرا ويستهلُّ بها فرويد الفصل الأخير من **تفسير الأحلام** :

من بين الأحلام التي ذكرها لي أناس آخرون ، يوجد حلم يشدُّ انتباهنا عند هذه النقطة . وهو حلم سمعته من سيدة مريضة وقد سمعته بدورها في محاضرة عن الأحلام : مازال مصدره الأصلي مجهولا بالنسبة لي . ومهما يكن فقد أثر محتواه على السيدة ووصل بها الأمر إلى أن 'عاودها في الحلم' ، أي أن بعض عناصره تكررت في حلم حلمته هي ، وهكذا ، ربما كانت تعبِّر ، بحمله على عاتقها بهذه الطريقة ، عن اتفاقها معه في نقطة محددة .

جاءت بوادر هذا الحلم النموذجي على النحو التالي : كان أبٌ يجلس بجوار سرير طفله المريض نهارا وليلا حتى النهاية . وبعد موت الطفل ، مضى إلى الحجرة المجاورة لينام ، وترك الباب مفتوحا بحيث يرى من غرفة نومه الغرفةَ التي يُسجَّى فيها جثمان طفله ، والشموع الطويلة من حوله . وقد جلس رجل عجوز بجوار الجثمان ليشرف عليه وكان يتمتم ببعض الصلوات . وبعد ساعات من النوم ، حلم الأب بأن

طفله يقف بجوار سريره، ويمسك بذراعه ويهمس في أذنه مؤنبًا إياه : أبي ، ألا ترى أني أحترق ؟ هبَّ من نومه، ولاحظ وجود وميض ضوء ساطع يأتي من الغرفة المجاورة ، وجرى مسرعا إلى الغرفة حيث كان العجوز الذي يسهر على رعاية الجثمان غارقا في النوم ووجد اللفائف وإحدى ذراعي جثمان طفله المحبوب محروقة بلهب شمعة مشتعلة سقطت فوقها .(١٨٢)

وتأتي تعليقات فرويد على هذا 'الحلم السينمائي' مبهمة بصورة مؤكدة . وبدون تردد ، يقر بأننا هنا 'أمام حلم لا يمثل أية مشكلة في التحليل ، إن معناه واضح ، ولكنه ، كما نرى ، يحافظ على السمات الأساسية التي تميز الأحلام تمييزا واضحا عن حياة اليقظة ومن ثم تستدعي التفسير'.(١٨٣) إنه حلم لا يقاوم التفسير ؛ إن **غموضه** ليس وليد الافتقار إلى **الفهم** .

واشتهر أيضا تعليق لاكان على هذا الحلم ، ليس لأنه يمضي باحثا عن مصادر القوة المبهمة في الحلم–الإبهام الذي قدمه فرويد ، على نحو صحيح ، ولكنه في الوقت ذاته ، بدا ، بصورة غامضة ، مصمما على تركه على حاله . يشير فرويد إلى أن مصدر قوة الحلم يكمن في إطالته لحياة الطفل ؛ بعد أن مات(١٨٤) :

> إذا استيقظ الأب أولا وبعد ذلك توصل إلى الاستنتاج الذي قاده إلى الغرفة المجاورة ، فإنه كان ، إذا جاز التعبير ، سيقصر من حياة طفله بتلك اللحظة من الزمن [*Moment*](١٨٥) .

إن أمنية الأب في أن يكون الطفل لا يزال على قيد الحياة ، قد تبدو ، وكأنها **تحققت** وأشبعت بهذا الحلم–تمتد حياة الطفل لحظة بتصوره وهو يقول تلك الكلمات التكهنية المرعبة ، بجوار سرير الأب . تنتصر الرغبة على 'حقيقة' موت الطفل ؛ ينجح الحلم لحظة .

يرى لاكان ، ببعض التحفظ ، هذا الحلم باعتباره يقدم أطروحة فرويد بأن الحلم تحقيق لرغبة تعاني من بعض الصعوبات . ويؤكد ، بدلا من ذلك ، على أن 'ما نراه ينبثق هنا ، للمرة الأولى تقريبا ، في **تفسير الأحلام** ، هو وظيفة الحلم ، وظيفة يبدو أنها ثانوية–في هذه الحالة ، لا يشبع الحلم سوى الاحتياج إلى نوم طويل'.(١٨٦) إنه

صحيح حقا : ما يبرهن عليه فرويد هو أن هذا الحلم يؤدي وظيفتين في الوقت نفسه : يطيل النوم ويطيل حـيـاة الطفل . **في النوم ، الطفل حي** . أم هل يمكن أن نقـول بالأحرى : **في الحلم ، الطفل حي** ؟.

إلا أن لاكان ليس متأكدا بدرجة تأكد فرويد من أن الحلم إطالة . هل يمكن أن نفترض أن الطفل حي في الحلم–حتى لو كان يتكلم ؟[١٨٧] إن كلماته ، رغم كل شيء ، كالجحيم الحي بالنسبة للأب ؛ إنها كلمات تكهنية إلى درجة تجعلنا نفهم أنها لا تصدر إلا عن شخص ميت ؛ إنها كلمات تشبه الصرخة التي أطلقها فِلْدمار M. Valde-marوهو تحت التنويم 'إني ميت' [١٨٨]–إن هذه الكلمات جحيم حي بالنسبة لأي شخص ، مثلنا ، يسمح لأذنيه أن تحترقا به .

> **أبي ، ألا تستطيع أن ترى أني أحترق** ؟ إن هذه الجملة في حد ذاتها جمرة–إنها في حد ذاتها تجلب النار أينما حلت–ولا يمكن لنا أن نرى ما يحترق ، لأن اللهب يغشي أبصارنا عن حقيقة أن النار تتواءم مع the *Unterlegt* ، مع the *Untertragen* [الغشاء ، ما يكمن تحت ، ما يمسك تحت] مع الواقع.[١٨٩]

يخرج لاكان ، شأنه في ذلك شأن فرويد ، عن طريقه ليؤكد أن هذه الكلمات–'أبي ألا تستطيع أنْ ترى أني أحترق'–'تفصَل إلى الأبد عن الطفل الميت' ؛[١٩٠] ويخرج عن طريقه أيضا ليخمِّن أن ما يوقظ الأب ليس 'الحادث' الذي يجري في الواقع ، نوم الرجل الذي يرعى جثمان الطفل وسقوط وميض الضوء الساطع عبر الباب المفتوح على عيني الرجل النائم' ،[١٩١] لكنه الواقع في الحلم :

> إذا كانت وظيفة الحلم هي إطالة النوم ، وإذا كان الحلم ، رغم كل شيء ، قد يأتي قريب الشبه للغاية من الواقع الذي يتسبب فيه ، ألا نستطيع القول إنه قد يناظر هذا الواقع ، أو يرد عليه [il pourrait être répondu] بدون الخروج من النوم ؟– رغم ذلك ، يوجد شيء من قبيل النشاط السيرنامي somnambu listic activity . والسؤال الذي يثار وهو في الحقيقة كل ما تسمح لنا إيماءات فرويد المبكرة بطرحه ، هو–**ما الذي يوقظ النائم** [Qu'est-ce qui réveille]؟ ألا يوجد ، في الحلم ، واقع آخر؟–الواقع الذي يصفه فرويد–*Dass das Kind*

إن الطفل يقف بجوار سريره ،an seinem Bette steht ، ihn am Arme يمسكه بذراعه ، ويهمس في أذنه مؤنبا ، ;fasst und ihm vorwurfsvoll zu- أبي ، ألا تستطيع أن ترى ، raunt: Vater, siehst du denn nicht ، dass إنني أحترق ؟[١٩٢] ، ?ich verbrenne

هذا هو السؤال ، السؤال–ما واقع الحلم ؟–بالتوجه إليه يفهم لاكان هذا الحلم الذي يدفعنا إلى الأمام . ومن المؤكد أننا سنضل الطريق إذا كنا نظن أن واقع الحلم هو بصيص الضوء الساقط على وجه الرجل النائم . وسنضل أيضا إذا كنا نظن أن واقع الحلم هو تذكر مناسبة نطق فيها الطفل بالكلمات : 'أبي ، ألا تستطيع أن ترى...؟'، وهو ما تدفعنا إشارات فرويد إلى الاعتقاد فيه .[١٩٣] وليس واقع الحلم هو الرغبة الغامرة في أن يكون الطفل على قيد الحياة–إطالة حياة الطفل لحظة . يبحث لاكان وراء هذه الترشيحات المحتملة لواقع الحلم المفزع ، مفتشا عن المواجهة المفقودة ، عن الواقع المفقود . في الحلم ، الواقع المفقود هو سبب موت الطفل . إنه لا يبحث عن السبب الفيزيقي ، ولكنه يبحث عن شيء من قبيل السبب الكوني ، عن معنى موت الطفل – **بخته** *its tuché*.

ربما يتساءل المرء ، أليس الحلم أساسا عملية إذعان للواقع المفقود–الواقع الذي لم يعد قادرا على إنتاج نفسه إلا بتكرار نفسه بدون نهاية ، في نهاية لا تبلغ اليقظة أبدا ؟ ما نواجهه قد يكون هناك منذ ذلك الوقت مع ذلك الكائن الخامل دائما–حتى حين تحاصره النيران–حتى لو كانت الموجهة تحدث تماما حين تقابله النيران ، نتيجة لحادث ، يبدو وكأنه وقع صدفة؟ أين الواقع في هذا الحادث ؟–إن لم يكن ذلك الذي يكرر شيئا ، شيئا هو في النهاية أكثر موتا ، **بواسطة** الواقع ، واقع مازال الشخص المكلف فيه برعاية الجثمان نائما ، حتى حين دخل الأب من جديد بعد أن استيقظ .[١٩٤]

يطور لاكان جدلية الحلم والواقع وربما يلعب معها . الواقع هو ما يوقظنا من الحلم . لكن الحلم الفرويدي–وليس حلم الفيلسوف ، الحلم الذي هو عالم الأوهام–يتضمن الواقع الذي يوقظ الإنسان . والواقع ليس هو الواقع اليومي ، لكنه

الواقع الذي يحدد الرَّضّ ، ولا يوجد فيه أبدا . وما الرَّضُّ هنا ؟ إنه شيء بشع بصورة تفوق الوصف ، حريق ، لهب لا يمكن إطفاؤه أبدا :

> هل الواقع هو الذي يحدد اليقظة ، الضوضاء البسيطة التي تحفظ امبراطورية الحلم والرغبة ؟ أليس شيئا آخر ؟ أليس ما يتم التعبير عنه في أعماق القلق الكامن في هذا الحلم-أعني الجوانب الأكثر حميمية في العلاقة بين الأب والابن ، التي تنبثق بالقدْر نفسه في ذلك الموت وفي الحقيقة التي وراءه ، في معنى القَدَر ؟(١٩٥)

مرة أخرى ، يبدو الواقع في هيئة القَدَر ، بالضبط وكأننا نطرح السؤال على النحو التالي : هل سوء حظ الولفمان – 'مصيره الطارئ'-هو الذي أيقظه ليرى مضاجعة والديه بعد ظهيرة يوم حار من أيام الصيف ؟

> بين ما يحدث وكأنه يحدث صدفة ، والكل نيام-الشمعة التي تنقلب والملاءات التي تمسك بها النيران ، الحدث الذي يفتقر إلى المعنى ، الحادث ، قطعة من سوء الحظ-وعنصر الاتقاد ، مهما يكن محجوبا ، في الكلمات أبي ، ألا تستطيع أن ترى أني أحترق ؟-توجد العلاقة نفسها فيما نصادفه في التكرار . وهو ، بالنسبة لنا ، ما يمثله مصطلح عصاب القَدَر أو عصاب الفشل . المفقود ليس التكيف ، لكنه البخت *tuché* ، المواجهة ... الوجه المسيَّج للعلاقة بين الحادث ، ما يتكرر ، والمعنى المحجوب ، وهو الواقع الحقيقي الذي يقودنا إلى الدافع ، ويؤكد لنا أن فك لغز تلك الحيلة في العلاج المعروف باسم الإحالة لا يتناسب مع اختزاله إلى ما يسمَّى حقيقة الموقف ... ومن الضروري أن نضع هذا التكرار قبل أي شيء في الشقِّ الحقيقي الذي يحدث في الذات فيما يتعلق بالمواجهة . وهذا الشق يشكل البعد المميز للاكتشاف التحليلي والخبرة التحليلية ، إنه يمكِّننا من فهم الواقع ، في تأثيراته الجدلية، كشيء لا يُقبَل أصلا .(١٩٦)

ما يعمل لاكان باتجاهه ، ما أسعى إلى أن نسير باتجاهه ، هو التمفصل المتبادل لبعدي الزمنية المتعلقة بالتحليل النفسي : زمنية التكرار ، من ناحية ، مع علاقتها الحميمة بالإحالة ، بالواقع ، وبالفكرة الأصلية للرض ؛ ومن الناحية الأخرى ، زمنية الزمن المنطقي ، لحظة الرؤية ، الزمن اللازم للفهم ، ولحظة الاستنتاج . وربما كان

الفعل هو ما يوحِّد كل ذلك في النهاية . إن الإحالة، رغم كل شيء ، هي تشريع واقع اللاشعوري ، الفعل هو ما يفرض التكرار على المحلل-وهو أيضا الوسيلة التي يمكن أن تصل بها إلى ما وراء التكرار . تتطلب سفسطة الزمن المنطقي عند لاكان من الشخص أن يساهم بيقينه في الفعل ، وهذا هو البعد الذي ينظم ممارسة الجلسات مختلفة الطول ، لاغيا الزمن اللازم للفهم لحساب لحظات الاستنتاج . ما يُشرَّع هو ، بالطبع ، تكرار . إلا أن هذا الطريق هو طريق التقدم الوحيد في التحليل النفسي ، تقدم في عصاب الإحالة، تقدم باتجاه الواقع الذي يتم تجنبه دائما .

ربما توجد حقا أشكال زمنية أخرى يتمفصل معها التحليل . من يصاب بالدهشة من مواجهة الإيقاع الأبوقراطي Hippocratic للعلة والأزمة والشفاء،(١٩٧) أو الإيقاعات الموسمية: إيقاعات النمو والنضج والتحلل والتعقيم ؟ إلا أن لاكان اختار أن ينظم اهتماماته بالزمنية حول الترقيم -the punctuality بكل معانيه-الذي قدمه فرويد في النظرية التحليلية والممارسة التحليلية : فكرة اللحظة الرضية ، المواجهة المفقودة ، كأفقٍ لعمل المحلِّل والمحلَّل ، اللحظة التي لا تتبلوَر إلا بالاسترجاع ، وتحمل دلالة كل من المصيري (القَدَر) والعَرَضي في إيقاع التكرار ، إيقاع الإعادة . وقد تساوى إيقاع الزمن المنطقي ، إيقاع اللحظة التي تستهل فترة الانتظار ، إيقاع التردد، إيقاع التأخير ، الإيقاعُ الذي يُغلق بالتسرع واليقين ، تساوى مع المخطط الفرويدي. وجعل أيضا الابتكار العملي ممكنا ، مجازفا بكسر الطريق المسدودة لنسق طقسي وحيد باندماجه في نسق آخر ، طريق مسدودة تمنع الطرفين من المواجهة اليومية المفقودة والمتوقعة تماما ، 'صحارى الأبدية المترامية الأطراف' في التحليل اللامتناهي . وقد ذكَّر لاكان المحللين بقوةٍ، بابتكاره العملي ، بأن التفسير فعل ، وأن بداية الجلسة ونهايتها بمثابة عملية ترقيم لخطاب الذات ، وأن لكل ما يفعله المحلِّل والذات ولكل ما يقولانه دلالةً تحليلية . وفي النهاية ، ربما يقومان بأسوأ من وصولهما إلى الباب بأسباب الاستنتاج ذاتها .

هوامش الفصل السادس

قدمت نسخة مبكرة من هذا الفصل ، بعنوان 'الحيرة والتردد : عن زمنية اللاشعوري -Hob bling and hesitating: on temporality of the unconscious'، في مارس من عام ١٩٧٩ إلى سيمينار في العلوم الاجتماعية والسياسية ، جامعة كمبردج ، وهو السيمينار الذي أشرف على تنظيمه أنتوني جيدنز Anthony Giddes. وأود أن أشكره هو وجون ثومبسون John Thompson على تعليقاتهما ، وأود أن أشكر مالكولم بووي على تعليقاته على المسودات الأخيرة ، وأن أشكر مارك كُزنز Mark Cousins.

١-لاكان ، السيمينار الحادي عشر ٧٦/٩٦-٧٠ .

٢- فرويد ، *The queestion of lay analysis* (1926e), SE XX 220.

٣-راجع ،

Winnicott, Maturational processes and the facilitating environmemnt, p.122.

٤-دريدا ، 'فرويد ومشهد الكتابة' ، ص ٩٦- ٩٧,

٥-السيمينار الحادي عشر ٣٢/٣٣ .

٦- راجع ، Allouch, 'Enfants du parladit' p.122: 'لا توجد نظرية للترقيم (هناك فقط بعض القواعد الإمبيريقية ، وهي ، مع ذلك ، قابلة للمناقشة ، ومشكوك فيها) وتوجد نظرية للقراءة بالكاد ...'

٧-راجع ، Roudinesco, *La Bataille de cent ans*, vol2. p.428، .

٨-بالرغم من وجود عدد لا يُحصى من الحكايات التي يمكن أن تُحكى أو التي حكيت بالفعل عن عدد كبير من المحللين ، حكايات توضح سلوكهم الشاذ غير التقليدي إلا أن هذه الحكايات ليست قضيتي هنا ...

٩- راجع ، Roudinesco, *La Bataille de cent ans*, vol 2. p.428 .

١٠ - من الواضح أن مسألة الموعد كما نوقشت في الفصل الخامس ، '... شبه الماضي تماما' ، تتناول نفس القضايا المطروحة هنا . ويجب هذين الفصلين بالتوازي ، وربما يكون علينا قراءتهما في وقت واحد .

١١- ويشتمل الأمر على موافقة ضمنية بين المريض والمؤسسة ، بافتراض أن الرابطة الدولية للتحليل النفسي اضطرت ، في ردها على لاكان ، إلى تقديم الشرط بأنه لا يجوز إلا لمن يلتزمون التزاما صارما بالجلسات محددة المدة أن يعتبروا أنفسهم محللين نفسيين .

١٢-'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' ، كتابات ٢٤٤/٣٧ .

١٣-إنها التيمة التي تغلب على البحث الذي قدمه عام ١٩٣٨ عن الأسرة ؛ على سبيل المثال :

'Notre expérience nous porte à désigner la détermination principale [de la grande névrose contemporaine] dans la personnalité du père, toujours carente en quelque façon, absente, humiliée, divisée ou postiche' (La Famille 8 . 40 . 16 ،Les Complexes familiaux, p.73).

١٤-في الفقرة التي يختارها ستراتشي كفقرة تبشر بالمناقشة التي تتلوها ، **في الكف والعرض والقلق**، عن هذه الآلية الدفاعية المميزة للتفكير الاستحواذي ، يشير فرويد إلى تحويل الرتمان لمخاوفه الاستحواذية إلى العالم التالي كما صُمم-برغم أنف الواقع ، وإذعانا للرغبة التي اتضحت في تخيلات من كل نوع-ليلغي حقيقة موت أبيه' (1909d), SE X 235-6)

١٥-الكف والعرض والقلق ، SE XX 119 .

١٦-المصدر السابق ، SE XX 120 .

١٧-'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' ، كتابات ٩٩/٣١٤ - ١٠٠ .

١٨-المصدر السابق .

١٩-المصدر السابق .

٢٠-المصدر السابق.

٢١-المصدر السابق . واصل لاكان : 'مع ذلك ، لستُ هنا لأدافع عن هذا الإجراء ، ولكن لأبين أن له معنى جدليا دقيقا في تطبيقه التقني.

'ولستُ الوحيد الذي لاحظ أنه يصبح في النهاية إجراء مع التقنية المعروفة باسم Zen، وهي تقنية تُستخدَم كوسيلة للكشف عن الذات في التنسك التقليدي في بعض مدارس الشرق الأقصى '.

قضى لاكان بعض الوقت أثناء الحرب العالمية الثانية في تعلم اللغة الصينية وحصل على دبلوم من مدرسة اللغات الشرقية في باريس .

٢٢-يمكن للمرء أن يتأمل في التناقض الذي يتعلق بعمل الاستحواذي الذي وضحه لاكان ('ازدراؤه' للمحللين ، إدراكه 'المطلب العاطفي' للاستحواذي) بواسطة الإجراء التقني الذي سمعتُ من يؤيده ، في وقت متأخر من الليل ، على مائدة الشراب ، سمعت محلّلا لاكانيا 'أرثوذكسيا' يوصي بأن تلك الموضوعات التي يتركها المرضى نتيجة النسيان في غرف الانتظار في عيادات محلليهم يجب إلقاؤها في سلة المهملات (poubelle á la) .

٢٣-'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' ، **كتابات** ١٠٠/٣١٥ .

٢٤-المصدر السابق ، **كتابات** ٩٥/٣١٠ .

٢٥-راجع ، Bataille D'une pratique', p. 30', .

٢٦- يمكن للمرء أن يسمع أيضا نقدا لاكانيا لهذه الممارسة اللاكانية : لماذا هذا التكتم ؟ لماذا هذا الارتباك مع الكلمة ، مع الكلام ، حين يمكن للمرء أن يزعم بحقٍّ أن المحلّل هو بدقة يعتمد وجوده الحقيقي على قدرته على العثور على الكلمة المناسبة ؟-مع أن عليه أن يتأكد من أنها في الوقت المناسب . ولكن إذا لم يكن المحلل مستريحا في فن المحادثة ، فهل يكون من المؤكد أن شيئا انحرف انحرافا أساسيا عن الطريق القويم ؟

٢٧ – في الواقع ، يمكن أن نطرح هذا السؤال في عدد من النقط في هذه المناقشة ، خاصة حين أعود إلى مناقشة المفهوم الفرويدي للفعل المؤجل-هل هو حقا أحد المفاهيم التحليلية التي جعلت العلاقة بين دريدا والتحليل النفسي علاقة حميمة ومتضافرة إلى هذه الدرجة ؟ أليس تمازج الفضاء والفراغ والزمن ، تمازج التأخير والتأجيل ، الذي يبلوره مصطلح -différ ance، وهو ما يتأسس عليه هذا الفصل ، أليس هذا التمازج مصدرا كبيرا من مصادر الحدس ، التي يلتقي عندها تفكير دريدا مع التحليل النفسي في الأعماق ؟

٢٨ – 'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' كتابات ٢٥٢/٤٤ .

٢٩ – خاصة تلك التي قدمها له كارل إبرهام ، محاوره الرئيسي في هذا الموضوع .

٣٠ -الأنا والهو SE XIX 85 ,(1932 b) . وانظر أيضا الكف والعَرَض والقلق SE ,(1926 d)

(XX 30-129) : 'لا يبدو أن اللاشعوري يقدم أي محتوى لمفهومنا عن انتهاء الحياة ... لا يمكن أبدا إدراك شيء يشبه الموت ؛ وإذا حدث ، كما في حالة الإغماء ، فإنه لا يترك أي أثر ملحوظ وراءه' . يكتب بونتيالي في 'عن عمل الموت في أعمال فرويد ، في الذات Self، في الثقافة' (ص ٩٠) : 'كما في التأكيد الذي ردده فرويد كثيرا "لا يمكن للاشعورنا أن يتخيل موتنا" ، هل هذا إنكار ؟ "سهو" فضولي أو تدخل في حالة كل من يقدر على إدراك وظيفة القرين وملاحظة عدد كبير ما الصور الرمزية للموت في الأحلام أو في الحكايات ... وإذا لم نفهم عبارة "اللاشعوري لا يعرف النفي" على النحو التالي : إنه لا يعرف النفي لأنه نفي ... وهو نفي لدرجة أن مكونه الأصلي ، كنسق غير متجانس ، يرتبط بالفقد والغياب ونفي موضوع الإشباع '.

٣١- لم يعدل فرويد هذا الرأي إلا في هامش ، أضافه في عام ١٩١٨ ، وهو عام مهم بالنسبة لتفكيره في الموت ، وفيه أشار طفل إلى أن الاختلاف يكمن في حقيقة أن الشخص الميت لن يرجع مرة أخرى-وبالتالي فهو يعاني من عقاب 'لا يقبله بأية درجة '[nicht dosierbare]'، كما ورد في تعليق فرويد .

٣٢-'أفكار عن زمن الحرب والموت' (1915b), SE XIV 292-3

٣٣-قارن مع 'إن الخوف من الاكتئاب لا يقبل سوى تفسير وحيد : تقدم الأنا نفسها لأنها تشعر بأن الأنا العليا تكرهها وتضطهدها ، بدلا من أن تحبها (الأنا والهو (1923b), SE XX . 58.

٣٤-المصدر السابق .

٣٥-انظر ، الكف والعرض والقلق (1926d), SE XX 136 ff)

٣٦-'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' كتابات ٣١٥/١٠٠ .

٣٧-انظر ،

Hyppolite, 'Spoken commentary on Freud's Verneinug' and Thom, 'Verneinug, Verwerfung, Ausstossung: a problem in the interpretation of Freud'.

٣٨–السيمينار الثاني، ٢٠٢/١٦٩

٣٩–'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' كتابات ٣١٩/١٠٤ . وتستمر الفقرة : 'الرمز الأول الذي تتعرف فيه على الإنسانية في بقاياها الأثرية هو القبر ، ومن الممكن معرفة ما يتوسط الموت في كل علاقة يصادف فيها الإنسان حياة تاريخه .' وهو موضوع دائم في كتابات لاكان : مثلا ، السيمينار السابع عشر (٨ إبريل ١٩٧٠) ، حيث يؤكد لاكان أنه من الممكن أن نلحظ أصل الإنسان المتكلم مع اللحد : 'حين تؤكد طائفة، يتعارض كل فرد فيها مع الآخر ، أن جثمان الميت يحفظ ما يقدم للكائن الحي سماته الجسدية .'

٤٠–قارن ، السيمينار السابع عشر (٢٠ مايو ١٩٧٠) : 'إذا كان هناك احتمال لفهم الواقع ، فسوف يكون على السبورة'.

٤١–'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' كتابات ٢٣٠/١٠٥ .

٤٢–كما عبر عنها لاكان في حلقات السيمينار في أواخر الستينيات ، مطورا التيمة التي كانت تيمته المميزة منذ الثلاثينيات ، الأب ، في طبيعته الأصلية ، ميت بالفعل .

٤٣–'التطور الإضافي للعلاج الفعال في التحليل النفسي' (١٩٣٠) ، في مساهمات إضافية ، ص ٨٨١ .

٤٤–المصدر السابق .

٤٥–المصدر السابق ، ص ٢٠٠ – ٢٠١ . في الأعمال التالية ، كما يشير لبلانش وبونتالي (اللغة والتحليل النفسي ، ص ٧)، وقف فرينزي ضد التقنيات الفعالة ، على أساس أن 'المريض نفسه هو الذي يجب عليه أن يقرر التوقيت ، أو يقدم دلائل لا تخطئ على أن الوقت مناسب' . يؤكد لبلانش وبونتالي أن التقنيات الفعالة تسعى إلى التكرار سعيا خاصا: 'للتغلب على الاضطرار إلى التكرار ولجعل التذكر ممكنا في النهاية–أو على الأقل ليسمح بتقدم العلاج–ويرى فرينزي أننا لسنا فقط في احتياج إلى السماح بالتكرار ولكن علينا بالفعل أن نشجع على التكرار' (ص ٧) . وقد يكون ذلك صحيحا على وجه العموم ، إلا أنه يهمل حقيقة أن فرينزي يشير إلى موقف ثالث ، فوق التكرار والتذكر ووراءهما ، اللذين يتم التلميح إليهما هنا بصورة كلاسيكية : كان فرينزي يحاول التفكير في زمنية الركود : وإذا كان التكرار مطلوبا لتجنب الركود فمرحبا به .

٤٦-إن نقد لاكان للتعارض بين التقنيات الفعالة والتقنيات السلبية ، يتأسس كما هو الحال غالبا على مفهوم غير ناضج عن السلبية ، يمكن أن يوضع في مرحلة مبكرة من مساره . كان لاكان يفكر في خطوط تشبه خطوط فرينزي وكان لاكان قد بدأ تطوير مفهومه الأصلي ، الذي سنفحصه بالتفصيل ، حين علق في ' 'Review of E., Le Temps vécu في عام ١٩٣٥: 'المفهوم الأصلي للانتظار [l'attente] بوصفه أطروحة حقيقية عن الفعالية (بدلا من السلبية ، "كما قد يتمنى السبب الذي نقدمه") مفهوم أصيل ويحتاج إليه النسق' (ص ٤٣٠).

٤٧-بهذا المعنى يكون التصوير الذي قدمه لاكان للاستحواذي امتدادا صادقا وتكميلا للوصف الذي قدمه فرويد للآلية الدفاعية الرئيسية عند الاستحواذي ألا وهي 'إبطال ما فُعِل'-والتأكد من أنه لا يوجد شيء يُفعَل .

٤٨-لاحظ إبراهام في مناقشته للرضوض والأسرار ملاحظة تأتي في صورة حكمة : 'الهستيريون هم أولئك الناس ذوو الجاذبية الذي يحدث لهم شيء دائما' ('خبرة الرضوض الجنسية كشكل من أشكال النشاط الجنسي' ، ص ٥٧) . ويمكن أن نعرف مرضى الوسواس القهري بأنهم أولئك الناس المملون الذين لا يحدث لهم شيء أبدا .

٤٩-'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' كتابات ٣١٤/٩٩ .

٥٠-وهكذا يصبح وسيلة بديلة لاستنتاج السمات المميزة لتلك التي كتبها فرويد في 'Character and anal erotism'.

٥١-كتابات ٢٨٩/٧٧ . هذه هي الفقرة الختامية في القسم الثاني من 'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما في التحليل النفسي' : وهي تلخص ما توصل إليه القسم الثاني ، وتذكر هدف القسم الثالث والأخير ، وعنوانه الجانبي : 'أصداء التفسير وزمن الذات في تقنية التحليل النفسي' .

٥٢-هذه هي الفقرة الافتتاحية في بحث لاكان ، '-Le temps logique et l'assertion de cer titude anticipée'-' الزمن المنطقي وتأكيد اليقين المتوقع' ؛ وقد عدلتُ في ترجمتي تعديلا طفيفا في ضوء ترجمة على وشك الظهور وقد قام بها بروس فينك Bruce Fink ومارك سيلفر Marc Silver ، وأود أن أوجه لهما الشكر لأنهما أتاحا لي الاطلاع على النسخة قبل نشرها . وسوف نتابع المناقشة التي نقدمها هنا بحث لاكان بدقة منذ البداية .

٥٣-علينا أن نتذكر أن التحذير الذي وضعه الحاكم لوسائل حل المشكلة ، منع أي تواصل بين الأشخاص ، قد تم تجاوزه ، حيث أن ظروف المشكلة تشير أيضا إلى أن التواصل اللاإرادي يحدث . إن فعل الانتظار الحقيقي يعادل التواصل مع الآخرين ، بقدر ما يكون الانتظار نتيجة لعملية تفكير تصادف مأزقا أوليا يتمثل في إدراك كل منهم لعدم وجود طريقة لحظية لاستبعاد بعض توليفات الدسكات . يعرف كل منهم ، برؤية دسكين أبيضين ، أن الدسك الذي معه يمكن أن يكون أبيض أو أسود . وهكذا يُعزى تقطيع الشخص للزمن المنطقي للمشكلة إلى تواصل لا يرى فيه أبيض وأسود . وهكذا تكون المشكلة المنطقية لتوليفات محتملة بين مجموعة من الدسكات قد تحولت من مشكلة التخيل المنطقي الفردي إلى مشكلة يتواصل فيها التواصل بين الذوات على ثلاثة أزمنة محتملة ومختلفة . ونجد ، في الحقيقة ، بمزيد من الفحص للمشكلة أن لحظتين زمنيتين معلقتين ضروريتان لحلٍّ جلي للمشكلة .

٥٤-'الزمن المنطقي 'Le temps logique(١٩٤٥) ، كتابات ٢٠٥-٢٠٦ .

٥٥-انظر 'سيكولوجيا الجماعة وتحليل الأنا' 143 SE XVIII 111-16m ,(1921c) .

٥٦-لدينا في هذه المقولة عن 'المقياس المشترك' مفهوم الوحدة الموضوعية للزمن ، ولكنها وحدة ليس لها أمد ثابت . وهذه الوحدة الموضوعية للزمن هي الوحدة التي تنبثق في علاقة الذات الفردية بالجماعة : إنه الزمن الموضوعي للاشعوري .

٥٧-يمكن لنا أن نقارن هذه الخطوات الثلاث بمخطط فرويد في سيكولوجيا الجماعة :

(١) تكوين الأنا المثالية

(٢) تقمص الأنا للآخرين على أساس امتلاك الأنا المثالية نفسها

(٣) تكوين الذات ، بسرعة

٥٨-بقدر ما أعرف ، من النادر أن تتجه اتهامات الخداع في لعبة البريدج إلى فترة الانتظار حين يكون اللاعب مضطرا للعب الكارت ، لكنها تبقى مقصورة على التفكير . ظاهريا ، يمكن استخدام أزمنة الانتظار المختلفة موضوعيا كإشارة إلى الرفيق . ولكن ، بالخبرة في اللعبة ، لا تُقاس فترات الانتظار بالزمن الموضوعي . إن الزمن اللازم للفهم في البريدج ، كما هو الحال في مشكلة السجين ، يكتسب معناه الموضوعي بمجرد اتخاذ القرار . وإذا حاول لاعب

أن يتناول هذا الزمن اللازم للفهم ، لا يمكن له أن يفعل ذلك إلا باستثارة الشكوك في نفسه (أو يراجع نفسه) ، وفي الآخرين ، الشكوك التي كان يظن أنه تخلص منها حين 'أكمل' الزمن الحقيقي اللازم للفهم ودخل-فورا-الزمن الهزلي الذي جاء بعده . وربما يكون عليه هو نفسه ، بالاسترجاع ، أن يدرك أن ما كان يعتقد أنه هزلي في الانتظار كان ، في الحقيقة ، فترة حقيقية من فترات الانتظار . طرحتُ هذا السؤال على أحد أبرز اللاعبين في البريدج في هذا القطر ، وقد بعث بالرد التالي : 'ومهما يكن الأمر إلا أنني أشك فيما إذا كانت التغيرات في الزمن بواسطة المدافعين طريقة مناسبة لتبادل المعلومات بطريقة غير قانونية . والأكثر احتمالا ، أن يشكوا من يعلنون عن الورقة الرابحة من تضليلهم بصورة غير عادلة . ولا بد من وجود طرق أبسط لنقل الرسالة ، وعموما لماذا يكون على المدافع الذي يتعرض للاحتيال أن يخبر رفيقه بشيء غير واضح ؟' (رسالة من تيرنس ريس Terence Reese، في ٨ إبريل ١٩٨٠) ويوجد رد على هذه المناقشة في عمود تيرنس ريس في الأوبزرفر ، بتاريخ ١٩ أكتوبر ١٩٨٠، حيث يتناول القواعد التي تتطلب من اللاعبين الانتظار ، في ظروف معينة ، قبل المحاولة ، بحيث تصبح كل فترات الانتظار التي يمكن أن تمد اللاعبين الآخرين بالمعلومات بدون معنى (سواء أكانت معلومات صحيحة موجهة إلى الرفاق أول معلومات بهدف تضليل المنافسين) .

٥٩-انظر ،

Von Neumann and Morgestern, *Theory of Games and economic behavior*, and Rapaport, Two-person theory. The essential ideas.

٦٠-أو ، كما كتب لاكان عنوانه الألماني الأصلي ، *Massen: Psychologie und Ichanalyse*، ليؤكد على مصطلح Massen، الذي يميز ، إلى حد بعيد ، التفكير السياسي والممارسات التاريخية في النصف الأول من القرن العشرين ، سواء أثناء الحرب العالمية الأولى ، أو أثناء ازدهار النازية أو انتصار البلشفية .

٦١-إن مفهومه لمركزية القاعدة في النشاط الاجتماعي يشبه مفهوم معاصره ، لويدج فيتجنشتاين . انظر الفصل السابع .

٦٢-قارن ، معالجة موضوع الآلة التي تنتج توابع "جديدة في ملاحق 'سيمينار عن الرسالة المسروقة'

٦٣-انظر ،

'Le nombre treize et la forme logique de la suspicion', Cahiers d'Art 1945 .

والبحث ليس ضمن الأبحاث التي نشرت في كتابات (المنشور عام ١٩٦٦) ولم يعاد طبعه ، بقدر ما أعرف ، بتصريح من لاكان . وهو ضمن مجموعة لاكان التي عنوانها Travaux et inter-ventions، بدون أرقام .

٦٤-المصدر السابق ،

'Elle fait partie de nos approches exemplaires pour la conception des formes logiques où doivent se definir les rapports de l'individu à la collection, avant que se constitute la classe, autrement dit avant que l'individu soit specifié' (n.p.)

٦٥-المصدر السابق . يذكر أيضا أنه إذا كان هناك ، في الحكم النهائي ، وفي أسطورته عن الاختيار، مائة مليون روح ، وبافتراض أن 'ن' تساوي ٢٦ فإنها ستكون كافية لعزل الروح المفردة المختلفة .

٦٦-'الزمن المنطقي 'Le temps logique (١٩٤٥) ، كتابات ، ٢١٣ .

٦٧-لا يوجد ضمن كتابات ، وربما كان موجودا في .Travaux et interventions

٦٨-ذكر رياضيات لوين Lewin التوجيهة ومفهوم عقدة أوديب كمشكلة بين ثلاثة أشخاص . وهي إشارة إلى بحث جون ريكمان ، الذي كان على لاكان أن يقتبس منه بتقدير عظيم له في السيمينار الأول ، ليدخر فقط بعض الانتقادات الحادة التي كثيراً ما تتكرر لمفهوم السيكولوجيا كمشكلة بين شخصين أو ثلاثة . انظر السيمينار الأول ١١/١٧ ؛ 'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' كتابات ٥-٣٠٤ / ١-٩٠؛ 'الشيء الفرويدي' كتابات ٤٢٩/١٢٩ .

٦٩-تحدد قراءة Bion's Experiences in groups المصدر الموضوعي لإدراك لاكان لبداية جديدة مدهشة ، متحليا بالروح الفرويدية .

٧٠-تعني كلمة unité أيضا 'وحدة 'unity، وهكذا يمكن أن يكون معنى العبارة أيضا 'العودة إلى الوحدة' .

٧١-'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' كتابات ٢٧٦-٧ ٦٥/٦

٧٢-انظر الفصل السابع]من الأصل الإنجليزي ، وهو الفصل المترجم هنا بعنوان التحليل النفسي والكلمات-المترجم [، 'ماذا يفعل التحليل النفسي بالكلمات' .

٧٣-وحتى نسق اللغة قد يكون المحرك الأصلي لبعض الإيقاعات الزمنية : 'الرِّق والعظَمَة اللذان يمكن أن يتحطم الكائن الحي فيهما تحطما تاما ، إذا لم تحفظ الرغبة دورها في التدخلات والنبضات التي تحدثها دورات اللغة لتؤثر عليه ...' ('وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' **كتابات** ٦٨/٢٧٩) . تتكرر كثيرا الإشارة المبهمة إلى 'النبضة' في **السيمينار الحادي عشر** .

٧٤-**السيمينار الثاني** ٣٣٦/٢٩١؛ وقد تم تعديل الترجمة في ضوء إشارة لاكان إلى قصيدة مارفيل .

٧٥-انظر شينيدرمان ، *Rat Man*؛ وماهوني *Freud and the Rat Man*؛ ولاكان ، 'The individual's neurotic myth'؛ وانظر أيضا المناقشة الواردة في الفصل السابع ، 'ماذا يفعل المحلل النفسي بالكلمات' ، حيث توجد المصادر كاملة .

٧٦-جاءت نظرية لاكان عن الخطابات الأربعة four discourses فيما بعد في أواخر الستينيات كابنٍ شرعي للمنطق الذاتي عنده : خطابات السيد والهستيري والمحلِّل والأكاديمي . وقد قدم هذا المشروع تحليلا كاملا للعلاقات بين الذوات ، التي تحتوي على أربعة مصطلحات : الذات ودالين اثنين والموضوع الصغير أ . وبمعنى ما ، كان ذلك هو ارتباط التحليل النفسي بتحليل الخطاب الذي كان يقدمه ميشيل فوكو-بينما تجسدت في ، المخطط الهيجلي بصورة أساسية ، علاقات القوى التي شعر فوكو بالاضطرار إلى تجسيدها في عمله التالية ، جينولوجيا **المعرفة والعقاب وتاريخ النشاط الجنسي** ، الجزء الأول . انظر الفصل الثاني عشر من هذا الكتاب (الأصل الإنجليزي).

٧٧-توجد أيضا مسألة غامضة تماما في البحث الأصلي عن 'الزمن المنطقي' ، مسألة العلاقة بين 'السيكولوجيا' والمنطق : ويبدو أن لاكان يحل هذه المسألة بافتراض التوازي بينهما : 'تأتي هذه الحركة لتولد "ضمير المتكلم "البصورة منطقية بتوضيح أن الزمن المنطقي الملائم يتوازى بدقة مع أصله السيكولوجي : مثلما ، لو نتذكر، يحرر "ضمير المتكلم" السيكولوجي نفسه من الانتقال التأملي غير المحدود بمساهمة نزعة استيقظت كفيرة ، إن "ضمير المتكلم" الذي نحن

بصدده هنا يُعرَّف في صبغ التنافس مع الآخر "بصبغة ذاتية" [subjectivation] عبر وظيفة الزمن المنطقي . وهكذا يبدو لنا أنه يقدم الشكل المنطقي الأساسي (بدلا مما يدعى الشكل الوجودي) "لضمير المتكلم" السيكولوجي' ('الزمن المنطقي' ، (١٩٤٥) ، **كتابات** ٢٠٨) .

٧٨-انظر ، 'Constructions in analysis' (1937d), SE XXIII 265-6 .

٧٩-انظر ، لاكان '**سيمينار عن الرسالة المسروقة**' ، ص ٤٤ (الترجمة]إلى الإنجليزية [بتصرف) .

٨٠-السيمينار الثاني ٤١-٢٣١ / ١ -١٠ . وانظر المناقشة الموازية في مقدمة 'سيمينار عن "الرسالة المسروقة" 'Le Séminaire sur "La Lettre volée"' (١٩٥٦) ، **كتابات** ٦٠- ٧٥ .

٨١-للاطلاع على مجموعة النصوص التي تناولها سيمينار لاكان ، انظر

Muller and Richardson, The purloined Poe, Lacan, Derrida and psychoanalytic reading, and the provocative reflections of Major, 'La parabole de la lettre volée. De la direction de la cure et de son récit', following Derrida, 'Le facteur de la vérité'.

٨٢-**السيمينار الثاني** ٢١٤/١٨١ .

٨٣-'ليس من المؤكد ما إذا كان قد وجد مثل هذا الطفل الصغير الذي نال أكثر مما يسمح به حظه-... لكن لب القضية يكمن في تسجيل يختلف اختلافا تاما عن تدوين ما بين الذوات الخيالي' (السيمينار الثاني ٢١٣/١٨١) . قارن ، **كتابات** ، ٥٩ .

٨٤-**السيمينار الثاني** ٢١٤/١٨١ .

٨٥-**السيمينار الثاني** ٢١٧/١٨٤ .

٨٦-انظر ، 'مقدمة سيمينار عن "الرسالة المسروقة"' (١٩٥٦) ، **كتابات** ٤٦ . وهو نص آخر من تلك النصوص، من قبيل 'الزمن المنطقي' و'الرقم ثلاثة عشر' ، وهو محاولة ، أو حتى تقليد pastiche، لنظرية رياضية أساسية عن بعض خصائص الذات-الخصائص التي توصف عادة بأنها 'سيكولوجية' ، وهي ليست رياضية وليست أساسية . إلا أن هذا النص ، مرة أخرى ، من النصوص التي لم تحظى إلا بتلعيقات نادرة .

٨٧-المصدر السابق ، **كتابات** ٤٨ .

٨٨-المصدر السابق ، كتابات ٤٩ .

٨٩-من الملائم أن نربط الزمن اللازم للفهم ولحظة الاستنتاج بمفاهيم فرويد عن 'working through'كما أشار لاكان إلى ذلك صراحة في 'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' ، كتابات ٢٤٩/١٤ .

٩٠ -مازال المصطلح في حاجة إلى معالجة دقيقة في الإنجليزية ، حيث أن 'الفعل المؤجل defered action'عند ستراتشي لا يعتبر ترجمة دقيقة لمصطلح يأخذ شكلا وصفيا واضحا ، شكلا يستخدمه فرويد كثيرا . وفي هذه الحالة تكون الترجمة الفرنسية القياسية ، *aprés coup*، أكثر قربا من جوهر المصطلح الألماني وأكثر دقة .

٩١-لاكان ، **السيمينار الحادي عشر** ٣٢/٣٣ .

٩٢-فرويد ، ' 'Findings, ideas, problems(SE XXIII [1938]) .

٩٣-يوضح فرويد هذه الاستمرارية في بحثه عن

Dostoevsky and parricide' (1928 b), SE XXI 2180'

٩٤-يمكننا أن نرى سارتر ومارلو بونتي كنموذجين أساسيين في التعبير عن هذا الرأي .

٩٥-يمكن لنا أن ننظر إلى الفقرة المنشورة في عام ١٩٣٨ بوصفها تصحيحا لهذا التعميم .

٩٦-راجع ، 'Some general remarks on hysterical attacks' (1909a) [1908]), SE IX 40-233

٩٧-للاطلاع على مناقشة لهذه التيمة في أعمال فرويد عن التنويم ، انظر الفصلين الثاني والرابع [من الأصل الإنجليزي] .

٩٨-انظر المناقشة الواردة في :

'Being in love and hypnosis' in Group psychology and the analysis of the ego(1931c), SE XVIII 111-16 .

٩٩-انظر مناقشة فرويد للعلاقة بين التحليل النفسي والإحالة والإيحاء في محاضرات تمهيدية عن التحليل النفسي(1916-17) SE XVI 446-55. وللاطلاع على العلاقات بين التنويم والحب والأنا المثالية

، راجع كتاب Borch-Jacobsen وهو كتاب مهم بعنوان: *Le sujet Freudien*

١٠٠-للاطلاع على التطورات الميتاسيكولوجية ، راجع مشروع سيكولوجيا علمية SE I ,(1895) 295-387 ووراء مبدأ اللذة SE XVIII 7-64 ,(1920g) .

١٠١-مع أننا لا يجب أن نقلل من مقدار اهتمام المحللين بهذا الموضوع ، إلا أنهم يُواجهون بالرضوض ويضعون نظريات تتعلق بها ؛ انظر العمل النموذجي :

Khan, 'The evil hand' in his Hidden Selves. Between theory and practice in psychoanalysis, pp. 80-139 .

١٠٢-راجع ، Ellenberger, The discovery of the unconscious.

١٠٣-راجع ، Abraham The experiencing of sexual traumas', p. 16', .

١٠٤-راجع ،

Charcot, 'Cas d'hystéro-neurasthénie survenue à la suite d'une collision de train chez un employé de chemin de âgé de 56 ans', in L'Hystérie.

١٠٥-المصدر السابق ، ص ١٢٥ .

١٠٦-قارن فرويد ، **الرسائل الكاملة من سيجموند فرويد إلى ويلهلم فليس** ، ص ١٤٤ ، ١٥ أكتوبر : 'هل كشفتُ النقاب عن سر إكلينيكي عظيم ، شفهيا أو كتابيا ؟ الهستيريا تحدث نتيجة **للصدمة الجنسية** قبل الجنسية . ويحدث عصاب الوسواس القهري نتيجة للذة الجنسية قبل الجنسية التي تتحول بعد ذلك إلى لوم [ذاتي] . وتعني "قبل الجنسية presexual" قبل البلوغ بالضبط ، قبل فرز المواد الجنسية ؛ ولا تصبح الأحداث المتعلقة بذلك أحداثا مؤثرة إلا بواسطة الذاكرة '.

١٠٧-راجع شاركو ، 'Paralysie hystéro-traumatique' in L'Hystérie p. 92.

١٠٨-راجع شاركو ،

'A propos de six cas d'hystérie chez l'homme', in L'Hystérie, pp. 155-6.

١٠٩-انظر ، SE II 134 ؛ يشير فرويد إلى

Charcot, Leçons du Mardi, 1888 ،vol. I, p. 99

ويتضح دور بروير بصورة أكبر في هذا الاكتشاف في SE II 213 ، وخاصة فيما يتعلق بالهستريا الرضية ، ويقتبس مرة أخرى عن شاركو 'إن تجديد العاطفة في الذاكرة كثيرا ما يكون كافيا أيضا ، إذا تكرر التذكر مرة عديدة بسرعة ، بعد الرض مباشرة وقبل أن يضعف تأثيره العاطفي' .

١١٠–دراسات عن الهستريا 6 SE II ,(1896d)

١١١–لا يختلف هذه الممارسة التي وصفها لاكان عن إلغاء فرويد للأوقات اللازمة للفهم لصالح لحظات الاستنتاج–يُلغي مرور الزمن الفاصل بين الأحداث لصالح سردية القصة–بالطريقة التي يمكن بها لرواية كلاسيكية أن تقدم بابتهاج مرور خمسة أعوام أو عشرة لتنتقل إلى الحدث (أو الفصل) التالي .

١١٢–يمكن دعم هذه الاستمرارية بمفهوم التخلص ، بحيث يتم ربط التعليق السطحي ، حبل الحوادث ، مع أساس التخلص . وهذا ما تقوله عبارة من العبارات المميزة المتعلقة بالتخلص ، 'يحول الماسوشي الحقيقي خده دائما حين يجد فرصة للصفع' 165 SE XIX ,(1924c) ، تعبر عن كل الأحداث المنفصلة للسلوك الماسوشي وتجعلنا لا نندهش إذا بدا أي سلوك ماسوشي في المستقبل وكأنه بلا سبب .

١١٣–دراسات عن الهستريا 173 SE II ,(1895d) . الحالة التي تتم مناقشتها هي حالة Rosalia H.، التي قدمها فرويد بكل دقة ليجعل دعواه أكثر 'قبولا' ، دعواه بأن الأعراض 'لا تحدث والمريضة تخبر انطباعات الفترة الأولى ، ولكنها تحدث بعد الحدث [*nachträglich*]، أي ، في الفترة الثانية ، حين تتولد هذه الانطباعات في تفكيرها . بمعنى أن التحول [الهستيري–المترجم] لا ينشأ عن انطباعات ، ولكنه ينشأ عن ذكرياتها : -[Die Konver sion sei erfolgt nicht an den frischen Eindrücken, sondern an den Erinnerungen derselben] بروير وفرويد ، دراسات عن الهستريا -Studien über Hysterie, p.138; SE II169 : الترجمة [بالطبع ، الترجمة من الألمانية إلى الإنجليزية – المترجم] بتصرف ملحوظ .

١١٤-سوف يتم تعليق الدلالة الشخصية للحالة على هوية المريضة . ولم تخضع هوية إمَّا Emma كما دعاها فرويد في المشروع لمزيد من التأمل ؛ إلا أنه يبدو من المقبول بالنسبة لي أنها إما إكشتاين Emma Eckstein، المريضة التي ربطت بين فرويد وفليس ، وقد كُتِب عنها الكثير منذ ماكس شور Max Schur في عام ١٩٦٦ قصتها كاملة ، بالصورة التي وجدت عليها في مراسلات غير منشورة بين فرويد وفليس (Schur, 'Some additional "day residues" of specimen dream of psychoanalysis')، ومنذ جعلها جيفري ماسون Masson، بكثير من الضجيج الأجوف ، البطلة الضحية في التاريخ المبكر للتحليل النفسي . وإذا كانت هذه الفرضية صحيحة ، فربما يدين المفهوم الحقيقي للحدث ، بلغة التحليل النفسي (أي الرض) ، بشيء 'لأحداث' جرت في مارس ١٨٥٩ ، حين كادت إما أن تفقد حياتها نتيجة لجراحة 'خاطئة' أجراها فليس ، ولآثار تلك الأحداث . وإذا كانت إما-فسيكون من الشيق إلى حد بعيد أن فرويد طور التفصيلات الدقيقة لمناقشاته المتعلقة بالفعل المؤجل الذي يتلاءم مع المريضة التي كانت قبل ذلك بعام ضحية لخطأ جراحي جعلها على عتبات الموت ، خطأ ارتكبه فليس صديق فرويد . وربما كنا ندين بالفضل لتفاعلات فرويد الشخصية لهذا الحدث مع المريضة فيما يتعلق بنظريته الدقيقة عن إشباع الأمنية وعن العلية في الأعصبة .

١١٥-المشروع SE I 353 ؛ التأكيد في الأصل .

١١٦-المصدر السابق SE I 354

١١٧-المصدر السابق .

١١٨-المشروع SE I 356

١١٩-المصدر السابق .

١٢٠-راجع ،

(1896b) SE 'Further remarks on the neuro-psychoses of defence' III 7-166 n2

التأكيد في الأصل . وبعد أسابيع قليلة من إرسال هذا البحث إلى المجلة ، لخص فرويد 'نظريته عن الأعصبة' لفليس على النحو التالي : 'أظن أن حدود الكبت في نظريتي عن

الأعصبة-أي ، الزمن الذي لا يكون للخبرات الجنسية بعده أي تأثير باستثناء التأثير الأصلي-يتصادف مع ظهور الأسنان الدائمة' (الرسائل الكاملة من سيجموند فرويد إلى ويلهلم فليس ، ١ مارس ١٨٦٩ ، ص ١٧٤) .

وبالمثل في رسالة مؤرخة في ٦ ديسمبر ١٨٦٩ : 'إذا أفرز [حدثA] ، أثناء حدوثه تعاسةً من نوع خاص ، ،إذا أفرز حين يتم بعثه من جديد تعاسة جديدة ، من ثم لا يمكن إحباط هذه التعاسة . وفي هذه الحالة تتصرف الذاكرة وكأنها حدث يجري الآن . ولا يمكن أن يحدث ذلك إلا مع الأحداث الجنسية ، لأن حجم الاستثارة التي تفرزها تتزايد مع مرور الزمن (مع النمو الجنسي) .

'وهكذا يؤثر حدث جنسي جرى في إحدى المراحل على المرحلة التالية كما لو كان حدث جاريا وبالتالي لا يمكن إنهاؤه . إذن ما يحدد الآلية الدفاعية الباثولوجية (الكبت) هي **الطبيعة الجنسية للحدث وحدوثه في مرحلة سابقة**' (المصدر السابق ، ص ٢٠٩) . وفي هذه الرسالة يستخدم فرويد نظرية فليس عن الدورية periodicity لكي يستنتج الفترات المختلفة التي يرتكز عليها تعليقه عن الكبت : يحاول أن يقدم تعليقا عن هذه الفترات فيما يتعلق بالرقم التقريبي الذي يتضاعف بلانهائية (فترة) فليس .

١٢١-المشروع ؛ علينا أن نشير إلى أن الفقرة تعود إلى عام ١٩٦٦ .

١٢٢-لبلانش وبونتالي ، **اللغة والتحليل النفسي** ، ص ١١١، ص ١١٣ .

١٢٣ -السيمينار الحادي عشر ٢١٦/١٩٧ . يعيد لاكان فيبحث ، 'وضع اللاشعوري' ، أيضا ، كما في **السيمينار الحادي عشر** ، وهو يعود إلى عام ١٩٦٤ ، يعيد تأكيد أسبقيته في هذه القضية : انظر فقرة من **كتابات** ٨٣٩ مقتبسة في الهامش رقم ١٣٧ .

١٢٤ -'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' كتابات ٢٥٦/٤٨ ، مشيرا إلى n1 and٥٤SE XVII text. وفي هامش لهذه الفقرة يلاحظ لاكان أن ' 'aprés coup'ترجمة ضعيفة لهذا المصطلح، إنه تعليق ساخر إلى حد ما يكاد يقدم الاستخدام الفتشي لهذا المصطلح في تراث التحليل النفسي الفرنسي المتأثر تأثرا كبيرا بلاكان .

١٥٢-'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' كتابات ٢٥٦/٤٨ .

١٢٦-سيكون من الصحيح بالقدر نفسه أن نقول إن نشأة هذا العصاب الطفولي كان الوسيلة التي فهم بها المشهد الأولي ؛ ومن المؤكد أنها هي الطريقة التي يستخدمها فرويد في تعليقه . قارن ، إشارات لاكان عن العودة إلى المكبوت وأن المكبوت هو الشيء نفسه (السيمينار الأول ١٩١/٢١٥).

١٢٧ - أنظر فرويد ، 'من تاريخ حالة عصاب طفولي' 6-35 SE XVII ,(1918 b) .

١٢٨-'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' كتابات ,٢٥٧/٤٧؛ الترجمة ببعض التصرف .

١٢٩-ليس هذا في اللغة والتحليل النفسي فقط ، ولكن أيضا في بحثهما الكلاسيكي ، 'الفنتازيا وأصول النشاط الجنسي' .

١٣٠-السيمينار الأول ٢١٧/٢٤٢ .

١٣١-السيمينار الرابع ، جلسة ٦ مارس ١٩٧٥ ، ص ٨٥١ .

١٣٢-السيمينار الحادي عشر ٦٣/٦١ .

١٣٣-المصدر السابق .

١٣٤-السيمينار الحادي عشر ٦٤/٦٢ . انظر أيضا عبارة مماثلة ، في 'عن مسألة تمهيدية لأي علاج محتمل للذهان' (١٩٥٦) ، كتابات ١٩٧/٣٥٤ : 'فعليا ، يمكننا هذا المخطط [المخطط R] من رؤية العلاقات التي لا تشير إلى المراحل قبل الأوديبية ، التي ليست غير موجودة بالطبع ، ولا يمكن تصورها بمصطلحات تحليلية (كما تبدو على نحو كاف في عمل ميلاني كلاين وهو عمل يتميز بالتردد ولكنه عمل منضبط) ، ولكنها تشير إلى المراحل قبل التناسلية بقدر ما يتم ترتيبها في استرجاع عقدة أوديب .'

١٣٥-إن مسألة الدافع الأساسي للمراحل التطورية الكلاسيكية في النظرية التحليلية مسألة مثيرة للخلاف ؛ يطرح لاكان فرينزي أحيانا باعتباره المحلل الذي شارك فرويد في هذا المفهوم الخاطئ misconception بصورة خاصة ، كما في مقاله 'مراحل في تطور معنى الواقعي' : 'فرينزي هو الذي بدأ وضع المراحل الشهيرة في رؤوس الجميع' (السيمينار الأول ١٢٧/١٤٦) . ومن المقبول في النهاية أن نزعم أن إبراهام كان الدعامة النظرية الأساسية لهذا الخط في تطور نظرية التحليل النفسي .

١٣٦-يوجد استخدام لاكان لرياضيات العقد knots على نحو صريح في أعماله في السبعينيات ،

لكن استعارة العقدة ، وخاصة فكرة العَرَض كعقدة ، توجد منذ أوائل الخمسينيات .

١٣٧-ربما يكون من المناسب ، لتجنب سوء الفهم في هذه النقطة المفصلية ، أن نوضح أن لاكان استخدم مصطلح 'الاسترجاع retroactivity' ليصف مفهوما آخر من المفاهيم الأساسية في تعليقه على التحليل النفسي : استرجاع المعنى في الجملة ، حيث لا يكون هناك معنى إلا مع المصطلح الأخير في الجملة ، وتكون القراءة إلى الخلف . ويميز لاكان بوضوح هذا النوع من الاسترجاع عن النوع الذي يستخدمه فرويد ']إغلاق اللاشعوري [يحدد أيضا نواة الزمن الرجعي reversible، وهو زمن كبير الأهمية في التعليق على فعالية الخطاب ، إنه واضح تماما في استرجاع المعنى ، الذي ألححتُ عليه كثيرا ، في العبارة التي تحتاج إلى الكلمة الأخيرة ليكتمل المعنى .

'*Nachträglich* (تذكر أنني كنت أول من استخرج هذا المصطلح من نص فرويد) ، *Nachträglich* أو الفعل المؤجل ، الذي طبقا له يتم تضمين الرض في العَرَض ، والذي يعرض بنية زمنية لنظام أعلى من...الزمن الرجعي للخطاب' ('وضع اللاشعوري Position de l'inconscient' (١٩٦٤) ، **كتابات** ٨٣٨-٩) .

١٣٨-سوف يتضح بعد ذلك تعقد فكرة الحادث ؛ ويمكن للمرء عند هذه النقطة ، مع ذلك ، أن يشير على الأقل إلى هنا إلى خط التفكير الذي يعتمد عليه لاكان في أعمال فرويد : إلى التعارض الذي يضعه فرويد بين 'التكوين' و'الخبرة' ، بين 'الضرورة' و'الحادث' .

١٣٩-جملة مأخوذة من ظنون فرويد بشأن هوية الموريين Moerae الثلاثة ، الأقدار ، المعاني الثلاثة 'للمصير' : ' Lachesis، اسم الثاني ، يبدو أنه يحدد "الطارئ المتضمن في استمرارية القضاء والقدر"-أو "الخبرة" كما يجب أن نقول ؛ كما يرمز Atropos"للمتعذر اجتنابه"-الموت . ومن ثم يمكن ترك Clotho ليعني التخلص المتأصل مع تضميناته المصيرية' ('تيمة التوابيت الثلاثة' 198 (1913f), SE XII) .

١٤٠-ما يلي هو في جزء منه تعليق على رسالة فرويد ، الرسالة المهمة التي بعث بها إلى Else Voigtländer (الرسائل ، بتاريخ ١ أكتوبر ١٩١١ ، ص ٢٩٢-٤) ، وهي رسالة جديرة باقتباس مطول :

نجد أننا في التحليل النفسي أننا لا نتناول تخلصا واحدا ولكننا نتناول عددا لانهائيا من الأشكال المتعددة للتخلص... والسؤال عن أيهما أهم ، التكوين أم الخبرة ، أي العنصرين يحدد الشخصية ، لا يمكن الرد عليه في رأيي إلا بالقول إنه [daimon kai tuché](المصير والبخت) ولا يمكن أن نقرر أن أحدهما أهم من الآخر..وإذا ركزنا في عملنا التحليلي على المؤثرات الطارئة أكثر من تركيزنا على العوامل التكوينية ، فإننا نفعل ذلك...لأننا على أساس خبرتنا نعرف شيئا عن الأول ، بينما لا نعرف إلا القليل عن الأخير-غير المحللين...إننا أيضا مع الرأي القائل إننا باستيعاب أهمية الطارئ نسير في الطريق الصحيحة لفهم التكوين...ما يبقى غير قابل للفهم بعد دراسة الطارئ يمكن إدراجه في التكوين .

إن العلاقة بين هذه الحركة باتجاه تحديد مجال التحليلي بوصفه مجال الطارئ ، وبين الحركة المبكرة لفرويد في **سيكوباثولوجيا الحياة اليومية** ، تحدد مجال التحليلي باعتباره مجال ما يخلو من الفرصة ، وهو مجال كبير الأهمية ، ولكن لا يمكن أن أتناوله هنا بالتفصيل . والمرشد الأساسي لهذا المجال هو عمل دريدا:

My Chances/Mes Chances: a rendezvous with some Epicurean stereophonies.

١٤١–**الرسائل** ، ص ٢٩٣ .

١٤٢–المصدر السابق . يمكن للمرء ، بصورة غير متوقعة إلى حد ما ، أن يقول بجموح ، لقد عزا ميشيل فوكو للتحليل النفسي وضعا تاريخيا مهمًا بقدر ما يضاد بعزمٍ مختلف الخطابات الوراثية والمبتذلة في أواخر القرن التاسع عشر . انظر الفصل الثاني عشر .

١٤٣–وقد تم تجاهله تماما في كتاب أسس التحليل النفسي لجرنبوم Grünbaum's The foundations of psychoanalysis وهو عمل أسيء فهمه .

١٤٤–يمكن قول الكثير عن ذلك : مرة أخرى أنصح القارئ بالرجوع إلى أعمال جاك دريدا ، على سبيل المثال إلى نقده لمفهوم الحقيقة كاكتشاف ، في ' Le facteur de la vérité' (١٩٧٥) ، ص ٤١٢ – ٩٦ ، خاصة مناقشة تعليق فرويد على 'الملابس الجديدة للإمبراطور' ، ص ٤١٤ – ١٩ ، و ٤٤٨ – ٨٣ . إنه يثير مسألة تتعلق بإيماءة فرويدية نموذجية لحل الموضوع (الحلم ،

الذاكرة) أثناء عملية التأويل ، وهي عمليّة تطرح نفسها بوصفها الكفيلة لأمان الموضوع ، وتتعلق تعلقا حميما في نهاية العملية باكتشاف أن الموضوع الأصلي فقد كل أهميته (المثال النموذجي لذلك ، المثال الذي أصبح تعليميا إلى حد بعيد منذ اليوم الذي نشر فيه تفسير الأحلام ، اكتشاف فرويد لمعنى الأحلام التحذيرية (أنظر الفصل الخامس) ؛ كان اكتشاف أن الأحلام التحذيرية تشيد في لحظة تذكرها : إنها أشكال تماثل dejà vu [رأيته من قبل] ؛ والأهم أن وجودها يبقى منعدما حيث تبين الأحلام بوضوح كيف يحل الحلم ، في رأي فرويد ، بالسرد التأويلي) .

١٤٥-راجع فرويد ، ' Screen memories (1899 a) SE III 322 , GW I 553 - 4 .

١٤٦-'إن هدف]العلاج النفسي [هو أن يجعل من الممكن التعامل مع العمليات اللاشعورية في النهاية ونسيانها' (**تفسير الأحلام** 578 (1900a), SE V .

١٤٧-'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' كتابات ٨٤/٦٥٢ ؛ وانظر أيضا 'تدمير الذات وجدل الرغبة في اللاشعوري الفرويدي Subversion du sujet et dialectique du désir dans l'in- conscient freudien' **كتابات** ٨٠٨/ ٣٠٧ .

١٤٨-'وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' **كتابات** ٣٠٣/٨٨ ؛ الترجمة [إلى الإنجليزية] تصرف .

١٤٩-ربما يكون تأثير هايدجر في قمته في تلك الفقرات التي تناقش تاريخية التحليل . ولا يسمح المجال هنا بالخوض في هذا الموضوع بصورة كاملة ؛ ويقدم ماسي Macey تخطيطا مفيدا للعلاقات التي تربط لاكان وسارتر وهايدجر ومفهومهم المشترك عن زمنية الذات ، في Lacan in contexts، ص ٦-١٠٤ .

١٥٠-إنني مضطر للانتقال إلى تيمة أخرى ، ألا وهي تيمة الموت ، وهي تيمة تنتمي انتماء واضحا لهذا الموضوع: 'إن هذا الحد [الموت] ، في الواقع ، يوجد في كل لحظة فيما يمتلكه هذا التاريخ باعتباره منجَزا . وهذا الحد يمثل الماضي في صورته الحقيقية ، أي أنه لايمثل الماضي الفيزيقي الذي تلاشى وجوده ولا الماضي البطولي كما اكتمل في الذاكرة ، ولا الماضي التاريخي الذي يعثر فيه الإنسان على ما يضمن مستقبله ، لكنه يمثل الماضي الذي يتضح معكوسا في التكرار' ('وظيفة الكلام واللغة ومجالهما' كتابات ٣١٨/١٠٣) . ويمكن وضع هذا

'العكسي الموجود في التكرار' فينومينولوجيا على النحو التالي : بعد قول فرويد بأن 'Vor al-lem beginnt er die Kur mit einer solchen Wiederholung' (قبل أي شيء آخر ، يبدأ المريض العلاج بتكرار) (SE XII 150؛ GW X 130؛ Stud Erg ٢١٠؛ الترجمة بتصرف ؛ انظر التعليق على هذه الجملة في الفصل التاسع) ، يبدو الحدث '١' على أفق التحليل وكأنه يتنبأ بالحدث الذي يكرره بالفعل ، وليكن الحدث '٢' ، الحدث الذي يجب اكتشافه . التحليل موضع التكرار ؛ ومن المستحيل منهجيا شيئا سوى أن يكون موضع التكرار . ومن ثم فإن ما يبدو زمنا متتابعا يتبع فيه الحدث '١' الحدث '٢' يُعكَس في التحليل حيث يكون الحدث '٢' قد حدث بالفعل دائما ، ولا يكون الحدث '١' حدثا إلا بقدر ما يكرر الحدث '٢' . إلا أن من الممكن أن نوافق على أن الحدث '١' ، بلغة التحليل، يحدث قبل الحدث '٢' . واستحالة وجود حدث مكتفٍ بذاته في أن يكون حدثا هي ما يميز تأملات دريدا عن 'الحدث'؛ وربما تعلل هذه الاستحالة أيضا التقارب المتكرر لفكره مع فكر فرويد ، ومن ثم-بقدر ما يكون لاكان أيضا على الخط مع فرويد-مع لاكان . انظر الصفحات الأخيرة من الفصل التاسع .

١٥١-قول منسوب إليه .

١٥٢-حيث أن فرويد ، كما رأينا ، يشير إلى هذه المسائل وقد استدعى كلمة البخت tuché، وهو المصطلح اليوناني الذي يركز لاكان مناقشته عليه ، انظر الهامش رقم ١٤٠ .

١٥٣-وكانت هذه السمة مميزة لمنهجية فرويد منذ البداية في أعماله ؛ مثلا ، في حالة هانز الصغير : 'لا يجب فهم ما ينبثق من اللاشعوري في ضوء ما حدث من قبل ولكن يجب فهمه في ضوء ما جاء بعد ذلك' ('تحليل حالة رهاب في طفل في الخامسة' SE X 66 (1909b)) ؛ انظر أيضا فورستر ، **اللغة** ، ص ٢٢١ هامش ٣٣) .

١٥٤-ربما نتناول نموذجا من النماذج الأفلاطونية الجديدة عن الخلق للتفكير في هذا الأمر : رؤية خلق العالم لشخصية إنسان باعتباره تقليلا من دور الرب ، تحديدا يفرض ذاتيا ، إنكارا ذاتيا-وهو نموذج استخدمه ميشيل بلنت حين وصف السمات الشخصية باعتبارها نتيجة محدودية القدرة على الحب والمتعة ، تقييد الفيض الذاتي الأصلي . (انظر لاكان ، **السيمينار الأول** ٢٢٨/٢٠٤) .

١٥٥-راجع ، ud III 383; SE XXI 152 ؛ الترجمة ببعض التصرف .

١٥٦-**السيمينار الحادي عشر** ٥١/٥٢ .

١٥٧-أرى أن كتابات Sorabji لا غنى عنها كدليل للعلاقات بين فلسفة العلومالكلاسيكية وفلسفة العلوم الحديثة ، وخاصة كتابه :

Necessity, cause and blame. Prespectives on Aristotle's theory

وثمة عمل آخر كبير الأهمية وهو عمل Nussbaumبعنوان :

The fragility of goodness. Luck and ethics in Greek tragedy and philosophy.

١٥٨-يذكر لاكان صراحة أنهما ترجمتا على نحو غير صحيح إلى ' 'le hasard' 'la fortune.

١٥٩-**السيمينار الحادي عشر** ٥١/٥٢ . ربما لا يكون من قبيل الصدفة أن نواجه بالصدفة مثال أرسطو عن فعل البخت tuché؛ انظر الفقرة المقتبسة فيما بعد من Physics, II.iv.196a1-8

١٦٠-**السيمينار الحادي عشر** ٥١/٥٢ .

١٦١-السيمينار الحادي عشر ٥٤/٥٣ – ٤ .

١٦٢-أرسطو ، *Physics*, II.iv 1976 - 1-3; 19-24

١٦٣-المصدر السابق II.iv.196a1-8

١٦٤-المصدر السابق II.iv.196b1-7

١٦٥-راجع ، Nussbaum, *Fragility of goodness*, p 319.

١٦٦-أرسطو ، *Physics*, II.v 1977a7

١٦٧-المصدر السابق ، II.v.196b34-5

١٦٨-قارن ، Shafer, A new language for psychoanalysis, and Wittgenstein, ' 'conversation on Freud، ضمن نصوص أخرى .

١٦٩-أرسطو ، Physics, IIv 197a6-8. تأتي الفقرة كاملة على النحو التالي : 'ومن ثم يعتبر

الحظ بوضوح ، إنه الاسم الذي نطلقه على السبب الذي يلازم بصورة طارئة فعلا هادفا مدروسا ويؤدي إلى نهاية أخرى ، إلى الحدث الذي نطلق عليه اسم الحظ . ونقول عن النتائج المهمة لمثل تلك الأسباب أنها "وليدة الحظ" .

١٧٠-وراء مبدأ اللذة (1920g), SE XVIII 21-2; Stud III 231-2; GW XIII 20-1 ، الترجمة]إلى الإنجليزية [بتصرف. وفي نهاية الفقرة هامش يشير إلى بحث يونج 'أهمية الأب في قدر الفرد'-وكانت مثل هذه الهوامش التي تشير إلى يونج ، في ذلك الوقت (١٩٢٠) ، نادرة في أعمال فرويد ؛ وكانت الملاحظات أكثر ندرة ، وهذه واحدة منها ، تعبر عن دَين ، وترشح البحث للقارئ . والفقرة التي يمنى فرويد أن يعثر عليها القارئ هي 'إن المثال التعليمي المشهور للسلوك الذي يحمل مشاعر متناقضة لصورة الأب هو حكاية الحب في سفر طوبيا . حيث كانت ساره ، بنت رعوئيل ، ابن Ecbatana، ترغب في الزواج . ولكن قدرها السيء شاء أن تختار سبعة مرات ، المرة تلو الأخرى ، زوجا يموت في ليلة الزفاف. وكان شيطان اسمه أزموداوس Asmodeus، يضطهدها ، ويقتل هؤلاء الرجال ... ولسوء الحظ تمنعني أخلاقيات الطب من تسجيل حالة هستيريا تماثل هذا النموذج بالضبط ، باستثناء أنه يوجد ثلاثة أزواج فقط بدلا من سبعة ، ولسوء الحظ أختارتهم تحت كل العلامات المشؤومة لقدرها الذي تحدد منذ الطفولة' (يونج ، 'أهمية الأب في قدر الفرد' ، ص ٣٢٢-٣) .

و'الروح الحارسة' التي يرد ذكرها في إحدى عبارات وراء مبدأ اللذة ، وهي عبارة سنعود إليها ، وقد لاحظها دريدا وعلق عليها في ' "Spéculer-sur "Freud'، خاصة ص ٣٤١ وما بعدها .

١٧١-**السيمينار الحادي عشر ٥٣-٤ / ٥٣-٤**

١٧٢-السيمينار الحادي عشر ٥٤/٥٤

١٧٣-السيمينار الحادي عشر ٥٤-٥ / ٥٤-٥

١٧٤-أرسطو ، *Metaphysics*, 1065a31

١٧٥-أظن أن هناك نوعا من الانعكاس الفلسفي يعود إلى إلهامات البيولوجيا الحديثة ، يوجد في

Monod's Chance and necessity, or Jacob, Le Jeu des possibles, and his The possible and the actual

١٧٦-دريدا ، 'Spéculer-sur" "Freud'، passim

١٧٧-**السيمينار الحادي عشر ٥٤/٥٤**

١٧٨-**السيمينار الحادي عشر ٥٣/٥٢**

١٧٩-عن علاقات لاكان بالسيريالية ، انظر

Roudinesco, La Bataille de cent ans, Vol. ٢and Macey, Lacan in contexts, pp. 44-74

وأود أن أشكر تيت جاليري Tate Gallery، من ليفربول ، لأنه بما يبدو وكأنه صدفة ، دفعني إلى تناول العلاقة بين مواجهة الصدفة في أعمال لاكان وضرورة استخدام الصدفة عند السيرياليين ، بدعوتي إلى محاضرة عن 'التحليل النفسي والسيريالية' ، في نوفمبر ١٩٨٨ .

١٨٠-أتذكر نقطتين من الجزء الأول من هذا الفصل : غضب لاكان من المحلّل الذي فشل في الطَرْق عليه في غرفة الاستشارات ، والقرار الذي اتخذه المحلّل نتيجة لذلك بترتيب موعده الخاص ؛ إن جلسات لاكان متنوعة الطول أدت إلى قضاء المحلّلين مددا مختلفة الطول في غرفة الانتظار ، غير متأكدين من وقت الموعد ومما إذا كان سيتم .

١٨١-**السيمينار الحادي عشر ٦١/٦٣** .

١٨٢-راجع ، V 509 Stud II 488, GW II/III 513

١٨٣-راجع ، SE V 510l Stud II 489; GW II/III 514

١٨٤-أشرت إلى الطفل بضمير ' it'حيث أن النص الأصلي لم يحدد عمر الطفل ، مشيرا إلى das Kind [الطفل] .

١٨٥-فرويد ، **تفسير الأحلام** ، SE V 510l Stud II 489; GW II/III 514

١٨٦-السيمينار الحادي عشر ٥٦-٧/٥٧

١٨٧-إن فرويد ، في الواقع ، يأخذ كلام الطفل مأخذ الجد ، وقد اتجهت أولى تعليقاته على الحلم باتجاه هذه النقطة : 'من الضروري أن تكون الكلمات التي نطق بها الطفل قد شيدت من كلمات نطقها بالفعل أثناء حياته وارتبطت ببعض الأحداث المهمة في ذهن الأب' (**تفسير الأحلام** SE V 510 ,(1900a) . ويرتبط ذلك بفرضية 'الرد 'reply، وانشغال فرويد بمصدر الكلام في الأحلام ، وقد طرقتُ هذا الموضوع في كتابي **اللغة وأصول التحليل النفسي**

(وقد فحص بالتفصيل في دراسة Heynick's Theoritical and empirical investi-gation into verbal aspects of the Freudian model of dream generation

وهي دراسة تتميز بالدقة الشديدة) . وبفضول كاف ، أدركتُ الانشغال العام لفرويد بمصدر الكلام في الأحلام يقلل من إحساس المرء بأن السبب الذي يجعله يعطي كل هذا الاهتمام لكلمات الطفل هو خاصيتها التكهنية ، أو أن فرويد بالأحرى عالج كل الكلام في الأحلام بوصفه يحمل هذه الخاصية التكهنية، وهي خاصية كان تواقا على نحو خاص إلى اقتطاعها من قاعدتها وتحويلها إلى قاعدة مألوفة بإرجاعها إلى مناسبات التفوه الخاصة أثناء اليقظة . وعن هذه المناسبة يكتب فرويد : 'يتصرف الطفل في الحلم وكأنه طفل حي : قام هو نفسه بتحذير أبيه ، أتى إلى سريره وأمسك به من ذراعه ، بالضبط كما يمكن أن يكون قد فعل في إحدى المناسبات التي من ذكراها انبثق الجزء الأول من كلمات الطفل في الحلم . وسعيا لإشباع هذه الأمنية أطال الأب نومه لحظة' (SE V 510) . ولكن ربما كان اضطرار فرويد للبحث عن الحدث الحقيقي للتفوه بهذه الكلمات ، بكل الكلمات التي تنطق في الأحلام ، كان محاولة لقطع أي تخمين من جانبنا بأن هذه الكلمات التي تنطق في الأحلام-وخاصة هذه الكلمات-ربما تكون تكهنية من منظور أنها اتصالات مباشرة من عالم الموت . انظر استمرارية هذا الخط في التفكير في الهامش رقم ١٩٣ .

١٨٨-إدجار ألان بو ، 'The facts in the case of M. Valdemar' . انظر بارت ، تعليق على حقيقة الحكي في هذا الفعل الكلامي المستحيل ، 'إنني ميت' ، في 'تحليل نصي "لفالمار" بو' ، ص ١٥٢-٤ .

١٨٩-السيمينار الحادي عشر ٥٩/٥٨ . والجملة التي تسبقها وسوف نتناولها فيما بعد هي : 'ولكن ، من ثم ، ماذا كان هذا الحادث-حين يكون أي شخص نائما ، بما في ذلك من يتمنى أن يأخذ قسطا ضئيلا من الراحة ، ومن لا يستطيع مواصلة السهر ، ون يصده شخص ويقف بجوار سريره ، وقد يكون علينا أن نقول ، إنه يبدو بالضبط وكأنه نائم ، حين لا نعرف سوى شيء واحد عنه ، وهذا هو كل ما في الأمر ، في هذا العالم الغارق في النوم ، سوى صوت يقول ، أبي ، ألا يمكن أن ترى أنني أحترق ؟'

١٩٠-السيمينار الحادي عشر ٥٨/٥٧ :

'Freud lui-même ne nous dit-il pas que, dans cette phrase, il faut reconnaître ce qui perpétue pour le pére ces mota à jamais séparés de l'enfant mort qui lui auront dits, peut-être, suppose Freud, à cause de la fièvre...'

(ألا يخبرنا فرويد نفسه بأن على المرء أن يدرك في هذه الجملة ما يخلد بالنسبة للأب تلك الكلمات إلى الأبد منفصلة عن طفله الميت ، الكلمات التي قيلت له ، وربما يفترض فرويد أنها نتيجة الحمى ... ؛ الترجمة بتصرف) .

١٩١-راجع ، SE V 509 ؛ لاحظ أن فرويد لا يعزو استيقاظ الرجل إلى هذا الضوء ؛ لكنه يذكر هذا الضوء بوصفه الدليل الذي قاد الرجل ، بينما كان لايزال نائما ، ليستنتج أن 'شمعة سقطت ورأى شيئا مضيئا بجوار الجثمان' .

١٩٢-**السيمينار الحادي عشر** ٥٨/٥٧ ؛الترجمة بتصرف .

١٩٣-إن الجهد الذي يبذله فرويد ، لدفع واقع الحلم باتجاه الذاكرة ، باتجاه مناسبات في الواقع نطق فيها الطفل بالكلمات ، 'أبي ، ألا يمكن أن ترى ... ؟' و 'إنني أحترق' ، دليل آخر على أهمية هذا الحلم كمثال آخر لمجموعة الأحلام التي أطلق عليها فرويد فيما بعد اسم 'الأحلام التكهنية' : إن فرويد تواق للتأكد من عدم وجود أي قدر من **غموض** التفسير يتطرق إلى فهمنا للحلم . إنه ليس حلما عن اتصال خارق للطبيعة ، يتصل فيه الطفل الميت بأبيه ليخبره أن **جثمانه** في الواقع ، في الغرفة المجاورة ، يحترق ، بينما كان الأب نائما . قارن مناقشة 'الحلم التكهني' في الفصل الخامس ، حيث ينأى فرويد بالتفسير عن أي غموض ، باتجاه أن يكون حلما يرتكز علة ذكرى **الموعد** . إن فكرة لاكان عن المواجهة اقتراب مدسوس من هذه التيمة من تيمات فرويد .

١٩٤-**السيمينار الحادي عشر** ٥٨/٥٧ ؛الترجمة بتصرف .

١٩٥-**السيمينار الحادي عشر** ٦٨/٦٦ ؛ تركت زلة لاكان بدون تصحيح ، افتراضه أن الطفل ذكر ، إنه ابن الأب .

١٩٦-**السيمينار الحادي عشر**٦٩/٦٦ .

الفصل السابع

أكتيون التحليل النفسى

مالكولم بويى

العنوان الأصلى :

Epilogue

وهو الفصل الختامى فى :

Malcolm Bowie: Freud, Proust and Lacan: *Theory as fiction*, Cambridge University Press 1987. pp.165-178; 211-213.

المتن من ص ١٦٥ إلى ص ١٧٨ ، والهوامش من ص ٢١١ إلى ص ٢١٣

لاشىء يكاد يبقى من صورتى الأصلية ؛

لم يعد كلامى سوى صوت مشوش

Marc-Antonie Charpentier: *Actéon*

سيكون من المناسب أن نفترض أن **غريزة المعرفة** *WiBtrieb* عند فرويد مارستْ شكلا من أشكال الضغط اليومى المتواصل على أولئك الذين كانت تُمثِّل بالنسبة لهم شراهةَ العقل . مثلا ، على فرويد وبروست ولاكان . وسيكون من الملائم أيضا أن نفترض أن الحكايات والفرضيات المؤثِّرة للباحث عن المعرفة–البنيات الذهنية التى يُنتِج بها تجريبيا لذّاتِ المعرفة باعتبارها تتابعات للذة سابقة مارستْ ضغطا مضادا على العالم . والملاحة هنا تتجاوز مسألة تقديم شعار بطولىٍّ فعّالٍ ، وحكاية تشبع الغرور لتعيد شحنه لمواصلة المراحل التالية من الغاية التى يسعى إليها. ويمكن أيضا ، نتيجة لتلك الصورة المزدوجة ، أن تكون تفسيرا وليدا للتفسير ذاته ، تفسيرا يمكن، نتيجة له ، ادعاء فضيلتى الاقتصاد والأناقة وهما فضيلتان تحظيان بإعجاب واسع . عالَمٌ يُعرَف ، رغبةٌ تَعرِف ، أداةٌ ذهنيةٌ جاهزة للعمل ببراعة وتبصُّر..ومن هذا الحدس البسيط المأمول تنبثق ، نادرا ، مطاردةُ المعرفة على نحو ليس مأمونا ومتطورا ومشجعا .

وإذا تأملنا فرويد وبروست ولاكان باعتبارهم أعلاما نموذجيين فى التاريخ الحديث **لغريزة المعرفة** *WiBtrieb*، وباعتبارهم منظِّرين لحماسة تُدعَم دعما ذاتيا بصورة غير محدودة–ومن الواضح أن الوصفين يبدوان كلاهما جديرين بالاهتمام بالنسبة لى–ربما يكون علينا أن نتوقف لنسأل عما إذا كانت فضيلتا الاقتصاد والأناقة بارزتين فى الحقيقة ضمن الفضائل التى تتمتع بها أعمالهم . إن كل كاتب من هؤلاء الكتاب يقدم لنا ، بالطبع ، لحظاتٍ مؤثرةً عن التواؤم adequation أو التناسب commensurability بين تقريره عن الخبرة وتقريره عن صياغة النظرية التى تحثُّ عليها الخبرة : مازال لمثل هذه الابتكارات النظرية من قبيل عقدة أوديب والذاكرة اللاإرادية ومرحلة المرآة ، إذا اكتفينا بذكر أفضل ما شاع منها ، مازال لها قدرة

استثنائية حين نتذكر البراعة التى تحقق التواؤم فى كل حالة . إلا أن كل كاتب منهم مسكون أيضا بعفريت ، عفريتٍ صغير ضال ، يبحث لتحطيم التوافق المقنع بين الخبرة والنظرية بغرس النظرية فى الفائض surplus. وسيرى التعليق الهادف على هذه العملية أن نزوع العقول الخصبة إلى "الابتكار أو الهلاك" هو شعارهم . لكن لكل من فرويد وبروست ولاكان شهية أقوى مما يوحى بها هذا الكلام : علينا أن نوضح أن النظريات ، حتى أكثرها تعلُّقا بالذهن ، متقلبة أو قابلة للهدم خشية ألا تصبح النظريات الأخرى جديرة بالابتكار . وحيث أن نظريات الآخرين يدمِّرُها غالبا مفكرون من هذا الطراز كتمهيد بسيط لترسيخ نظرياتهم الخاصة ، يكون للطاقة العدائية الموجهة ضد نظرياتهم بمجرد رسوخها ، يكون لها ، بكل معنى الكلمة ، غايةٌ أوضح: إنها وسيلة لإطالة عمر رغبات المرء . وحين تصل النظرية والخبرة إلى اللحظة الخاصة بالتطابق الذى يبدو مؤكدا ، يصبح الشك ضرورة عاطفية .

يتحدث فرويد فى الصفحات الأخيرة من بحث بعنوان "ملاحظات عن حالة من حالات عُصَاب الوسواس القهرى Notes upon a Case of Obsessional Neurosis' (١٩٠٩) عن احتياج أحد مرضى العصاب إلى عدم التأكد وإلى الشك وعن الحيل المدروسة التى يُضطَّر غالبا إلى تبنيها ليبقى غير متأكد فى عالم فيه أدوات دقيقة للقياس ومصادر المعلومات الموثوق فيها (x, 232) . وتجعله المعرفة الموثوق فيها فى حالة هلع لا يوصف . لكن هذه الفقرة صدرت عن مرجعية إكلينيكية دقيقة ، وقد احتشدت بتلميحات إبستمولوجية عامة ، بحيث تصبح بورتريها منمنما لكل إنسان كمفكر . لقد عرَّف فرويد بوضوح ، ويتوقع من قارئه أن يدرك أن ذلك الميل فى التفكير-فى العصاب عموما وفيما يتجاوزه-الذى ربما بواسطته يمضى عدم اليقين بعبادة حفظ الذات إلى حد تدمير الذات . إن عُصَاب الوسواس القهرى ، كما يشرحه فرويد هنا ، مرض ذهنى ، ويمكن لنا التفكير فى "التفلسف" و"التنظير" و"التساؤل الفلسفى" كأسماء بديلة مناسبة . إلا أن التحليل النفسى ، مع ذلك ، كان "علما ذهنيا يجعل من الممكن فهم العمليات السوية والمرضية باعتبارها أجزاء من سياق الأحداث ، من ذلك السياق الطبيعى نفسه ("Goethe Prize Address' ''، (١٩٣٠) ، (XXI, 208)

إلا أن ذلك لا يقدم بالنسبة لى سوى مغزى واهٍ للغاية لا يسمح لى بأن أقول فى هذه المرحلة من بحثى : إن تعليق فرويد "كتعليق بروست" أو "كتعليق لاكان" من حيث التشبيه الجاهز للأداء الذهنى "المرضى" بالأداء الذهنى "الطبيعى" أو الأداء "العصابى" بالأداء "النظرى" . إلا أننا نجد فى متناول أيدينا نقطة أقوى بكثير للمقارنة ،بمجرد أن نضع فى اعتبارنا التدمير الذاتى للعقل المُنَظِّر ، ولاكان هو الذى يقدم ، فى مداعبة تراجيدية فى "الشيء الفرويدى 'La Chose freudienne'، أكثر الصور الخاضعة للتأمل المتطرف الذى يجد كل كاتب من هؤلاء الكتاب نفسه منقادا إليه .

فى مقابل البورتريهات الذاتية الحربية التى يقدمها فرويد لقواد من قبيل موسى وهانيبال والاسكندر ونابليون ، يصفه لاكان بأنه أكتيون Actaeon، اصطيد والتُهِمَ ، فى فقرة أشرتُ إليها من قبل[1] وأقتبسها الآن كاملة :

ولكن إذا كان لابد من استعارة أكثر أهمية تكون فى صالح البطل ، فهى الاستعارة التى تجعلنا نرى فى فرويد أكتيون تراوغه باستمرار كلابٌ تعقبها منذ البداية ، ويجاهد للعودة إلى المطاردة ، ، ولا يكون قادرا على التخفيف من سرعة المطاردة حيث لا يغريه سوى اشتهائه للإلهة . تغريه بحيث لا يستطيع التوقف إلى أن يصل إلى الكهوف حيث توجد ديانا الشتونية chtonian Diana فى الظلال الرطبة ، مما يجعلها تبدو وكأنها قاعدة لشعار الحقيقة ، تُقدِّمُ لظمئه ، مع السطح الأملس للموت ، تقدم الحدودَ شبه الصوفية لمعظم الخطاب المنطقى فى العالم ، بحيث نستطيع إدراك الموضع الذى يحلُّ فيه الرمز مكان الموت لتتحقق لنا السيطرة على أول أورام الحياة .

وكما نعرف ، مازالت هذه الحدود ، ومازال هذا الموضع ، بعيدة عن متناول أيدى أتباعه ، إن كانوا قد قاموا فى الحقيقة بأية محاولة للبحث عنها ، وهكذا لا يكون فرويد هو أكتيون الذى تتمزق أوصاله هنا ، ولكنه كل محلل يمكن أن يضارع الاشتهاء الذى استهلكه والذى صنعه ، وبناء على الدلالة التى قدَّمَ بها جوردانو برونو Giordano Bruno هذه الأسطورة فى Furori eroici، يكون فريسة لكلاب أفكاره . (٤١٢)

إن المحتوى التاريخي للحكاية الأوفيدية Ovidian واضح وضوحا تاما : في أعمال فرويد وصل الخطاب العقلي والطموحات العلمية العقلية في القرن التاسع عشر إلى نقطة الذروة لكنها تجاوزت نفسها في هذه العملية وبدأت التحلل بصورة لا عودة فيها . إن ديانا ، ديانا لعبة هذا النص الطريف طرافة مهيبة وإلهة العقل اللاشعوري ، الإلهة التي تعيش تحت الأرض وتسكن كهف أفلاطون مؤقتا ، قدمت فكرة عن عبء الأهمية وعدم الجدوى وهو عبء لا يحتمل . وقد جاء التحليل النفسي ، في حكاية رواها فرويد نفسُه عن تدمير التقدير الذاتيِّ للإنسان الأوربيِّ الحديث ، باعتباره لطمة للتناسب الألفي millennial proportions: وكان النظير السيكولوجي للصفعات الكونية والبيولوجية التي تتابعت على أيدي كل من كوبرنيكوس وداروين (XII, 140-1 XIX,221.)[٣] ولكن بالرغم من أن التدمير الذي انصبَّ على نرجسية الإنسان في عصر التحليل النفسي كان يمكن أن نتوقع تميزه النوعي عن ذلك التدمير الذي جاءت به الثورات العلمية السابقة–من منطلق أن التحليل النفسي أعلن أن عقل الإنسان مقسم ذاتيا بصورة متأصلة لا يمكن إصلاحها–إلا أن فرويد قدم غالبا تعاليمه الخاصة باعتبارها صرحًا لم يمسسه ، بصورة تدعو للدهشة ، الطوفان الذي استثارته . و(علينا أن نفترض) أن العقلانية العلمية التي دفعت كوبرنيكوس وداروين بعيدا عن مواصلة الحياة في الشكل الغامض على نحو خطير ، الشكل الذي بدا وكأن التحليل النفسي يتنبأ به ، وجدت تلك العقلانية في فرويد نصيرا جديدا لا يعرف معنى الخوف.

ومن الناحية الأخرى ، يُعتقد أن التحليل النفسي ، في نسخة لاكان للقصة نفسها وقد صاغها في إطار أسطوري أكثر وضوحا ، ليس معرَّضًا للخطر فقط ولكنه يحلِّق دائما بدون أمل في أي ملاذ سوى نهاية الفكرة . وليس هناك ما يدعو للدهشة في هذه التوسعات العقلانية والأخلاقية لقصة أوفيد ، حتى لو حدث ذلك في القرن العشرين حين لم تعد القصة رائجةً . إن لاكان ، في الحقيقة ، يغرس نفسه هنا على نحو مباشر بصورة غير معتادة في تراث قديم . ووراء أكتيون لاكان ، يوجد أكتيون برونو ، الذي يعترف كما ينبغي :

أمد أفكارى إلى الفريسة المهيبة ،

وهى تشدنى إلى الخلف ، تقتلنى

بقرضها القاسى الفج .(٤)

وبالضبط مثلما يوجد وراء أكتيون برونو أكتيون بوكاشيو Boccaccio وأكتيون بترارك Petrarch (وكثير غيرهم) :

سأقول الحقيقة ، ربما تبدو كذبة

لأننى أشعر بالانسحاب من صورتى

إلى أيل وحيد يهيم

أُنقَل سريعا من غابة إلى أخرى

ومازلتُ أفرُّ من نباح كلابي .(٥)

إن لاكان يشبه على وجه الخصوص برونو وبترارك من بين الحشد الكبير من أسلافه-فى هذه الصورة التى يقدم بها الموت بوصفه اختيارا ذاتيا لعقل يرغب فيه . إن العقل ، بالسماح لشهواته بمطاردة أهداف محددة-لورا Laura، الجمال السماوى ، اللاشعورى-يفضى بنا إلى دماره الخاص ؛ إن الخيالى عند الكتاب الثلاثة يدمج الطرق الجنسية والعقلانية فى صورة متكاملة للعقل باعتباره متعصبًا وجشعا ومبدِّدًا لذاته فى كل مطارداته . يبتعد لاكان ابتعادا تاما عن ديانا المعرفة، مفرطة العذرية ، تلك التى يشيدها لنفسه راوية كيركيجارد فى **يوميات الفاسق** *Diary of the Seducer*: "لست مهتما بالنظر إليها فى حمَّامها ، لستُ مهتما بذلك على الإطلاق ، لكننى أود أن أطرح عليها الأسئلة التى تحيرنى ."(٦) مرة أخرى لاشيء يدهشنا فى رغبة فرويد لاكان Lacan's Freud فى النظر إلى الإلهة بالعيون والأسئلة معا-ربط فرويد نفسُه بصورة غير مألوفة بين **غريزة المعرفة** *WiBtrieb* **وغريزة النظر** *Schautrieb* وصوَّر الباحث عن المعرفة بوصفه طفلا **يختلس النظر** voyeur إلى ما يأتى به العمر. وبصورة مماثلة لإلحاح أفكار الموت عند هيجل فى

النظام **الرمزى** الذى تشرف عليه ديانا الحديثة ، سيكون الوضع المتوقع لأى قارئ يطّلع على **كتابات** . لكن ما يدهشنى بوضوح هو أن فرويد الرمزى عند لاكان ، فرويد الذى تطارده أفكار هى موت التفكير وتدفعه رغبات تقضى على الرغبة إذا سمح لها بالسير فى مسارها ، يجب أن يقدَّم إلى مهنة التحليل النفسى بوصفه نموذجا للاستقامة وكان بحث "الشىء الفرويدى 'La Chose freudienne' فى أول صوره . خطبة تذكارية فى عيادة فيينا للطب النفسى وطب الأعصاب ، يكرر فيها لاكان توبيخ المستمعين إليه من الإكلينيكيين نتيجة التناقض بين البطولة الفكرية التى تحلى بها فرويد والجبن الذى يتذرع به معظم الإكلينيكيين ، بصرف النظر عما إذا كانوا فرويديين أم كانوا غير فرويديين . ويكمن فشل العرق الأخلاقى والطاقة الأخلاقية فى مقاومتهم الاشتعال بنيران أفكارهم ، وفى رفضهم ، بمجرد الاشتعال ، أن يكونوا فرائس .(٧) إنه طبٌّ قوىٌّ حقا .

وفى الفقرة الأخيرة من هذا البحث ، وهى فقرة يلخص فيها المواجهة المصيرية بين أكتيون وديانا ويبالغ فيها بصورة أكبر ، يتحول التهكم وتتحول العظة الأخلاقية إلى تلفظ نبوى فخيم : تبرهن الحقيقة على أنها معقدة فى جوهرها ، وضيعة فى مهامها وغريبة بالنسبة للواقع، وحرون بالنسبة لاختيار الجنس sex، ' مماثلة للموت ، وغير إنسانية تماما ، وربما تكون ديانا ... وكان أكتيون يشعر بالذنب إلى درجة تحول بينه وبين اصطياد الإلهة ، الفريسة التى تصطاده ، ويا لك من صياد ، بالظل الذى تتحول إليه، دع القطيع يمر ولا تسرع الخطى ، وسوف تدرك ديانا لأى شىء تكون كلاب الصيد ...(٤٣٦)

إن اللاشعورى مرة أخرى طرف مستحيل يقاد المحلِّل باتجاهه ويفرُّ منه ، إلا أن الفقرة الأخيرة تحتوى على بؤرة جديدة : إنها محاولة لتصوير لحْظة الهلع بين الكر والفرِّ ، بين طور الإحياء وطور الإبادة فى الصيد ، صيد الحقيقة . إن الحيل الأسلوبية التى تثير الارتباك فيما يكتبه لاكان فى مواضع أخرى من كتابات تُستخدَم هنا لتقديم مجموعة ملتبسة بالصورة المناسبة ، مجموعة مصحوبة بزهو الانتصار . مَن الفريسة ،

أكتيون أم ديانا ؟ إن التركيب التراكمى للجملة عند لاكان يسمح بكل من القراءتين . هل أكتيون صياد ماهر أم أيَّل محتضر ؟ إن أزمنة الفعل تجعله الصياد والأيل ، بصياغته فى لحظة غير محددة من المستقبل المضارع present futurity والماضى المستقبلى -future anteriority مثلما يرسل تيتان Titian فى رائعته **ديانا وأكتيون** وتوجد الآن فى أدينبرج ، يرسل نظرة الصياد الشاب ، تلك النظرة المشدوهة ، فى اتجاه الإلهة وفى اتجاه جمجمة الأيِّل وهى رمز للمصير الذى ينتظره بعد الموت . هل ينشأ إحساس أكتيون بالذنب نتيجة اصطياده للإلهة فى المقام الأول أم نتيجة لسبب آخر غير محدد ، يمنعه الآن من اصطيادها مرة أخرى ؟ إن عبارة 'Trop coupable à courre la déesse' يشعر بالذنب بدرجة تحول بينه وبين اصطياد الإلهة تحتوى على حرف جر غير مناسب-كما لو كان حرف الجر à محصلة التقاء القوى الدلالية لحرفى الجر الجائز استخدامهما هنا (pour و de) مما يجعل نوعى الإحساس بالذنب محتملين وعلى الدرجة نفسها من الصواب ؛ وتقدم عبارة " 'à courre أيضا صدى لكل من chasse à courre ("الصيد") و être à court de ("يحتاج إلى") : علينا أن نظن أن أكتيون مضى إلى الغابات والحقول لأنه كان يحتاج إلى إلهة . وماذا عن تلك الكلاب التى يختم بها البحث ؟ إنها أفكار فرويد ، يفتنها اللاشعورى ، وتنقلب بصورة قاتلة إلى مؤلفها . لكن الهجوم الأساسى فيما يقدمه لاكان من ذمٍّ فى "الشىء الفرويدى" يوحى أيضا بأنها أفكار فرويد فى مظهر آخر-وقد قامت بتصنيفها منظمة دولية وأضفت عليها صبغة احترافية وتبددت بالتالى قوتها الأصلية . وفى القراءة الثانية يمثل القطيعُ النابحُ المحلِّلين المعاصرين ، وقد أدركتْ ديانا أنهم بلا قيمة . وينتج عن هذا النوع من الالتباس على المستوى السيكولوجى تفكير يمثل فى الوقت ذاته رؤية وَجْدية ecstatic لعملية ذهنية غير محدَّدة . إن السخرية المنصرمة هى التى تضفى على نشوة لاكان مذاقها المميز الأخير ، مذاق العناد والعدوانية .

"إن كل الدوافع هى فعليا دوافع موت" (٨٤٨) ، هكذا يقول لاكان فى "وضع اللاشعورى 'Position de l'inconscient' (١٩٦٠) .[9] وهكذا يكون لاكان ، حين يبدو أنه يضع عنصرا أساسيا من عناصر مبادئه المهنية تحت علامة ثانتوس

Thanatos ، قد أكَّد لبعض قرائه ما توقعوه لفترة طويلة على نحو مبهم : إن التحليل النفسى مهنة "مستحيلة" حقا ، عِلْمُ ما لا يمكن تصوُّره ، عَرَضٌ للداء الذى يبدو أنه يشخصه ، إنه فى أفضل الأحوال نسخة جديدة من السحر الذى يعالج الداء بما يسبب الداء نفسه homeopathic magic . إن مبالغة لاكان فى تناول أسطورة أكتيون ، وإلحاحه على أن موضوع الموت يجب أن يُقَدَّم فى الديالوج التحليلى ولكن لا يمكن تقديمه ، إن هذه المبالغة وهذا الإلحاح يلفتان الأنظار إلى سمة من سمات فكر فرويد ، فكرة يتجاهلها من ينتقصون من قدره بقوة . يُتَّهَم فرويد غالبا بأنه مدَّ الأنساق التحليلية بدائرية ذاتية التحقق تحصِّنها ضد النقد العقلانى . إنه بالتأكيد ، فى تعليقاته على أن "مقاومة التحليل النفسى" بوصفها عرَضا لا يمكن تفسيره إلا بواسطة التحليل النفسى ، لا يهتم اهتماما جليا بمحو المنطق الهزيل : "إذا كنْتَ تعترض على ما أقول فإننى على صواب بالضرورة".[١٠] ضد الاقتناع الذاتى بذلك ، وضد العجرفة والتعصب اللذين يتضحان فى مواضع أخرى من أعمال فرويد ، يقدم لنا لاكان نسخة من تفكير فرويد تبرز قدرته السلبية–قدرته على احتمال الكوارث التى يبتلى العقلُ المنظِّرُ نفسَه بها . ينتقل لاكان بين المؤلفات الفرويدية من كتاب إلى آخر ، وينتبه إلى مساحات التردد فى كل نظرية من نظرياته فى لحظة من اللحظات وإلى تحولات تلك النظرية على مدار الزمن ، ويشير دون تعطف أو Schadenfreude ولكن بإحساس بأن الصواب يعاد اكتشافُه فى العالَم ، يشير إلى نزوع النظريات التحليلية إلى الانهيار أو الانفجار من الداخل .

إن رؤية لاكان لهذه النظريات in statu moriendi- محقِّقةٌ صوابها برفضها أن تكون صائبة–تحمل معها ، كما اقترحتُ فى فصل سابق ، خطر الدائرية وخطر الاقتناع الذاتى ("كلما كان تنظيرى أكثر تمزقا ، ورغبة ، ومحددا بعدد أكبر من العوامل ، وكلما زاد تعذر الإحاطة به وتعذرت قابليته للانتهاء ، كلما ازداد الشبه بينه وبين اللاشعورى الذى يفترضه تنظيرى") .[١١] إلا أن وصف اللاشعورى الفرويدى كما يقدمه لاكان من جديد يقبض على أحد أبعاد المشروع التحليلى باستبصار خارق . وينبثق المشروع مرة أخرى فى تعليق لاكان باعتباره مجموعة من المعايير العلاجية

والوقائية الصارمة بالنسبة للذكاء النظرى ومقدمة نقدية ، دقيقة وغير محددة الأمد، لأية إبستمولوجيا مستقبلية . إن اللاشعورى يمثل فى الوقت ذاته الموضوع الأسمى للمعرفة والشرط المهيمن (المتحرِّر والمعوِّق) اللازم لمطاردة المعرفة . إنه موجود دائما إلا أنه مراوغٌ ، بارز إلا أنه نتيجة لرغبة لا تُحَسُّ ، يخضع لنسق إلا أنه مدمِّر للنسق ، يُنطَق صراحةً إلا أنه تهكمىٌّ ironic بصورة لا يمكن علاجها ... يشيد لاكان اللاشعورى من كتلة متباينة من المواد الفرويدية والمواد الأخرى ، كتلة تقدم تلخيصا مُقْنِعا لكل الإنتاج النظرى الذى قدمه فرويد . ومن هذا المنظور يمثل تاريخُ نظريات فرويد تاريخَ البراءة المفقودة والغيرة الفكرية النهمة . إن شروحَه ، دائما ، لا تبلغ their explicanda ، أو تتجاوزها أو تطوقها . إن اللاشعورى هو ديانا فرويد Freud's Diana ، ولوراه his Laura ، وألبرتينه his Albertine- القوة التى تدير آلة نظرية لا تتوقف لأنها ترفض الكشف عن نفسها .

إن التحليل النفسى الذى يعاد تعريفه بهذه المصطلحات يذكِّر الذكاء النظرى، باستمرار، بأنه مجسِّدٌ وقاتلٌ ويقدِّم من جديد فى نماذجه نفسها فَهْمًا مشوَّشا للتدفق . إن إبستمولوجيا المستقبل التى يَعِدُ بها التحليل النفسى الآن هى تلك التى يمكنها أن تتكيف مع الانقطاعات المتأصلة فى العقل البشرى ، ويمكنها أن تسمع لغةِ العقل الذى يتشكل ، تلك اللغة المجنونة المترددة، وأن تتكلمها . لكن الجِراح التى يدمى التحليلُ النفسىُّ نفسَه بها ليست كلها من هذا النوع المفيد ، وسوف أوجز الآن بعض الخصائص الأكثر قدرة على التدمير من بين الخصائص التى تميز أسلوب التحليل النفسى فى التفكير ، فيما يبدو لى أنه يمثل نسقا متناميا من الجاذبية .

أولا ، إن الفرص الملائمة للنقد الذاتى ، الفرص التى استنبطها فرويد من نماذجه الخاصة المتعاقبة فى الحياة الذهنية وأتاحها أمام صانعى النماذج عموما كإشكاليات عامة فُقِدتْ غالبا على نحو مفجع فى مهنة التحليل النفسى . ربما نتوقع من أنصار النظرية الفرويدية الذين تلقوا درسهم الأساسى من كتابات فرويد نفسه-وليس من الكتب الدراسية والكتيبات التى تتناول التحليل النفسى-أن يمتلكوا

بصورة غير شائعة إحساسا حادا بالنظرية فى تحديداتها الثقافية المحلية وأن يسلموا بأن الصراحة النموذجية التى تتمتع بها نظريات ، من قبيل الأحلام والفنتازيا ، ضمن بعض الخصائص الأخرى البارزة ، تشبع أمنيات المنظِّر . وربما نتوقع منهم أيضا أن يسلموا بأن مفاهيم التحليل النفسى ونماذجه ، حتى حين تكون قد تخلصت من تلك الأمنيات إلى حد بعيد ، أعراف مؤقتة ، مقدَّر لها أن تُزاح بواسطة مفاهيم أخرى لها قوة تفسيرية أسمى-أو تكون مجرد مفاهيم أخرى . ولكن ، مع أن الفروع العلمية الأعلى التى اتخذ منها التحليل النفسى نموذجا له فى سنواته التكوينية واصلت بوضوح التبدل بتلك الطريقة ، إلا أن التحليل النفسى حمى مفاهيمه التأسيسية باحتراس يثير الحسد . يمكن ، بكل دقة ، أن تكون السلبية التى واجهها فرويد ضد نظرياته فى بعض لحظات الشك "البطولى" قد بدت وكأنها تمحو الحاجة إلى نقد ذاتى وإلى ابتكار المفاهيم باستمرار فى المهنة التى دشَّنها . كان فرويد مؤسِّسا لأسلوب نظرى ذاتى الانعكاس ومؤسِّسا لمجموعة من التعاليم . وثبت للغالبية العظمى من خلفائه أن تكرار التعاليم أسهل من محاكاة الأسلوب . تتمتع سياسات المعرفة التحليلية بحدين متكاملين: التصاق دائم بالنماذج الأصلية فى الوسط المألوف ، ورفض الدخول فى مناقشات تمهيدية وسط العلاقات الخارجية ، إذا تجاوزنا عن ذكر التعاون مع أنساق المفاهيم المتاخمة له أو عن ذكر التنافس المعلن معها . ومازالت هناك دروس تحررية يمكن أن يتعلمها من أعمال فرويد أولئك الذين يحصرون أنفسهم عمدا فى نسق مهنى سلطوى ابتدعه لنقل مفاهيمه .

ثانيا ، إن التحليل النفسى وضع نفسه ، بفصل العقل عن المجتمع والتاريخ تحديد *seelischer Apparat* لا اجتماعى ولازمنى كموضوع أساسى للدراسة ، موقف المُستقبِل السلبى للرسائل المقنَّعة المرسلة من العالم العمومى المستبعَد . وقد صبح (أو يودُّ لو يبدو) مطبوعا على نحو مجهول تماما ، وهو يكيِّف أداته النظرية بحذر مع الاحتياجات المتذبذبة ، احتياجات "الروح" ، ويحمى بنشاط إجراءاته العلاجية ، بأنواع مذهلة من الممارسات الاجتماعية التفاعلية . لقد أصبح فى أسوأ الأحوال مزيجا من البلسم والقسوة بالنسبة للنفس psyche فى الرأسمالية

الاستهلاكية . وقد دخل هذا العقل المُدَّعى للتنوير ، هذا المصدر للإضاءة الذى أنتجه العقل وانقلب بعنف ضد العقل ، إلى التعقيد مع **المهتوك** *l'infâme* : أصبحت تعبيراته الرقيقة عن العقل اللاشعورى بمثابة **اللوح الأملس** *tabula rasa* حالة افتراضية للعقل قبل استقباله أية انطباعات خارجية-المترج الذى تكتب عليه من جديد بعض الأساطير السائدة فى هذا العصر وبدون التعرض لأى شكل من أشكال التدقيق النقدى .

وتتمثل الخاصية الثالثة ، ويبقى أنها الخاصية الأكثر قدرة على التدمير ، فى أن التحليل النفسى انتقص بنشاط من شأن تلك المحدِّدات الاجتماعية للبنية العقلية التى شعر بالاضطرار ، وإن لم يكن على مضض ، إلى وضعها فى الاعتبار . تحدث فرويد غالبا عن الحدود المشتركة بين الفرد والمجتمع ، وقد فعل ذلك بطريقة مبرمجة بصورة بارزة فى بداية **سيكولوجيا الجماعة وتحليل الأنا** (١٩٢١):

> إن التباين بين سيكولوجيا الفرد وسيكولوجيا المجتمع أو الجماعة ، وهو تباين قد يبدو للوهلة الأولى تباينا عظيم الأهمية ، يفقد قدرا كبيرا من حدَّته حين يخضع لفحص أدق . تهتم سيكولوجيا الفرد حقا بالإنسان الفرد وتكشف المسارات التى يسعى بواسطتها للعثور على إشباع لدوافعه الغريزية ؛ ولكن من النادر وفى ظل بعض الظروف الاستثنائية أن تكون سيكولوجيا الفرد فى وضع يجعلها تهمل علاقات هذا الفرد بالآخرين . إن الحياة العقلية للفرد تتضمن شخصا آخر دائما ، كنموذج ، كموضوع ، كمعين ، كخصم ؛ وهكذا تكون سيكولوجيا الفرد ، بهذا المعنى الموسَّع للكلمات والمبرَّر تماما ، سيكولوجيا المجتمع أيضا فى الوقت ذاته . (XVIII, 69)

لكن هذا البرنامج لم يُنجَزْ ، ولم يتابعْ أحدٌ من خلفاء فرويد مختلف التفاعلات والتحديدات المتبادلة ، التى يضع خطوطها هنا ، بتقديم أى شىء على قدر من الأهمية النظرية . إن تاريخ الثقافة الإنسانية يمثل غالبا ، بالنسبة للتحليل النفسى اليوم ، مجرد تاريخ للكبت ونتائجه ؛ والكبت-شأنه فى ذلك شأن الرغبة التى يسيطر

عليها-هو غالبا مجرد مُعْطَى سيكولوجى ، مجرد حقيقة عن الحياة الباطنية . وحيث أن المجتمعات كلها والجماعات الاجتماعية عوامل تتحكم فى رغبة الإنسان ، فإن التجمع يمارس ضغوطا مَرَضية محدَّدة بدلا من أن يبدو وكأنه يفتقر إلى القوة والترابط بوصفه مادة لموضوع إكلينيكى أو علمى . إن التبلد والتحرر من الأوهام يبدوان وكأنهما القَدَرُ الحتمىُّ لأى منظِّر ينظر إلى المجتمع من خلال عدسات من هذا النوع . إذن ، لماذا ينظر ؟ إن التحول الفرويدى المستسلم باتجاه العقل ، التحول الذى يُدرَك بوصفه نسقا شبه تلقائى لقوى بينها علاقات متبادلة ، لم يتطور تطورا بارزا على يدى لاكان، بالرغم من إلحاحه على أن اللغة هى الحامل الحتمى للمعانى الاجتماعية إلى داخل العقل . إن "سلسلة الدوال" اللاكانية لا يمكن أن تقوم بأكثر من ربط عقل الفرد بالعالم الاجتماعى المحيط به حيث تشكلت السلسلة ، ولا يعنى هذا- **فيما يتعلق** بعدد كبير من مريدى لاكان-أن التحليل النفسى بلغ سن الرشد كنظرية اجتماعية . إن نظرية لاكان ، شأنها شأن نظرية فرويد ، تتيح بالطبع للقوى الاجتماعية الفرصة لتبدو عاملةً فى إنتاج بعض صور الرغبة أو نزعاتها المستقرة نسبيا-يمكن أن ندعوها "أنماط العقل"-وهى نظرية مهمة أحيانا بصورة استثنائية فى دراسة موضوعات اجتماعية أو سياسية من قبيل الفاشية ، والجريمة الناتجة عن اضطرابٍ نفسىٍّ ، نظام الأقلية الجنسية sexual التمييز الجنسى sexual والعنصرى . ولكن مازال هناك عمل تفصيلى فى حاجة إلى الإنجاز ، عمل عن البنية الاجتماعية من ناحية وعن البنية النفسية التى يصفها التحليل النفسى من الناحية الأخرى-وفى أثناء ذلك تكون الشعارات السياسية السحرية من النوع الذى يقدمه التحليل النفسى بديلا هزيلا لذلك العمل .

إن المشكلة مزدوجة : لقد فشل التحليل النفسى إلى حد بعيد فى تطوير بصائره الاجتماعية الباكرة ، وفشل أيضا ، وبصورة أكبر ، فى الرد على الانتقادات الباكرة التى وجهت إليه وكانت أكثر دقة . إن أعمالا من قبيل **الفرويدية من منظور النقد الماركسى** *Freudianism. A Marxist Critique* (١٩٢٧) لفولوزينوف Volozinov V.N.[12] أو Critique des fodements de la psychologie

(١٩٢٨) لجورج بولتزر Politzer ، بكل ما تحمله من حماس ومغالاة تثير بعض الصعوبات الحاسمة ، وكان من الممكن ، إذا كانت قد وضعت فى الاعتبار تماما ، أن تكون ذات فائدة عظيمة بالنسبة للتحليل النفسى فى تنقيح النظرية وتوسيعها . وقد تمت الدعوة بانتظام منذ أوائل الثلاثينيات لوضع برنامج للبحث المشترك بين التحليل النفسى وعلم الاجتماع ، وربما كانت أكثر حماسا على أيدى كتّاب ارتبطوا بمعهد فرانكفورت للبحث الاجتماعى : على أيدى إريك فروم الشاب فى بحث بعنوان "منهج علم النفس الاجتماعى التحليلى ووظيفته" (١٩٣٢) وعلى أيدى أدورنو Adorno وهبرماس Habermas فى مناسبات عديدة .[١٣] لكن التحليل النفسى المؤسسى "الرسمى" ، مع أنه استسلم للديالوج فى إجراءاته العلمية والإكلينيكية ، إلا أنه رفض بإصرار هذه الدعوات لديالوج مع جاره الأجدر بالاختيار من بين العلوم الإنسانية .

قلتُ فى التصدير إن هذا الكتاب لم يكن له أن يكون عملا نظريا ولا أنوى أن أحوله إلى ذلك فى هذه المرحلة المتأخرة من الكتاب ، بالرغم من أن الحاجة ملحة إلى نظرية متكاملة عن التفاعل بين البنية الاجتماعية والبنية النفسية . وأفضل ما يمكن أن أقوم به لتعزيز هذه الغاية فى نهاية دراسة سعت ، إلى حد ما ، إلى رصف التحليل النفسى بعمل بارز فى صورة حكاية نثرية ، ربما يتلخص ببساطة فى أن أذكر قارئى بقدرة بروست ، فى وصف المشاعر والسلوك ، على العمل الفعال على تخوم المجتمع وعقل الفرد . وكمذكِّر عنيد بهذا البعد ، أعود بإيجاز إلى أسطورة أكتيون ، لأضع الشفقة الذهنية لرؤية لاكان أمام الشبق فى رؤية بروست ، الشبق الذى يحمل صبغة اجتماعية بشكل تام . وفى الفقرة التالية من افتتاحية *Sodome et Gomorrhe*، يتحدث كارلوس مع جوبيان عن المذاق والمناورات الجنسية ويسمعه الراوى صدفة :

> كان أحد جرسونات الغرف معروفا بالنسبة لى ، وقد أشرتُ له إلى "قناص" صغير شيق ، وفتح لى أبواب العربة وظل حرونا بشأن اقتراحاتى . أخيرا ، قدَّمتُ له ، وأنا ساخط وحتى أثبت له حسن نواياى ، مبلغا كبيرا بصورة تدعو للضحك مقابل أن يصعد السلالم ويتحدث معى فى غرفتى خمس دقائق .

انتظرتُ دون جدوى . وإذ ذاك بلغ الاشمئزاز درجة جعلتنى أعتادُ الخروج من باب الخدم حتى لا أرى تكشيرته التافهة الخسيسة فى وجه الآخر . علمتُ بعد ذلك أنه لم يهتم أبدا بأية ملاحظة من ملاحظاتى ، التى حُصِرتْ ، أولا بواسطة جرسون الغرفة الذى كان غيورا ، وثانيا بواسطة البواب النهارى الذى كان عفيفا ، وثالثا بواسطة البواب الليلى الذى كان واقعا فى عشق القناص الصغير واعتاد أن ينام معه فى الساعة التى تستيقظ فيها ديانا . لكن اشمئزازى استمر رغم كل شىء ، وكان عليهم إحضار الغلام إلىَّ مثل طبق من لحم الغزال على صينية من الفضة ، وكان على معدتى أن تلفظه .[١٤] (٦١٢ - ٦١٣)

إن أكتيون هنا مخلوق ينتمى إلى تاريخ اجتماعى مثلما هو مخلوق ينتمى إلى عالم الأسطورة : إن **القناص** *chasseur* ("الخادم" ، "الصياد") الذى يتحول إلى موضوع بارز للفضول الجنسى عند كارلوس يُدعى بهذا الاسم لأن زيه الفندقى يذكر على الأقل برداء الصيد . إن أسلافه الذين كانوا يرتدون هذه الملابس كانوا جديرين بعمل فى العراء كسائسى خيل ، وبالتالى كان أسلافهم جديرين بالانتماء إلى طبقة وضيعة من الصيادين . إن لعب بروست على القناص يعود بنا عبر الزمن التاريخى إلى عالم الأسطورة والخرافة ، وتحدد ديانا بروست تحديدا مزدوجا بالطريقة نفسها: إنها الراعية المقدسة **للبواب** *concierge*، ذلك الذكر الفاسق ، ولكنها أيضا ديانا دى بويتير Diana de Poitiers، التى ذكرها كارلوس فى مستهل الفقرة ذاتها . والأوهيميرية euhemerism [نظرية تنسب إلى أهيميروس فى القرن الرابع قبل الميلاد تفسر الأساطير بأنها تعليقات تراثية على أشخاص وأحداث تاريخية-المترجم] التى يشير بها كارلوس هنا إلى الطبقات الأدنى فى رياضة العشق يشير بها أعضاء الطبقة الأرستقراطية المتحجرة فى مواضع أخرى من الرواية إلى أنفسهم : إن تقديس الذات مناورة بارزة تشترى بها الأرستقراطية المتحللة الزمن . لكن بروست ينظم فى خيوط السياسات الهزلية لمونولوج كارلوس بورتريها هزليا مساويا له عن النشاط الجنسى المختلس . يتذكر كارلوس أن أكتيون يصبح صالحا للأكل حين يتحول إلى أيل ، وعلى نحو ملائم يتخيل **القناص** مقتولا ومطبوخا ومقدما على طاولة . إن بروست

هنا لا يستطيب ليونة الليبيدو ، تحول شهية مجسدة إلى أخرى فحسب ، ولكنه يستطيب أيضا الأساس الليبيدى للسلوك الاجتماعى-إن إدراك كارلوس يغمر فى فنتازيا جنسية ولاشمئزازه المنحط على نحو أبسوردى من القناص الذى لا يستجيب لرغباته أسبابٌ اجتماعية وعاطفية وجسدية فى الوقت نفسه . إن أكتيون المخزى فى رواية بروست ، على العكس من أكتيون لاكان ، يُحدَّد بعدة عوامل تحديدا رائعا ، وفى التنقل الانسيابى بين التاريخ والأسطورة ، بين الجنس والمجتمع ، بين الشهية العقلية والشهية الجسدية ، يقدم شعارا أغنى بكثير من الصياد الممزق ، فى أعمال لاكان ، فى غاية لم تنتهِ فى انتظار نظرية التحليل النفسى .

كان الموضوع الذى تناولته فى هذه الصفحات يمثل إدراكا ذاتيا متقطعا لنظرية بوصفها اشتهاء . وينبثق جزء كبير من هذا الإدراك ، بالنسبة للكتاب الثلاثة [فرويد وبروست ولاكان ، والإشارة بالطبع إلى كتاب مالكولم بويى-المترجم] الذين تناولتهم، من الاكتشاف المتكرر لقابلية النظريات والمؤلفين للهدم . إن الكتاب الثلاثة جميعهم يلقون بأنفسهم فى مهب الرياح على ذلك المحيط العقلى حيث يحول مشهد نظرية بلا نهاية التفكيرَ باتجاه الموت . موت أسرع من هذا اللهو اللامتناهى فى الحكايات...لكنَّ للثلاثة جميعهم اشتهاء مضادا أيضا . إنهم يضعون النظرية كيقين مسبق مقابل النظرية كحكاية . لفرويد فى حفرياته ، وللراوى الغيور عند بروست فى ذكرياته اللاإرادية ، وللاكان فى مواجهاته الخرساء مع **الواقعى** *réel* الذى يقع إلى الأبد بعيدا عن متناول اللغة ، لهم جميعا مدخل إلى ذلك "اليقين الذى يشبه المتعة" ، اليقين الذى يتحدث عنه الراوى . إن علمهم الجديد يبدأ فى لعبة التصريح الذاتى للرغبة بين اليقين والانقراض ، بين الأساس الوطيد والطريق المسدود .

هوامش الفصل السابع

١- راجع ص١٠٣ . من الأصل الإنجليزى ، فصل "لاكان" وهو الفصل الثانى من كتابنا .

٢- بالفرنسية فى المتن .

٣- للاطلاع على البعد الأسطورى فى "Three blows' لفرويد ، انظر ، Gillian Beer, Darwin's *Plots*, 12-13

٤ - هذه الفقرة من الجزء الأول ، الديالوج الرابع من *De gl'Heroici Furori* (١٥٨٥) هى إحدى الفقرات العديدة التى تتناول أكتيون الخيالى . والنص الإيطالى مقتبس عن نص هنرى ميشيل ، والترجمة عن بول يوجين ميمو .Memmo وقد نشرت طبعة ميشيل التى تحتوى على ترجمة فرنسية كاملة قبل تأليف "الشىء الفرويدى" بعامين . إلا أن مذكِّرا موضوعيا أكبر بأكتيون يُقدَّم فى *Le Bain de Diane* حمَّام ديانا من تأليف بيير كلوسوفسكى Klossowski وقد نشر فى العام الذى كُتِب فيه بحث لاكان (١٩٥٦) وتقدم فقرات لاكان عن ديانا تعليقا (عن الأنواع) على البحث القصير الملغز الذى كتبه فرويد بعنوان "عظمة ديانا أهل أفسس" (١٩١١) (XII, 342-4) ، واستجابة لعقدة أكتيون *complexe* d'Actéon عند سارتر (**الوجود والعدم** ، ٦٦٧) : لا يُعاقَب أكتيون سارتر على النظرة التى اختلسها ، على العكس من أكتيون أوفيد وأكتيون لاكان .

٥ - راجع *Rime sparse,23* (ص٦٧ فى طبعة روبرت دورلنج المطبوعة بلغتين ، وعنها اقتبسنا النص والترجمة) . ويرجع تاريخ هذه القصيدة إلى عام ١٣٥٠ . ويشرح دورلنج فى مقدمة هذه الطبعة معالجة بترارك الدقيقة لأسطورة أكتيون وموضوعات أرفيدية أخرى (٢٧-٣٣) . ويحكى بوكاشيو الأسطورة مرة أخرى فى *Genealogie deorum gentilium libri* (الكتاب الخامس ، الفصل الرابع عشر) (Opera, X, 249) .

٦- راجع إما/أو ، الكتاب الأول ، ١٣٤ .

٧ - مصرِّحا بما يدين به لكلوسوفسكى فى حمَّام ديانا (راجع الهامش رقم ٤) ، ينهى جين ستروبنسكى Starobinskki مقاله "Psychanalyse et connaissance littéraire" (١٩٦٤) عن استدعاء أكثر اعتدالا لأكتيون فى دوره كراعٍ فى التحليل النفسى:

Critiques, analystes, gardez allummée la lampe de Psyché, mais songez au destin d'Actéon!' (La relation critique, 285)

٨ – بالفرنسية فى المتن . الحذف موجود فى العبارة المقتبسة عن لاكان .

٩ – بالفرنسية فى المتن .

١٠ – انظر ، على سبيل المثال ، "**خمسة مقالات فى التحليل النفسى**" (١٩١٠) (XI, 39) ؛ "**عوائق فى مسار التحليل النفسى**" (١٩١٧) (XVII, 441-731) و"**مقاومات التحليل النفسى**" (١٩٢٥) (XIX, 213-222) .

١١ – انظر ص ١٢٩–١٣١ من الأصل الإنجليزى ،فصل بعنوان "لاكان".

١٢ – لستُ ملمًا بقصة نشر هذا العمل مترجما ؛ ومن المحتمل أن ذلك العمل ، الذى كتب فى الأصل ونشر بالروسية فى الاتحاد السوفيتى ، لم يكن متاحا حتى وقت قريب لمعظم الفرويديين الذين كان من الممكن أن يستفيدوا من قراءته .

١٣ – إن إنتاج الرغبة الذى كتبه ريتشارد ليشمان (١٩٨٢) يعتبر من ألذع الانتقادات الماركسية الحديثة للتحليل النفسى . ويستقصى فيليب رييف Rieff الخيوط المتفاوتة فى تأملات فرويد فى العلاقة بين التحليل النفسى والسياسة فى **فرويد : عقل الأخلاقى** ("السياسة والفرد" ، ٢٢٠ – ٢٥٦) وهو عمل مازال بارزا ومازال وثيق الصلة بالموضوع المطروح .

١٤– بالفرنسية فى المتن .

الرسالة المسروقة

إدجار ألان بو

في باريس ، بعد أمسية عاصفة ومظلمة في خريف ١٨ – ، كنتُ أستمتع بالتأمل وتدخين الغليون ، في صحبة صديقي س. أوجست دوبين في مكتبته الخلفية الصغيرة ، أو خزانة الكتب ، في الدور الثالث ، بالمنزل رقم ٣٣ ، شارع دانو ، بضاحية سان جرمان . صمتنا صمتا مطبقا لساعة على الأقل ، وربما بدا كل منا ، لأي عابر ، وكأنه مشغول فقط وعلى نحو متعمد بدوامات الدخان الذي عبأ جو الغرفة . إلا أن ذهني كان مشغولا بموضوع قضية ناقشناها في وقت مبكر من الأمسية؛ أقصد مسألة شارع مورج ، وسر قاتل ماري روجيه . وحين كنتُ أبحث المسألة في رأسي ، فُتِح بابُ غرفتنا ودخل شخص نعرفه منذ وقت طويل ، إنه مسيو ج – ، رئيس شرطة باريس .

رحبنا به ترحيبا حارا ؛ كان الرجل ممتعا بقدر ما كان تافها ، ولم نكن قد رأيناه منذ عدة سنوات . كنا نجلس في الظلام ، وقام دوبين ليضيء مصباحا ، ولكنه جلس مرة أخرى قبل أن يضيئه حين قال ج – إنه يريد أن يستشيرنا ، أو أنه بالأحرى يريد أن يسأل صديقي عن رأيه في بعض الأعمال الرسمية التي أثارت قدرا كبيرا من الاضطراب .

"إذا كانت مسألة تستدعي التفكير ،" علق دوبين وتوقف عن إشعال الفتيل، "فمن الأفضل أن نفحصها في الظلام ."

"إنها مقولة أخرى من مقولاتك الغريبة ،" قال رئيس الشرطة وكان قد اعتاد أن يصف كل ما لا يفهمه بأنه "غريب" ، ومن ثم عاش وسط حشد هائل من "الأمور الغريبة ."

"هذا صحيح تماما" ، قال دوبين وهو يقدم غليونا لزائره ويقرب منه مقعدا وثيرا .

"إذن ، ما المشكلة ؟" سألتُ . "أليست جريمة قتل ؟"

"أوه ، لا ، إنها ليست شيئا من هذا القبيل . إنها مشكلة بسيطة للغاية في الواقع ، ولا أشك في قدرتنا على حلها بأنفسنا حلا مُرْضيا ؛ لكنني أظن أن دوبين يود سماع بعض التفاصيل ، لأنها شديدة الغرابة ."

"بسيطة وغريبة" ، قال دوبين .

"لماذا ، نعم ؛ لكنها ليست كذلك تماما . الحقيقة أننا ارتبكنا جميعا ارتباكا شديدا لأن الأمر بسيط للغاية ، ولكنه أصابنا بحيرة هائلة ."

"ربما هذه البساطة الشديدة في الموضوع هي ما يجعلك غير قادر على اكتشافه" ، قال صديقي .

"ما هذا الهراء الذي تنطق به !" ردَّ رئيسُ الشرطة ، وهو يضحك من أعماقه .

"ربما كان السرُّ أبسطَ من أن يتضح" ، قال دوبين .

"أوه ، أيتها السماء ! من سمع بمثل هذه الفكرة ؟"

"أبسط من أن يحتاج إلى دليل ."

"ها ! ها ! ها ! – ها ! ها ! ها ! – هوْ ! هوْ ! هوْ ! هوْ !" – قهقه الزائر ، وضحك من أعماقه ، "أوه ، دوبين ، ستكون السبب في موتي !"

"وبعد ، ما القضية ؟" سألتُ .

"سأحكي لكما" ، ردَّ رئيس الشرطة ، وهو ينفث نفثة تأملية طويلة وهادئة، ثم استقر في مقعده . "سأحكي لكما بإيجاز ؛ ولكن قبل أن أبدا أود أن أقول إنه أمر على قدر كبير من السرية ، وسأفقد منصبي على الأرجح إذا علم أحد بأنني بحتُ به لأي شخص ."

"ابدأْ" ، قلتُ .

"أو لا تبدأْ" ، قال دوبين .

"حسنا ؛ تلقيت معلومات شخصية ، من شخصية رفيعة المستوى ، بسرقة وثيقة على أقصى درجة من الأهمية من أحد الأجنحة الملكية . إن الشخص الذي سرقها شخص معروف ؛ وهو أمر لا يرقى إليه الشك ؛ فقد شوهد وهو يأخذها . ومن المعروف أيضا أنها لا تزال في حوزته ."

"كيف عرفْتَ ذلك ؟" سأل دوبين .

"يمكن استنتاج ذلك بوضوح" ، رد رئيس الشرطة ، "من طبيعة الوثيقة ، ومن عدم ظهور بعض النتائج التى كانت ستظهر لو خرجت من حوزة السارق ؛-أى من استخدامه لها بالصورة التى ينوى عليها فى النهاية ."

"أفصح أكثر" ، قلتُ .

"حسنا ، يمكن أن أغامر بالقول إن الورقة تمنح الحائز عليها قدرة معينة فى جانب معين وتكون هذه القدرة على درجة هائلة من الأهمية ." وكان رئيس الشرطة مغرما بهذه الرطانة الدبلوماسية .

"لا أفهم حتى الآن" ، قال دوبين .

"لا تفهم ؟ حسنا ؛ إن كشف الوثيقة لشخص ثالث ، سيبقى اسمه طى الكتمان ، قد يسىء إلى سمعة شخص يحتل أرفع المواقع ؛ وهذه الحقيقة تمنح الحائز على الوثيقة سطوة على الشخص رفيع المستوى الذى تتعرض سمعتُه وسلامُه لخطر شديد ."

"لكن هذه السطوة" ، قاطعته ، "تعتمد على معرفة السارق بمعرفة المسروق بالسارق . مَنْ يجسر-"

"اللص" ، قال ج- ، "هو الوزير د-، الذى يجسر على أى شىء ، سواء أكان لا يليق بالرجل أم يليق به . إن طريقة السرقة كانت تعتمد على الجسارة . إن الوثيقة التى نتحدث عنها-وهى ، بصراحة ، رسالة-استلمتها الشخصية المسروقة بينما كانت بمفردها فى المخدع الملكى . وبينما كانت مستغرقة فى القراءة توقفت فجأة عن القراءة لدخول الشخص الآخر رفيع المستوى وكانت حريصة على إخفائها عن عينيه . وبعد محاولةٍ متسرعةٍ وعقيمةٍ للدفع بها فى أحد الأدراج، اضطرت إلى تركها فى موضعها على الطاولة ، مفتوحة كما كانت . وكان العنوان مكتوبا فى أعلى جزء من الرسالة ، ولم يكن المحتوى ظاهرا ، وما كان للرسالة أن تلفت الأنظار. وفى هذا الوقت يدخل الوزير د - . وفى الحال تقع عينه الحادة على الورقة ، ويتعرف على الخط الذى كُتِب به العنوان ، ويلاحظ اضطراب الشخصية التى وُجِّهتْ إليها الرسالة ،

ويسبر أغوار سرهاً . وبعد بعض الإجراءات العملية ، التى أنجزها على عجل كعادته ، يكتب رسالة شبيهة إلى حد ما بالرسالة التى نحن بصددها، يفتحها ويتظاهر بقراءتها ثم يضعها بجوار الأخرى . مرة أخرى ، يتحدّثُ ، حوالى خمس عشرة دقيقة ، فى شئونٍ عامة . أخيراً ، وهو يستأذنُ بالانصراف ، يأخذ من فوق الطاولة الرسالة التى ليست من حقه . وقد رأته المالكة الأصلية ، لكنها بالطبع لم تجسر على لفت الأنظار إلى هذا الفعل ، فى وجود الشخص الثالث الموجود بجوارها . رحل الوزير ؛ تاركا رسالته – وهى عديمة الأهمية – على الطاولة ."

"هنا ، من ثم" ، قال لى دوبين ، "لديك بكل دقة ما تحتاج إليه لتجعل السطوة كاملة – معرفة السارق بمعرفة المسروق بالسارق :"

"نعم" ، رد رئيس الشرطة : "وهكذا استُخدِمتْ ، لعدة شهور مضت ، القدرةُ التى تحققت بهذه الوسيلة ، لتحقيق أغراض سياسية بالغة الخطورة . وكل يوم يزداد إيمان الشخصية المسروقة بضرورة استرداد رسالتها . ولكن لا يمكن أن يتم هذا ، بالطبع ، بصورة علنية . باختصار ، قادها يأسها إلى أن تكلفنى بالقضية ."

"طبقا لذلك" ، قال دوبين وسط دوائر الدخان الكاملة ، "أرى أن المطلوب وسيلة بارعة ولا يمكن تخيل أى شىء سوى ذلك ."

"إنك ترضى غرورى" ، رد رئيس الشرطة ؛ "لكن من المحتمل أن نكون قد فكرنا فى مثل هذا الرأى ."

"هذا واضح" ، قلتُ ، "كما تذكر ، مازالت الرسالة فى حوزة الوزير . وحيث أن هذه الحيازة ، وليس أى استخدام آخر للرسالة ، هى التى تمنح القدرة ، فإن هذه القدرة تنتهى مع استخدامها ."

"حقا" ، قال ج – ؛ "وبناء على هذا الاعتقاد تصرفت . كان اهتمامى الأول تفتيش قصر الوزير بكل دقة ؛ وكانت نقطة الضعف الأساسية تكمن فى ضرورة التفتيش بدون أن يعرف . والأهم ، أنه تم تحذيرى من الخطورة التى قد تنجم عن إعطائه مبررا للارتياب فى خطتنا."

"لكنك" ، قلتُ ، "بارع تماما فى مثل هذه التحقيقات . لقد قامت الشرطة الباريسية بهذا العمل كثيرا من قبل ."

"أوْ ، نعم ؛ ولهذا لم ينتابنى اليأس . وقد منحتنى عادات الوزير ، أيضا ، مزية عظيمة . إنه كثيرا ما يغيب عن بيته طوال الليل . وعدد الرجال الذين يخدمونه ليس كبيرا على الإطلاق . إنهم ينامون على مسافة من جناح سيدهم ، وحيث أن معظمهم من نابولى ، فإنهم يسكرون بسهولة . لدى مفاتيح ، كما تعلمان ، يمكن أن أفتح بها أية غرفة أو خزانة فى باريس . لم تمر ليلة منذ ثلاثة شهور ، دون أن أنهمك ، شخصيا ، فى الجزء الأكبر منها ، فى تنقيب قصر د-. إن سمعتى مهمة ، وإذا كان لى أن أبوح بسر عظيم ، فإننى أذكر أن المكافأة هائلة . ومن ثم لم أتوقف عن البحث إلا حين اقتنعتُ تماما بأن اللصَّ رجلٌ أكثر دهاء منى . وأظن أنى فتشتُ كل زاوية وركن فى المواضع التى من المحتمل أن يخفى الورقة فيها ."

"لكن أليس من الممكن" ، اقترحتُ ، "بالرغم من أن الرسالة قد تكون فى حوزة الوزير ، وأن ذلك ليس موضع شك ، إلا أنه أخفاها خارج المواضع الخاصة به؟"

"إنه احتمال واضح" ، قال دوبين . "إن الحالة الخاصة حاليا بأمور المحكمة، وخاصة تلك المؤامرات التى من المعروف أن د-متورط فيها ، تجعل الوجود الحالى للوثيقة-قابليتها للتأثير حين تُرى-نقطة تكاد تساوى فى الأهمية امتلاك الوثيقة ."

"قابليتها للتأثير ؟" سألتُ .

"بمعنى ، قابليتها للتدمير" ، قال دوبين .

"حقا" ، علقتُ ؛ "واضح من ثم أن الورقة فى مكان ما ، وعلينا استبعاد وجودها مع شخص الوزير ."

"تماما" ، قال رئيس الشرطة . "هوجم مرتين ، كما لو أن المسألة تمت بواسطة قطاع الطرق ، وفتش تفتيشا شخصيا دقيقا أمام عينى ."

"كان عليك أن تجنب نفسك التعرض لمثل هذه المشاكل" ، قال دوبين . "د-، أظن أنه ليس أحمق على الإطلاق ، وإذا سلمنا بأنه ليس أحمق ، فإنه قد توقع بالضرورة مثل هذه الهجمات كشىء بديهى ."

"ليس أحمق على **الإطلاق**" ، قال ج- ، "لكنه شاعر ، وأعتقد أنه لا ينأى به عن الحماقة سوى ذلك ."

"حقا" ، قال دوبين ، بعد أن سحب نفَسًا طويلا وعميقا من غليونه ، "مع أننى أشعر بالإثم من بعض الشعر الهزلى الذى نظمته أنا نفسى ."

"افترض أنك رويتَ بالتفصيل" ، قلتُ ، "خصوصيات ما قمتُ به من بحث ."

"الحقيقة أننا استغرقنا وقتا كافيا ، وبحثنا فى كل مكان . إنى خبرتى طويلة بمثل هذه الأمور . فتشتُ المبنى بكامله ، غرفةً غرفةً ؛ مخصصا ليالىَ أسبوعٍ كامل لكل غرفة . فحصنا ، أولا ، أثاث كل جزء . فتحنا كل الأدراج التى من المحتمل أن توجد فى أحدها ؛ وأظن أنكما تعرفان أنه من المستحيل أن يوجد درج **سرى** بالنسبة للشرطة المدربة تدريبا حقيقيا . إن أى شخص يخصص درجا 'سريا' لينقذ نفسه من هذا النوع من التفتيش يكون إنسانا غبيا . إنها مسألة واضحة تماما . ثمة قدر معين من المواضع-من الفراغ-نفتشه فى كل خزانة . لدينا قواعد دقيقة . لا يفلت منا أصغر الأشياء . بعد الخزائن فتشنا المقاعد . دسسنا فى الوسائد الإبر الطويلة الدقيقة التى رأيتمانى أستخدمها . أزحنا رؤوس الطاولات ."

"لماذا ؟"

"أحيانا ، يُزاح رأس الطاولة ، أو أية قطعة مماثلة من الأثاث ، بواسطة شخص يود إخفاء شىء ؛ ثم يجوِّف الرِجْل ، ويضع ما يريد إخفاءه فى التجويف ، ثم يعيد الرأس إلى ما كان عليه . وبالطريقة نفسها تستخدم قواعد أعمدة الأسرة ورؤوسها ."

"لكن ، ألا يمكن تحديد التجويف بواسطة الصوت ؟" سألتُ .

"لا سبيل إلى ذلك ، حين يوضع الشىء المراد إخفاؤه ، يمكن وضع كمية كافية من القطن حوله . إلى جانب أننا ، فى هذه الحالة ، كنا مضطرين إلى العمل بدون إثارة أى قدر من الضوضاء ."

"لكنك لا تستطيع إزاحة - لا تستطيع تفتيش كل قطعة من قطع الأثاث التى يمكن عمل مخزن فيها بالطريقة التى ذكرْتَها . إن الرسالة يمكن ضغطها على هيئة لُفَافة لولبية رقيقة ، لا تختلف كثيرا من حيث الشكل أو الحجم عن إبرة كروشيه كبيرة ،

وبهذا الشكل يمكن دسها فى دعامة أى مقعد ، على سبيل المثال . هل فتشت كل مقعد جزءا جزءا ؟"

"لا ، بالتأكيد ؛ لكننا فعلنا ما هو أفضل من ذلك-فحصنا دعامات كل مقعد فى القصر، وبالطبع فحصنا كل المفاصل الموجودة بين قطع الأثاث ، بأقوى الميكروسكوبات . وما كان لنا أن نفشل فى تحديد أى أثر لاضطراب حديث على الفور . إن أية حُبيبة من رماد الحفر ، على سبيل المثال ، كانت ستبدو فى حجم تفاحة . إن أى خلل فى استخدام الغراء-أية فجوات غير معتادة-كان سيكتشف بالتأكيد ."

"أفترض أنك فتشت المرايا ، وبين الموائد والأطباق ، وقمت بجس الأسرّة وفراشها ، كما فتشت الستائر والسجاجيد ."

"بالطبع ؛ وحين انتهينا تماما من فحص كل جزء من الأثاث على هذا النحو، فحصنا المنزل نفسه . قسمنا سطحه بالكامل إلى قطاعات ، ورقمناها ، حتى لا ننسى أى جزء ؛ ثم دققنا البحث فى كل بوصة من المبنى ، بما فى ذلك المنزلين الملتصقين به ، بالميكروسكوب ، كما سبق أن ذكرت ."

"المنزلان الملتصقان !" تعجبتُ ؛ لا بد أنكم عانيتم قدرا كبيرا من المشقة."

"عانينا ؛ لكن المكافأة المعروضة هائلة ."

"هل فتشتم الأراضى الموجودة حول المنازل ؟"

"إن الأراضى كلها مرصوفة بالقرميد . وقد سببت لنا مشقة أقل نسبيا . فحصنا ما بين القرميد من طحالب ، ووجدنا كل شىء على ما يرام ."

"بالطبع ، فحصتم أوراق د – وكتب مكتبته ؟"

"بالتأكيد ؛ فتحنا كل رزمة وكل طرد ؛ لم نكتف بفتح كل كتاب ، لكننا قلبنا كل ورقة فى كل مجلد ، ولم نقنع بمجرد إلقاء النظرة ، كما هو معتاد فى بعض دوائر البوليس . قسنا أيضا سُمْك غلاف كل كتاب ، بأكثر القياسات دقة وفحصناها بأكثر الميكروسكوبات دقة . وكان من المستحيل أن ننسى ملاحظة أى تدخل حديث فى أغلفة الكتب . وفحصنا بالإبر خمسة مجلدات أو ستة فحصا طوليا ودقيقا كانت قد جاءت من عند مجلد الكتب مباشرة ."

"هل فتشتم تحت السجاجيد ؟"

"بدون شك . رفعنا كل سجادة ، وفحصنا حوافها بالميكروسكوب ."

"والورق الموجود على الحوائط ؟"

"نعم ."

"هل نظرتم فى القباء ؟"

"نظرنا ."

قلتُ "إذن ، أخطأتم التقدير ، والرسالة ليست فى المبنى ، كما تفترضون ."

"أخشى أن تكون مصيبا فى ذلك" ، قال رئيس الشرطة . "والآن ، دوبين، بما تنصحنى ؟"

"بتفتيش المبنى بدقة من جديد ."

"لا حاجة إلى ذلك على الإطلاق" ، ردَّ ج - . "إننى متأكد من أن الرسالة ليست فى القصر بقدر ما أنا متأكد من أننى أتنفس ."

"ليس عندى نصيحة أفضل أقدمها إليك" ، قال دوبين . "لديك ، بالطبع ، وصف دقيق للرسالة ؟"

"أوه نعم !"- وهنا بدأ رئيس الشرطة ، مبرزا مذكرة ، يقرأ بصوت مرتفع تعليقا دقيقا على المظهرين الداخلى والخارجى للوثيقة المفقودة . وبمجرد الانتهاء من قراءة هذا الوصف ، رحل الجنتلمان الطيب مكتئبا بصورة لم أره عليها من قبل .

وبعد ذلك بحوالى شهر زارنا مرة أخرى ، ووجدنا مشغولَيْن على نحو مشابه تماما للصورة التى كنا عليها فى المرة السابقة . تناول غليونا ومقعدا واشترك معنا فى حوار عادى . وسألتُ أخيرا ،-

"حسنا ، ولكن يا ج - ، ماذا عن الرسالة المسروقة ؟ أعتقد أنك اقتنعت فى النهاية أنه لا يوجد مكر يشبه مكر الوزير ؟"

"عليه اللعنة ، أقول - نعم ؛ أعدتُ البحث كما اقترح دوبين - لكن كل الجهود ضاعت هباء ، كما توقعت ."

"هل قلتَ ما مقدار المكافأة المقدمة ؟" سأل دوبين .

"لماذا ، مبلغ كبير جدا - مكافأة هائلة حقا - لا أريد أن أقول كم بالضبط ؛ لكن يمكن أن أقول إننى لن أتوانى عن منح شيك بمبلغ خمسين ألف فرنك لأى شخص يستطيع أن يحصل لى على هذه الرسالة . الحقيقة ، إن أهميتها تزداد يوما بعد يوم ؛ وقد تمَّتْ مضاعفة المكافأة أخيرا . ولكن حتى لو تضاعفت ثلاث مرات فلن أستطيع أن أفعل أكثر مما فعلت ."

"لماذا ، نعم" ، قال دوبين ، متشدقا ، بين زفرات الغليون ، "إننى فى الحقيقة - أظن ، يا ج - ، أظن أنه ربما كان من الممكن أن تفعل أكثر مما فعلت ، إيه؟"

"كيف ؟ - بأية طريقة ؟"

"لماذا - بَفْ ، بَفْ-ربما تستطيع الاستعانة بمستشار فى المسألة ، إيه ؟ - بَفْ ، بَفْ ، بَفْ. هل تذكر الحكاية التى يحكونها عن إبرنيثى ؟"

"لا ؛ ليشنق إبرنيثى !"

"لتتأكد ! اشنقه والسلام . ولكن ، ذات مرة ، تصور بخيل غنى أنه يمكنه أن يتطفل على إبرنيثى ويأخذ رأيه فى موضوع طبى . واختلق ، لهذا الغرض ، محادثة عادية فى صحبة خاصة ، وعرض حكايته على الطبيب ، وكأنها حكاية شخص من صنع الخيال .

" 'سنفترض ،' قال البخيل ، 'أنه كان يعانى من كذا وكذا ؛ والآن ، يا دكتور ، بماذا تنصحه أن يأخذ ؟'

" 'يأخذ !' قال إبرنيثى ، 'لماذا ، تأكد ، أنه لن يأخذ سوى نصيحة .' "

"لكن ،" قال رئيس الشرطة ، ببعض الغيظ ، "إننى أود تماما أن آخذ بالنصيحة ، وأن أدفع المقابل . سأقدم حقا خمسين ألف فرنك لأى شخص يساعدنى فى هذه القضية ."

"فى هذه الحالة ،" ردَّ دوبين ، وفتح أحد الأدراج ، وأخرج دفتر الشيكات، "يمكن أن تكتب شيكا بالمبلغ المذكور . وحين توقعه ، سأعطيك الرسالة ."

صُعقتُ . وبدا رئيس الشرطة فى حالة ذهول تام . وبقى لعدة دقائق صامتا ومتصلبا وهو ينظر إلى صديقى فاغراً فاه نظرة ملؤها الشك ، وبدت عيناه خارجتين من محجريهما ؛ ثم بدا وكأنه استعاد نفسه إلى حد ما ، أمسك بالقلم ، وبعد كثير من التردد والتحديق الأجوف ، كتب فى النهاية شيكا بخمسين ألف فرنك ووقعه ، وقدمه عبر الطاولة لدوبين . فحصه الأخير بعناية ووضعه فى دفتر شيكاته ؛ ثم فتح مكتبه ، وتناول رسالة سلمها لرئيس الشرطة . أمسك بها هذا الموظف فى نوبة من المتعة الكاملة ، فتحها بيد مرتعشة ، وألقى نظرة سريعة على محتواها ، وبعد ذلك ، اندفع شاقا طريقه إلى الباب ، وخرج فى النهاية بصورة فظة من الغرفة ومن المنزل ، ودون أن يتفوه بحرف منذ طلب منه دوبين أن يملأ الشيك .

حين رحل ، قدَّمَ صديقى بعض التفسيرات .

"إن رجال البوليس الباريسى" قال ، "قادرون إلى حدٍّ بعيد على تنفيذ خططهم . إنهم يتميزون بالمثابرة والبراعة والدهاء ، ومحنكون تماما فى معرفة ما تتطلبه واجبات عملهم . وهكذا حين حكى ج–لنا بالتفصيل أسلوبه فى تفتيش الأثاث فى قصر د–، شعرتُ من أعماقى بالثقة فى أنه قام بفحص مقنع–بقدر إمكانيات رجاله."

"بقدر إمكانيات رجاله ؟" تساءلتُ .

"نعم ،" قال دوبين . "إنهم استخدموا أفضل الإجراءات ونفذوها بإتقان مطلق . هل وضعت الرسالة فى المواضع التى قاموا بتفتيشها ، لو كان الأمر كذلك لعثروا عليها بالتأكيد ."

ضحكتُ من أعماقى–لكنه بدا جادا تماما فى كل ما قال .

"من ثم ، كانت الإجراءات ،" واصل كلامه ، "كانت إجراءات جيدة ، وقد نُفذتْ بإتقان ؛ ولكن عيبها كان يكمن فى أنها لا تصلح فى هذه الحالة ، ولا مع هذا الرجل . إن هذه المجموعة البارعة من الإمكانيات تشبه فى يد رئيس الشرطة سرير بروكرستيز [بروكرستيز : لص فى الأساطير الإغريقية كان يمط أطراف ضحاياه أو يقطع أجزاء منها لكى يجعل طولهم يتناسب مع طول سريره–المترجم]يحاول أن يجعلها تتواءم مع

خططه بالعنف . لكنه يقع فى الخطأ دائما حين يكون شديد العمق أو شديد التسطيح بالنسبة للقضية التى يتناولها ؛ وربما يكون كثير من التلاميذ منطقيين أكثر منه . عرفتُ تلميذا فى حوالى الثامنة من عمره ، أثار نجاحه فى التخمين فى لعبة 'جوز ولا فرد' إعجاب الجميع . إنها لعبة بسيطة ، تُلعَب بالبلى . يحتفظ لاعب فى يده بعدد من هذا البلى ، ويكون المطلوب من منافسه أن يقول ما إذا كان العددُ زوجيا أم فرديا . وإذا كان التخمين صحيحا ، يكسب المخمِّن بلية ، وإذا كان خطأ يخسر بلية . والولد الذى أتحدث عنه ربح كل البلى فى المدرسة . بالطبع ، كانت لديه قاعدة للتخمين ؛ وكانت تعتمد على الملاحظة وتقدير ذكاء منافسيه . مثلا ، يسأل منافسُه الساذجُ وهو يغلق قبضة يده ، 'جوز ولا فرد ؟' ويردُّ التلميذ ، 'فرد ،' ويخسر ؛ ولكنه يكسب فى المحاولة الثانية ، حيث يقول لنفسه ، 'كان العدد زوجيا فى المحاولة الأولى، وبراعته لا تكفى إلا لأن يضع فى يده عددا فرديا فى المحاولة الثانية ، ومن ثم سأخمن أن العدد فردى ؛' – ويخمن أن العدد فردى ويكسب . ومع ساذج على النحو السابق، يقول لنفسه : 'يرى هذا الرفيق أننى خمنت فى المرة الأولى أن العدد فردى ، وفى المرة الثانية ، سيفترض من الوهلة الأولى إحداث اختلاف بسيط من الزوجى إلى الفردى ، كما فعل الساذج الأول ؛ ولكن تفكير الثانى سيجعله يظن أن هذا الاختلاف بسيط للغاية ، وسيقرر فى النهاية أن يجعل العدد زوجيا كما كان من قبل. ومن ثم سأخمن أن العدد زوجى ؛'–ويخمن أن العدد زوجى ويكسب . والآن ماذا يكون هذا النمط من التفكير الذى يتمتع به تلميذ ، يدعوه زملاؤه 'محظوظا' ، ماذا يكون فى التحليل النهائى ؟"

"إنه بكل معنى الكلمة ،" قلتُ ، "تقمص ذكائه المنطقى لذكاء منافسه ."

"وعلى هذا النحو ،" قال دوبين ، "وببحث أسلوب الولد ، الأسلوب الفعال عبر التقمص الذى كان وراء نجاحه ، توصلت إلى الإجابة التالية : 'حين أود أن أعرف مقدار حكمة شخص ما أو غبائه أو طيبته أو مقدار الشر الذى يحمله فى نفسه ، أو أن أعرف الطريقة التى يفكر بها فى هذه اللحظة ، أغيِّر من تعبير وجهى ، بصورة صحيحة بقدر المستطاع ، بما يتلاءم مع طبيعة تعبير وجهه ، وبعد ذلك أنتظر لأرى أية أفكار أو آراء تنبثق من رأسى أو من قلبى ، وكأنها تقدر التعبير أو تناظره .' إن

استجابة التلميذ تكمن فى قاع العمق الزائف الذى نسب إلى روشفوكو ولابوجيف وميكافيللى وكمبانيللا ."

"والتقمص ،" قلت ، "يعتمد تقمص الذكاء المنطقى لمنافسه ، إذا كنت أفهم ما ترمى إليه فهما صحيحا ، على الدقة التى يقدر بها ذكاء المنافس ."

"إنه يعتمد على ذلك لأهميته العملية ،" رد دوبين ؛ "وقد فشل رئيس الشرطة ورجاله مرات عديدة ، أولا ، بإهمال هذا التقمص ، وثانيا ، بالتقدير الخاطئ، أو بالأحرى لعدم وجود تقدير ، للعقل الذى يتعاملون معه . لم يهتموا إلا بأفكارهم **الخاصة** عن البراعة ، ولم يلتفتوا فى البحث عن شىء خبئ إلا إلى الأساليب التى قد يخبئون بها ذلك الشىء . وهم على صواب فى ذلك إلى حد بعيد-إن براعتهم تمثيل صادق لبراعة **الجمهور** ؛ ولكن حين يكون دهاء المجرم مختلفا فى طبيعته عن دهائهم ، فإن المجرم يتفوق عليهم ، بالطبع . ويحدث هذا دائما حين يكون متفوقا عليهم فى الدهاء ، ويحدث عادة حين يكون أقل منهم دهاء . لا تتنوع قاعدة التحقيقات التى يتبعونها ؛ وفى أفضل الأحوال ، حين يضطرون فى ظروف استثنائية - حين تكون المكافأة هائلة بصورة غير معتادة - يمطون أساليب الممارسات القديمة أو يبالغون فيها ، ودون المساس بالقواعد التى يتبعونها . ماذا فُعِل ، على سبيل المثال ، فى حالة د-، لتعديل قاعدة العمل ؟ ماذا عن كل هذا الثقب والجس وسبر الأعماق والفحص بالميكروسكوب ، وتقسيم سطح المبنى إلى بوصات مرقمة-أليس ذلك مجرد مبالغة فى تطبيق إحدى القواعد أو مجموعة من قواعد التفتيش ، التى تعتمد على مجموعة من التصورات المتعلقة بالبراعة الإنسانية ، تلك القواعد التى اعتاد عليها رئيس الشرطة فى خدمته الروتينية الطويلة ؟ ألا ترى معى بأنه يسلم بأن كل الرجال مازالوا يخفون الرسائل-ليس فى ثقب فى رجل مقعد-ولكن ، على الأقل ، فى ثقب غير مألوف أو ركن دون أن يتغير مغزى التفكير الذى يدفع إنسانا لإخفاء رسالة فى ثقب فى رجل مقعد ؟ وألا ترى معى أيضا أن الزوايا النادرة التى تستخدم للإخفاء لا تتواءم إلا مع الحالات العادية ؛حيث ، فى كل حالات الإخفاء ، يكون وضع المادة فى مكان خفى - وضعها بهذا الأسلوب النادر ،- وضعا محتملا ومفترضا ؛ وهكذا لا يعتمد اكتشافها على

الفطنة ، ولكنه يعتمد على دقة الباحثين وصبرهم وتصميمهم ؛ وحيث تكون الحالة مهمة ، – أو حين تكون مهمة فى عيون السياسيين ، حين تكون المكافأة كبيرة ، – لا يُسمح أبدا بفشل الجهود التى تبذل لحل المسألة . وربما تكون قد فهمْتَ الآن ما كنتُ أعنيه بأنه إذا كانت الرسالة المسروقة مخبأة فى أى مكان من الأماكن التى خضعت لتفتيش الشرطة–وبتعبير آخر ، إذا كانت قاعدة إخفائها تخضع لقواعد رئيس الشرطة–فإن مسألة اكتشافها لن تكون موضع شك . لقد ارتبك هذا الموظف تماما ؛ ويكمن المصدر الحقيقى للهزيمة التى منى بها فى افتراض أن الوزير أحمق، لأنه نال بعض الشهرة كشاعر . كل الحمقى شعراء ؛ هذا ما يشعر به رئيس الشرطة ؛ ويشعر بالإثم تماما من أمور لا تستدعى ذلك ومن ثم يستنتج أن الشعراء كلهم حمقى ."

"ولكن هل هذا هو الشاعر حقا ؟" سألتُ . "أعرف أنهما أخوان ؛ وقد حظى كل منهما بشهرة فى الأدب . وأعتقد أن الوزير كتب عن حساب التفاضل بصورة علمية . إنه رياضى وليس شاعرا ."

"إنك مخطئ ؛ أعرفه معرفة جيدة ؛ إنه كلاهما . كشاعر وكرياضى ، لم يكن منطقيا على الإطلاق ، ومن ثم كان تحت رحمة رئيس الشرطة ."

"إنك تثير دهشتى ،" قلتُ ، "بهذه الآراء التى تعارض آراء الجميع . هل تعنى إغفال فكرة مستقرة تماما عبر القرون . لقد اعتُبِر المنطقُ الرياضى منطقا رائعا لسنوات طويلة ."

" رد دوبين مقتبسا عن Chamfort' "*Il y a à parier que toute idée publique, toute convention reçue, est une sottise, car elle a convenu au plus grand nombre*' أسلم بأن الرياضيين بذلوا كل ما فى وسعهم لنشر الخطأ الشائع الذى تلمح إليه ، وهو ليس سوى خطأ يبدو فى ذيوعه وكأنه حقيقة . بفن جدير بتعليل أفضل دسوا ، على سبيل المثال مصطلح 'التحليل' فى تطبيقات الجبر . إن الفرنسيين مؤسسو هذه الخدعة الخاصة ؛ ولكن إذا كان للمصطلح أية أهمية–إذا كانت الكلمات تكتسب قيمة من التطبيق–فإن كلمة 'التحليل' تتضمن معنى 'الجبر' بقدر ما تتضمن الكلمة اللاتينية *ambitus* كلمة 'طموح 'ambition' ، وكلمة

' *religio'* كلمة 'دين' 'religion' ، أو تعبير ' *homines honesti'* مجموعة من الرجال الشرفاء ."

"أرى أنك تعترض ،" قلتُ ، "على بعض المشتغلين بالجبر فى باريس ؛ ولكن عليك أن تواصل ."

"إننى أشك فى إمكانية ، وبالتالى فى قيمة ، هذا المنطق الذى يتأسس على أى صورة غير صورة المنطق المجرد . وأشك ، خاصةً ، فى المنطق الذى يستنتج من دراسة الرياضيات . إن الرياضيات هى علم الشكل والكمية ؛ والمنطق الرياضى مجرد منطق ينطبق على دراسة الشكل والكمية . ويكمن الخطأ الكبير فى افتراض أن حقائق ما يدعى الجبر **المحض** تمثل تجريدا لحقيقة عامة . وهو خطأ فظيع لدرجة تجعلنى أرتبك أمام الشيوع الذى حظى به . إن مبادئ الرياضة **ليست** مبادئ الحقيقة العامة . ما هو حقيقى فى **علاقة** – فى شكل وكمية – يكون غالبا غير حقيقى إلى حدٍّ بعيد بالنسبة للأخلاق ، على سبيل المثال . وفى هذا العلم الأخير من المعتاد تماما أن يكون من غير الصحيح أن مجموع الأجزاء يساوى الكل . ويفشل هذا المبدأ فى الكيمياء أيضا ؛ بالنسبة لعاملين ، لكل منهما قيمة معينة ، لا تساوى قيمتهما متحدين ، بالضرورة ، مجموع قيمتهما منفصلين . وهناك العديد من الحقائق الرياضية الأخرى لا تمثل الحقيقة إلا فى حدود **علاقة** . لكن الرياضى ينطلق ، بحكم العادة ، من حقائقه المحدودة ، وكأنها حقائق يمكن استخدامها عموما بصورة مطلقة – كما يتخيلها العالَم فى الواقع . يذكر برنت Bryant فى 'منهجه' العلمى ، مصدرا مماثلا من مصادر الخطأ ، حين يقول 'مع أن تلفيقات باجان Pagan لا تُصدَّق ، إلا أننا ننسى أنفسنا باستمرار ، ونستخلص منها النتائج وكأنها واقع حقيقى ." إلا أن المشتغلين بالجبر ، وهم أنفسهم ليسوا إلا صورا أخرى من باجان ، يصدقون 'تلفيقات باجان' ولا يحدث الاستنتاج نتيجة السهو ، ولكنه يحدث خلال عدد لا يحصى من العمليات الذهنية الطائشة . باختصار ، لم أصادف أبدا الرياضى الذى يمكنه أن يثق فى الجذور المتساوية ، أو الرياضى الذى لم يصدق خفية أن $x^2 + px$ تساوى q بصورة مطلقة ودون شروط . اسأل أحد هؤلاء السادة المهذبين ، على سبيل الاختبار ، من

فضلك ، هل تصدق أن $px + x2$ قد لا تساوى q فى بعض الحالات ، واجعله يفهم ما تعنيه ، واهرب بسرعة ، لأنه ، بدون شك ، سيحاول أن يصرعك .

"أود أن أقول ،" واصل دوبين كلامه ، بينما كنت غارقا فى الضحك من ملاحظاته الأخيرة ، "إذا كان الوزير مجرد رياضى ، ما اضطر رئيس الشرطة إلى إعطائى هذا الشيك . إننى أعرفه ، مع ذلك ، كرياضى وشاعر ، وقد جعلت إجراءاتى تتلاءم مع قدرته واضعا فى الاعتبار الظروف المحيطة به . لقد عرفته ، أيضا ، كرجل من رجال الحاشية ، **وكمخادع** جسور . وأرى أن رجلا من هذا الطراز لا يمكن ألا يدرك الأساليب البوليسية المعتادة فى العمل . ولا يمكن أن يفشل فى توقع الهجمات التى تعرض لها ، وقد أثبتت الأحداث أن لم يفشل فى توقعها . أظنه تنبأ حتما بالتفتيش السرى لبيته . وأرى أن غيابه المتكرر عن البيت فى الليل ، وقد رحّب به رئيس الشرطة كظرف يساعده على نجاح مهمته ، أراه **خدعة** ، لجأ إليها ليقدم فرصة للبوليس للقيام بتفتيش دقيق ، وهكذا دفعهم سريعا إلى الاعتقاد بأن الرسالة لم تكن فى بيته . وقد شعرت أيضا ، أن كل هذه الأفكار ، التى عانيت فى توضيحها لك الآن ، واضعا فى الاعتبار القاعدة الثابتة للعمل البوليسى فى البحث عن المواد المخبأة-شعرت أن كل هذه الأفكار مرت بالضرورة فى عقل الوزير . مما جعله يتجنب بالضرورة كل **الزوايا** المعتادة فى عمليات الإخفاء . أظن أنه لا يمكن أن يكون ضعيفا بدرجة تجعله لا يرى أن أبعد التجويفات وأكثرها تعقيدا فى قصره ستكون مفتوحة ، شأنها فى ذلك شأن خزاناته الأكثر شهرة ، أمام عيون رئيس الشرطة ووسائل الجس والتثقيب والميكروسكوبات التى يستخدمها . وقد رأيتُ ، باختصار ، أنه سيدفع ، كأمر بديهى، إلى **البساطة** ، إذا لم يلجأ إليها كاختيار درسه بتروٍّ . ربما تتذكر كيف ضحك الوزير بيأس حين اقترحت عليه ، فى لقائنا الأول ، أن هذا اللغز الذى يحيره إلى هذا الحد قد يعود إلى كونه لغزا لا يحتاج **حقا** إلى دليل ."

"نعم ،" قلت ، "إننى أتذكر ضحكاته جيدا . لقد توقعت أنه ربما يصاب بتشنجات."

"إن العـالم المـادى ،" واصل دوبين كلامه ، "يزخر بنظائر تشبه تماما ما يوجد فى العـالم الروحـى ، وهكـذا فإن بعض ألوان الحقيقة التى منحت لمبادئ البلاغة ، تلـك الاستعارة ، أو البسمة ، قـد تعـزز برهانا ، وبالمثل قد تزين وصفا . يبدو مبدأ *vis intertiæ* ، على سبيل المثال ، متماثلا فى الطبيعة وفى ما بعد الطبيعة . إنه ليس أكثر صحة فى الأولى ، أن الجسم الكبير أكثر صعوبة فى الحركة من الجسم الصغير ، وأن كمـية الحركة تتناسب بالتالى مع هذه الصعوبة ، مما هو فى الأخيرة ، وبينما تكون العقول ذوات القدرة الأكبر أكثر فعالية وأكثر ثباتا وأكثر تأثيرا فى حركتها من العقول محدودة القدرات ، إلا أنها تكون أقل استعدادا للحركة وأكثر ارتباكا وترددا فى الخطوات الأولى من تقدمها . مرة أخرى : هل لاحظْتَ فى وقت من الأوقات أى لافتات الشوارع ، على أبواب المحلات ، أكثر إثارة للانتباه ؟"

"لم أعر المسألة أى اهتمام فى أى وقت ،" قلتُ .

"توجد لعبة من لعب الألغاز ،" استأنف كلامه ، "تُلْعَب على خريطة . ويطلب فيها لاعب من آخر أن يعثر على كلمة معينة–اسم مدينة أو نهر أو ولاية أو مملكة – أية كلمة ، باختصـار ، من على سـطح الخريطـة وهـو عـادة سطح مربك كثير الألوان . إن المستجد فى اللعبة يسعى عموما إلى إرباك منافسيه بأن يطلب منهم العثور على الأسماء المكونة من أصغر عدد من الحروف ؛ لكن المتمرس يختار الكلمات الطويلة المكونة من عدد كبير من الحروف تمتد من أحد طرفى الخريطة إلى طرفها الآخر . وهى ، مثل لافتات الشوارع والإعلانات المكتظة بالحروف ، لا تُلاحظ لأنها شديدة الوضوح ؛ وهنا يكون الإغفال المادى مماثلا تماما لعدم الإدراك الأخلاقى الذى يعانى منه العقل حتى يهمل تلك الأشياء التى لا تحتاج إلى دليل لأنها واضحة على نحو مزعج للغاية . ولكن يبدو أن هذه النقطة ، تبدو ، إلى حد ما فوق مدارك رئيس الشرطة أو لا تتناسب معها .-إنه لم يفكر أبدا فى أن من المحتمل ، أو من الممكن ، أن يكون الوزير قد وضع الرسالة أمام عيون العالَم كله مباشرة ، بأفضل صورة تحول بين أى شخص من ذلك العالم ورؤية الرسالة .

"ولكن كلما فكرتُ أكثر فى البراعة الفائقة والميزة التى يتمتع بها د-؛ وفى حقيقة أن الوثيقة يجب أن تكون دائما فى **متناول اليد** ، إذا كان ينوى استخدامها لغرض مهم ؛ وفى الدليل القاطع ، الذى توصل إليه رئيس الشرطة ، بأنها لم تُخبَّأ فى حدود المواضع التى اعتاد هذا الضابط الكبير أن يفتشها-كلما كنتُ أكثر اقتناعا بأن الوزير لجأ ، فى إخفاء هذه الرسالة ، إلى حيلة بارعة وهى ألا يخفيها على الإطلاق .

"وهذه الأفكار تدور فى رأسى ، أعددت نظارة ، خضراء ، واستدعيت فى صباح رائع ، بالصدفة تماما ، إلى قصر الوزير . وجدت د- فى بيته ، مسترخيا يتثاءب فى كسل ، كالمعتاد ، متظاهرا بأنه يعانى من إرهاق شديد ناتج عن عدم القدرة على التركيز . وربما كان يتمتع حقا بأكثر ما يتمتع به إنسان من الحيوية-ولكن تلك الحيوية لا تظهر إلا بعيدا عن عيون الآخرين .

"وحتى أبدو بصورة طبيعية معه ، شكوتُ من ضعف عينىَّ ، وعبرت عن أسفى لضرورة استخدام النظارة ، ومن تحتها فحصتُ المكان بحرص ودقة ، بينما كان يبدو أننى لا أهتم إلا بالحديث مع مضيفى .

"أوليت اهتماما خاصا لطاولة كتابة كان يجلس بجوارها ، كانت الطاولة كبيرة ، عليها بعض الرسائل المختلفة وأوراق أخرى وآلة موسيقية أو آلتين وبعض الكتب ، وقد وضع كل ذلك دون ترتيب . لكننى ، بعد فحص طويل ومتروٍّ تماما ، لم أرَ عليها شيئا يثير الريبة .

"ومن بعيد وقعت عيناى ، وهما تلفان الغرفة ، على حافظة مزخرفة من الورق المقوى لحفظ كروت الدعوات ، وكانت حافظة جميلة المنظر محدودة القيمة ، تتعلق متدلية فى ربطة زرقاء قذرة ، من يد برنزية أسفل رف فوق المدفأة . وفى هذه الحافظة ، التى تتكون من ثلاثة أقسام أو أربعة ، كان يوجد خمسة أو ستة من كروت الدعوات ورسالة وحيدة . وكانت الرسالة مطوية بإهمال ويعلوها قدر كبير من الغبار. وكانت مقطوعة من موضعين ، من الوسط-فيما يبدو ، فى المرة الأولى ، أنها محاولة لتمزيقها لأنها عديمة القيمة ، وقد تبدلت ، أو دُعِّمتْ ، فى المرة الثانية . وكان عليها ختم كبير أسود ، يحمل اسم د- بصورة واضحة **تماما** ، وكان موجها ، بخط أنثوى صغير إلى

د-، الوزير ، نفسه . وكانت مدسوسة بدون اهتمام ، وقد تبدو وكأنها موضوعة بازدراء ، فى أحد الأقسام الرئيسية فى الحافظة .

"وبمجرد أن سقطت عينى على هذه الرسالة ، استنتجتُ أنها الرسالة التى كنتُ أبحث عنها . تأكد ، أنها كانت ، طبقا لكل الظواهر ، تختلف اختلافا جذريا عن تلك الرسالة التى قرأ رئيس الشرطة علينا وصفا دقيقا لها . كان الختم هنا كبيرا وأسود ، ويحمل اسم د - ؛ وهناك كان الختم صغيرا وأحمر ، يحمل توقيع دوق من عائلة س-. وكانت موجهة هنا إلى الوزير ، بخط أنثوى صغير ؛ وكانت هناك موجهة إلى شخصية ملكية معينة ، بخط واضح ومحدد ؛ يشكل الحجم نقطة التطابق الوحيدة . ولكن كانت ، من ثم ، هذه الاختلافات **الجذرية** المبالغ فيها ؛ القذارة ، حالة الورقة الممزقة التى يعلوها الغبار ، لا تتواءم إلى حدٍّ بعيد مع العادات **الأصيلة** فى أسلوب د-، ومن ثم توحى بتصميم مالكها على الإيحاء بفكرة أن الوثيقة عديمة القيمة ؛ إن كل هذه الأشياء ، إضافة إلى وضع هذه الوثيقة فى حالة مزرية تحت عيون الجميع ، وبالضبط طبقا للاستنتاجات التى توصلت إليها سابقا ؛ أقول ، إن هذه الأشياء تعزِّز الشك تعزيزا قويا ، خاصة بالنسبة لشخص يتوقع سير الأمور على هذا النحو .

"أطلتُ زيارتى بقدر المستطاع ، وبينما كانت المناقشة بينى وبين الوزير محتدمة ، فى موضوع أعرف جيدا أنه لا يمكن أن يفشل فى إثارة اهتمامه ، كان كل انتباهى موجها إلى الرسالة . وفى هذا الفحص ، غرست فى الذاكرة مظهرها الخارجى ، ووضع الحافظة ، وركزت طويلا على اكتشاف وسيلة لعدم ترك أدنى أثر للشك . وقد لاحظت وأنا أفحص حواف الورقة أنها متهرئة أكثر مما يبدو ضروريا . إنها تبدو فى تمزقها وكأنها ثنيت وضغطت فى دوسيه ، وأعيد طيها من جديد فى اتجاه عكسى ، بنفس التجعدات أو الحواف التى شكلت الطية الأولى . وكان هذا الاكتشاف كافيا . كان واضحا بالنسبة لى أن الرسالة قلبت مثل قفاز ، من الداخل إلى الخارج ، وأعيد تطبيقها وخَتمها . تمنيتُ للوزير صباحا طيبا ، ورحلت فورا ، تاركا علبة النشوق الذهبية الخاصة بى على الطاولة .

"وفى صبـاح اليوم التـالى ذهبتُ طلبـا لعلبـة النشوق ، وواصلنا فى شـغف تام مـحادثة اليوم السـابق . وبينمـا كنـا منهمكين فى المناقشـة ، سـمعنا صوتا صـاخبا ، كأنه طلق نارى ، كان الصوت آتيا من تحت نوافذ الفندق مباشرة ، وسمعنا بعد ذلك سلسلة من الصرخات المرعبة ، وصيـحات الجمـاهـير . اندفع د-إلى إحدى النوافذ الكبيرة ، وفتـحـها باندفـاع ، وأخذ ينظر إلى المشـهد . وفى أثناء ذلك ، خطوت بضع خطوات إلى حافظة الكروت ، وأخذتُ الرسالة ، ووضعتُها فى جيبى ، ووضـعت مكانها رسـالة تشبـهها تماما (فيمـا يتعلق بالمظهر الخـارجى) ، وكنتُ قد أعددتُها بعناية فى منزلى ؛ مقلّدا توقيع د-، وجاهزا بختم من كسرة خبز .

"الفوضى التى أثيـرت فى الشارع كانت بسبب تصرفات مـرعبة من رجل يحمل بندقية ، أطلق منها عيارا وسط حشد من النساء والأطفال . وقد ثبت أنها كانت خالية من الطلقات ، وكان هذا الرفيق يسير وكأنه مجنون أو سكران . وحين انصرف ، عاد د- من النافذة ، وكنت قد تبعته مباشرة للاطمئنان على مـا يجرى فى الشـارع . وبعد ذلك مبـاشرة قدمتُ له التحية وانصـرفت . وكنت قـد اتفقت مع هذا المجنون المزعوم ودفعتُ له ."

"سـألتُ : "ولكن مـا الهدف من وضـع رسـالة بديلة تشبـه الأولى تمامـا ؟ ألم يكن من الأفضل أن تستولى عليها فى الزيارة الأولى وترحل ؟"

رد دوبين : "إن د- رجل يائس ، رجل فى مـوقع حسـاس . وقـصـره ، أيضـا ، لا يمكن أن يكون بدون حـراس لرعـايتـه . وإذا كنتُ قد قـمتُ بالمحـاولة التى تقـترحـهـا ، فربما كنت لا أغادر قصـر الوزير حيا . وربما لم يسمع عنى أهل باريس الطيبون بعد ذلك . ولكن كان لدى موضـوع آخر غير تلك الاهتمامات . تعرف مشـاغلى السيـاسية . وفى هذه الحـالة كنتُ أعمل بـالشروط التى وضـعـها تـابع السيدة . على مدى ثمـانية عشر شـهرا كـانت تحت رحمة الوزير . وهـى الآن تضعه تحت رحمتها ؛ وحيث أنه لا يدرك أن الرسالة ليست فى حوزته ، فإنه سيواصل الابتزاز كما لو كانت فى حوزته . وسيكون من الحتمى أن يؤدى ذلك إلى انهياره السياسى ذات يوم. وسيكون سقوطه ، أيضـا ، سـقـوطا بشـعـا . ويُفـضلُّ تمامـا أن نتـحـدث عن *the facilis descensus*

Averni ، ولكن فى كل أنواع التسلق ، كما يقول كتالنى فى الأغنية ، يكون الصعود أسهل بكثير من السقوط . وفى الحالة الراهنة لا أتعاطف مع من يسقط–أو على الأقل لا أشفق عليه . إنه ذلك المسخ البشع ، ذلك الرجل العبقرى المجرد من المبادئ . إلا أننى أعترف ، مع ذلك ، بأننى أودُّ أن أعرف بدقة طبيعة أفكاره حين تتحداه تلك التى أطلق عليها رئيس الشرطة 'شخصية معينة' ، ويضطر إلى فتح الرسالة التى تركتُها فى حافظة الكروت ."

"كيف ؟ هل كتبت شيئا معينا فيها ؟"

"كيف – لا يبدو أن من الصواب أبدا أن تترك الرسالة بيضاء – إن ذلك سيبدو إهانة . فى فيينا ، أوقعنى د–فى موقف حرج ، وقد أخبرته فى هدوء تام بأننى لن أنسى له ذلك . وكما أتوقع فإنه سيشعر ببعض الفضول لمعرفة هوية الشخص الذى خدعه، وأظن أن من الشفقة به ألا تقدم له مفتاحا . إنه على علم تام بخطى ، وقد نسخت الكلمات التالية فى وسط الورقة البيضاء عن مسرحية أرتيه *Atrée* لكريبيون – Crébillon

[... تصميم وإن يكن مهلكا

إلا أنه لا يليق بأرتيه ، إنه يليق بثيست]

الفهـــرس

الموضـــــوع	الصفحة

المشروع القومى للترجمة

اللغة العليا	جون كوين	ت : أحمد درويش
الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
طريق الحرير	ديفيد براونيستون وأيرين فرانك	ت : أحمد محمود
ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : لطفى عبد الوهاب / فاروق القاضى / حسين الشيخ / منيرة كروان / عبد الوهاب علوب
مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
الأعمال الشعرية الكاملة	چورج سفيريس	ت : نعيم عطية
قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت : يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب
الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
الرواية العربية	روجر ألن	ت : د. حصة إبراهيم المنيف

الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت
نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد
عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	ت : المهدى أخريف
بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت : مارلين تادرس
التراث المغدور	روبرت ج دنيا - جون ف ا فاين	ت : أحمد محمود
عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
تاريخ النقد الأدبى الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتى
الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانوبيا وخ. م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت محمود على مكى
الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
لذّة النّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
تاريخ النقد الأدبى الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدى أخريف
نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد

السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود
السياسى العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلى
نقد استجابة القارئ	چين . ب . تومبكنز	ت : حسن ناظم وعلى حاكم
صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيميئوفا	ت : حسن بيومى
فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
تاريخ النقد الأدبى الحديث ج ٣	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	ت : محمود السيد على
مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالى
الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوى
منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	ت : عبد الرازق بركات

(تحت الطبع)

المختار من نقد ت . س . إليوت
الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى
تاريخ السينما العالمية
مختارات من المسرح الإسبانى
صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر
الابتلاء بالتغرب
طول الليل
نون والقلم
الحب الأول
أوبرا ماهوجونى
عالم التليفزيون بين الجمال والعنف
حروب المياه
ثلاث زنبقات ووردة
الأدب الأندلسى
الأدب المقارن
راية التمرد
السياسة والتسامح
مساءلة العولمة
ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٥٦٠٠ / ١٩٩٨

الترقيم الدولى (I. S. B. N. 977 - 305 - 100 - 5)